جامعة الوصل-دبي

مركز بحوث السنة النبوية

الندوة الدولية الثانية عشرة للحديث النبوي الشريف

التنمية المستدامة في السنة النبوية، واقع وآفاق

19 - 20 / فبراير / 2025م

(بحوث الندوة مُحَكَّمة)

الجزء الثاني

دولة الإمارات العربية المتحدة

جامعة الوصل - دبي

مركز بحوث السنة النبوية

الندوة الدولية الثانية عشرة للحديث الشريف

بعنوان:

التنمية المستدامة في السنة النبوية، واقع وآفاق

19 - 20 فبراير 2025 م

(بحوث الندوة مُحَكَّمة)

الجزء الثاني

لجنة نشر الكتاب

إشراف:

أ. د. إياد أحمد إبراهيم
نائب مدير الجامعة لشؤون البحث العلمي

رئيس لجنة النشر:

د. محمد عبد الخالق

الأعضاء:

1- د. لمياء عبد الفتا ح

2- د. مزمل الشريف

3- د. وفاء الحمو د

4- د. شيماء عبد الرحمن

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية: الأسس والمناهج والمقاصد. ■ **د. خديجة بوسبع**	**5**
التنميةُ المُستدامةُ ومعالمُها في السنةِ النبويّةِ في ضَوءِ تقريرِ التنميةِ الإنسانيّةِ المُستدامةِ العربيّ لسنة (2020م) - دراسة تحليليّة. ■ **د. رشيد باموس - ■ أ. الحبيب المحمدي**	**41**
التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية التجليات وسبل التفعيل. ■ **د. محمد بن عبد الواحد اصبيحي**	**89**
دورُ المرأةِ المسلمةِ في التنميةِ المستدامةِ في السنةِ النبويّةِ. ■ **د. هدى حسن صديق عبد السلام**	**137**
دور استغلال الطاقة المتجددة في تعزيز التنمية المستدامة من منظور شرعي. ■ **د. أنس سليمان المصري**	**185**
التنمية البيئية المستدامة في السنة النبوية؛ مكوناتها، ومرتكزاتها، وتطبيقاتها المعاصرة. ■ **د. أنس نجيب العلوي**	**223**
الاستدامة الخضراء من منظور السنة النبوية (جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في تحقيقها – أنموذجًا). ■ **د. عفاف عبد الله - ■ د. عائشة مبارك**	**265**
الاستدامة المائيَّة في السنَّة النبويَّة، وجهود دولة الإمارات العربيَّة فيها. ■ **أ. زينب خالد شحادة - ■ أ. د. إياد أحمد إبراهيم**	**299**
غرس الأشجار وأثره في تحقيق الاستدامة في ضوء السنة النبوية. ■ **أ. عبير حمود المفلحي - ■ د. شريف عبد العليم**	**333**
آفاق التنمية المستدامة في السنة النبوية للوقف الإسلامي وواقع التفعيل في دولة الإمارات العربية المتحدة. ■ **د. ماريه بسام محمد عبد الرحمن**	**375**

التنمية المستدامة أثناء الحروب في السنة النبوية. ■ **د. سلسبيل نصيرة**	**411**
مفهوم الخيرية المحمدية وعلاقتها بالتنمية المستدامة في السنة النبوية - دراسة تحليلية. ■ **د. منى إزعريين**	**453**
أوقافُ السنةِ النبويّةِ التحديات والحلول (المملكة العربية السعودية أنموذجًا). ■ **د. يوسف بن عبد الله القرعاوي**	**489**

"التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية: الأسس والمناهج والمقاصد"

د. خديجة بوسبع

جامعة السلطان مولاي سليمان– المملكة المغربية

ملخص

البحث عبارة عن استخراج لكنوز من الأحاديث النبوية التي تبرز مدى عناية السنة النبوية بالتنمية المستدامة في مختلف مجالات وخاصة المجال الاجتماعي. وقد جعلها الرسول ﷺ واقعًا ملموسًا في الحياة؛ وذلك باتباعه لمجموعة من الأسس والمناهج التي بنى بها الإنسان الصالح لنفسه ولمجتمعه؛ سلوكًا وأخلاقًا وعلمًا وعملًا وإنتاجًا، كل ذلك يبرهن على مدى حرصه على حماية حقوق مختلف الأجيال.

الكلمات المفتاحية: التنمية، المستدامة، المجال، الاجتماعي، السنة النبوية

Abstract

The research is an extraction of treasures from the Prophet's hadiths that highlight the extent of the Prophet's Sunnah's interest in sustainable development in various fields, especially the social field. The Messenger, may God bless him and grant him peace, made it a tangible reality in life. This is done by following a set of foundations and approaches by which a good person has built himself and his society. His behaviour, morals, knowledge, work and production all demonstrate his keenness to protect the rights of different generations.

Keywords: development, sustainable, field, social, Sunnah

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله ومن سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

إن من القضايا التي نالت اهتمامًا واسعًا لدى الباحثين والمهتمين بالبيئة وصناع القرار قضية التنمية المستدامة التي ظهرت بقوة إلى حيز الوجود في ثمانيات القرن العشرين نتيجة أسباب متعددة منها الضغوط المتزايدة على الإمكانات المتاحة في العالم المعاصر.

وإذا كانت التنمية المستدامة مصطلحًا حديث النشأة، فإن السنة النبوية سبقت إلى ما يشكل أسسًا منهجية لتحقيق الأهداف المنشودة من التنمية المستدامة وتوفير ما يكفل الحياة الكريمة للبشرية جمعاء.

وفي السنة النبوية نماذج تطبيقية لمدى الاهتمام بالتنمية المستدامة ويتجلى ذلك من خلال قوله ﷺ: "إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ".[1]

فإلى جانب الإرث الذي يحفظ حقوق الأجيال القادمة المتمثلة في الأبناء في ثروات الأجيال الحالية أي الآباء، شرع الإسلام لتحقيق التنمية المستدامة العمل والزكاة، ودعا إلى التعاون والتكافل الاجتماعيين، وحرم البخل وكنز الأموال بغية تحريك عجلة التنمية، وحتى لا تبقى الأموال مكدسة في أيدي فئة قليلة ومن ثمة تقليص الفوارق الاجتماعية وتحقيق عمارة الأرض.

وقد كان رسول الله ﷺ قدوة حسنة من حيث الاهتمام بالتنمية المستدامة وجعلها واقعًا ملموسًا باتباعه لمجموعة من الأسس المنهجية التي بنى بها الإنسان الصالح لنفسه ولمجتمعه؛ سلوكًا وأخلاقًا وعلمًا وعملًا وإنتاجًا.. فهي تنمية توازن بين ما هو مادي ومعنوي، وتتخذ من العدل والكرامة والشمولية والمعرفة سمات لها.

ووعيًا مني بأهمية موضوع التنمية المستدامة في السنة النبوية، فقد ارتأيت المشاركة ببحثي الموسوم ب "التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية:

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب الوصايا، بَابُ أَنْ يَتْرُكَ وَرَثَتَهُ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَكَفَّفُوا النَّاسَ (4/3) حديث رقم **(2742)**.

الأسس والمناهج والمقاصد". ضمن خطة بحث اشتملت على مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة.

المطلب الأول: تعريف كل من "التنمية المستدامة"، و"المجال الاجتماعي".

المطلب الثاني: أسس التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية.

المطلب الثالث: المناهج النبوية في تحقيق التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي.

المطلب الرابع: مقاصد التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية.

الخاتمة ثم لائحة المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة:

حاز موضوع التنمية المستدامة باهتمام كبير في الآونة الأخيرة من لدن الباحثين على اختلاف تخصصاتهم ومجالاتهم، إلا أن الاهتمام بالتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية بصفة خاصة لم أجد –في حدود اطلاعي– على دراسة تناولته بالشكل الذي قدمته في هذا البحث.

ومن الدراسات التي تناولت موضوع التنمية المستدامة ما يلي:

1. "أبعاد التنمية المستدامة ومصادرها وتطبيقاتها في ضوء التربية الإسلامية"، لعقل بن عبد العزيز العقل، جامعة سوهاج، كلية التربية المجلة التربوية، عدد فبراير-ج 2 - (2021 82).

قدمت هذه الدراسة الإطار الفلسفي لأبعاد التنمية المستدامة في الإسلام، وتطبيقاتها التربوية في التربية الإسلامية، ولم تتطرق إلى أسس ومقاصد التنمية في السنة النبوية.

2. "التنمية المستدامة في السنة النبوية دراسة تأصيلية"، لبكر عبد الله الخرمان، رسالة جامعية، إشراف: علي إبراهيم عجين، رسالة الماجستير في أصول الدين، جامعة آل البيت، كلية الشريعة، قسم أصول الدين، 2017- 2018.

سلطت هذه الرسالة الضوء على التنمية المستدامة في أبعادها الثلاثة: البيئة والاقتصاد والمجتمع، وعلى مظاهرها من خلال مكافحة التلوث، ورعاية الثروة الحيوانية والغطاء النباتي، بالإضافة إلى المظاهر الاقتصادية والاجتماعية كتحريم الربا..

أما الإضافة المعرفية التي أسعى إليها في هذا البحث - إن شاء الله- فتتمثل في تأصيل السنة النبوية للتنمية المستدامة، وبيان الأسس التي كان لها أكبر الأثر في تحقيقها، وفي استدامتها، وفي تكوين الإنسان الفاعل في المجتمع، والذي تستمر به التنمية على مدى الأجيال وذلك في ضوء المنهج النبوي الذي استطاع تحقيق مجموعة من المقاصد التي ما زالت الأنظمة الوضعية عاجزة عن تحقيقها لحد الآن.

المطلب الأول: تعريف كل من "التنمية المستدامة"، و"المجال الاجتماعي":

قبل البدء بالبحث لا بأس من تعريف كل من "التنمية المستدامة"، و"المجال الاجتماعي". فكما هو ملاحظ أن كلا العبارتين مركب إضافي؛ أولاهما مكونة من "التنمية"، و"المستدامة". أما التنمية في اللغة فهي مصدر فعل نمى الذي "يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ وَزِيَادَةٍ."[1] كما تفيد النماء والكثرة والتطوير. واصطلاحا: فالتنمية عبارة عن "التغيير الإرادي الذي يحدث في المجتمع بحيث ينتقل من خلاله من الوضع الحالي الذي هو عليه إلى الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه، بهدف تطوير وتحسين أحوال الناس من خلال استغلال جميع الموارد والطاقات المتاحة."[2]

أما مصطلح المستدامة في اللغة فهي مصدر من استدام ويقال: "استدام الشَّيءُ: طَلَبَ دوَامَهُ"[3]، كما تعني "استمرَّ، وثبت ودام."[4] ومما يستفاد من المعنى اللغوي الثبوت والدوام والمواظبة والاستمرارية. واصطلاحا فهي "جميع جوانب الحياة التي يرجى بقاؤها والحيلولة دون نضوبها ونفاذها كالموارد الطبيعية".[5]

وبسبب تعدد التعريفات سأركز على ما ورد في ديباجة هذه الندوة الدولية الثانية عشرة للحديث الشريف وهو: "مجموعة من العمليات الحيويّة التي توفرُ وسائل الحياة للكائنات الحية بمختلف أنواعها، ممّا يساعدها في المحافظة على تعاقب أجيالها، وتطوير وسائل نموها مع مرور الوقت".[6]

والمستفاد من التعريف أن التنمية لا تقتصر على توفير حاجيات الجيل الحاضر، بل تمتد لتراعي حق الأجيال القادمة آخذة بعين الاعتبار تطوير الوسائل من أجل تأمين استمرارية الحياة الكريمة لكل الناس.

---

1. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، (5/479).
2. محمد صو، دور الإنسان في التنمية المستدامة: قراءة في السنة النبوية الشريفة. موقع رفي دكار، https://reveildakar.info/%D8%AF 16/12/2021
3. محمد بن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ، (12/213).
4. أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008م، (1/970).
5. دائرة التنمية الاقتصادية، حكومة رأس الخيمة، النشرة الاقتصادية، العدد 45، نوفمبر، 2015م، (ص19).
6. ديباجة الندوة الدولية الثانية عشرة للحديث النبوي الشريف "التنمية المستدامة في السنة النبوية، واقع وآفاق"، مركز بحوث السنة، جامعة الوصل، دبي، يومي 19-20 فبراير-2025.

أما المركب الثاني فهو "المجال", و"الاجتماعي"؛ فالمجال لغة: "مكان، موضع، حقل أو ميدان أو نطاق"[1]. واصطلاحًا: فإن المجال قد ارتبط بعدة مفاهيم واكتسى عدة دلالات منها هو صورة مصغرة للمجتمع وهو نتاج اجتماعي بعد أن كان نتاجًا للطبيعة وللتأريخ وبالتالي هو نتاج في مستويين: "نتاج مادي ونتاج فكري. فوراء كل نتاج نجد فاعلًا ومنتجًا ماديًا وكذلك فكرة وتصور مسبق"[2].

أما المجال الاجتماعي فهو مصطلح يشير إلى "مجموعة مختلفة من الأنشطة يمارسها الإنسان في علاقاته الاجتماعية المختلفة"[3]. ويشير أيضا إلى مختلف العلاقات التفاعلية بين أفراد المجتمع وما ينظمه من قوانين وقيم بغية التواصل والتعاون والتكافل الاجتماعي.

المطلب الثاني: أسس التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية:

إذا كانت التنمية المستدامة مصطلحا تم الترويج له كثيرًا في العقود الأخيرة، غايته توفير احتياجات مختلف الأجيال الحاضرة والقادمة، فإن القرآن الكريم والسنة النبوية قد اشتملا على نصوص بمثابة أسس للتنمية المستدامة، غايتها إسعاد الإنسان بتلبية احتياجاته وحفظ كرامته وتحقيق العيش الكريم له. ومن هذه الأسس ما يأتي:

الفرع الأول: العمل أس التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية:

من الأسس التي شرعها الإسلام لقيام مصالح الأفراد والمجتمعات، ولتحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، ولزيادة الإنتاج والدخل ولديمومة التنمية: العمل والسعي في الأرض لابتغاء الرزق والوصول إلى تحقيق السعادة البشرية.

لقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا

---

1. أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (1/424).
2. عمر بالهادي، المجال والتنمية، WordPress، نص المداخلة بالمركز الوطني لتكوين المكونين- قرطاج- 12 مارس 2012، نشر في: 13/05/2012م، https://amorbelhedi.wordpress.com/2012/05/13/aaaaaaaa/
3. ليلى جبريل، تعريف المجال الاجتماعي والاقتصادي وتقسيم المجال الاقتصادي، مقال، آخر تحديث رقم: يناير 31، 2022م
https://maqall.net/education/definition-social-economic-sphere

لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [سورة الجمعة: 10]. والملاحظ من الآية أن الله سبحانه قد ربط الفراغ من صلاة الجمعة بالعمل والسعي في الأرض والذكر، وهذا مما يؤكد على كون العمل ركن أساس في تحقيق الكفاية الذاتية ومن ثمة التنمية المستدامة ويبرز ذلك فيما ما ورد عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَة (رضي الله عنه)، قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ جِلْدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ"[1].

وقد جعل هذا الحديث السعي من أجل إعالة الأهل وعفة النفس جهادًا في سبيل الله. وكيف لا يكون جهادًا في سبيل الله والعمل يوفر احتياجات الإنسان من المأكل والمشرب والمسكن وكل ضروريات الحياة ويسهم في التنمية.

وقد حفلت السنة النبوية الشريفة بالعديد من النصوص التي تحث على العمل باعتباره أُس التنمية المستدامة الذي لا تقوم بدونه. فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَوَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ".[2] فإذا كان كل فرد يكسب فإنه لا محالة يسهم في التنمية المستدامة.

والملاحظ أن منهج الرسول ﷺ يسعى إلى تربية المجتمع المسلم على الاعتماد على الذات، ما دام قادرًا على العمل والكسب والإنتاج.

فالإسلام لا يقبل بأن يعيش الإنسان عبئًا على مجتمعه، بل وشجع رسول الله ﷺ على الكسب وإن كان قليلًا، وعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"[3].

---

1. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، المحقق/حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط2، د. ت، (19/129) حديث رقم (282).
2. أخرجه ابن حبان في صحيحه، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: علاء الدين الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م، كتاب الرضاع، باب النفقة (10/74) حديث رقم (4261) وقال: إسناده صحيح على شرطهما.
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (3/57) حديث رقم (2072).

ولا تقتصر أهمية العمل على توفير الاحتياجات وحفظ الكرامة، بل إن العمل من شأنه أن يعزز نمو الاقتصاد وهو من أهداف التنمية المستدامة التي أعلنت عنها هيئة الأمم المتحدة: "العمل اللائق للجميع ونمو الاقتصاد".[1]

الفرع الثاني: الزكاة أس التنمية المستدامة في السنة النبوية:

ترتكز التنمية المستدامة في السنة النبوية على أسس متعددة منها الزكاة؛ فإلى جانب كونها إحدى الركائز الأساس في الدين الإسلامي، والتي يتحدد بمقتضاها آثارًا اجتماعية واقتصادية ونفسية، فإن للزكاة الأثر الكبير في التنمية والأثر الاجتماعي في تأليف القلوب والقضاء على الفقر الذي يعد أول أهداف التنمية المستدامة»[2].

فمن إيجابيات الزكاة أنها إذا أخذت بتمامها وأحسن صرفها، فإنها تطهر المجتمع الإسلامي من عوامل الفقر والجوع والتفرقة والصراع الطبقي ومن غيرها من الآفات والانحرافات الخطيرة كالسرقة ومختلف الجرائم، وتقلص من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية بخلق مشاريع استثمارية تشغل العاطلين، فتحولهم إلى أفراد منتجين ومساهمين في التنمية الشاملة وتحقق العدالة والسلم الاجتماعيين وهذا يخدم الهدف السادس عشر من أهداف التنمية المستدامة التي أعلنت عنها الأمم المتحدة الداعي إلى "السلام والعدلة والمؤسسات القوية".[3] ومن ثمة تسهم في إيجاد توازن نفسي واجتماعي واقتصادي لأفراد المجتمع وتحقق المصلحة العامة.

ولا بد من الإشارة إلى أن الزكاة تعد حافزًا للتنمية في بعديها الاقتصادي والاجتماعي من خلال ترويج الأموال وعدم جمودها، بل إن مواردها تستخدم في تمويل أصحاب الحرف أو خلق مشاريع اقتصادية للطبقة الفقيرة والمتوسطة تضمن لها موردًا قارًا تعيش به فتخرج أصحابها من آفة الفقر إلى الإنتاج والاكتفاء الذاتي. وبذلك يكون الركن الثالث من أركان الإسلام قد أسهم في تحقيق المقصد الأساس من التنمية المستدامة من خلال تقليص نسب الفقر والجوع والبطالة وتحويل الفقراء إلى طبقة منتجة ودافعين للزكاة بدل مستحقين لها ومن ثمة تحقيق الحياة الطيبة لكل أفراد المجتمع.

---

1. أهداف التنمية المستدامة، الأمم المتحدة: 14/2/2017م.
/http://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/sustainable-development-goals
2. أهداف التنمية المستدامة، الأمم المتحدة: 14/2/2017م.
3. المرجع السابق.

الفرع الثالث: الإرث أس التنمية المستدامة في السنة النبوية:

من تجليات عناية السنة النبوية بالتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي العديد من الأسس التي تمثل ركائز لها، فإلى جانب الزكاة وما يحققه هذا الركن من مقاصد، فإن الإسلام قد شرع الإرث الذي يرتبط ارتباطًا مباشرًا بأهداف التنمية المستدامة التي تستهدف توفير احتياجات الأجيال المستقبلية التي توفرت للأجيال الحاضرة.

ومن البدهي أن الأسرة هي اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع، فإن الإسلام وباعتباره نظام حياة قد حافظ على حقوق الأبناء بالاستفادة ممّا تركه الآباء والأجداد.

ومن النماذج العملية التطبيقية على تنزيل السنة النبوية للتنمية المستدامة إلى حيز الوجود قوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه): "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ: "لاَ"، قُلْتُ: فَالشَّطْرُ، قَالَ: "لاَ"، قُلْتُ: الثُّلُثُ، قَالَ: "فَالثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ".[1]

واستنادًا لما جاء في هذا الحديث أن من حق صاحب المال أن يتبرع بجزء من ماله بالهبة والوصية أو غيرهما شرط ألا يتجاوز الثلث حتى لا يضر بالورثة، فالإسلام رغب في ترك الأبناء أغنياء لا فقراء يسألون الناس ما في أيديهم، ذلك أن "من مقاصد الشرع في التبرعات كثيرة؛ منها: ألّا يكون التبرع ذريعة إلى إضاعة مال الغير من حق وإرث أو دائن... فكان من سدّ هذه الذريعة لزوم كون صورة التبرع بعيدة عن هذا القصد"[2].

فالمستفاد مما سبق أن من آثار نظام الإرث حفظ حقوق الأبناء في ثروات الآباء، باستثمارها في مشاريع تدر أرباحًا وتفتح آفاقًا جديدة في حياتهم، ومن ثمة تسهم في القضاء على الفقر والجوع والبطالة، وهذا بلا شك مرتبط بأهداف التنمية المستدامة. إذ يؤدي نظام الميراث الإسلامي إلى زيادة الاستثمار وتداول الأموال والتشغيل وتقليل البطالة والكساد، وذلك لأنه في حالة كان الورثة فقراء أو محتاجين لأموال التركة سوف يستخدمونها في تلبية حاجاتهم الاستهلاكية، وزيادة الاستهلاك تؤدي إلى زيادة الاستثمار، وذلك لأن القطاعات

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، بَابُ أَنْ يَتْرُكَ وَرَثَتَهُ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَكَفَّفُوا النَّاسَ (4/3) حديث رقم (2742).
2. محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، المحقق/محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2004م، (3/517).

المنتجة ستكون في حاجة لأن تسد الطلب الفعال من الورثة أو المستهلكين الجدد وكل هذا بسبب انتقال التركة إليهم".[1]

فالإسلام لم يهمل الأجيال الصاعدة، بل جعلها بمثابة سلسلة متماسكة الحلقات يعمل أولها ليستفيد آخرها ولا يحرم أحد من ثمار سلفه. كما ينتفع الميت بما ترك من الأبناء الصالحين ولا شك أن هذا تطبيق عملي للتنمية المستدامة؛ فالابن الصالح "يشكل بعدًا اجتماعيًا وأَحَدُ أهداف التنمية المستدامة، إيجاد الفرد الحريص على ما ينفعه وينفع غيره، الواعي بما يدور حوله من مشاكل بيئية واقتصادية واجتماعية".[2]

وعلى ضوء ما سبق يمكن أن نستخلص أن الإسلام يحث على استمرار استفادة الأجيال الحالية من ثروات وإنجازات الأجيال السابقة، فنفع المسلم لا يقتصر على حياته بل يمتد لما بعد موته.

المطلب الثالث: المناهج النبوية في تحقيق التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي:

الفرع الأول: بناء الإنسان منهج جوهري للتنمية المستدامة:

إذا كانت التنمية المستدامة غاية إنسانية، فإن جوهر هذه التنمية ومحورها الفاعل هو الإنسان، إذ لا تنمية إلا به ولا تنمية إلا إليه، فهو أساسها ومقصدها. لأن أية تنمية لن تؤتي أكلها إلا إذا أحسن استثمار الجانب الاجتماعي وجعل الإنسان في قلب العملية التنموية.

وقد كان للسنة النبوية فضل السبق والريادة في بناء الإنسان المتوازن في نفسه والنافع لغيره من خلال مجموعة من الأسس المنهجية التي اهتمت ببناء الإنسان على مستوى الجسد، والروح، والعقل بناء متكاملًا يرتقي به عبادة وسلوكًا ومعاملةً وعلمًا وإنتاجًا. ومن هذه الأسس:

المسألة الأولى: بناء الإنسان على مستوى الجسد والروح:

---

1. كمال توفيق محمد حطاب، نظرات اقتصادية في حكمة توزيع الميراث في الإسلام، مجلة جامعة دمشق-سوريا، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، 2002م، (ص30).
2. بكر عبد الله الخرمان، التنمية المستدامة في السنة (ص34).

وقد وردت أحاديث متنوعة تحمل توجيهات وإرشادات عظيمة في شأن بناء الإنسان الذي يستطيع أن ينتج وبه تستدام التنمية منها العناية بالجسد والروح وذلك بتحقيق:

- الأمن الغذائي والكسائي والسكني والعلاجي: فقد رغبت السنة النبوية في توفير ضروريات الحياة لكل إنسان، فكانت من مقاصد تشريع الزكاة والترغيب في الصدقات مساعدة المحتاجين على توفير ما يسد رمقهم، فمن باب التقرب إلى الله تعالى الإكثار من الأعمال الخيرية كإطعام الجائع ومد يد المساعدة لكل ذي حاجة قال ﷺ: : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ"[1]. وقوله ﷺ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"[2]. فهذا حديث جامع لكل أنواع التعاون في فعل الخير التي لا تقتصر على جانب دون آخر.

وقد تعددت الأحاديث التي يحث فيها رسول الله ﷺ على إطعام الطعام وفك كرب المكروبين بمختلف أشكالها كالكساء والسكن والعلاج، وأن يكون نفع المسلم يتعداه إلى غيره حتى يتمكن الجميع من المشاركة في الإنتاج وفي استمرار التنمية، فالجوع والفقر من الأسباب التي تقف عائقًا أمام التنمية واستدامتها.

- الوقاية من الأمراض: نظرًا لأهمية الصحة في تحقيق التنمية المستدامة، فإن السنة النبوية أولت عناية كبيرة في أسباب حفظها مما يسهم في استمرارية نشاط الإنسان في الجد والاجتهاد، ومن تلكم الأسباب عدم تكليف الجسم فوق طاقته، بالإضافة إلى الوقاية من الأمراض باتباع منهج الحجر الصحي وذلك بالابتعاد عن الأماكن الموبوءة منعًا لانتشار العدوى بين الناس وعنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا"[3].

واعتبارًا لكون حفظ النفس من الكليات الخمس فإن النبي ﷺ يرغب في إبعادها عن كل ما يمكن أن يعرضها للخطر، بل إن توجيهاته ﷺ لا تقتصر فقط على حفظ صحة الفرد بل تعدتها إلى حفظ البيئة التي تحيط به من كل أشكال التلوث.

---

1. أخرجه الترمذي في الجامع، المحقق/بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1998م، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، بَابٌ (4/233) حديث رقم (2485) وقال: هَذَا حديث صَحِيحٌ.
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، بابُ تَعَاوُنِ المُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا (8/12) حديث رقم (6026).
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الطَّاعُونِ (7/130) حديث رقم (5728).

- منهج الوسطية والاعتدال: إذا كانت الدول الحديثة قد حققت نجاحًا كبيرًا في زيادة الإنتاج وتحقيق التنمية الاقتصادية، فإنها قد أثبتت فشلها بفعل تركيزها على الشق المادي فقط دون الاهتمام بالجانب المعنوي في الإنسان. فخلفت عواقب وخيمة في المجال الاجتماعي كالجرائم والتفكك الأسري، في حين أن السنة النبوية في بنائها للإنسان تسير وفق منهج متزن يجمع بين الشقين؛ المادي والروحي. فحينما خلق الله الكون وعلى رأسه الإنسان خلقه بقدر متوازن؛ فلم يخلق الجسد وحده، بل خلق العقل والروح والوجدان وجعله كلًا متكاملًا لا يقبل التجزيء، لذا لا ينبغي الإفراط في جانب والتفريط في جوانب أخرى، ولا يتحقق ذلك إلا باتباع منهج الوسطية والاعتدال؛ وذلك ما نفهمه من قوله ﷺ لعَبْد اللَّه بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ (رضي الله عنهما): "يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟"، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "فَلاَ تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا".[1] وأيضا ما ورد من حديث عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ (رضي الله عنه)، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: "أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي".[2]

وفي ضوء ما سبق نستنتج مدى أهمية هذا المنهج في التربية النبوية للمسلمين، حفظًا لدوام توازن الإنسان الذي به تتحقق التنمية وتستدام.

- منهج البناء القيمي مدخل أساسي لبناء الإنسان[3]:

إن المتأمل في السنة النبوية يجدها تشكل منظومة قِيَميَّة متكاملة، لبناء الإنسان في جميع مجالات الحياة ومستجداتها، وتقدم نموذجًا فريدًا لإعداد مجتمع متوازن؛ يحفظ

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، بَابُ حَقِّ الجِسْمِ فِي الصَّوْمِ (3/39) حديث رقم (1975).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (7/2) حديث رقم (5063).
3. للتوسع في الموضوع المرجو الرجوع إلى بحث خديجة بوسبع: منظومة القيم مدخل أساسي لبناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية، مجلة الموئل، العدد الثاني، 1445هـ - 2023م، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، جامعة الوصل، كلية الدراسات الإسلامية.

حق الخالق وحق النفس وحق الآخرين. هذا النموذج القائم على القيم الذي ييسر سبل استدامة التنمية نظريًا وعمليًا إذ توجه تلك الأخلاقيات والقيم وعي المجتمع والتزامه تجاه تطبيقات الاستدامة بشتى أشكالها؛ ولا شك أن المنظومة القيمية والخلقية في الإسلام هي من أكمل المنظومات وأروعها؛ فهي تستمد ذلك الكمال من كمال مشرعها العظيم جل في علاه. وهذا مرتبط بتحقيق الهدف الحادي عشر من أهداف التنمية المستدامة وهو "مدن ومجتمعات محلية مستدامة".[1]

وقد كان للمنهج النبوي الفريد الدور الفعال في بناء المسلم الإيجابي الذي يتحمل مسؤولياته الكاملة في تحقيق التنمية المستدامة في المجتمع والذي ينقله من حال التلقي إلى المشاركة والإنتاج، وبذلك تتحقق الاستمرارية في التنمية.

فمن أجل بناء إنسان متوازن لابد من التوفيق بين الجانب المادي والمعنوي فلا تغليب لجانب على حساب الجانب آخر.

فالتنمية المستدامة في السنة النبوية ترتكز على التوازن والوسطية وعلى الشمول، فهي لا تقتصر على جانب دون آخر، بل هي تنمية تهتم بكل ما يخص الإنسان وتشمل كل الجوانب الجسدية والروحية والعقلية والأخلاقية والجوانب الاجتماعية والاقتصادية، فقد كان رسول الله ﷺ يعرف أن بناء الإنسان هو الطريق الصحيح إلى تحقيق التنمية واستدامتها.

المسألة الثانية: بناء الإنسان على مستوى العقل:

تعددت المناهج التي اتبعها الرسول ﷺ في بناء الإنسان القادر على الإنتاج والمساهم في تحقيق التنمية المستدامة وذلك من خلال بنائه على مستوى الفكر والعقل ومنها ما يلي:

- منهج تحريم الخمر وسائر المسكرات:

تعددت أوجه التكريم التي ميز الله تعالى بها الانسان على سائر المخلوقات ومنها

1. منال بنت طارق القصبي، التنمية المستدامة وأثرها في حفظ مقاصد الشريعة الإسلامية، المجلد الثاني من العدد السابع والثلاثين، لمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مصر (ص343).

العقل الذي جعله مناط التكليف والمسؤولية والعبادة والاستخلاف في الأرض. ولأهمية ثالث الكليات الخمس، فإن السنة النبوية قد حرمت كل ما يلحق الضرر به او يعطله كالخمر وسائر المخدرات ومنها قوله ﷺ: "كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ"[1]، وقوله ﷺ: "كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ"[2].

- منهج الترغيب في طلب العلم:

لا يخفى على أحد أن الإسلام قد أولى أهمية كبرى للعلم بدءًا من أول آية نزلت في القرآن الكريم، والسنة النبوية قد احتوت أحاديث كثيرة تحث على طلبه وترفع شأن طالبه قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ"[3].

فبالعلم يغلق باب الجهل والتخلف ويفتح باب التقدم والازدهار، فهو منطلق كل مشروع تنموي؛ فالتنمية تحتاج إلى العلم والبحوث والتجارب والابتكارات التي تسهم في زيادة الإنتاج وفي التطور. وبالعلم يكسب الإنسان الثقة بنفسه وبقدراته على الإنتاج والإبداع.

- منهج إعطاء الحرية في السؤال:

إن من سعة صدر النبي ﷺ أنه كان يجيب عما يجد الصحابة في أنفسهم من الأسئلة التي يعتقدون أنها محرجة. ونفهم ذلك مما ورد عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ (رضي الله عنها)، قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، فَهَلْ عَلَى المَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِذَا رَأَتِ المَاءَ» فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ تَحْتَلِمُ المَرْأَةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، بَابُ لاَ يَجُوزُ الوُضُوءُ بِالنَّبِيذِ، وَلاَ المُسْكِرِ (1/58) حديث رقم (242).
2. أخرجه مسلم في صحيحه، المحقق/محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط. د، كتاب الأشربة، بَابُ بَيَانِ أَنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَأَنَّ كُلَّ خَمْرٍ حَرَامٌ (3/1587) حديث رقم (2003).
3. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ (4/2074) حديث رقم (2699).

وَلَدُهَا"[1].

وبذلك فقد وفرت السنة النبوية الجو المناسب لنمو القدرات العقلية نموًا سليمًا إذ أن "القدرات العقلية تنمو وتزدهر في أجواء الحرية الفكرية والممارسة والتدريب على التفكير الحر، وهي تموت في أجواء الحجر الفكري والقهر وعدم الممارسة".[2]

فإعطاء الحرية في السؤال التي استثمرها النبي ﷺ يمكن من تحقيق تنمية القدرات الكامنة في الإنسان وعلى رأسها الفكر بالارتقاء به وتوجيهه الوجهة الصحيحة، لتشمل التنمية المستدامة جميع جوانب الحياة الإنسانية. فبالحرية إذن يبنى الإنسان المتكامل وبالإنسان المتكامل تبنى التنمية المستدامة.

- منهج التشجيع على الاجتهاد: لمواجهة مستجدات العصور ولتصحيح التصورات والمفاهيم الخاطئة فإن السنة النبوية تشجع على الاجتهاد الذي يسهم في التنمية المستدامة وفي مواكبة مستجدات العصر قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ".[3]

- منهج مراعاة الفوارق الفردية: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإسلام إِذَا فَقِهُوا، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، أَكْرَهُهُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَتَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ"[4].

فهذا الحديث يدل على "أن الناس يختلفون في تراكيبهم وطباعهم كحال المعادن تختلف في نفاستها وقيمتها. ولا يستهان بأي معدن منها وإن قلت قيمته عن غيره. لأنه

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، بَابُ الحياء في العلم (1/38) حديث رقم (130).
2. الكيلاني ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية والأهداف التربوية المعاصرة، سلسلة أهداف التربية الإسلامية 2، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط2، 1977م، (ص70).
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، بَابُ أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ (9/108) حديث رقم (7352).
4. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، بَابُ خِيَارِ النَّاسِ (4/1958) حديث رقم (2526).

يسد حاجة ماسة قد تظهر إليه. ويصلح لغرض معين لا يصلح له سواه".[1] فالناس على اختلاف قدراتهم ومهاراتهم ومقاماتهم كل يسهم في تحقيق التنمية المستدامة.

الفرع الثاني: المنهج النبوي في العناية بتنمية الموارد الاقتصادية:

إذا كانت السنة النبوية قد اهتمت كثيرًا ببناء الإنسان الصالح في ذاته والنافع لغيره، فإنها لم تغفل أهمية الجانب الاقتصادي الذي يعد من أهم ركائز التنمية المستدامة، فلاستمرار الحياة لابد من تنمية القطاعات الاقتصادية التي تجسد القلب النابض للإنتاج ولزيادة رؤوس الأموال. ومن هذه القطاعات الفلاحة؛ ومدى أهميتها في توفير الأمن الغذائي للكائنات وقد كان من منهج النبي ﷺ الترغيب في الغرس والزرع، واعتبرهما صدقة جارية لصاحبها سواء استفاد منها الإنسان أو استفاد غيره عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"[2].

بالإضافة إلى أحاديث أخرى ترغب في إحياء الأرض الميتة أو استصلاحها، وكلها تبين مدى عناية النبي ﷺ بالتشجيع على المجال الفلاحي لما له من دور كبير في تحقيق التنمية المستدامة. إذ كان من منهجه ﷺ استثمار الجانب التعبدي والروحي في تحقيق التنمية المستدامة من خلال الترغيب في الزراعة والغرس وربطهما بالأجر الأخروي بكونهما صدقة جارية يمتد أجرها حتى بعد موت صاحبها.

ولا تنمية بدون ماء، لذا فقد حرص رسول الله ﷺ على حفظ هذه النعمة التي هي أساس الحياة وليست فقط أساس التنمية. لذا كان ﷺ يشجع على حفر الآبار ومختلف موارد الماء وحفظها من التلوث والإسراف. فعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عُثْمَانَ (رضي الله عنه) حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ، وَلاَ أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ»؟ فَحَفَرْتُهَا"[3].

---

1. الزنتاني عبد الحميد الصيد، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية الليبية، ط2، 1993م، (ص149).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، بَابُ فَضْلِ الزَّرْعِ وَالغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ (3/103) حديث رقم (2320).
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، بَابُ إِذَا وَقَفَ أَرْضًا أَوْ بِئْرًا، وَاشْتَرَطَ لِنَفْسِهِ مِثْلَ دِلاَءِ المُسْلِمِينَ (4/13) حديث رقم (2778).

وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة تبين مدى حرص السنة النبوية على الحفاظ على الإنسان من خلال الحفاظ على توازن الموارد البيئية، وتوجيهه إلى ما فيه مصلحته وإبعاده عن كل مظاهر الإفساد.

واستناداً إلى ما سبق فقد تمكن معلم البشرية ﷺ من تحقيق التنمية المستدامة في مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والبيئية من خلال التشجيع على التشجير والغرس والماء والزراعة لما لها من الفضل الكبير في تحقيق الاكتفاء الذاتي في الغداء، وتحسين المستوى المعيشي، والحفاظ على نقاء البيئة من التلوث ومن ثمة تحقيق التنمية المستدامة.

وإلى جانب الفلاحة باعتبارها إحدى الركائز الأساسية للتنمية المستدامة فإن النبي ﷺ قد أولى عناية بالتجارة لكونها من أطيب المكاسب ومما يستأنس به في هذا المجال ما رواه الإمام أحمد في مسنده عَنْ جُمَيْعِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ خَالِهِ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: عَنْ أَفْضَلِ الْكَسْبِ فَقَالَ: "بَيْعٌ مَبْرُورٌ، وَعَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ"[1].

ولولا أهمية التجارة في تنشيط الحركة الاقتصادية لما تاجر رسول الله ﷺ في مال خديجة (رضي الله عنها)، فقد كان رسول الله ﷺ نموذجًا للإنسان المنتج والمعتمد على نفسه القادر على تحقيق الاستقلال المالي منذ كان صغيرًا، فقد مارس أصنافًا متعددة من الأنشطة الاقتصادية بدءًا برعي الغنم والتجارة.

ولأهمية الصناعة والحرف المهنية في حياة المجتمعات، فقد وجه رسول الله ﷺ المسلمين إلى الاهتمام بهما حتى يتمكنوا من إنتاج ما يحتاجون إليه بدل التبعية للآخر. والسيرة النبوية تزخر بالعديد من الأحاديث والمواقف التي تشجع عليهما. فقد أعطى النبي ﷺ القدوة للناس بعمل الأنبياء والمرسلين. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما)، أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ جَالِسٍ عِنْدَهُ وَهُوَ يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ: ادْنُ مِنِّي فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَبْقَاكَ اللَّهُ، وَاللَّهِ مَا أُحْسِنُ أَنْ أَسْأَلَكَ كَمَا سَأَلَ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ: ادْنُ مِنِّي فَأُحَدِّثُكَ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أُحَدِّثُكَ عَنْ آدَمَ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا حَرَّاثًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا نَجَّارًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا خَيَّاطًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ دَاوُدَ أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا زَرَّادًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ مُوسَى أَنَّهُ

1. أخرجه أحمد في مسنده، المحقق/شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م، مسند المكيين، باب: حديث رقم أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ (25/157) حديث رقم (15835) وقال محققه: حسن لغيره.

كَانَ عَبْدًا رَاعِيًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا زَرَّاعًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ صَالِحٍ أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا تَاجِرًا، وَأُحَدِّثُكَ عَنْ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ...، "وَأُحَدِّثُكَ عَنِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَرْعَى غَنَمَ أَهْلِ بَيْتِهِ بِأَجْيَادَ"[1].

وإذا كان صفوة الخلق من الأنبياء والمرسلين يشتغلون بالفلاحة والتجارة وغيرها من أنواع الحرف والصناعات فإن رسول الله ﷺ يمقت من لا حرفة له، ومما يستأنس به في هذا الأمر ما ورد عن الخطيب البغدادي عن ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ فَأَعْجَبَهُ، قَالَ: "هَلْ لَهُ حِرْفَةٌ؟" فَإِنْ قَالُوا: لَا، قَالَ: "سَقَطَ مِنْ عَيْنِي" قِيلَ: وَكَيْفَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَا حِرْفَةٍ تَعَيَّشَ بِدِينِهِ".[2] عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُكَاتِبَ عَبْدَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حِرْفَةٌ قَالَ: يَقُولُ: "تُطْعِمُنِي مِنْ أَوْسَاخِ النَّاسِ؟"[3].

ومن هذه الحرف صناعة الأواني المنزلية عَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: "لَقَدْ سَقَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِقَدَحِي هَذَا الشَّرَابَ كُلَّهُ: الْعَسَلَ، وَالْمَاءَ، وَاللَّبَنَ"[4]، والنجارة والحدادة والدباغة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما)، قَالَ: تُصُدِّقَ عَلَى مَوْلَاةٍ لِمَيْمُونَةَ بِشَاةٍ فَمَاتَتْ فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "هَلَّا أَخَذْتُمْ إِهَابَهَا فَدَبَغْتُمُوهُ فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ؟" فَقَالُوا: إِنَّهَا مَيْتَةٌ فَقَالَ: "إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا".[5]

دون أن ننسى عناية السنة النبوية بصناعة الأسلحة في الحرب، فقد كان رسول الله ﷺ يشجع عليها باعتبارها إحدى رموز القوة في إخافة كل من تسول له نفسه الاعتداء على المسلمين قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ، صَانِعَهُ الَّذِي

---

1. أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411ه، 1990م، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب: وَقَدْ ذَكَرَ الْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ فِي الْحديث الَّذِي» (2/652) حديث رقم (4165).
2. الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، المحقق/ محمود الطحان، الرياض، مكتبة المعارف، باب ذِكْرُ مَا يَجِبُ عَلَى طَالِبِ الْحديث مِنَ الِاحْتِرَافِ لِلْعِيَالِ (1/98) حديث رقم (48).
3. اخرجه عبد الرزاق في المصنف، المحقق/حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403ه ،كتاب المكاتب، باب: وجوب الكتاب والمكاتب يسأل الناس (8/374) حديث رقم (15585).
4. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، بَابُ إِبَاحَةِ النَّبِيذِ الَّذِي لَمْ يَشْتَدَّ وَلَمْ يَصِرْ مُسْكِرًا (3/1591) حديث رقم (2008).
5. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، بَابُ طَهَارَةِ جُلُودِ الْمَيْتَةِ بِالدِّبَاغِ (1/276) حديث رقم (363).

احْتَسَبَ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرِ وَمُتَنَبِّلُهُ، وَالرَّامِي".[1]

والمستفاد مما سبق من عناية النبي ﷺ بمختلف الموارد الاقتصادية أنها السبيل لتقدم الأمة الإسلامية واستدامة تنميتها بتوفير ما تحتاج إليه، وأيضا بالإبداع والابتكار في مختلف الميادين الصناعية والتقنية والعسكرية مع ضرورة اعتماد الجودة والإتقان في العمل، ومما يمكن أن ندعم به هذه الفكرة ما روي عن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ "إِنَّ اللَّهَ U يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ"[2].

والملاحظ على المنهج النبوي أنه يقوم على التوفيق بين العمل الدنيوي والجزاء الأخروي، ويجعل للتنمية بعدًا تعبديًا، يزاوج بين توفير الجوانب المادية وتنمية الجانب القيمي والروحي، فهي تنمية شاملة تحفظ حقوق مختلف الأجيال في العيش الكريم والتعليم والصحة وتحقق لهم الاستقلال الاقتصادي والشخصي، وقد حققت للأمة الإسلامية الوليدة اكتفاءها الذاتي فيما تحتاج إليه، وكانت الشرارة الأولى لازدهارها.

الفرع الثالث: منهج نظام الحسبة ودوره في التنمية المستدامة:

إلى جانب اهتمام الرسول ﷺ ببناء الإنسان والموارد الاقتصادية باعتبارهما من أهم منطلقات التنمية المستدامة، إلا أن هذه التنمية لن يكتب لها الاستدامة، إذا لم تصاحبها رقابة شرعيّة تمارسها الدولة بنظام الحسبة، وقد كان لهذا النظام المبني على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الفضل في ضبط السلوكيات وحفظ الحقوق المالية لأفراد المجتمع وتنظيم العلاقات ومنع استغلال بعضهم البعض.

وحفظًا للدين ولمصلحة المجتمع والوطن بأكمله، فإن هذه الرقابة لا ينبغي أن تقتصر على الدولة، بل يجب أن يتحلى بها الفرد وتنبع من استشعاره لمراقبة الله تعالى، وتحكيمه لضميره بالإضافة إلى رقابة المجتمع. لكون هذه "الحسبة مسؤولية رقابيّة مشتركة بين

---

1. أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، باب كتاب الجهاد (2/104) حديث رقم (2467). وجاء في التعليق: هَذَا حديث رقم صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ «وَلَهُ شَاهِدٌ عَلَى هَذَا الِاخْتِصَارِ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ» [التعليق- من تلخيص الذهبي] 2467– صحيح.
2. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، المحقق/طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة ط. د، (1/275) حديث رقم (897)، فقال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحديث عَنْ هِشَامٍ إِلَّا مُصْعَبٌ، تَفَرَّدَ بِهِ: بِشْرٌ. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي بدونً، د. ط، (1/383) حديث رقم (1880).

الدولة وجميع أفراد المجتمع قصَد الحفاظ على مكتسبات الدولة والمجتمع دينيًّا، وأخلاقيًّا، واقتصاديًا، وأمنِيًّا"[1].

وقد كان رسول الله ﷺ القدوة والمثل الأعلى في ممارسة نظام الحسبة بنفسه لحماية الناس من جشع بعضهم البعض، فقد كان يجوب في سوق المدينة ويراقب التجار ومنتوجاتهم فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟" قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي"[2].

ومما يستفاد من هذا الحديث أن تحقيق التنمية المستدامة يتطلب زجر كل من تسول له نفسه استغلال حاجة الناس وأكل أموالهم بالباطل سواء بالغش أو التدليس في التجارة وغيرها من الانحرافات الاقتصادية، كما يعد "أصل الحسبة من الناحية التجارية والاقتصادية تكاد تُجمِع عليه كل المصادر، وهو يعتبر المثل الذي يُعتدّ به في كل المظان التي تناولت الحسبة"[3].

والسنة النبوية زاخرة بالأحاديث الشريفة التي تحرم كل أصناف الفساد الاجتماعي والاقتصادي كالربا والرشوة والسرقة والغش والاحتكار والتطفيف في الموازين والمكاييل والتلاعب بالأسعار وغيرها من السلوكات المنحرفة التي تضر بالناس وتعرقل استمرار التنمية. لهذا أمر رَسُول اللهِ ﷺ "بتغيير المنكر كل حسب استطاعته قال: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ"[4].

وبالمقابل رغب في التزام الصدق والأمانة في التجارة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ"[5] وقال أيضا: "يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ، فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ

---

1. محمد حمد كنان ميغا، دور الحسبة في التّنمية المستدامة، المجلة العالمية للدراسات العمرانية، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية في بروناي دار السلام، 01 يناير 2021م، (ص16).
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا" (1/99) حديث رقم (102).
3. زينب عبد الله السعود، الحسبة ودورها في التنمية الاقتصادية، مقال نُشر في موقع الجزيرة - (www.al-jazeera.com) بتاريخ: الاثنين 17 رمضان 1430هـ.
4. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ (1/69) حديث رقم (49).
5. أخرجه الترمذي في أبواب البيوع، بَابُ مَا جَاءَ فِي التُّجَّارِ وَتَسْمِيَةِ النَّبِيِّ r إِيَّاهُمْ (2/506) حديث رقم (1209)، وقال: هَذَا حديث حَسَنٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حديث الثَّوْرِيِّ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ.

اللهِ ﷺ، وَرَفَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلاَّ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ، وَبَرَّ، وَصَدَقَ"[1].

والملاحظ أن رسول الله ﷺ قد قسم التجار إلى صنفين: "صنف وصفه بالفجور لما يمارسونه من أصناف التدليس في معاملاتهم، وثان امتاز بالأخلاق الفاضلة كالصدق والأمانة.

وللإشارة أن سن الرسول ﷺ لنظام الحسبة ليس مقتصرًا على الجانب الاقتصادي فقط وإن كان هو الأولى بالمراقبة، فإن الحسبة تدخل في جميع جوانب الحياة العمليّة، من أجل حماية المجتمع من سلبيّات المعاملات، والانحرافات السلوكيّة، ويظهر دور الحسبة في كونها مبدأً إسلاميًّا بها تستقيم الحياة البشرية؛ اجتماعيًّا واقتصاديًّا ودينيًّا، الأمر الذي به تتحّقق التنمية المستدامة في المجتمع، ويتمتّع كل فرد من أفراد المجتمع بالأمن من الخوف والجوع، وبالحسبة ينتشر الإصلاح والصلاح، وتسود المحبّة والتّناصح والتّعاون والتّناصر بين أفراد المجتمع، وبالتالي يسود العدل ويعلو الحق، ويضمحل الفساد والظلم في المجتمع"[2].

وقد كان لهذا المنهج النبوي الفريد دورًا في تحقيق التنمية المستدامة عن طريق غرس الرقابة الذاتية والمجتمعية في النفوس وتحمل المسؤولية، كما تعد آلية لتحقيق التنمية الاقتصادية من خلال مراقبة الجودة وحفظ شروط السلامة ومنع التصرفات اللا أخلاقية وسائر أشكال الفساد الاقتصادي المضرة بحقوق أفراد المجتمع جيلًا بعد جيل. وبهذا فإن" رسول الله ﷺ باحتسابه يسن سنة لأمته بإقامة فريضة الحسبة لحماية الأمة من سائر المنكرات والمفاسد ومن ضمنها الغش"[3]

وإجمالًا فإن الحسبة تسهم في تحقيق التنمية المستدامة من خلال الحفاظ على المكتسبات وإبعاد الأجيال عن مختلف أصناف المخالفات والانحرافات الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية، وإن غياب الحسبة يترتب عليه استغلال الفئة الأكثر هشاشة في المجتمع وتسهم في تعميق الفوارق الاجتماعية وفي اضطراب العلاقات.

---

1. أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب البيوع، بَابُ مَا جَاءَ فِي التُّجَّارِ وَتَسْمِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهُمْ (2/506) حديث رقم (1210)، وقال: هَذَا حديث حَسَنٌ صَحِيحٌ.
2. محمد حمد كنان ميغا، دور الحسبة في التّنمية المستدامة (ص16).
3. عمر زغودي، دور مؤسسة الحسبة في حماية المستهلك، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد الرابع، شتنبر 2014م، (ص452-451).

المطلب الرابع: مقاصد التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية:

الفرع الأول: مقصد الاستخلاف:

إذا كان التدافع سنة كونية لا سبيل للبشرية إلى الفكاك منها، فإن هذه السنة قد تنوعت مقاصدها إلا أنها تتفق في عبادة الله تعالى وفي استخلاف الأرض وحسن عمارتها.

وتتمثل عمارة الأرض في الإسلام في كل الوسائل التي يمكن من خلالها إحداث مختلف أنواع التنمية، سواء أكانت اقتصادية (صناعية/ زراعية) أم اجتماعية أم صحية أم روحية وغيرها. كما أن عمارة الأرض تمثل الهدف الرئيس للتنمية المستدامة، فضلًا عن كونها غاية دينية ومقصدًا شرعيًا. فالله خلق الإنسان لكي يضطلع بثلاث مهام رئيسة، هي: عبادة الله لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات: 56]، وخلافته في الأرض لقوله ﷻ : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [سورة البقرة: 30]، وعمارتها استنادًا إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود: 61].[1]

ويعد استخلاف الأرض وعمارتها من عبادة الله تعالى؛ فعمارة الأرض من جوهر عبادة الله تعالى ولا عبادة دون عمارة للأرض، فبينهما تلازم وترابط ولا تتحقق هذه المقاصد إلا بالتنمية المستدامة فمن غايات التنمية إسعاد الإنسان وتحقيق مصالحه الدينية والدنيوية؛ فالإنسان خلق للعبادة ولاستخلاف الله في الأرض ولتأدية رسالة إعمارها.

وقد سبق الإسلام إلى الاهتمام بالتنمية التي تعد أصيلة فيه، حين رغب في الأعمال التي يبقى أثرها بعد موت صاحبها. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا مَاتَ الإنسان انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[2].

---

1. محمد عبد القادر الفقي، ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث الشريف حول: القيم الحضارية في السنة النبوية الأمانة العامة لندوة الحديث، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الجزء الثالث، دبي، بتاريخ: 1428/4/7-4ه، 25/04/2007-22م، (ص17-16).
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ (3/1255) حديث رقم (1631).

فلنفع الناس لابد من الاستثمار في الأعمال المستدامة التي لها أثر كبير في دفع عجلة التنمية، وفي استمرارها ضمان استفادة الأجيال الحاضرة والصاعدة. وكما علمنا أن العمل الصالح من أسس التنمية المستدامة التي تسهم في عمارة الأرض. فإن" الشريعة الإسلامية دعت إلى العمل المتواصل والإنتاج؛ لتحقيق التنمية المستدامة في البعد الاقتصادي، والعمل قائم على استثمار حقيقي للأفراد والمجتمعات لإنشاء مشاريع تنموية، ولا يتصور أن تتم عمارة الأرض إلا من خلال اقتصاد؛ لتغطية حاجات المجتمع المعاصر والأجيال اللاحقة"[1].

وقد تعددت الأحاديث النبوية التي تدعو إلى استمرار الفاعلية والإنتاج ولو عند قيام الساعة ويبدو ذلك واضحًا في تشجيع رسول الله ﷺ على التشجير وما يترتب عنه من امتداد الإنتاج والتنمية عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا"[2].

يستفاد من هذا الحديث تشجيع النبي ﷺ على استمرار عمارة الأرض بمنهج كما استفاد الإنسان من غرس سابقه عليه أن يغرس لمن يأتي بعده ولو في آخر لحظات حياته. لذا يعد هذا الحديث "قاعدة أصيلة في موضوع التنمية المستدامة بشكل عام والتنمية الزراعية بشكل خاص. وتبين أن فكرة التنمية المستدامة تقوم على مراعاة حاجات الأجيال القادمة وعدم المساس بها، وفي هذا الحديث يظهر مقصود وغاية التنمية المستدامة من منظور السنة النبوية، فيوم القيامة هو نهاية جميع المخلوقات، ولكن الإسلام يدعو من كان في يده فسيلة حتى عند وقوع هذا الحدث المهول إلى غرسها، رغم انتهاء الحياة بشكل عام، فكيف في حالة الرخاء؟!، وفي هذا إشارة عظيمة إلى وجوب مراعاة حاجات الأجيال القادمة"[3].

ولإعمار الأرض فإن النبي الكريم ﷺ قد جعل من إحيائها إحدى السبل لاستدامة التنمية التي تحقق الحياة الكريمة للأجيال الحالية وتوفر لهم سبل الاستقرار والرفاهية ولا

1. عقل بن عبد العزيز العقل، أبعاد التنمية المستدامة ومصادرها وتطبيقاتها في ضوء التربية الإسلامية (ص913).
2. أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب اصطناع المال (ص242) حديث رقم (479،) وجاء في التعليق: صحيح.
3. بكر عبد الله الخرمان، التنمية المستدامة في السنة (ص41-40).

تضيع حقوق الأجيال القادمة وذلك من خلال النظر إلى هذا الموضوع من جانبين:

الجانب الأول: أنه يمثل جذورًا تاريخية إسلامية للتنمية المستدامة مع مراعاة الملكية الخاصة، فقول النبي ﷺ: عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ"[1]، هو دعوة صريحة لتنمية الأرض وإحياء مواردها، ومكافحة التصحر.

الجانب الثاني: "أنه يشكل أساسًا لعملية التنمية المستدامة التي تقوم على الاستفادة المثلى من الأرض، بالإضافة إلى الأجر الآخروي الذي لا يكاد ينفك عن كل عمل فيه مصلحة عامة"[2].

وعليه فإن التنمية المستدامة في السنة النبوية تتجسد في عمارة الأرض وذلك بحفظ توازنها وترشيد استهلاك مواردها الطبيعية، وحسن تدبيرها واستثمارها وفق المنهج الإلهي الذي يحفظ حقوق مختلف الأجيال ويضمن لهم الحياة الكريمة، لذا فلا تنمية في شيوع الممارسات السلبية التي تؤدي إلى الإفساد في الأرض بأشكال التلوث أو باستنزاف خيراتها مما يفضي إلى تضييع حقوق الأجيال اللاحقة وتعريضهم إلى المآسي.

الفرع الثاني: مقصد محاربة الفقر:

إذا كان من أول الأهداف التي سطرتها هيئة الأمم المتحدة لتحقيق التنمية المستدامة هو القضاء على الفقر وتوفير حاجيات الأجيال الحاضرة دون الاعتداء على حقوق الأجيال المقبلة، فإن الإسلام منذ نزول الوحي على خاتم الأنبياء والمرسلين قد أكد على تكريم الإنسان وسخر كل المخلوقات لخدمته بغية تحقيق الحياة الطيبة لكل أفراد المجتمع، فالكل سواء في ضرورة توفره على المتطلبات الإنسانية من الأكل والشرب والسكن والتعليم والصحة ولقد كان لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في القضاء على الفقر بطرق وقائية وأخرى علاجية.

فمن الطرق الوقائية التي أرشد إليها الرسول ﷺ المسلمين ضرورة البحث عن

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، بَابُ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَوَاتًا (3/106) حديث رقم (2335).
2. بكر عبد الله الخرمان، التنمية المستدامة في السنة النبوية دراسة تأصيلية (ص41).

العمل[1] بغية تحقيق الاكتفاء الذاتي في مختلف الميادين الحياتية. وبالمقابل حذر من التسول والاتكالية والتقاعس عن العمل مع القدرة عليه فقد كان رسول الله ﷺ ينهى المسلمين من اتخاذ التسول عملًا لهم، وحذر من عقوبة هذا الفعل الشنيع. قَالَ النَّبِيَّ ﷺ: "لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ"[2].

لذا كان ﷺ يوجه المسلمين إلى العمل. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ"[3].

والمستفاد من هذا الحديث الشريف أن "الدعوة إلى الاحتطاب يمكن أن تجسد في وقتنا المعاصر مشروعًا صغيرًا يسهم في الاكتفاء الذاتي لبعض أفراد المجتمع وفي المساهمة في تحقيق التنمية المستدامة. فقد أجمع خبراء اقتصاديون على أن المشاريع الصغيرة والمتوسطة تضطلع بدور كبير في تنمية الاقتصاد، لا سيما في ظل دورها الرئيس في محاربة مؤشري الفقر والبطالة، وبين هؤلاء دور هذه المشاريع في تعزيز طموحات الشباب وتمكينهم من مواجهة الأوضاع الاقتصادية الصعبة، خاصة وأنها لا تحتاج لرأسمال كبير... ويمكن هنا أخذ الحبل كأنموذج للمشاريع الصغيرة التي تحتاج رأسمالًا بسيطًا، وهو أصغر مشروع يمكن تصوّره في عصر النبي ﷺ، ودوره في تمكين الفقير من تدبير حاجاته الأساسية والاستغناء عن الناس. يمكن الاستفادة في المشاريع الصغيرة من القرض الحسن، والاستفادة تكون من خلال إنشاء صناديق تدعم المشاريع الصغيرة مع إمكانية التسديد على فترات دون الحصول على أي فائدة ربوية، ويمكن للموسرين فعل ذلك والمساهمة في دعم الطبقة الفقيرة، وهذا يشكل أيضًا بعدًا اجتماعيًا للتنمية المستدامة يقوم على التكافل والمساواة"[4].

والملاحظ أن تمكين الفقراء من هذه المشاريع الصغيرة قد يسهم في جعلهم أناسًا فاعلين في المجتمع، كما تسهم في استقرارهم في بلدانهم ولا يضطرون إلى الهجرة، بالإضافة

---

1. مخافة الإطالة والتكرار المرجو الرجوع إلى الفرع الأول من المطلب الثاني من هذا البحث.
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، بَابُ كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ (2/720) حديث رقم (1040-103).
3. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، بَابُ كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ (2/721) حديث رقم (1042-106).
4. بكر عبد الله الخرمان، التنمية المستدامة في السنة النبوية دراسة تأصيلية (ص51-50).

إلى الزيادة في الاستهلاك وفي التنمية الاقتصادية.

ومن الطرق الوقائية من الفقر التحصن بالدعاء؛ إذ يعد الفقر مانعًا للتنمية فمن لا يملك قوت يومه لا يستطيع أن ينتج ولا أن يفكر إلا في كيفية كسبه، ولخطورة هذه الآفة فقد كان خاتم الأنبياء والمرسلين يتعوذ منها فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ".[1]

لذا فإن الرسول ﷺ سعى إلى التحكم في الآفات ومنها التي تعيق التطور الاقتصادي والتنمية المستدامة، فقد وجه المسلمين إلى العمل الذي يوفر لهم دخلاً يوميًا ويحفظ كرامتهم ويجعل منهم أشخاصًا منتجين وفاعلين في المجتمع، ويحسن مستواهم المعيشي ويبعد عنهم الفقر والجوع.

دون أن ننسى طرقًا أخرى تبعد عن الفقر منها الدعوة إلى الاقتصاد في الإنفاق والاستهلاك، والنهي عن الإسراف والتبدير في استنزاف موارد المجتمع، لما يترتب عليها من إلحاق الضرر بحقوق الأجيال الحاضرة واللاحقة.

أما الطرق العلاجية لهذه الآفة فقد عرفنا سابقًا أن السنة النبوية شرعت مجموعة من التشريعات التي تسهم في محاربة الفقر ومنها الزكاة إذا تم أخذها بحقها وصرفها في وجوهها المستحقة لها، فإنها تؤدي دورًا كبيرًا في تحقيق التنمية ليس فقط بسد الحاجات الضرورية للفقراء، بل وتمكينهم من فرص استثمار تحسن وضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية. فالجميع يستحق أن يعيش حياة كريمة وينعم بحقه في الخيرات التي خلقها الله من أجله.

كما عالج أفضل طبيب للبشرية ﷺ الأزمة الاقتصادية الاجتماعية بترسيخ قيم التضامن والتكافل بين المسلمين. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه)، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ (8/79) حديث رقم (6368).

أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ".[1]

وقد تجلت هذه القيم واضحة في الأزمة التي هددت المجتمع الجديد وهي كيفية تدبير معاش المهاجرين وتدهور أوضاعهم الاقتصادية بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، إذ تركوا المال والولد وكل شيء مقابل الفرار بدينهم إلى أرض غير أرضهم وعشيرة غير عشيرتهم، فكان الحل في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار على أساس الأخوة الإسلامية بدل أخوة القرابة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: "قَالَتِ الأنصار لِلنَّبِيِّ ﷺ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ، قَالَ: "لاَ" فَقَالُوا: تَكْفُونَا المَئُونَةَ، وَنَشْرَكْكُمْ فِي الثَّمَرَةِ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا"[2].

فكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وما تتضمنه من قيم التكافل والتعاون حلًا فريدًا للأزمة التي شكلت تهديدًا لدعائم الدعوة الوليدة.

دون أن ننسى أهمية كفالة الأغنياء لأقاربهم الفقراء فقد رغب عليه أزكى الصلاة والسلام في الصدقة على ذوي القربى واعتبرها أكثر أجرًا من التصدق على الغريب.

وإلى جانب كفالة الأغنياء للفقراء، فإن الدولة لها نصيبها في توفير العمل للفقراء وكفالة العاجز منهم ويستخلص ذلك مما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ تَرَكَ كَلًّا فَإِلَيْنَا، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ"[3]. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: الْكَلُّ عِنْدَنَا: كُلُّ عَيِّلٍ، وَالذُّرِّيَّةُ مِنْهُمْ، فَجَعَلَ ﷺ لِلذُّرِّيَّةِ فِي الْمَالِ حَقًّا ضَمِنَهُ لَهُمْ".[4]

وللإشارة فإن خاتم الأنبياء ﷺ في استراتيجيته للقضاء على الفقر في المجتمع الإسلامي لم يكن يميز بين الفقراء من ناحية المعتقد، فالجميع سواء في الإنسانية لذا فإن رَسُول اللَّهِ ﷺ كان يتصدق على الفقير المسلم وغير المسلم عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللقطة، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْمُؤَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ (3/1354) حديث رقم (1728).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، بَابُ إِذَا قَالَ: اكْفِنِي مَئُونَةَ النَّخْلِ وَغَيْرِهِ، وَتُشْرِكُنِي فِي الثَّمَرِ (3/104) حديث رقم (2325).
3. أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلاّم في الأموال، المحقق/خليل محمد هراس، بيروت، دار الفكر، كتاب مخارج الفيء ومواضعه التي يصرف فيها ويجعل فيها، بَابُ الْفَرْضِ لِلذُّرِّيَّةِ مِنَ الْفَيْءِ وَإِجْرَاءِ الْأَرْزَاقِ عَلَيْهِمْ (ص302) حديث رقم (580).
4. المصدر السابق، حديث رقم (581).

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ "تَصَدَّقَ صَدَقَةً عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَهِيَ تُجْرَى عَلَيْهِمْ"[1].

وإجمالًا فإن المجال الاجتماعي في التنمية المستدامة له أسس وشواهد متعددة من نصوص السنة النبوية التي تبرز سعي رسول الله ﷺ إلى القضاء على الفقر والجوع وسائر الأزمات التي كانت تقف حاجزًا أمام التنمية المستدامة وأمام تقدم المجتمع الإسلامي، متخذًا مجموعة من التدابير الوقائية والعلاجية للقضاء عليهما، ومحققًا بذلك احتياجات الأجيال الحالية والصاعدة مؤكدًا على المشاركة الفاعلة من مختلف فئات المجتمع لكون التنمية عملية تشاركية وهي تجسد بعض أهداف التنمية المستدامة.

الخاتمة

أولا: نتائج البحث:

- إذا كان البعض يرى أن مصطلح التنمية المستدامة حديث الظهور وأن هيئة الأمم المتحدة هي من رسمت معالمه، فإن من استقرأ نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ليجد أنهما منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا قد أصلا لهذا المصطلح، وأن السنة النبوية كان لها فضل السبق في تحقيق تنمية تسع الأجيال الحاضرة واللاحقة.
- تعددت الأسس التي ارتكزت عليها السنة النبوية لتحقيق التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي منها العمل، حتى لا يكون الفرد عالة على المجتمع، بل عليه أن يشارك في الإنتاج وفي استدامة التنمية. بالإضافة إلى الإرث والزكاة اللذين اضطلعا بدور مهم في تحقيق الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للتنمية المستدامة من خلال تحسين الظروف المادية والمعنوية لأفراد المجتمع.
- وفقًا للمنهج الإلهي الحكيم فقد قدم رسول الله ﷺ للإنسانية منهجًا فريدًا لتحقيق التنمية المستدامة؛ إذ اهتم ببناء الإنسان جسدًا وروحًا وعقلًا

1. أخرجه القاسم بن سلام في الأموال، كتاب الصدقة وأحكامها وسننها، بَابُ إِعْطَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَمَا يُجْزِي مِنْ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُجْزِي (ص728) حديث رقم (1993).

ووجدانًا، لكون الإنسان هو أساس التنمية وغايتها، بالإضافة إلى الاهتمام بالموارد الاقتصادية من الفلاحة والتجارة والصناعة ومختلف الحرف المهنية، كما تطلب تحقيق التنمية تفعيل دور الحسبة الرقابي حفظًا للمصالح ودرءًا للمفاسد.

- إن المنظور النبوي لتحقيق التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي يسعى إلى تنمية المجتمعات من خلال ربط الجانب الدنيوي بالجانب الأخروي، فهي تنمية شاملة لجميع الجوانب الحياتية.

- تعددت مقاصد التنمية المستدامة في السنة النبوية منها: تحقيق الاستخلاف وعمارة الأرض، والحد من الفقر والفقراء، وتحقيق الأمن المعنوي والمادي للإنسان.

- مما يستنتج أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وأنه باستطاعته إيجاد الحلول الملائمة لمشاكل كل عصر، كيف لا والله سبحانه هو خالق الإنسان ويعرف ما ينفعه وما يلائمه.

ثانيا: التوصيات:

- دعوة المؤسسات الجامعية والدارسين للكشف عن الكنوز المخبأة في ثنايا السنة النبوية والتي يمكن استثمارها في حل معضلات العالم الإسلامي خاصة.

- إدماج التنمية المستدامة في السنة النبوية في البرامج التعليمية والإعلامية.

- إحداث مراكز علمية متخصصة في الموضوع.

- الحرص على جعل التغيرات الحضارية والاجتماعية الحالية مواكبة للسنة النبوية.

لائحة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أبعاد التنمية المستدامة ومصادرها وتطبيقاتها في ضوء التربية الإسلامية، عقل بن عبد العزيز العقل، جامعة سوهاج، كلية التربية المجلة التربوية، عدد فبراير، ج2، ((82 2021م.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، ترتيب: علاء الدين الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م.
- الأدب المفرد بالتعليقات، محمد بن إسماعيل البخاري، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مستفيدًا من تخريجات وتعليقات محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1998م.
- أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الزنتاني عبد الحميد الصيد، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية الليبية، ط2، 1993م.
- الأموال، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم، المحقق/ خليل محمد هراس، بيروت، دار الفكر.
- أهداف التربية الإسلامية دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية والأهداف التربوية المعاصرة، الكيلاني ماجد عرسان، سلسلة أهداف التربية الإسلامية 2، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط2، 1977م.
- التنمية المستدامة في السنة النبوية دراسة تأصيلية، بكر عبد الله الخرمان، إشراف: علي إبراهيم عجين، رسالة الماجستير في أصول الدين، جامعة آل البيت، كلية الشريعة، قسم أصول الدين، 2018-2017م.
- التنمية المستدامة وأثرها في حفظ مقاصد الشريعة الإسلامية، منال بنت طارق القصبي، المجلد الثاني من العدد السابع والثلاثين، لمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، مصر.

- الجامع الكبير = سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، المحقق/ بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد الخطيب البغدادي، المحقق/ محمود الطحان، الرياض، مكتبة المعارف.

- دور الحسبة في التّنمية المستدامة، محمد حمد كنان ميغا، المجلة العالمية للدراسات العمرانية، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية في بروناي دار السلام، 01 يناير 2021م.

- دور مؤسسة الحسبة في حماية المستهلك، عمر زغودي، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد الرابع، شتنبر 2014م.

- ديباجة الندوة الدولية الثانية عشرة للحديث الشريف التنمية المستدامة في السنة النبوية، واقع وآفاق، مركز بحوث السنة، جامعة الوصل، دبي، يومي 19– 20 فبراير 2025م.

- ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، محمد عبد القادر الفقي، الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث الشريف حول: القيم الحضارية في السنة النبوية الأمانة العامة لندوة الحديث، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الجزء الثالث، دبي، بتاريخ: 4 – 7 / 4/ 1428ه – 22 – 25/ 04/ 2007م.

- صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

- لسان العرب، محمد بن منظور، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ.

- المجتبى من السنن= السنن الصغرى للنسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد النسائي، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1986م.

- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب، المحقق/ محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط3، 1985م.

- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني، المحقق/ حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1403م.

- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، المحقق/ طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، المحقق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية.

- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 2008م.

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، المحقق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.

- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، المحقق/ محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2004م.

- منظومة القيم مدخل أساسي لبناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية، خديجة بوسبع، مجلة الموئل، العدد الثاني، 1445ه-2023م، دبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، جامعة الوصل، كلية الدراسات الإسلامية.

المواقع الإلكترونية

- https://amorbelhedi.wordpress.com/2012/05/13/aaaaaaaa/
- https://maqall.net/education/definition-social-economic-sphere
- https://reveildakar.info/%D8%AF
- http://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/sustainable-development-goals

التنميةُ المُستدامةُ ومعالمُها في السنةِ النبويّةِ فِي ضَوءِ تقريرِ التنميةِ الإنسانيّةِ المُستدامةِ العربيّ لسنة (2022م): دراسة تحليليّة

د. رشيد باموس

دكتوراه في الفقه وأصوله، جامعة القاضي عياض – المغرب

أ. الحبيب المحمدي

ماستر التنمية المستدامة، جامعة ابن زهر– المغرب

ملخص

تعدُّ السنة النبوية الشريفة، المصدر الثاني للتشريع في الإسلام، والمبينة لما أجمل في القرآن الكريم من الأحكام، وخصائصها وثمراتها لا تنحصر في الطابع المعياري أو الأخلاقي فقط، بل أيضا قادرة كذلك على مواكبة مختلف القضايا المعرفية والنظريات العلمية المعاصرة، مما يفرض على الباحثين سبر أغوار الوحي من كتاب وسنة لاستخراج ذخائره؛ سعيا لبيان سمو مصادر التشريع الإسلامية، وإبراز قدرتها على نفع الإنسانية، وإصلاح حالها وتقويم مسارها.

ومن أهم النماذج المعرفية والنظريات المستجدة في العلوم الإنسانية ما يصطلح عليه بمفهوم "التنمية المستدامة" الذي استعمل لأول مرة في تقرير لجنة «برونتلاند» **Brandt land** سنة 1987؛ والذي يقصد به تنمية مبنية على التسيير الجيد للموارد المتاحة بما يخدم الأجيال الحالية مع عدم المساس بحقوق الأجيال القادمة.

وفي هذا السياق جاء هذا البحث لدراسة ومقاربة مفهوم التنمية المستدامة للإنسان، من خلال السنة النبوية الشريفة، مع التركيز على الأبعاد الاجتماعية، وتتبع بعض معالم هذه التنمية في تقرير التنمية الإنسانية العربي لسنة 2020م، وتقويمها في ضوء السنة النبوية، وبيان بعض جوانب إفادتها في هذا الباب.

تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن السنة النبوية الشريفة كانت سباقة بما يزيد على أربعة عشر قرنًا إلى تقرير معالم التنمية المستدامة في المجالات الاجتماعية وغيرها.

كما تأكد لنا أن هذه المعالم الاجتماعية سواء مقوم حفظ الصحة الإنسانية، الجسدية والنفسية، وكذا حفظ حق التعلم وتنمية جوانب الفكر والثقافة لدى الإنسان، وحفظ السلم والأمن الاجتماعي، والحق في العمل وتوفير العدالة والمساواة، وضمان المشاركة السياسية؛ هي أسس ضرورية لإقامة التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية: (التنمية المستدامة ـ السنة النبوية ـ المعالم ـ تقرير التنمية الإنسانية العربي لسنة 2020م ـ دراسة تحليلية).

Abstract

In the Islamic worldview, the Sunnah (the prophetic customs and traditions, also commonly referred to as "the way of the Prophet"), held as the second major source of Islamic legislation, serves to illuminate the rulings of the Quran and embody the application of its values and principles These qualities ensure the enduring relevance and universal applicability of its rulings, offering a balanced framework that fosters human progress and civilizational advance. As a divine revelation, the Sunnah extends beyond ethical and normative boundaries, and intersects with modern epistemological debates and scientific theories. Hence, it is incumbent upon scholars to explore the Quran and Sunnah to tease out their profound wisdom, demonstrating the supremacy of Islamic legislative sources and their capacity to benefit humanity, reform communities, and provide divine guidance. A key concept in the humanities is "sustainable development," which was first introduced in the 1987 Brundtland Commission report. This concept emphasizes the responsible use of resources to address the needs of the current generations, while ensuring those of the generations to come. Thus, this study aims to examine the concept of sustainable human development as presented in the Sunnah, with a particular emphasis on its social dimensions. It also investigates key aspects of this development, as outlined in the 2020 Arab Human Development Report and offers an assessment of those aspects in light of the Sunnah with the ultimate aim of demonstrating the contributions of the Sunnah to this field. The study will highlight how the Sunnah foresaw the core principles of sustainable development more than fourteen centuries ago, in the social realm and beyond. Furthermore, the study affirms that the social elements highlighted in the Sunnah—including the protection of the human well-being, the right to education and intellectual growth, the promotion of social peace and security, the right to work, the advancement of justice and equality, and the assurance of political participation—serve as essential foundations for achieving sustainable development.

Keywords: (Sustainable Development, Sunnah, the Arab Human Development Report 2020).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، ومن والاهم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فإن موضوع هذا البحث بالغ الأهمية، لكونه يقارب بالبحث والدراسة قضية التنمية الإنسانية المستدامة في الأبعاد الاجتماعية من خلال السنة النبوية الشريفة، وبيان جوانب من إفادتها المعاصرة من خلال تقرير التنمية العربية لسنة 2020م.

وقضايا التنمية المستدامة في عالمنا المعاصر هي من المشترك الإنساني، التي أخذت بعدا كبيرا في ساحة البحث العلمي، وحظيت بانشغال دولي متزايد؛ نظرًا لأثر هذا النموذج المعرفي على حياة الإنسان المعاصر.

وأمام تزايد الاهتمام بقضايا التنمية المستدامة في جميع مجالاتها وأبعادها، فقد اختص هذا البحث بالسعي إلى كشف جوانب من مقومات التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية، وربطها بمؤشراتها الواقعية في الدول العربية التي جاء بها تقرير التنمية الإنسانية المستدامة العربي لسنة 2020م، سعيا إلى بيان أوجه التكامل المعرفي والمنهجي بين المنظومتين، وإبراز سبل النهوض بقضايا التنمية، وتجديد البحث والنظر في الموضوع.

إشكالية البحث: سعى الباحثون المعاصرون إلى تجديد النظر في السنة النبوية من خلال الدراسات البينية العابرة للتخصصات المعرفية، وكذا الاجتهاد في دراسة القضايا المستجدة في ضوء السنة النبوية، ومن أهم هذه القضايا: التنمية المستدامة.

ومعلوم أن السنة النبوية جاءت لتحقيق مصالح الإنسان، وتنمية أحواله، إلا أن الإشكال لا زال مطروحا حول إمكانيات إحداث التلاقح المعرفي بين السنة النبوية والتنمية المستدامة؛ لهذا ينطلق هذا البحث لتجسير الهوة والكشف عن التقاطعات والتفاعلات بين المنظومتين.

وعليه؛ يمكن طرح جملة من التساؤلات، منها: ما معالم التنمية المستدامة ذات البعد الاجتماعي في السنة النبوية من خلال تقرير التنمية الإنسانية المستدامة العربي لسنة 2020م؟ وما أوجه الإفادة العلمية والمنهجية التي يمكن أن تقدمها كلا المنظومتين للأخرى في نطاق هذه الدراسة التكاملية؟ وكيف يمكن للسنة النبوية إغناء البحث العلمي

المعاصر في هذا الباب، وتوجيه وتقويم مؤشرات التنمية العربية المعاصرة؟

أهداف الدراسة:

- إبراز مدى مواكبة الشريعة الإسلامية لكل المتغيرات، ومختلف المستجدات المعرفية والمنهجية، ومن ذلك التوجيه الشرعي لمفهوم التنمية المستدامة.

- تحديد جملة من معالم التنمية المستدامة ذات البعد الاجتماعي في السنة النبوية في ضوء تقرير التنمية الإنسانية المستدامة العربي لسنة 2020م.

حدود الدراسة:

- الحدود الموضوعية: تناولت هذه الدراسة معالم التنمية المستدامة في السنة النبوية، وركزت على بعض النماذج المتعلقة بالبعد التربوي والصحي والمجتمعي في بناء الإنسان.

- الحدود الزمانية: بالنسبة للمؤشر الزمني، فقد انطلقت الدراسة من تقرير التنمية العربية لسنة 2020م. وقضاياه المعاصرة المعاشة.

منهج البحث: المعول عليه في هذا البحث هو المنهج التحليلي، وذلك قصد تحديد إطاره النظري، وبيان مفاهيمه الأساسية، ووصف منطلقاته، ودراسة قضاياه وعناصره الرئيسة، ثم تقويم بعض القضايا المبحوثة.

كما اعتمد هذا البحث منهجية التكامل المعرفي، التي تعين على إبراز أوجه التداخل بين السنة النبوية والبحث العلمي في التنمية المستدامة، باعتبارها من أبرز النماذج المعرفية الإنسانية المستجدة في هذا العصر.

خطة البحث: وضعت لهذه الدراسة خطة وتصميم يهدف إلى حل إشكاله، والجواب عن تساؤلاته، وتحقيق أهدافه، والوصول إلى النتائج المرجوة، وتشمل عناصر هذا البحث بعد المقدمة، مبحثين، حيث أفرد المبحث الأول لتحديد المفاهيم الأساسية للبحث، وهي: السنة النبوية، التنمية المستدامة، تقرير التنمية الإنسانية العربي لسنة 2020م. أما المبحث الثاني فخصص لعرض معالم التنمية المستدامة ذات البعد الاجتماعي في السنة النبوية،

وبيان إفادتها المعاصرة، من خلال قراءة في نماذج من نظائرها من المؤشرات الواردة في تقرير التنمية الإنسانية العربي لسنة 2020م. وأما خاتمة هذه الدراسة فقد شملت أهم النتائج المتوصل إليها في البحث، وأهم التوصيات والمقترحات في هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

وقفنا على جملة من الدراسات السابقة المتعلقة بموضوعنا، نذكر منها:

- التنمية المستدامة في السنة النبوية، وهو بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة ماجستير البحث، اختصاص الحديث النبوي، بجامعة الزيتونة، إعداد الباحث فراس بن ساسي، تحت إشراف، الدكتور محمد الناصر عماد الزعايري، السنة الدراسية: 1438 - 1439هـ / 2017 - 2018م.

حاول الباحث في هذه الرسالة الجامعية رصد المعالم التنموية في السنة النبوية، واستخراج الدعائم والآليات والحلول، بناء على استقراء النصوص الحديثية وتصنيفها وعرضها بطريقة تأصيلية، فخص الفصل الأول بدراسة "التنمية الاقتصادية المستدامة في السنة النبوية"، وإبراز معالمها، وتناول في الفصل الثاني "التنمية الاجتماعية المستدامة في السنة النبوية" وتحدث فيه عن خصائص المجتمع المسلم، ورصد الدعائم الاجتماعية المساهمة في تحقيق التنمية المستدامة، فعرض في الفصل الثالث الملامح البيئية الإسلامية ومكوناتها، وذكر جملة من الآليات المساهمة في تحقيق التنمية المستدامة فيها، وتحدث في الفصل الرابع عن "معالم التفاعل مع عوائق التنمية المستدامة في السنة النبوية" فسعى بالانطلاق من الحديث النبوي إلى إبراز أهم الحلول المقترحة لتجاوز الصعوبات التي تعرقل عملية التنمية المستدامة، وذكر في الخاتمة أبرز النتائج التي توصل إليها، والتي تبين شمول وفاعلية منوال التنمية المستدامة في السنة النبوية.

- التنمية المستدامة في السنة النبوية "دراسة تأصيلية"، للطالب بكر عبد الله الخرمان، إشراف الدكتور، علي إبراهيم عجين، وهي رسالة قدمت لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين، من جامعة آل البيت، كلية الشريعة، قسم أصول الدين، الفصل الدراسي الأول 2017/ 2018م.

عالجت هذه الدراسة موضوع التنمية المستدامة في السنة النبوية من خلال استقراء مجموعة من الأحاديث المتعلقة بالموضوع، وتحليلها واستنباط الدلالات والتطبيقات منها،

ومقارنتها مع بعض المواثيق الدولية.

وقد قسم الباحث دراسته إلى مقدمة وثلاثة فصول: الأول؛ مفهوم التنمية المستدامة وأبعادها وأهدافها، والثاني؛ مظاهر التنمية المستدامة في السنة النبوية، والثالث؛ عوامل تحقيق التنمية المستدامة وأهدافها في السنة النبوية، ثم النتائج والتوصيات.

وسعى الباحث إلى إبراز مظاهر التنمية المستدامة في السنة النبوية في أبعادها الثلاثة (البيئة والاقتصاد والمجتمع)، مع وضع إطار من العوامل يمكن بالاعتماد عليها أن تحقق التنمية المستدامة أهدافها في السنة النبوية.

- أبعاد التنمية المستدامة وعلاقتها ببناء الإنسان في السنة النبوية، لعبد الرحيم أبو طاهر سعد، وهو عبارة عن مقالة، نشرت في مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثامن عشر بعد المائة، المحرم 1446هـ، ص 51- 74.

قام الباحث في هذه الدراسة بتحديد علاقة أبعاد الاستدامة - البيئية والاقتصادية والاجتماعية - ببناء الإنسان في السنة النبوية، والتعرف على مدى علاقة هذه الأبعاد التنموية بعملية البناء البشري.

وحاول بيان ما في السنة من استشراف للتنمية المستدامة وفق أبعادها الثلاثة، وما يحدثه تحقيق هذه الأهداف من مردود نفعي على بناء الإنسان.

وخلص الباحث إلى تقرير الارتباط الكبير بين أبعاد التنمية المستدامة وبين بناء الإنسان بما أثبتته نصوص السنة النبوية، وأكدت عليه شروحها.

بعد الاطلاع على جملة من الدراسات السابقة في الموضوع، وعرض نماذج منها، تبين لنا أن ما يميز دراستنا هذه عن سابقتها، انفرادها بمقاربة جوانب من معالم التنمية المستدامة ذات الأبعاد الاجتماعية في السنة، وفق منهج تكاملي، يسعى إلى تحليل هذه المعالم في ضوء المعارف الإنسانية المعاصرة، وقراءة في جملة من مؤشراتها الواردة في تقرير التنمية العربي لسنة 2020م، وتقويمها على هدي السنة النبوية، وبيان سبل إفادتها المعاصرة.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي

لا شكَ أن المصطلحات هي أوعية العلوم، ونظارة الإبصار والنظر فيها، فالطريق الموصلة إلى النظر في العلم معرفة اصطلاحات أهله، ليتسنى بذلك إدراك غاياتهم ومقاصدهم؛ ولذلك تستدعي هذه الدراسة أولا التعريف بمصطلحاتها، ومفاهيمها الأساسية.

ولما كان هذا البحث يهدف إلى دراسة بعض معالم التنمية المستدامة في السنة النبوية في إطار تقرير التنمية العربية لسنة 2020م، كان لزاما التعريف بمفردات عنوانه بحسب مجالاتها العلمية، وذلك بالانطلاق من العام إلى الخاص منها، فبدأنا بتعريف مصطلح السنة النبوية، ثم مصطلح التنمية المستدامة، وأخيرا التعريف بتقرير التنمية العربية لسنة 2020م.

المطلب الأول: مفهوم السنة النبوية

السُّنَّة في اللغة :مشتقَّةٌ من سنَّ الشيء: إذا أرسله، قال ابن فارس: "السين والنون أصلٌ واحدٌ مطرد، وهو جريان الشيء واطرادُهُ في سهولة، والأصل قولهم سَنَنْتُ الماءَ على وجهي أسُنُّهُ سَنًّا :إذا أرسلتُه إرسالًا"[1]. والسنة؛ هي "الطريقة والسيرة".[2]

وفي اصطلاح المحدثين، هي: "ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقيَّة أو خُلُقيَّة أو سيرة، سواءً كان قبل البعثة أو بعدها[3]" والسنة والحديث مترادفان

1. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، المحقق/عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، 1979م، مادة السين.
2. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المحقق/طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م، (2/409).
3. ينظر: طاهر بن صالح، توجيه النظر إلى أصول الأثر، مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب، ط1، 1995م، (1/1)، وقال بعض العلماء بدخول أقوال وأفعال الصحابة في مسمى السنة، وقال آخرون بدخول أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم، أي أن السُّنة: هي ما كان عليه العمل في الصدر الأول للإسلام.

عند المحدثين؛ ولاسيما المتأخرين منهم[1].

وعند الأُصوليين تُطلق السُّنَّة "على ما جاء منقولًا عن النَّبي ﷺ على الخصوص مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز، بل إنما نص عليه من جهته ﷺ، سواء كان بيانًا لما في الكتاب أولًا. وتطلق عندهم على ما جاء عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير[2]".

وأما الفقهاء فهي عندهم عبارة عن الفعل الذي دل الخطاب على طلبه من غير إيجاب، ويرادفها المندوب والمستحب، والتطوع...، وقد تطلق على ما يقابل البدعة، منه قولهم طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا[3].

ويستخلص مما سبق تقارب مفهوم مصطلح السنة عند المحدثين والأصوليين، وتغاير مفهومه عند الفقهاء، وأما مصطلح السنة والحديث فهما مترادفان عند المحدثين والأصوليين، ومتغايران عند الفقهاء؛ فإذا كان مصطلح السنة عند الفقهاء يراد به ما يقابل الواجب من الأحكام -أي المندوب والمستحب- فإن مصطلح الحديث عندهم يرادف مصطلح السنة عند الأصوليين.

والحاصل أن الخلاف بين المحدثين والأصوليين في تعريف مصطلح السنة اختلاف يسير، ومرد هذا الاختلاف تنوع أنظارهم في السنة، فمقصد المحدثين من السنة نقل كل ما يتصل بالنبي ﷺ من سيرة وَخُلُقٍ وشمائل ومغازي وأخبار وأقوال وأفعال، سواء أَثْبَتَ ذلك حُكْمًا شَرْعِيًّا أم لا.

وعلماء الأصول مقصدهم من السنة البحث عن جوانب التشريع، والتي يستفيد منها المجتهد في وضع قواعد لبيان الأحكام الشرعية، وتبين للناس دستور الحياة، فعنوا

---

1. صبحي إبراهيم الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، عرضٌ ودراسة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 1984م، (1/3). ومن المفاهيم ذات الصلة بمصطلح السنة النبوية، مفهوم السيرة النبوية، والسنة في اللغة تعني الطريقة (ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة مادة السين)، واصطلاحًا: عرفت بتعاريف متنوعة، منها: أنها "ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها" جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ص 35). وعليه: قال البعض بأنها مرادفة للسنة، وقال آخرون بأنها أخص منها.
2. ينظر: الغزالي، المستصفى، المحقق/محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1993م، (ص8).
3. عبد القادر بن حبيب الله السندي، حجية السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي، (ص90).

بالسنة أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ التي تثبت بها الأحكام الشرعية.

والتعريف المختار في هذه الدراسة هو تعريف المحدثين؛ باعتبار شموليته لكل ما يتعلق بالنبي ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات، وصفات وأخلاق، فقد بعث الله تعالى نبيه ﷺ ليبلغ الرسالة، ويبين ما أنزل من القرآن، وليكون قدوة وأسوة حسنة للناس في أقواله وأفعاله وأحواله، فالصفات الخلقية التي لم ينص عليها الأصوليون في تعريفهم للسنة هي من هدايات النبي ﷺ، وقد تستنبط منها الأحكام الشرعية.

ومعلومة مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي وفقهه، فهي المصدر الثاني للتشريع والأصل الثاني لبناء الأحكام. وعلاقة السنة بالقرآن في التشريع؛ إما أن تؤكد لما جاء به القرآن، وإما أن تبين وتفسر ما جاء فيه، أو تؤسس لحكم مستقل لم يرد في القرآن.

وافتقار القرآن للسنة في البيان أكثر من افتقار السنة للقرآن، قال ابن كثير: "فعليك بالسُّنة؛ فإنها شارحة للقرآن، ومُوَضِّحة له"[1]، وقال النووي: "وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهيات، فإن أكثر الآيات الفروعيات مجملات، وبيانها في السنن المحكمات"[2].

المطلب الثاني: مفهوم التنمية المستدامة

شغل موضوع التنمية المستدامة الباحثين والدارسين في مختلف العلوم الإنسانية بعد الحرب العالمية الثانية، وكان يرد في سياق تعريفه وفق مفاهيم متقاربة، مثل "التقدم، النمو، التطور.." التي تفيد ما يطلق عليه اليوم "التنمية"، وقد ظهر مفهوم التنمية في إطار تشكل النظام العالمي الجديد، وفي دواليب المنظمات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية.

والباحثون في العلوم الاجتماعية عرفوا التنمية بتعريفات متنوعة، تتفق على أن التنمية تسعى إلى النهوض الشمولي والمتكامل في جميع مجالات الحياة وأبعاد شخصية الإنسان، فقد عرفها أحد الباحثين بأنها "ظاهرة مركبة تتضمن النمو الاقتصادي كأحد عناصرها الهامة، ولكنها تتضمنه مقرونا بحدوث تغير في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية

---

1. ابن كثر، تفسير ابن كثير، وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، (1/8).
2. النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392م، (1/4).

والسياسية والثقافية والعلاقات الخارجية"[1].

وازداد الاهتمام بهذا المفهوم في أروقة الأمم المتحدة، بعقد مجموعة من المؤتمرات والمنتديات وإصدار جملة من التقارير. ففي فترة الثمانينات أصدرت الأمم المتحدة "إعلان الحق في التنمية"[2]، باعتباره حقا أساسيا لكل إنسان ولجميع الشعوب، وسطع بذلك نجم مصطلح التنمية المستدامة في الأفق.

وكانت من أهم التعاريف لهذا المصطلح ما قدمته اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية التي أنشأتها الجمعية العامة للأمم المتحدة، التي عرفت باسم لجنة (**brundtlan**) سنة 1983م، وقامت اللجنة بنشر تقرير تحت عنوان "مستقبلنا المشترك"، ومفاد هذا التعريف، أن "التنمية المستدامة هي التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون الإضرار بقدرات الأجيال المستقبلية على تلبية احتياجاتهم".

وتسعى التنمية المستدامة إلى تنمية أبعاد كثيرة ومتعددة، وإذا كانت التنمية المستدامة تهدف إلى تحقيق التطور والتقدم والنمو في المجالات البيئية والاقتصادية والاجتماعية، فإن خبراء الأمم المتحدة قد وضعوا مؤشرات لقياسها في كافة الابعاد.

ونقتصر في هذا الصدد بذكر المؤشرات ذات البعد الاجتماعي للتنمية المستدامة، وتتمثل فيما يلي:

1- مؤشر الفقر البشري، وهو مؤشر مركب يشمل (حياة طويلة وصحية، المعرفة -الأمية- ، توفر الوسائل الاقتصادية)، 2- البطالة، 3- نوعية الحياة، 4- التعليم، 5- معدل النمو السكاني، 6- النسبة المئوية لسكان المناطق الحضرية.

1. يراجع: إسماعيل الراجي، عن مفهوم التنمية وسياق تداوله في المحافل الدولية، أكاديمية نماء، مقالات اجتماعية، 10 ديسمبر، 2022م، (ص6-4).
2. اعتمد ونشر بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 41/128 المؤرخ في 4 كانون الأول/ديسمبر 1986م.

المطلب الثالث: التعريف بتقرير التنمية الانسانية المستدامة العربي لسنة 2020م.

يندرج هذا التقرير في إطار التقارير التي تصدرها الإسكوا، وهي لجنة من اللجان الإقليمية الخمس التابعة للأمم المتحدة تخضع لولاية المجلس الاقتصادي والاجتماعي، تأسست عام 1973 لتحفيز النشاط الاقتصادي في الدول الأعضاء وتعزيز التعاون فيما بينها وتعزيز التنمية، ومقرّها في بيروت، وأديس أبابا، وبانكوك، وجنيف، وسانتياغو. وهذه اللجان هي، في المناطق التي تعمل فيها، منابر تلتقي فيها الحكومات لتستثمر في مقوّمات التكامل الإقليمي، وتحديد قواعد ومعايير مشتركة، وتبادل الخبرات، وتوطيد التعاون. وهي تؤدي دورًا حاسمًا في إرساء نهج كلي للتنمية المستدامة في المناطق والدول، يرتكز على التوازن بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للتنمية. وذلك كل أربع سنوات بالتعاون مع هيئات الأمم المتحدة العاملة في المنطقة العربية، وتحاول هذه التقارير مقاربة وتحليل توجّهات السياسة العامة لتحقيق أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر في جميع الدول العربية، وتبين الفرص المتاحة في مجال تحقيق هذه الأهداف، والثغرات التي تستدعي جهودًا مكثّفة أو مختلفة لسدها.

وفي افتتاحية التقرير العربي للتنمية المستدامة لعام 2020 تقول وكيلة الأمين العام للأمم المتحدة، الأمينة التنفيذية للإسكوا[1]: "إن التقرير العربي للتنمية المستدامة 2020 يتناول الأوضاع الراهنة في المنطقة، ويرصد التقدم على مسار تنفيذ خطة عام 2030 وأهدافها السبعة عشر، مع كل ما يكتنفها من ترابط وتشابك. ويحدد التحليل الكمي والنوعي الذي يتضمّنه هذا التقرير موقع المنطقة العربية من المقاصد العالمية، ويستعرض العوائق الهيكلية أمام التحوّل الجذري، كما يلقي الضوء على فئات البلدان والأشخاص المعرضة للإهمال، وعلى التدخلات الاستراتيجية اللازمة لإزالة العوائق"[2].

ويهدف هذا التقرير -بعد قراءة شاملة له- إلى تقييم وتحليل التحديات الرئيسية التي تواجه التنمية المستدامة في البلدان العربية. وهو بذلك يعتبر وثيقة مرجعية شاملة صدرت لتقييم التقدم المحرز في المنطقة العربية نحو تحقيق أهداف التنمية

1. موقع لجنة الاسكوا www.unescwa.org
2. انظر افتتاحية التقرير العربي للتنمية المستدامة سنة 2020 الصيغة العربية المنشور في موقع منظمة الاسكوا.

المستدامة (**SDGs**)[1] التي وضعتها الأمم المتحدة في عام 2015 كجزء من أجندة 2030. والتقرير يستعرض الوضع الراهن في الدول العربية ويحلل الصعوبات والفرص التي تواجه المنطقة في هذا السياق.

ولاعتبارات منهجية خالصة، سنقدم النقاط الرئيسية المتعلقة بالهدف رقم 3 و4 و16 التي تهم دراستنا والواردة في ثنايا التقرير، من خلال ثلاثة محاور أساسية وهي:

- ❖ الهدف3: ضمان تمتّع الجميع بأنماط عيش صحية وبالرفاهية في جميع الأعمار.
- ❖ الهدف4: ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلّم مدى الحياة للجميع.
- ❖ الهدف16: التشجيع على إقامة مجتمعات مسالمة لا يُهمَّش فيها أحد من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وإتاحة إمكانية وصول الجميع إلى العدالة، وبناء مؤسسات فعالة وخاضعة للمساءلة وشاملة للجميع على جميع المستويات.

ونرجئ التعريف بهذه الأهداف، وذكر جانب مهم من مقاصدها، إلى المبحث الثاني، وهذا الاختيار منهجي تبسيطي أكثر دونما أدنى شك، لكنه بالتأكيد مهم وعملي ومفيد من الناحية الإجرائية من أجل تسهيل عملية الربط والتحليل.

1. أهداف التنمية المستدامة هي خطة لتحقيق مستقبل أفضل وأكثر استدامة للجميع. وتتصدى هذه الأهداف السبعة عشر للتحديات العالمية التي يواجهها العالم، وُضعت من قِبل منظمة الأمم المتحدة، وقد ذُكرت هذه الأهداف في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في 25 أيلول/سبتمبر2015 وفي 1 كانون الثاني/يناير 2016، أدرجت أهداف التنمية المستدامة ال 17 في خطة التنمية المستدامة لعام 2030 وتسعى لمواجهة التحديات المتعلقة بالفقر وعدم المساواة والمناخ وتدهور البيئة والازدهار والسلام والعدالة. وفضلا عن ترابط الأهداف، وللتأكد من ألا يتخلف أحد عن الركب، فمن المهم تحقيق كل هدف من الأهداف بحلول عام 2030.

المبحث الثاني: معالم التنمية المستدامة في السنة النبوية، وإفادتها المعاصرة في ضوء تقرير التنمية الإنسانية العربي لسنة 2020م.

إن بناء المجتمعات الصالحة والمتقدمة من أسمى المقاصد الإنسانية والشرعية، ومن مقومات الاستخلاف في الأرض؛ فقد كانت أولى مهام النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة وضع أسس متينة لبناء مجتمع تسوده القيم الفاضلة (كالأمن، والسلم، والتعاون والعدل)، وتحفظ فيه حقوق الناس ومصالحهم المختلفة.

وتميز المجتمع الذي أسسه النبي ﷺ في المدينة بمجموعة من الخصائص، جعلته يبلغ رقيا حضاريا؛ أثر مفعوله في الأمة الإسلامية لقرون متعددة، ونذكر بعض هذه الخصائص على سبيل الإجمال: تعزيز الأخوة الإيمانية، حفظ السلم والأمن، إقامة العدل، ضمان الوحدة، تجنب النزاع والفرقة، التكافل الاجتماعي، التناصح، الواقعية، الاجتهاد والتجديد، تكريم الإنسان، والانفتاح والتعارف...[1].

ولما كان هذا البحث يأتي في سياق دراسة وتحليل هذه المعالم، ولأمر منهجي اخترنا ذكر الهدف على سبيل الإجمال، والمقاصد التي وضعت لتحقيقها كما وردت في التقرير، وبعد ذلك انتقلنا مباشرة لتحليلها في ضوء السنة النبوية الشريفة؛ قصد تقويمها. والغالب على الأحاديث المستدل بها في ثنايا التحليل؛ الأحاديث الصحاح؛ عند الإمام البخاري، والإمام مسلم. وباعتبار جدة البحث وأهميته أوردنا جملة من النقول والآراء لبعض الفقهاء والمفكرين المحدثين والمعاصرين الإصلاحيين، الذين حاولوا الجمع بين أصول الشريعة ومستجدات العلوم الإنسانية، فزاوجوا بين فقه النص وفقه الواقع، من خلال العمل على تنزيل قيم الوحي وهداياته على مجريات الواقع، بالاستعانة بمفاهيم ومناهج العلوم الإنسانية؛ سعيا لتحقيق الإصلاح والتنمية والنهضة المنشودة.

---

1. ذكرنا هذه الخصائص باختصار وإيجاز، ولم نقم بشرحها وذكر أدلتها من الكتاب والسنة خشية التطويل الذي لا يتناسب مع طبيعة البحث. وقد فصل بعض الباحثين القول فيها ينظر على سبيل المثال: التنمية المستدامة في السنة النبوية، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة ماجستير، البحث اختصاص الحديث النبوي، بجامعة الزيتونة، إعداد الباحث/فراس بن ساسي، تحت إشراف، الدكتور/محمد الناصر عماد الزعايري، السنة الدراسية: 1439-1438هـ/2018-2017م.

المطلب الأول: مقوم حفظ الصحة.

جاءت كثير من أحكام الشريعة لحفظ صحة الإنسان الجسدية والنفسية والروحية، ولذلك اعتبر العلماء حفظ النفس في المرتبة الثانية للضروريات الخمس، ونعمة الصحة من أعظم النعم الإلهية على الإنسان، وقد جاء الهدي النبوي لتعزيز مقوم حفظ الصحة مبنيا على جملة من الأسس والمرتكزات الواردة في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، الداعية إلى حفظ صحة الإنسان والعناية بجميع مكوناتها؛ بتوفير ظروف العيش الصحي، والنظافة الشاملة، والتغذية السليمة، وتجنب ما يفسد الصحة من الأطعمة والأشربة، والوقاية من الأمراض، والحث على العلاج...، ومن ذلك:

- وجوب العناية بالصحة الجسدية: لقوله ﷺ: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ"[1].

- حفظ الصحة النفسية: "فقد جاء من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ""[2].

- العناية بالجانب الوقائي، كما في حديث: "لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ في المَاءِ الدَّائِمِ الذي لا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ".[3]

- الحث على التداوي، كما في حديث: "لِكُلِّ داءٍ دَواءٌ، فإذا أُصِيبَ دَواءُ الدَّاءِ بَرَأَ بإذْنِ اللهِ ﷻ"[4].

وهذا العرض المختصر يبين جوانب من معالم ومقومات حفظ صحة الإنسان في

---

1. أخرجه الترمذي في سننه، المحقق/أحمد محمد شاكر وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة (4/612) حديث رقم (2417)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
2. أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط5، 1993م، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (5/2267) حديث رقم (5763).
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم (1/94) حديث رقم (236).
4. أخرجه مسلم في صحيحه، المحقق/محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1955م، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (4/1729) حديث رقم (2204-69).

السنة النبوية، وهذا الجانب يقابله الهدف 3 من أهداف التنمية المستدامة الواردة في تقرير التنمية العربية، لسنة 2020، وهو "ضمان تمتّع الجميع بأنماط عيش صحية وبالرفاهية في جميع الأعمار". هذا الهدف يركز على تحسين الصحة العامة وضمان الرعاية الصحية الجيدة والمستدامة للجميع، وتكمن أهمية هذا الهدف في الاهتمام بالصحة الجيدة التي تتمثل أساسًا في تحسين نوعية الحياة والتنمية الاقتصادية، والوصول إلى رعاية صحية مناسبة وشاملة يمكن أن يحسن من فرص التعليم، ويزيد الإنتاجية، ويقلل من الفقر[1].

ولبلوغ هذا الهدف تم وضع أحد عشر مقصدا ومؤشرا لتتبع العمل، مع وضع بيانات كمية لإبراز هذا المقصد، ونعرض هذه المقاصد، مع قراءة تقويمية لها في ضوء السنة النبوية، وهي على الشكل التالي:

- خفض النسبة العالمية لوفيات النساء الحوامل، إلى أقل من 70 حالة وفاة لكل 100,000 مولود حي بحلول عام 2030.

- وضع نهاية لوفيات المواليد والأطفال دون سن الخامسة التي يمكن تفاديها بحلول عام 2030م، بسعي جميع البلدان إلى بلوغ هدف خفض وفيات المواليد على الأقل إلى 12 حالة وفاة في كل 1,000 مولود حي، وخفض وفيات الأطفال دون سن الخامسة على الأقل إلى 25 حالة وفاة في كل 1,000 مولود حي[2].

يلاحظ من خلال هذين المقصدين قصورا في الخدمات الصحية المقدمة لحماية صحة المرأة الحامل، والمواليد الجدد والأطفال دون سن الخامسة، ولذلك نص التقرير في هذين المقصدين على ضرورة العمل على تخفيض عدد الوفيات المسجلة بهذا الخصوص.

وفي هذا السياق حث النبي ﷺ على حفظ حق الجسد في قوله: "فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا"[3]. وهذا الحق يوجب على صاحبه العناية بتغذية جسده، وتنظيفه، ووقايته من الأمراض، وإراحته حال تعبه، وألا يكلفه ما لا يطيق.

---

1. ينظر التقرير العربي للتنمية المستدامة سنة 2020، ص 38 وما بعدها.
2. المصدر السابق (ص48-47).
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم بَاب: حَقِّ الْجِسْمِ فِي الصَّوْمِ (2/697) حديث رقم (1874)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدَهر لمن تضَرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم (2/813) حديث رقم (1159-182).

وهذا الحق يستوجب رعايته سواء من جانب الأفراد، أو من جانب الجماعات، وحفظ الصحّة يكون بأمرين كما بين الإمام الشاطبي: "أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود؛ والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم". وهذا التأصيل البديع الذي وضعه الإمام الشاطبي (رحمه الله تعالى) لحفظ المقاصد الضرورية، يجسد الهدي النبوي في حفظ الصحة.

فبخصوص الجانب **الأول**: المرتبط بمسؤولية الأفراد نستدل بقول النبي ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ - يَعْنِي العَبْدَ مِنَ النَّعِيمِ - أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ".[1]

وفي الجانب **الثاني**، المرتبط بالجماعات: يندرج حفظ الصحة ضمن مسؤوليات الحكومات، والجهات المختصة التي يجب أن ترعاها، ففي الحديث الأمر النبوي بتحمل المسؤولية: "أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ".[2]

فهذا الهدى الكريم يتضمّن نوعين من التدابير: الأولى تقيم أركان الصحة الجسمية أو النفسية أو البيئية وتثّبت قواعدها، أي تراعيها من جانب الوجود بتعبير الشاطبي، ويمكن تسميتها "التدابير البنائية والتعزيزية"، والثانية تدرأ عن الصحة الجسمية أو النفسية أو البيئية الاختلال الواقع أو المتوقّع فيها، أي تراعيها من جانب العدم بتعبيره، ويمكن تسميتها "التدابير الوقائية والعلاجية".

ومن مقاصد هذا الهدف:

- وضع نهاية لأوبئة الإيدز والسل والملاريا والأمراض المدارية المهملة، ومكافحة التهاب الكبد والأمراض المنقولة بالمياه والأمراض المعدية الأخرى بحلول عام 2030.

---

1. أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ألهاكم التكاثر (5/448) حديث رقم (3358).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (1/304) حديث رقم (853).

- تخفيض الوفيات المبكرة الناجمة عن الأمراض غير المعدية بمقدار الثلث من خلال الوقاية والعلاج وتعزيز الصحة والسلامة العقليتين بحلول عام2030.

- تعزيز الوقاية من إساءة استعمال المواد، بما يشمل تعاطي مواد الإدمان وتناول الكحول على نحو يضر بالصحة، وعلاج ذلك خفض عدد الوفيات والإصابات الناجمة عن حوادث المرور على الصعيد العالمي إلى النصف بحلول عام 2020م[1].

بخصوص هذه المقاصد، جاء الهدي النبوي في محاربة الأمراض المنقولة جنسيا صريحا في الحث على اجتناب الزنا، كما في حديث الشاب الذي أتى النبيَّ ﷺ وطلب الإذن بالزنا[2]. وقد عالج هذه المفسدة بأسلوب دعوي وتوجيهي راق، بين من خلاله دناءة هذا الفعل وقبحه، ودعا لهذا الشاب.

وكذلك حث النبي ﷺ على اجتناب جميع المسكرات والمخدرات لأنها مضرة بصحة الإنسان، فقال "كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ"[3].

ومن جملة مقاصد هذا الهدف:

- ضمان حصول الجميع على خدمات رعاية الصحة الجنسية والإنجابية، بما في ذلك خدمات ومعلومات تنظيم الأسرة والتوعية الخاصة به، وإدماج الصحة الإنجابية في الاستراتيجيات والبرامج الوطنية بحلول عام 2030.

- تحقيق التغطية الصحية الشاملة، بما في ذلك الحماية من المخاطر المالية وإمكانية الحصول على خدمات الرعاية الصحية الأساسية الجيدة وإمكانية حصول الجميع على الأدوية واللقاحات الأساسية المأمونة الجيدة الفعالة الميسورة التكلفة.

---

1. التقرير العربي للتنمية المستدامة سنة 2020، (51-49).
2. والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، المحقق/شعيب الأرنؤوط وآخرون، الرسالة، ط1، 2001م، مسند أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) (36/545) حديث رقم (22211)، وقال محقق الكتاب: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (4/1579) حديث رقم (4087).

- الحد بدرجة كبيرة من عدد الوفيات والأمراض الناجمة عن التعرّض للمواد الكيميائية الخطرة وتلويث الهواء والماء والتربة بحلول عام2030[1].

يمكن مقاربة هذه المقاصد في ضوء العناية النبوية الفائقة بصحة الإنسان، وإذا كان النبي ﷺ اهتم بحفظ صحة غير المسلم، فإن العناية بصحة المسلم أولى، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: (قدِم على النبيِّ ﷺ نفَرٌ من عُكَلٍ، فأسلَموا، فاجتَوَوُا المدينةَ، فأمرَهم أن يأتوا إبلَ الصدقةِ، فيشرَبوا من أبوالِها وألبانِها، ففعَلوا فصَحُّوا، فارتَدُّوا وقتَلوا رُعاتَها، واستاقوا الإبلَ، فبعَث في آثارِهم، فأُتِي بهم، فقَطَّع أيديَهم وأرجلَهم، وسمَل أعينَهم، ثم لم يَحسِمْهم حتى ماتوا)[2].

ومنها أيضا:

تعزيز تنفيذ اتفاقية منظمة الصحة العالمية الإطارية بشأن مكافحة التبغ في جميع البلدان، حسب الاقتضاء.

- دعم البحث والتطوير في مجال اللقاحات والأدوية للأمراض المعدية وغير المعدية التي تتعرض لها البلدان النامية في المقام الأول، وتوفير إمكانية الحصول على الأدوية واللقاحات الأساسية بأسعار معقولة، وفقًا للإعلان الوارد بشأن الاتفاق المتعلق بالجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية وبالصحة العامة، الذي يؤكد حق البلدان النامية في الاستفادة بالكامل من الأحكام الواردة في الاتفاق المتعلق بالجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية المتعلقة بأوجه المرونة اللازمة لحماية الصحة العامة، ولا سيما العمل من أجل إمكانية حصول الجميع على الأدوية زيادة التمويل في قطاع الصحة وتوظيف القوى العاملة في هذا القطاع وتطويرها وتدريبها واستبقائها في البلدان النامية، وبخاصة في أقل البلدان نموا والدول الجزرية الصغيرة النامية، زيادة كبيرة.

1. التقرير العربي للتنمية المستدامة سنة 2020م، (ص52.51-).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب المحاربين من أهل الكفر والردة (6/2495) حديث رقم (6417).

- تعزيز قدرات جميع البلدان، ولا سيما البلدان النامية، في مجال الإنذار المبكر والحد من المخاطر وإدارة المخاطر الصحية الوطنية والعالمية.[1]

وبخصوص هذه المقاصد فهي تندرج في دعوة الإسلام إلى الاستفادة من تجارب الأمم المتقدمة والرائدة في هذه الميادين، والأخذ عنها، في جميع المجالات: العلمية، والطبية والاقتصادية ...، وذلك في ضوء أصول الشريعة الإسلامية وقواعدها.

يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: "والحقيقة البادهة أن لا معاصرة دون أصالة، ولا أصالة صادقة دون معاصرة فاعلة"[2]. وعليه فالتمسك بالأصول لا يعني الانغلاق، وعدم الاستفادة من معطيات العصر، بل ذلك مطلب شرعي دلت عليه سنة النبي ﷺ في كثير من المواقف، وتجلى في عمل خلفائه الراشدين من بعده ﷺ، فمن المقرر في تاريخ الإسلام استفادة المسلمين من غيرهم في الأمور الحياتية العامة، كالاستفادة من خبرة الأمم الأخرى في الطب،[3] والزراعة كما في مسألة تأبير النخل[4]، ومسائل تنظيم أمور الدولة.[5]

وإذا كانت هذه الاستفادة مقررة شرعا، فإنه في المقال لا يعني الركون إلى الجمود والتقليد والتبعية للغير، بل من الواجب كذلك دعم البحث العلمي في مجال الصحة والابتكار، كما تفعل بعض الدول العربية، ومن بينها دولة الإمارات العربية المتحددة التي

---

1. التقرير العربي للتنمية المستدامة سنة 2020م، (ص53.56-).
2. أكرم ضياء العمري، التراث والمعاصرة، كتاب الأمة، سلسة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط1، 1985م، (ص13).
3. أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشةِ (رضي الله عنها)، عن جدامة بنت وهب الأسدية، أنها سمعت رسول اللهِ ﷺ يقول: "لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ. حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ" صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب جواز الغيلة، وهي وطء المرضع، وكراهة العزل (2/1066) حديث رقم (1442-140).
4. فعن أنس (رضي الله عنه)، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ. فَقَالَ: "لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ" قَالَ فَخَرَجَ شِيصًا. فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ "مَا لِنَخْلِكُمْ؟ "قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا. قالَ «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ" صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا، على سبيل الرأي (4/1836) حديث رقم (2363-141).
5. ففي خلافة الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أحدثت التنظيمات الجديدة مثل الدواوين والإدارات، وذلك كي ينظم من خلالها الأعطيات، ويضع الخطط، ويدون الدواوين. قال ابن الأثير: "الديوان: هو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء." وأول من دون الدواوين عمر، وهو فارسي معرب. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (2/150).

منحت في الدورة الأخير لمؤتمر الأطراف للاتفاقية الأممية بشأن تغير المناخ (cop28) ـ الذي استضافته مدينة دبي سنة 2023م ـ جائزة الشيخ زايد للاستدامة للباحثة نورة حنيف.

ننتقل من جانب البحث العلمي في الصحة إلى جوانب أخرى مرتبطة بالصحة العقلية والنفسية، حيث أشار التقرير إلى أن معدلات الاكتئاب والقلق أعلى عند النساء، وإلى أن الاكتئاب هو السبب الرئيس لاعتلالهن[1].

ولا تتطرق مؤشرات الهدف 3 إلى الصحة العقلية والنفسية إلا في مؤشر واحد متطرف نسبيًا، وهو معدل الوفيات من جراء الانتحار. ولكن اضطرابات الصحة العقلية والنفسية تمثل سببا رئيسيا لعدد من المشاكل الصحية المختلفة غير المميتة في بلدان عدة في المنطقة، ووفقاً لتقديرات عام 2016، تقلُّ معدلات الوفيات من جراء الانتحار الموحدة السن في بعض البلدان العربية عن نصف المعدل العالمي4.3/100,000، (مقارنة بمعدل ب) 10.5/100,000 (وفي معظم الأحيان ليست الخدمات المتاحة، في جميع أنحاء المنطقة، مجهزة لعالج اضطرابات الصحة العقلية والنفسية، وتزداد معدلات الاصابة بهذه الاضطرابات في مناطق الصراعات[2].

وقد وجه النبي ﷺ في كثير من الأحاديث إلى بيان أثر الإيمان والتوكل على الله والرضا بالقضاء والقدر وبذل الأسباب المشروعة في تقوية نفسية المسلم، وإبعاده عن دائرة القلق والاضطراب النفسي؛ لأنه مدخل لكثير من الأمراض النفسة والعضوية، فقال: "الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ، فلا تقُلْ: لو أَنِّي فعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ (لو) تفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"[3].

وهذا الهدي النبوي يبُثُّ في المسْلِمِ الأمَلَ والشَّجاعةَ والقوَّةَ، ويحوِّلُه إلى فَردٍ نافعٍ ومُفيدٍ يَملَأُ الدُّنيا خَيرًا وعَطاءً وإحسانًا، والمراد ب "المؤمنَ القويَّ" يعني في إيمانِه بالأساس، والقوة النفسية، والثبات الانفعالي، وليْس المرادُ بها تغليب قوَّةَ البدَن.

---

1. ينظر تقرير التنمية العربية لسنة 2020م، (ص39).
2. التقرير العربي للتنمية المستدامة سنة 2020م، (ص40).
3. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (4/2052) حديث رقم (2664-34).

وقدم النبي ﷺ جملة من التوجيهات والعلاجات الناجعة لعلاج القلق والهم وغيرها من العوارض النفسية، ومنها:

- التضرع إلى الله بالدعاء بأسماء الله الحسنى: ففي الصَّحِيحَيْنِ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الحلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ"[1].

وهذا المعطى العقدي والإيماني القائم على تسليم الأمر وتفويضه للخالق الحكيم المدبر- أعظم مقوم لشفاء النفس ونقاء الروح، والمعطيات التاريخية وشهادة الحس والواقع مؤكدة لهذا المقوم. وقد سعى الفكر الغربي المعاصر - الذي أرقته مظاهر الحياة المادية، وحيرة الإنسان وقلقه بتأثير الفلسفة المادية - إلى إحياء هذا المقوم عبر ما سموه الرعاية الاجتماعية والروحية، ويعمل جميع الأخصائيين الاجتماعيين غالبا في مجالات الرعاية الاجتماعية، مع غيرهم من المهنيين كالأطباء البشريين والأطباء النفسيين والأخصائيين النفسيين والممرضين والمربين وغيرهم[2]، قصد مساعدة الناس على حل إشكالاتهم وتجاوز مختلف الصعوبات التي توجههم في حياتهم.

إضافة إلى ما أصلوا له من نظريات نفسية، مثل نظرية "تجاوز الذات". التي عُرِّفت بعدة تعريفات، نذكرها منها تعريفا واحدا، أنها: "خاصية إنسانية تتمثّل في التوجه إلى ما هو خارج المرء والانفتاح على العالم، وتحقيق المعاني الجوهرية عن طريق البحث عن معنى الحياة، والاهتمام بالأنشطة الدينية، وحب الجمال والابتكار والتطور، والمسؤولية الاجتماعية تجاه الآخرين والأمل[3]".

وفي إطار نظرية تجاوز الذات؛ فإن الوجود الإنساني يتميز بنوع خاص بظاهرتين إنسانيتين: الظاهرة الأولى تتمثل في قدرة الإنسان على التحرر الذاتي، أما الظاهرة الثانية

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب (5/2336) حديث رقم (5986).
2. ينظر: ماهر أبو المعاطي علي، الاتجاهات الحديثة في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، التنمية السياسية كمدخل مفاهيمي معرفي، زين العابدين دايلي، نبيل كريبش، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد 13، العدد 01، (ص719-700) أبريل 2022م، (ص23).
3. نور جبار علي، تجاوز الذات لدى المعلمات الأرامل (ص626)، مجلة ديالي 2015م، العدد السادس والستون.

فتتجلى في قدرة الإنسان على تجاوز الذات[1].

إن أصول مبدأ تجاوز الذات مقررة في الشريعة الإسلامية في نصوص كثيرة، منها:

-قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةَ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ [سورة الحشر: 9].

وقول النبي ﷺ: "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[2].

ومن التوجيهات النبوية الأخرى في وقاية النفس وعلاجها من بعض الاضطرابات وتقويتها:

- **الحث على الصبر:** لقوله ﷺ : "إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى"[3] فخصلة الصبر، وتوطين النفس على قبول قدر الله مدخل للثبات الانفعالي، فالمسلم يؤمن أن ما أصابه ما كان ليخطئه، وما أخطأه ما كان ليصيبه، وهذا القدر فيه خير له علمه أو لم يعلمه ففي الحديث: "عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"[4]. وعامل الصبر كذلك مقوم لتجنب كثير من الأمراض النفسية وتأثيراتها الجسدية، لأن خروج الانفعالات النفسية عن حدودها سبب لكثير من الأمراض الجسدية، وفي هذا الصدد حث النبي ﷺ على اجتناب الغضب، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: "لاَ تَغْضَبْ" فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: "لاَ تَغْضَبْ"[5].

- **الرقية الشرعية:** فعن عوف بن مالك الأشجعي (رضي الله عنه)، قال: كنا نرقي

---

1. المرجع السابق (ص629).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (1/14) حديث رقم (13).
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كاب الجنائز، باب زيارة القبور (1/430) حديث رقم (1223).
4. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، بابا المؤمن أمره كله خير (4/2295) حديث رقم (-64 2999).
5. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (5/2267) حديث رقم (5765).

في الجاهلية فقلنا يا رسول الله: كيف ترى في ذلك فقال: "اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لاَ بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ".[1]

إذ لا شك أن المسلم إذا أخلص في التوجه إلى الله بالدعاء وطلب الشفاء، مع اليقين بما يتلوه من آيات وأحاديث نبوية في هذا الصدد كان لذلك أثر كبير في العلاج بإذن الله تعالى.

المطلب الثاني: مقوم التعليم والثقافة.

يعد حفظ العقل من أعظم المقاصد التي سعت نصوص الشريعة لحفظها، سواء بحفظ العقل مما يفسده حسيا كان أو ماديا، وذلك بمحاربة الجهل والخرافات، وتحريم الخمر والمسكرات والمخدرات، وما يذهب عقل الإنسان؛ لأن العقل ميزة خَصَّ الله بها الإنسان غيره من الكائنات، فهو مناط التكليف، وبه تقوم مهمة الاستخلاف، فكان أول ما نزل من القرآن الكريم الأمر بالتعلم والقراءة، وكثير من الأحاديث النبوية نصت على الترغيب في العلم. ولا تقوم التنمية المستدامة إلا ببناء وتعزيز مقومات العلم والمعرفة، وإذا كانت الآية التي افتتح بها الوحي ونبئ بها النبي ﷺ لأول مرة تأمر بالقراءة التوحيدية، وهي منهج علمي تفرد به الإسلام يمزج بين قراءة الوحي وقراءة الكون، فإن السنة النبوية قد نبهت على أن طلب العلم مقصد إيماني عظيم، ومن أعظم مجالات العبودية لله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"[2].

والسنة النبوية تولي التعليم وبناء فكر الإنسان عناية فائقة، بالحث على طلب العلم، وبيان منزلة العلماء في الأمة، والترغيب في نشر العلم وتعليمه وبيان فضل ذلك، وتقديم النبي ﷺ جملة من الطرق والوسائل التعلمية التي تتماشى مع كثير من البداغوجيات التعليمية الحديثة[3].

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك (4/1727) حديث رقم (64-2200).
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (4/2074) حديث رقم (38-2699).
3. ينظر هذه النماذج على سبيل المثال في: فراس بن ساسي، التنمية المستدامة في السنة النبوية (ص133) وما بعدها.

وهذه العناية أخذت أوجهًا متعددة سواء في الجانب الفردي من خلال ما تمت الإشارة إليه، أو في الجانب الجماعي من خلال مركزية دار الأرقم في مسيرة الدعوة الإسلامية باعتبارها أول مدرسة في الإسلام، وكذلك دور المسجد التربوي والتعليمي في عهد رسول الله ﷺ.

وبعد التنبيه على هذا الزخم التربوي في السنة النبوية والنهوض بها تنظيرا وتطبيقا، فإن الناظر اليوم في حال الأمة يجد أن الغالب على كثير من البلدان الإسلامية تدهور الأحوال التعليمة، مع استثناء بعض النماذج الرائدة في المجال التعليمي ببعض دول الخليج العربي، كدولة الامارات، وهذه الأوضاع تجليها بوضوح ديباجة الهدف 4 من أهداف تقرير التنمية العربية لسنة 2020م، والتي نصت على ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلّم مدى الحياة للجميع.

ونصها بتمامه: "لم يحقق التعليم كامل قدرته في إحداث التحوّل المنشود على الرغم من زيادة معدّلات الالتحاق بالمدارس وزيادة الاستثمار في التعليم في المنطقة العربية؛ وتكمن التحديات الأساسية في قدم أساليب التدريس والتعلّم وسوء نوعيتها، وانعدام المساواة في فرص التعليم، وكذلك في البنى التحتية؛ ولن تستطيع المنطقة تسخير إمكانات التعليم مدى الحياة على النحو المطلوب في الهدف 4، ما لم يُنظر إلى التعليم بوصفه مشروعا مجتمعيا لإنتاج مواطنين مبتكرين، يملكون فكرا نقديًا. وهذه الرؤية الجديدة أساسية لتحقيق التنمية المستدامة؛ ولنشر قيم المساواة والعدالة والسلام؛ وكذلك لتأمين فرص عمل للشباب"[1].

بعد هذه الديباجة شَخَّصَ التقرير بدقة وبالمعطيات والمؤشرات الرقمية بخصوص واقع وإشكالات التعليم بالبلدان العربية، وبين العوائق الرئيسة التي تقف سدا منيعا أمام تحقيق التعليم الجيد المنصف الشامل، ومنها: ضعف النوعية، عدم المساواة، ضعف الاقتصاد، الصراع والنزوح، وغيرها من العوائق، سواء المتعلقة بالجوانب المادية، كتوفير المدارس والأدوات، أو الجوانب التقنية المتعلقة بتكوين الأساتذة والبرامج التعليمية[2].

وقد اقترح التقرير لتسريع التقدم في تحقيق الهدف 4:

1. تقرير التنمية العربية لسنة، 2020م، (ص60).
2. ينظر: تقرير التنمية العربية لسنة، 2020م، (ص64-62).

- إعادة التفكير في دور التعليم وقيمته لدفع عجلة التحوّل الجذري.
- الاستثمار في إصلاح نُظُم التعليم وتحسينها باستمرار في جميع أنحاء المنطقة.
- ضمان الحق في التعليم الجيد والمنصف.
- تحسين جمع البيانات[1].

وقد وضعت للهدف 4 مقاصد لتحقيقه، نعرض فيما يأتي جانبا مهما منها، وننتقل لتحليلها في ضوء معطيات السنة النبوية:

- ضمان أن يتمتّع جميع الفتيات والفتيان بتعليم ابتدائي وثانوي مجاني ومنصف وجيد، مما يؤدي إلى تحقيق نتائج تعليمية ملائمة وفعالة بحلول عام2030م.
- ضمان أن تتاح لجميع الفتيات والفتيان فرص الحصول على نوعية جيدة من النماء والرعاية في مرحلة الطفولة المبكرة والتعليم قبل الابتدائي حتى يكونوا جاهزين للتعليم الابتدائي بحلول عام2030م.[2]

يلاحظ من خلال هذين المقصدين أن التقرير قد وضع هدفا يحاول من خلاله ضمان الرعاية الجيدة للطفولة، وضمان التعليم المجاني والمنصف والجيد لها، وأن يكمل جميع الفتيان والفتيان تعليمهم بحلول عام 2030م.

وقد سجل التقرير زيادة نسبة الهدر المدرسي والانقطاع عن الدراسة دون إتمام التعليم الثانوي في صفوف الفتيات، ويأتي عامل الفقر كعامل رئيس في المسألة، وقد يكون الفكر التقليدي والمحافظ من بين أسباب هذه المشكلة.

ويرى العلامة محمد بن الحسن الحجوي أن لا دليل شرعي يمنع المرأة من العلم، أي علم كان، أو يوقفها عند حد محدود في التعليم العربي الديني، وأن الأصوليين صرحوا بأن المرأة يجوز أن تصل إلى رتبة الاجتهاد في علوم القرآن والسنّة، وما يوصل إليهما من العلوم

1. المصدر السابق (ص65-64).
2. المصدر السابق (ص65).

الإسلامية، حتى تكون كمالك والشافعي وأضرابهما[1].

ونورد هنا جملة من الأدلة الشرعية، المؤكدة لوجوب تعليم الفتاة، وتمتيعها بهذا الحق: صيغ العموم الواردة في كثير من الآيات، والأحاديث للحث على طلب العلم وبيان منزلته، كحديث: "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"[2]، والحديث يتناول الذكر والأنثى على مذهب الجمهور.

وحديث: "مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ"[3]، قال العلامة الحجوي (رحمه الله): "وقد دخل فيه البنون والبنات جميعا".[4]

قول النبي ﷺ: "ثَلاَثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الأَمَةُ، فَيُعَلِّمُهَا فَيُحْسِنُ تَعْلِيمَهَا، وَيُؤَدِّبُهَا فَيُحْسِنُ أَدَبَهَا، ثُمَّ يُعْتِقُهَا فَيَتَزَوَّجُهَا فَلَهُ أَجْرَانِ"[5].

وعلق (رحمه الله تعالى) على هذا الحديث بقوله: "فإذا كان الإسلام يَنْدُبُنَا إلى تعليم الإماء، حفظًا لمجتمعنا من مفسدة جهلهن، فما ظنك بتعليم الحرائر بناتنا وأعز ما لدينا؟ ذلك كله في تعليم ديننا، وآدابنا ولغتنا وما ينفعهن من علوم الدنيا"[6].

---

1. محمد بن الحسن الحجوي، تجديد الفقه ونصوص أخرى، تقديم سعيد بن سعيد العلوي، دار الكتاب المصري القاهرة، مكتبة الإسكندرية، ط1، 1435ه، 2014م، (ص104).
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (4/2074) حديث رقم (2699-38).
3. أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، المحقق/مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، كتاب الأدب (4/292) حديث رقم (7679)، والترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في أدب الولد (4/338) حديث رقم (1952)، والحديث ضعفه كثير من العلماء، كابن الملقن في: "مختصرُ استدرَاك الحافِظ الذّهبي على مُستدرَك أبي عبد اللّهِ الحَاكم" (6/2881).
4. محمد بن الحسن الحجوي، تعليم الفتاه لا سفور المرأة، المحقق/د. محمد بن عزوز، دار ابن حزم، د. ط. ت، (ص130).
5. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين (3/1096) حديث رقم (2849).
6. ثم بين رحمه الله ماذا ينبغي أن تتعلم الفتاة وحدود تعليما. محمد بن الحسن الحجوي، تجديد الفقه ونصوص أخرى (ص104) وما بعدها.

قول النبي ﷺ: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"[1]، واستدل الحجوي بإجماع الأمة، قال (رحمه الله تعالى): "إن الأمة مجمعة على أنه لا يجوز لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، وأن الله لا يعبد إلا بالعلم، والمرأة داخلة في ذلك بلا شك، ويجب على وليها تعليمها، فإن فرط في ذلك فعلى الزوج تعليمها، وهذا من ضروريات الفقه والدين"[2].

واستدل أيضا بكون النبي ﷺ كان يجعل لهن يومًا مخصوصا لتعليمهن، وكانت تأتيه نسوة الأنصار يسألنه عن الدين، وهو في جمع من الصحابة من غير أن ينكر عليهن، كما كن يأتينه في منزله الشريف لذلك، ففي الصحيح قالت عائشة (رضي الله عنها): "نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ"[3].

وينطلق محمد بن الحسين الحجوي من كون قضية تربية البنت، وتعليمها ضرورة دينية واجتماعية، وأنها ليست أمرا كماليا كما يظن بعض من لم يمعن النظر في المسألة تأملا ونقدا. وأبرز إجماع الرأي العام داخل المغرب وخارجه على أن تربية الأم هي أساس صلاح الأمة أو فسادها، وأن تعليم الأم وتهذيبها سبيل رقي الأمة وبقدر العناية بترقية البنات فكريا وأخلاقيا ترقى الأمة[4].

ومن المقاصد المرتبطة بهذا الهدف:

ضمان تكافؤ فرص جميع النساء والرجال في الحصول على التعليم التقني والمهني والتعليم العالي الجيد والميسور التكلفة، بما في ذلك التعليم الجامعي بحلول عام 2030.

الزيادة بنسبة كبيرة في عدد الشباب والكبار الذين تتوافر لديهم المهارات المناسبة، بما في ذلك المهارات التقنية والمهنية، للعمل وشغل وظائف لائقة ولمباشرة الأعمال الحرة بحلول عام 2030.

---

1. أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون، أبواب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (1/81) حديث رقم (224).
2. محمد بن الحسن الحجوي، تجديد الفقه ونصوص أخرى (ص104).
3. أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا، كتاب العلم، باب الحياء في العلم (1/60)، وينظر غير ذلك من الأدلة التي ساقها (رحمه الله تعالى) في: "تجديد الفقه ونصوص أخرى" (ص104) وما بعدها.
4. محمد بن الحسن الحجوي تجديد الفقه ونصوص أخرى (ص113).

ضمان أن يلمّ جميع الشباب ونسبة كبيرة من الكبار، رجالا ونساء على حد سواء، بالقراءة والكتابة والحساب بحلول عام 2030.

ضمان "أن يكتسب جميع المتعلّمين المعارف والمهارات اللازمة لدعم التنمية المستدامة، بما في ذلك جملة من السبل من بينها التعليم لتحقيق التنمية المستدامة واتّباع أساليب العيش المستدامة، وحقوق الإنسان، والمساواة بين الجنسين، والترويج لثقافة السلم ونبذ العنف والمواطنة العالمية وتقدير التنوّع الثقافي وتقدير مساهمة الثقافة في التنمية المستدامة، بحلول عام 2030"[1].

تشترك جملة هذه المقاصد على ضرورة توفير التعليم المتكامل للرجال والنساء على حد سواء، وهو تعليم يراعي جميع أبعاد الإنسان الفكرية والتقنية والمهنية، والتي تعده لسوق الشغل، وبالتالي المساهمة في تقدم اقتصاد البلاد، وتحقيق التنمية المستدامة.

انطلاقًا من المعرفة المعمقة بقضايا الواقع وشؤونه وسبر أغواره وخباياه، أكد قاسم أمين وغيره من رواد الفكر الإصلاحي الحديث على دور التربية والتعليم في تنمية قضايا المرأة والمجتمع عموما، وأعد لذلك منهجا محكما، انطلق فيه بترتيب أعمال الإنسان وتقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

أولها: الأعمال التي يحفظ المرء بها حياته. وثانيها: الأعمال التي تفيد عائلته. وثالثها: الأعمال التي تفيد الوجود الاجتماعي.

وأبرز دور التربية الصحيحة في تمكين الإنسان من القيام بهذه الأعمال، مع وجوب مراعاتها لهذا الترتيب الطبيعي وسلم الأولويات الضرورية الذي قدمه، قائلا: "إن التربية التي تشمل هذه الأنواع الثلاثة على الترتيب الذي وضعناه، هي لازمة للرجال والنساء على حد سواء". من هذا التشخيص العميق للواقع وضح أهمية التربية والتعليم وأثرها في إعداد المرأة لحياتها الأسرية والاجتماعية، - دون إغفال لوظيفتها ودورها في الأسرة والعائلة - بقوله: « مهما اختلف الناس في فهم طبيعة المرأة لا يجوز أن يدعي أحد أنها يمكنها أن تستغني عن الأعمال التي تحافظ بها على قواها الحيوية وتعدها للقيام بحاجات وضرورات الحياة الإنسانية، كذلك مهما اختلفنا في تحديد وظيفة المرأة في العالم، لا بد أن نعترف أنها

1. تقرير التنمية العربية لسنة، 2020م، (ص68-66).

لا يمكنها أن تتخلى عن الأعمال والمعارف التي تتعلق بواجباتها العائلية".[1]

فمن الوسائل المنهجية المهمة في إعداد المرأة وتنمية أحوالها، التربية المتكاملة المستمرة، وهي من الملامح التي لاحظها قاسم أمين في تقدم الأمم الغربية وتحقيق النظام الراقي والحضارة المزدهرة، وقال في ذلك كلاما نفيسا، ومما جاء فيه: « نحن نعلم أن تغيير النفوس لا تنفع فيه نصيحة مرشد ولا أمر سلطان ولا سحر ساحر ولا كرامة ولي، وإنما يتم، ـ كما ذكرنا ـ بإعداد نفوس الناشئين إلى الحال المطلوب إحداثها، ذلك هو السير الطبيعي البعيد الأمد المحفوف بمصاعب، ولكن أسهل المصاعب هي التي تنتهي بالفوز والنجاح، وأقرب الطرق هي التي توصل إلى المقصد[2].

وهنا أفضنا في الحديث عن ضرورة تعليم المرأة إسوة بالرجل نظرا لمركزيتها في بناء المجتمع وإصلاحه، وفي هذا الصدد يقول أمير الشعراء أحمد شوقي: الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق[3].

وقد كانت نساء السلف يشاركن في حياة الأمة الاقتصادية والتجارية، فأم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) كانت امرأة تاجرة،[4] وكانت رفيدة بنت سعد الأسلمية (رضي الله عنها) تمارس مهنة التمريض، وتطبيب الجرحى والمصابين في ميادين المعارك، وصاحبة أول مستشفى ميداني في الغزوات الإسلامية،[5] وما روي من كون الشفاء بنت عبدالله العدوية أول امرأة تشغل منصبًا قياديًا في الإسلام -الحسبة- للإشراف على الأسواق في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، روى ابن أبي عاصم عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ: "أَنَّ عُمَر (رضي الله عنه) اسْتَعْمَلَ الشِّفَاءَ عَلَى السُّوقِ، قَالَ: وَلَا نَعْلَمُ امْرَأَةً اسْتَعْمَلَهَا غَيْرَ هَذِهِ"[6] وفي عهود انحطاط الأمة تراجعت مكانة المرأة وانحصرت أدوارها الاقتصادية والاجتماعية.

---

1. قاسم أمين، المرأة الجديدة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2011م، (ص47-46).
2. المرجع السابق (ص109).
3. حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، دار صادر بيروت، لبنان، ط2، 2002م، (ص230).
4. ينظر: ابن كثر، السيرة النبوية، المحقق/مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 1976م، (1/262).
5. ينظر: البخاري، الأدب المفرد، الجامع للآداب النبوية، بتخريجات وتعليقات ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط2، 2000م، باب: كيف أصبحت؟
6. أخرجه ابن أبي عاصم، في الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم، المحقق/باسم الجوابرة، دار الراية، الرياض، ط1، 1991م، الشفاء بنت عبد الله (رحمها الله تعالى) واسمها ليلى.

والباحث في السنة النبوية، وسيرة الخلفاء الراشدين؛ يجد بعدا إنسانيا وحضاريا متقدما في ضمان حق العمل، واستقلالية الذمة المالية للمرأة، وحفظ حقوقها بعدالة فائقة، فسبقت بذلك الحضارة الغربية المعاصرة بنحو أربعة عشر قرنا؛ فهذه زوجة عبد الله مسعود (رضي الله عنهما) كانت امرأة صنعا، فقد روى الإمام أحمد في المسند، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ رَائِطَةَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَتْ امْرَأَةً صَنَاعًا وَكَانَتْ تَبِيعُ وَتَصَدَّقُ فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ يَوْمًا لَقَدْ شَغَلْتَنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَدَّقَ مَعَكُمْ فَقَالَ مَا أُحِبُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ أَجْرٌ أَنْ تَفْعَلِي فَسَأَلَا عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ.[1]

وقضى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في قضية عمرو بن الحارث وزوجته حبيبة بنت زريق عمة عبد الله بن الأرقم التي أوردها قاضي الجماعة بتونس أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرفيع التونسي (ت733) في نوازله، وكانت حبيبة نساجة طرازة ترقم الثياب والعمائم، وهو تاجر. وكل واحد يعمل بما عنده حتى اكتسبوا أموالا على الأصناف، فمات عمرو وترك أراضي ودورا وأموالا فأخذ ورثته مفاتيح المخازن والأجنة، واقتسموا ذلك. ثم قامت عليهم حبيبة ونازعتهم مدعية أن كل ذلك كان بعمل يدها وسعايتها مع زوجها، فترافعت مع الورثة إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقضى بينهما بالشركة نصفين فحكم لحبيبة بالنصف من جميع المال جزاء سعايتها، ثم بالربع من نصيب الزوج باعتبارها وارثة لأنه لم يترك ولدا[2].

وفي المقابل يرى البعض أن الإسلام في الأصل العام لا يبيح عمل المرأة إلا في نطاق البيت، أو في حالات الضرورة، وحالات العمل النسائي، مثل التدريس للنساء، أو العمل في مجال الطب النسائي؛ وذلك وفق الشروط والضوابط الشرعية[3].

---

1. أخرجه أحمد في المسند، مسند المكيين، حديث رائطة امرأة عبد الله، عن النبي ﷺ، وابن حبان في صحيحه، المحقق/شعيب الأرنؤوط، الرسالة، بيروت، ط1، 1988م، باب النفقة، ذكر كتبة الله جل وعلا الأجر الجزيل للمرأة إذا أنفقت على زوجها وعيالها من مالها (1/440) حديث رقم (628)، والحديث صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.
2. وقد نقل هذه النازلة من مخطوطة نوازل أبي إسحاق التونسي العلامة الحسن العبادي في كتابه، فقه النوازل في سوس قضايا وأعلام، (ص112-111). وإلى هذا القضاء العمري استند القضاء المغربي في إثبات مشروعية حق الكد والسعاية.
3. ينظر في تفصيل هذا القول وأدلته: منتصر سعيد حمودة، الحماية الدولية لحقوق المرأة دراسة مقارنة بأحكام الشريعة الإسلامية (ص174-173).

وعمل مفكرو وفقهاء النهضة الحديثة على إصلاح وتجديد أوضاع المرأة العملية، فخصصوا حيزا واسعا من فكرهم لمعالجة هذه القضية، فنبه رفاعة الطهطاوي بقوة إلى ضرورة مشاركة المرأة للرجل في شؤون العلم والفكر والاقتصاد، وجعل على رأس ذلك مشاركتها في الحياة الاقتصادية وممارسة جميع الأنشطة قدر الاستطاعة.

وقد أصل لدعوته بمجموعة من النصوص الحديثية في قوله: "وأما بالنسبة للبنات فإن وَلِيَّ البنت يُعَلِّمُها ما يَلِيق بها من القراءة وأمور الدين، وكل ما يليق بالنساء من خياطة وتطريز، فبهذا كله يتيسر للجميع كسب الفوائد الجسيمة المنتجة للاستقامة التامة وغنى النفس، بما اكْتَسَبَه العقل من العلوم والمعارف، ومارَسَتْه الأيدي من الصنائع واللطائف التي هي أَمْن مِن الفقر الذي استعاذ منه ﷺ في قوله: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ، وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ"[1]، وقال أيضًا: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ"[2].

واستند ﷺ في تأصيل المسألة على أصل "شريعة من قبلنا"[3]، في قوله: ساغ لنبي الله "شعيب" (عليه السلام) أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية، بدون أن يقدح ذلك في حقه بشيء، حيث لا مفسدة في ذلك؛ لأن الدين لا يأبه في البدو ولا في الحضر، ومروءة أهل البدو لا تأباه[4].

ويلاحظ أن دعوة الطهطاوي إلى منح المرأة حقوقها في العمل إسوة بالرجل، جاء وفق ضوابط الشرع، ومراعاة فطرة المرأة وقدرتها، فالطهطاوي أسس هذا الرأي أصول شرعية

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الرجال (5/2340) حديث رقم (6002).
2. اخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، المحقق/طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د. ط. ت، باب الميم من اسمه مقدام، قال ابن الجوزي: "فيه أبو الربيع السمان – متروك - عن عاصم عن عبيد الله – ضعيف - عن سالم، عن أبيه" ابن الحوزي، تلخيص كتاب العلل المتناهية (ص196). ينظر: رفاعة الطهطاوي، مناهج الألباب المصرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م، (ص62).
3. قال الإمام الباجي (رحمه الله تعالى): "على قول مالك أن شريعة من قبلنا يلزمنا إنفاذ ما ثبت عندنا منها بقرآن أو حديث عن نبينا ﷺ صحيح حتى يثبت عندنا نسخها إما شريعتنا فقط، وإما شريعتنا وشريعة من قبلنا ممن بيننا وبينه من الرسل، وعلى هذا الوجه يجب أن يكون علم أنه لم ينسخ هذا الحكم من التوراة بشرع موسى ولا شرع لغيره من الرسل بعده ﷺ. الباجي، المنتقى في شرح الموطأ، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ط1، 1914م، (7/133).
4. رفاعة الطهطاوي، مناهج الألباب (ص133) وما بعدها.

متينة، منها؛ شرع من قبلنا، السنة النبوية الشريفة، عمل الصحابة (رضي الله عنهم).

ونجد الأستاذ علال الفاسي يرى أن الإسلام خول للمرأة الحق في أن تتولى كثيرا من الوظائف والشؤون العامة، باستثناء الإمامة الكبرى والقضاء عند المالكية، وخول لها أن تشارك في الاجتهاد والتقنين، وتبدي رأيها في كل مشاكل المجتمع والبلاد[1].

ويلاحظ من خلال هذه الآراء، الدعوة الصريحة إلى تمتيع المرأة في حقها في العمل إسوة بالرجل، انطلاقا مما جاءت به السنة من حفظ حقوق المرأة وتنمية أحوالها. وقد أكدوا على أن ذلك حاجة فطرية، وضرورة واقعية، وأن حرمان المرأة من هذا الحق، يسيء إليها وينقص من كرامتها، ويهدر طاقات خلاقة في المجتمع يمكن أن تساهم في بنائه وتقدمه، ويشهد بذلك مواقف لنساء خالدات من السلف في كافات المجالات، وهذا بخلاف الفقه المحافظ الذي يدعو أصحابه إلى تجنب المرأة لمخالطة الرجال، وحمايتها من أخطار الاختلاط، وإلى تخصصها بأعمال البيت وتربية الأبناء، والمسارعة إلى تزويجها.

وهذا الرأي لم يصمد أمام تطورات الواقع، فقد تعاظم دور المرأة في حقول العلم والفن والمهن، جراء تأثير الغرب، إضافة إلى انهيار المبادئ الأخلاقية التي زادت حدتها حتى زماننا المعاصر، وظهر أثارها السلبية على الأسرة، والحل لعلاج ذلك الإشكال هو إعادة القيمة والاعتبار للجانب الأخلاقي، والأخذ بتعاليم الشريعة الإسلامية وأحكامها الوسطية، فذلك أكبر ضامن للنهوض بالمرأة والأسرة والمجتمع في عصرنا.

ولعل أبرز ما يستوقف الناظر في هذه الدعوة، ما نلمسه من مناداة صريحة إلى الأخذ بمبدأ وقيمة المساواة بين المرأة والرجل في العمل، وهذا يدل على أن الفكر الإسلامي الحديث، والنظر الفقهي المعاصر بين أن حق المرأة في العمل - الذي تحفظ فيه فطرتها وكرامتها - إسوة بالرجل مطلب شرعي سبق فيه الإسلام الدعوات النسوية الحديثة والاتفاقيات الدولية في هذا المجال، وهذه الأخيرة لا يمكن قبولها على عواهنها بالنظر إلى

1. ينظر: علال الفاسي، النقد الذاتي، المطبعة العالمية، القاهرة، ط1، 1952م، (ص263).

خلفياتها التي تتطلب تمحيصا وتدقيقا ونقدا قبل قبولها والعمل بها [1].

فالمحرك الرئيسي والقوى الدافعة للمؤتمرات النسوية للأمم المتحدة والتي تصيغ وثائقها وتبلور قراراتها الخاصة بالمرأة هي الحركة النسوية النوعية الناشط الأساسي في منظمة النساء للبيئة والتنمية. فقد كان للحركة النسوية الراديكالية دور واضح وخطير ومهم في صياغة برنامج العمل لمؤتمر المرأة في بيكين والذي عقد في سبتمبر 1995م، والوثيقة نتاج جهد مضن لحركة ذات نفوذ وأفكار جذرية وتابعات لا حصر لهن ومؤيدات لها، وتدعمها منظمات نسائية وممولون وسياسيون ذوي قوى مؤثرة، يروجون فلسفة الحركة ويعملون على تنفيذ برامج عملها بكل ثقلهم ونفوذهم[2].

المطلب الثالث: مقوم السلام والعدل.

أَسَّسَ النبي ﷺ المجتمع الإسلامي وبنى الدولة المدنية على أسس قويمة، كان من أبرزها؛ السلم والعدل، فقد أكد دستور المدينة على ضرورة توفير السلم والأمن وضمان العدالة لجميع سكان المدينة سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين؛ لأن ذلك وسيلة لتنمية المجتمع وتحقيق ازدهاره.

ومن نماذج العدالة في السنة النبوية قصة المرأة المخزومية التي تبين حرص النبي ﷺ على تطبيق العدالة في القضاء وتطبيق الأحكام الشرعية على الجناة دون محاباة، فعن عَنْ عَائِشَةَ، (رضي الله عنها): أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ المَرْأَةُ المَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ" ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ

1. ومن ذلك دراسة المفاهيم المستجدة في هذا الباب، مثل: مقاربة النوع الاجتماعي التي تستبعد أساس الفوارق الجنسية البيولوجية بين الجنسين، وتستند على دراسة الواقع الاجتماعي والسياسي محاولة تحليل العلاقات والأدوار والمعوقات لكل من الرجل والمرأة، واعتبار الدور الذي يقوم به أي من النوعين هو نتاج سلوك مكتسب، وعلى هذا السلوك تتحدد العلاقات والأدوار التي يقوم بها كل من الذكر والأنثى، ولا شك أن دور كل نوع يتأثر بالبيئة الاجتماعية والثقافية، والجغرافية والاقتصادية والسياسية. ولأجل النهوض بوضعية المرأة تفعيلا لخطة عمل قمة بيكين (1995م)؛ أصبحت التوجهات الهادفة لإدماج مقاربة النوع الاجتماعي في سياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية جزءا لا يتجزأ من أغلبية الاستراتيجيات المعمول بها في كل أنحاء العالم المتقدم رغم وجود تفاوت بين البلدان العربية في هذا المجال.
2. رشا عمر الدسوقي، مجله المسلم المعاصر العدد 131 السنة الثالثة والثلاثون «الأسرة المسلمة بين الاتفاقات الدولية والمقاصد العليا للشريعة»، (ص216-215).

مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا"[1].

وقد جاء في ديباجة الهدف 16 من تقرير التنمية العربية لسنة 2020م، "التشجيع على إقامة مجتمعات مسالمة لا يُهمَّش فيها أحد من أجل تحقيق التنمية المستدامة، وإتاحة إمكانية وصول الجميع إلى العدالة، وبناء مؤسسات فعالة وخاضعة للمساءلة وشاملة للجميع على جميع المستويات[2]"

فلا شك أن غياب السلم والعدالة الاجتماعية وتفشي النزاعات والحروب، وسياد الظلم والفساد يقف عائقا أما تحقيق التنمية المستدامة.

ووضع التقرير لهذا الهدف 16 مقصد، منها:

- الحد بدرجة كبيرة من جميع أشكال العنف وما يتّصل به من معدلات الوفيّات في كل مكان.
- إنهاء إساءة معاملة الأطفال واستغلالهم والاتجار بهم وتعذيبهم وسائر أشكال العنف المرتكب ضدّهم[3].

إن واقع النزاعات والصراعات والحروب التي تعرفها بعض المناطق العربية وأثرها في وقوع الوفيات، والنزوح الجماعي، وتفشي المجاعات، .... يخالف طبيعة الهدي النبوي الذي هدف إلى إقامة مجتمع يسوده السلم والأمن بين مختلف العناصر، بالرغم من تنوع الأعراق والأجناس واختلاف الديانات، وقد تضمن وثيقة المدينة جملة من البنود التي تهدف إلى حفظ السلم والأمن الاجتماعي، وضمان الأمن.

وقد استطاع النبي ﷺ بتطبيق بنود الوثيقة أن يغرس قيم السلم والتعايش في مجتمع المدينة المنورة، والتي كانت في الماضي ساحة معارك وحروب طويلة بين الأوس والخزرج، وقد وظف لذلك منهجا محكما ومتكاملا، من أبرز معالمه المساواة في الحقوق

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان (6/2491) حديث رقم (6406).
2. تقرير التنمية العربية لسنة، 2020م، (ص202).
3. المصدر السابق (ص210-209).

والواجبات بين المسلمين وغيرهم، ويتمتع الجميع بمختلف الحقوق وحماية مصالحهم.

فكان ذلك أساسا لإحلال السلم الاجتماعي وتحقيق التماسك بين أفراد المجتمع، والتسامح الديني والعدالة الاجتماعية التضامن.

ومن مقاصد تحقيق هذا الهدف:

- تعزيز سيادة القانون على الصعيدين الوطني والدولي وضمان تكافؤ فرص وصول الجميع إلى العدالة.
- الحد بقدر كبير من التدفّقات غير المشروعة للأموال والأسلحة، وتعزيز استرداد الأصول المسروقة وإعادتها ومكافحة جميع أشكال الجريمة المنظمة، بحلول عام 2030.
- الحد بدرجة كبيرة من الفساد والرشوة بجميع أشكالهما.
- إنشاء مؤسسات فعالة وشفّافة وخاضعة للمساءلة على جميع المستويات.

ضمان اتخاذ القرارات على نحو مستجيب للاحتياجات وشامل للجميع وتشاركي وتمثيلي على جميع المستويات[1].

إن هذه المقاصد توقفنا على جملة من القضايا الجوهرية في ترسيخ قيم السلم والعدل في المجتمع، نقف فيما يلي على بعضها، ومنها:

- قضية النزاهة والأمانة في أداء المسؤولية، وتجنب الفساد المالي وغيره، ومراقبة الموظفين والمسؤولين ومحاسبتهم، حفاظا على مصالح الناس وحقوقهم، وتحقيق للازدهار والتنمية، وذلك بالتحذير من آفة الرشوة فعَنْ عَبْدِ اللَّهِّ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) قَالَ: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِّ ﷺ الرَّاشِيَ وَالمُرْتَشِيَ"[2]، فالنبي ﷺ كان حريصًا على التوجيه والتربية الإيمانية؛ ولذلك حذر من يتعرض لأموال الناس وحقوقهم بالباطل بغضب الله ولعنته، وتوعده بالعقاب الآخروي، وكان ينبه على ضرورة استحضار مراقبة الله سبحانه في كل قول وفعل، إضافة

1. تقرير التنمية العربية لسنة، 2020م، (ص211-210).
2. أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الأحكام، باب ما جاء في الراشي والمرتشي في الحكم (3/615) حديث رقم (1337)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

إلى حرصه على مراقبة العمال، فعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ (رضي الله عنه)، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَسْدِ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ - قَالَ عَمْرٌو: وَابْنُ أَبِي عُمَرَ - عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا لِي، أُهْدِيَ لِي، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: "مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ، أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ، حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٌ تَيْعِرُ"، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "اللهُمَّ، هَلْ بَلَّغْتُ؟" مَرَّتَيْنِ[1].

- قضية المشاركة في الشأن العام والاجتهاد في حل الإشكالات والنوازل: فقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه، وكان بعض الصحابة مثل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يعتمد منهجية الاجتهاد الاجتماعي.، فكان الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة يتشاورون في أمور دينهم. قال ابن العربي: "فأما الصحابة بعد استئثار الله به علينا فكانوا يتشاورون في الأحكام، ويستنبطونها من الكتاب والسنة"[2].

ومن أهمية الاجتهاد الجماعي أيضا: "أنه يحقق مبدأ الشورى في الاجتهاد، كما أنه يكون أكثر دقة وإصابة من الاجتهاد الفردي..."[3].

وهذه المشاركة في الشأن العام سواء في مجال الفتوى والقضاء والحكم من مداخل التنمية السياسية، ففي العصر الحديث أكد مجموعة من الباحثين في قضايا التنمية السياسية على ضرورة توفر مجموعة من الخصائص السياسية، على غرار: المؤسسة، الاندماج والشرعية، باعتبارها شرطا أساس وضروريا في عملية قياس التنمية السياسية في

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال (3/1463) حديث رقم (1832-26).
2. أبوبكر بن العربي، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م، (4/92).
3. انظر: عبد المجيد السوسوة الشرفي الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1998م، (ص77) - ومن نماذج أخذ الصحابة بمبدأ الشورى والاجتهاد الجماعي، - خصوصا في القضايا البارزة والشائكة، وما يستجد من الأمور. قبول عمر لمشورة أصحابه في قصته مع عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب لما قفلا من العراق، الإمام مالك، الموطأ، رواية أبي مصعب الزهري المدني (ت242هـ)، المحقق/بشار عواد معروف، محمود محمد خليل، طبعة مؤسسة الرسالة، ط1، 1991م، كتاب القراض، باب ما جاء في القراض (2/289) حديث رقم (2429).

أي مجتمع من العالم"[1]

ويوضح الأستاذ علال الفاسي أن الفكر الاساسي في السياسة اعتبار المصلحة العامة، وأن ذلك لا يمكن أن يتم عمليا إلا إذا أصبح خلق الاهتمام بسير الشؤون العامة والاستعلام عنها والتعليق عليها والتفكير فيها والنقد لها متيقظا حارسا في أغلب طبقات الأمة؛ لأن بذلك يتحقق وجود رأي عام كقوة يحسب لها حسابها، وهذا معنى سيادة الأمم التي لم تزل تنادي بها مختلف الدساتير العصرية.

وهذا المعنى الذي بينه الأستاذ علال الفاسي والذي ينطلق من مركزية الأمة في بناء وتسيير وتوجيه العملية السياسية هو نفسه الذي اعتمده في مشروع "الميثاق العربي" من أن الأمة هي صاحبة السلطة والحفيظة عليها؛ لأن السلطة كامنة في الأمة ومنها تصعد إلى أيدي الرؤساء وأولي الأمر، ومن حق الأمة وواجبها أن تظل حارسة على مواطن الاستعمال لما هو منها وإليها[2]. ومطالبة علال الفاسي (رحمه الله تعالى) بفعل سياسي لكل فرد في الأمة، أي سيطرة سياسية على السلطة الحاكمة وأفعالها، ويتسق ذلك على ما أكد عليه سابقا من المسؤولية التي تقع على عاتق كل فرد في الديمقراطية البرلمانية.

وما أشار إليه الأستاذ علال الفاسي الشروط الأساسية في التنمية السياسية عند مفكري الغرب، فالتنمية السياسية هي المشاركة السياسية، وهي بناء الديمقراطية"[3]، ومن أهم مؤشراتها: مشاركة الجماهير في صنع القرارات ديمقراطيا من خلال النظم البرلمانية، والمؤسسات الدستورية والقانونية.

وجاء في مقاصد هذا الهدف:

- توسيع وتعزيز مشاركة البلدان النامية في مؤسسات الحوكمة العالمية.
- توفير هوية قانونية للجميع، بما في ذلك تسجيل المواليد، بحلول عام 2030م.
- كفالة وصول الجمهور إلى المعلومات وحماية الحريات الأساسية، وفقًا للتشريعات الوطنية والاتفاقات الدولية.

---

1. زين العابدين دايلي - نبيل كريبش، التنمية السياسية كمدخل مفاهيمي معرفي، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد 13، العدد 01، (ص719-700) أبريل 2022م، (ص703).
2. علال الفاسي، النقد الذاتي (ص136).
3. زين العابدين دايلي - نبيل كريبش، التنمية السياسية (ص704).

توقفنا هذه المقاصد على جملة من الإشكالات المعاصرة في تدبير الشأن السياسي، ومنها الاستفادة من التجارب الغربية، ويحبذ الطهطاوي الاستفادة من ثروة أوروبا التشريعية "تلك الثروة التشريعية التي لا تخرج عن الأصول والأحكام التي قررتها شريعة الاسلام".

ويرى الإمام محمد عبده أن الوطنية تقتضي الحرية لا الاستبداد، مستندا إلى قول أحد الحكماء الفرنسيين، قال: "لا وطن مع الاستبداد" فذلك عنده سبيل الرقي الحضاري كما بلغه الفرنسيون وغيرهم.

وتحدث الإمام محمد عبده عن الحكم والتشاور فيه، مبينا أن الأمر في الشورى للوجوب، ودعا إلى موافقة أهل الكتاب إذا تبين قوام ما ذهبوا إليه من طرق الحكم التشاور اقتداء بالنبي ﷺ الذي يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به، وندب لنا أن نوافق في كيفية الشورى ومناصحة أولياء الأمر الأمم التي أخذت الواجب نقلا عنا، وأنشأت له نظاما مخصوصا.

لقد رأى الكواكبي أن سر تفوق أوروبا هو في حصولها على الحرية وتمكنها من إقامة الديمقراطية، لذلك دعا إلى الاسترشاد بتجربتها في إرساء قواعد الديمقراطية والشورى".

وهكذا فإن الكواكبي ينطلق في تفكيره من العقل حتى في انتقاء ما يأخذه من النقل، ناهيك عما يقتنع به من الأفكار القادمة من أوروبا أو من التراث، فلا يبدأ من مسّلمات منقولة من غير أن يشك في صحتها، ولوشكًا بسيطًا لا يرقى إلى الشك الديكارتي، وهو العقلانية هي التي هدته إلى انتقاء الآراء التي تؤنسن الإنسان، وتفحصها[1].

وهنا تظهر الحاجة الملحة إلى تجديد فهم الدين، والعودة إلى أصوله الصافية، والاجتهاد في تحقيق مقاصد الشريعة، والاستفادة من التجارب والمعارف المعاصرة بعد استيعابها وتمحيصها؛ فما أصاب المسلمين من خلل مرده بالأساس غياب الفهم الصحيح للدين، والبعد عن استحضار الجوانب الحضارية في الإسلام، والتي تروم تحقيق نهضة الأمة وشهودها الحضاري.

---

1. انظر: عبد المجيد السوسوة الشرفي الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1998م، (ص77) ومن نماذج أخذ الصحابة بمبدأ الشورى والاجتهاد الجماعي - خصوصًا في القضايا البارزة والشائكة، وما يستجد من الأمور - قبول عمر لمشورة أصحابه في قصته مع عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب لما قفلا من العراق، الإمام مالك، الموطأ، رواية أبي مصعب الزهري المدني (ت242هـ)، المحقق/ بشار عواد معروف، محمود محمد خليل، طبعة مؤسسة الرسالة، ط1، 1991م، كتاب القراض، باب ما جاء في القراض (2/289) حديث رقم (2429).

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة، تبينت أهمية البحث في موضوع التنمية الإنسانية المستدامة من خلال السنة النبوية الشريفة في مختلف الأبعاد الاجتماعية، فهو موضوع حيوي يفرض نفسه بقوة على الباحثين في مختلف التخصصات العلمية.

ويمكن إجمال أهم النتائج التي تم التوصل إليها في المسائل الآتية:

أولا: بخصوص معالم التنمية المستدامة في السنة النبوية: فقد تتبعنا بعض معالمها ذات البعد الاجتماعي في ثنايا تحليلنا للتقرير، ولاحظنا حضورها القوي، وذلك من خلال مقوم حفظ الصحة، ومقوم التعليم والثقافة، ومقوم السلام والعدل، لكون الشريعة الإسلامية جاءت لحفظ مصالح الناس في العاجل والآجل في جميع المجالات.

ثانيا: أما فيما يتعلق بإمكانية تحقيق التلاقح، فالمتأمل للنتيجة الأولى يجد أن هاتين المنظومتين تتقاطعان في وحدة الموضوع، وهو الدفع بسبل نماء الإنسان، لهذا فالوصل بينهما أمر حتمي، يفرضه قانون التراكم المعرفي، خدمة للمشترك الإنساني.

ثالثا: أما إفادة السنة النبوية لهذا التقرير، ولمفهوم التنمية المستدامة بصفة عامة، وبما أن السنة النبوية احتوت على كثير من التوجيهات المعينة على تحقيق التنمية المستدامة، فوردت كثير من الأحاديث المؤسسة للتنمية المستدامة في الميدان الاجتماعي بجميع أبعاده، فإن الهدايات النبوية قادرة على الدفع بعجلة التنمية المستدامة، وتوجيه مسار التنمية وتقويم أوجه النقص والخلل فيه، بحكم مصدرها الرباني، ومقاصدها السامية، وطابعها المعياري، والأخلاقي.

رابعا: فإذا كان تقرير التنمية المستدامة يشخص الواقع بمعطيات وأرقام موضوعية إلى حد ما، فإن فائدته تتجلى في تحديد أوجه القصور في تدخلات الجهات المعنية لتنمية الإنسان، مما يستدعي مضاعفة المجهودات، والانفتاح على المناهج العلمية والمعارف المعاصرة وغيرها من المفاهيم الإنسانية، مع ضرورة التنبه واليقظة إلى مقاصدها عند التنزيل على أرض الواقع، فقد تحتوي على إحالات فلسفية مادية ووضعية متطرفة تخالف التوجيهات الشرعية، كالمغالاة في التربية المادية للأبناء، والمناداة بالحرية المطلقة للأفراد، والبعد عن العناية بالجانب الديني والأخلاقي.

ومن التوصيات التي يمكن تقديمها في الموضوع:

- الدعوة إلى مزيد من العناية بمثل بهذه الموضوعات المعاصرة التي تبرز عالمية الرسالة الإسلامية، وتنوع خصائصها التشريعية، ومواكبتها للمستجدات، وقدرتها على التجدد سواء في الوسائل أو في الفروع، شريطة موافقه الأصول والضوابط المقررة.

- ضرورة إجراء دراسات تمزج بين الجانب النظري والمعطيات الواقعية والميدانية الدقيقة، وتوفير الدعم اللازم؛ لأن ذلك سبيل التنزيل العملي للهدايات النبوية لتحقيق التنمية المستدامة.

- الدعوة إلى عقد مؤتمرات لتعميق النقاش ومدارسة قضايا التنمية المستدامة وآفاق تنزيل معطياتها وحصد ثمارها في البلدان العربية.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- أبعاد التنمية المستدامة وعلاقتها ببناء الإنسان في السنة النبوية، لعبد الرحيم أبو طاهر سعد، مقالة نشرت في مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثامن عشر بعد المائة، ص51 ـ 74. 2024م.
- الاتجاهات الحديثة في الخدمة الاجتماعية: ماهر أبو المعاطي علي، المكتب الجامعي الحديث، 2010م.
- الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي، للدكتور: عبد المجيد السوسوة الشرفي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1998م.
- الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم (ت287هـ) المحقق/ د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض ط1، 1990م.
- أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م.
- الأدب المفرد، الجامع للآداب النبوية، الإمام البخاري، بتخريجات وتعليقات ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط2، 2000م.
- الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي/ التمدن والحضارة والعمران، مكتبة الأسرة، د. ط، 2010م.
- الأعمال الكاملة: الإمام الشيخ محمد عبدة، دار الشروق، ط1، 1993م.
- أعمال الكواكبي غير الكاملة، الدكتور محمد جمال طحان، بدون تاريخ.
- تجاوز الذات لدى المعلمات الأرامل، مجلة ديالي، نور جبار علي، العدد السادس والستون، كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالي، العراق، 2015م.

- تجديد الفقه ونصوص أخرى، محمد بن الحسن الحجوي، تقديم سعيد بن سعيد العلوي، دار الكتاب المصري القاهرة، مكتبة الإسكندرية، ط1، 2014م.
- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت774ه)، وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
- التقرير العربي للتنمية المستدامة، الصيغة العربية المنشور في موقع منظمة الاسكوا. 2020م.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، المزي (ت742ه)، المحقق/ د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980م.
- توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر بن صالح، مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب، ط1، 1995م.
- الجامع الصحيح المختصر، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، المحقق/ د. مصطفى ديب البغا، أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة، جامعة دمشق. ط5، 1993م.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، المحقق/ أحمد محمد شاكر وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م.
- الحماية الدولية لحقوق المرأة دراسة مقارنة بأحكام الشريعة الإسلامية، د/ منتصر سعيد حمودة، الجامعة الجديدة الإسكندرية، 2007م.
- ديوان حافظ إبراهيم، حافظ إبراهيم، دار صادر بيروت، لبنان، ط2، 2002م.
- ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، د. محمد عبد القادر الفقي، الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث الشريف حول: القيم الحضارية في السنة النبوية الأمانة العامة لندوة الحديث. عقدت في رحاب كلية الدراسات

الإسلامية والعربية بدبي 7-4 ربيع الآخر 1428 هـ الموافق 25-22 أبريل 2007م.

- السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي: عبد القادر بن حبيب الله السندي، الناشر: الجامعة.

- سنن ابن ماجه، لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (ت273هـ)، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي (بدون).

- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) المحقق/ مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، عام النشر: 1976م.

- صحيح ابن حبان: التقاسيم والأنواع، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت739هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م.

- علوم الحديث ومصطلحه، عرضٌ ودراسة: د. صبحي إبراهيم الصالح (ت1407هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 1984م.

- عن مفهوم التنمية وسياق تداوله في المحافل الدولية، أكاديمية نماء، مقالات اجتماعية، ديسمبر، 10 ديسمبر، 2022م.

- فقه النوازل في سوس قضايا وأعلام للحسن العبادي، منشورات كلية الشريعة جامعة القرويين، ط1، 1999م. وأصله رسالة لنيل دكتوراه الدولة نوقشت بدار الحديث الحسنية، 1994م.

- قواعد التحديث، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت1332هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- مجلة المسلم المعاصر، العدد 131، السنة الثالثة والثلاثون، شوال ذو القعدة ذو الحجة 1429 هجرية يناير فبراير مارس 2009م.

- المرأة الجديدة، قاسم أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2011م.
- المستدرك على الصحيحين الحاكم النيسابوري، المحقق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.
- المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت505هـ) المحقق/ محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1993م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ)، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت261هـ)، المحقق/: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1955م).
- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت360هـ)، المحقق/ طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت395هـ)، المحقق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
- مفهوم التنمية وسياق تداوله في المحافل الدولية، إسماعيل الراجي، مقالات اجتماعية، 10 ديسمبر 2022م.
- مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية: رفاعة رافع الطهطاوي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م.
- المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي الأندلسي (ت474هـ)، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ط1، 1913هـ.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1973م.
- الموافقات في أصول الفقه: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، المحقق/ عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.
- الموطأ، للإمام مالك (ت179هـ)، رواية أبي مصعب الزهري المدني (ت242هـ)، المحقق/ بشار عواد معروف، محمود محمد خليل، مؤسسة الرسالة، ط1، 1991هـ.
- النقد الذاتي، علال الفاسي، المطبعة العالمية القاهرة، ط1، 1952م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير (ت606هـ)، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م.

التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية التجليات وسبل التفعيل

د. محمد بن عبد الواحد اصبيحي

جامعة الحسن الثاني – المغرب

ملخص

يتناول هذا البحث بالتحليل والبيان عناية السنة النبوية بالتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي، من خلال النظر في الأحاديث النبوية الصحيحة التي عنيت بقضايا التنمية الاجتماعية؛ للإجابة عن سؤال محوري هو: هل نجد في السنة النبوية ما يمكننا من حل مشكلاتنا الاجتماعية، وتوفير واجباتنا الوقتية، ومتطلبات أجيالنا المستقبلية في مختلف القضايا الاجتماعية؟

ونروم من البحث عن الجواب جملة أهداف أهمها: خدمة السنة النبوية باستنطاق نصوصها، وتحليل مقاصدها، وتجديد النظر فيها، وإبراز مكانة السنة النبوية في تحقيق مصالح المعاش والمعاد ودرء مفاسدهما، وقدرتها على تقديم إجابات شافيات كافيات في مواجهة التحديات العمرانية، وحل المشكلات الاجتماعية في الحاضر والمستقبل، والتأصيل للتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي من خلال السنة النبوية وإبراز تجلياتها وسبل تفعيلها في واقعنا المعاصر، والإسهام في تطوير البحث العلمي بما يمكنه من إسعاد الفرد والأسرة والمجتمع والإنسان كل الإنسان، والكشف عن مسؤوليات الأفراد والمؤسسات في تنمية حاجيات المجتمعات حاضرا ومستقبلا.

الكلمات المفاتيح: التنمية المستدامة – التنمية الاجتماعية - المجال الاجتماعي - السنة النبوية – الحاجيات – سبل تفعيل التنمية.

Abstract

This research analyzes and explains the concern of the Sunnah of the Prophet for sustainable development in the social field, through the study of the authentic hadiths of the Prophet that dealt with the themes of social development. To answer a crucial question: Do we find in the Sunnah of the Prophet what will help us solve our social problems, meet our present needs and meet the demands of the social affairs of our future generations?

The most important objectives of our research for the answer are: paying attention to the Sunnah of the Prophet by studying its texts, analyzing its meanings, emphasizing the status of the Sunnah of the Prophet in achieving the benefits of this world and the hereafter, and its ability to provide answers to the challenges of human society, solve present and future social problems and lay the foundations for sustainable development in the social field. Through the Sunnah of the Prophet, and by proposing mechanisms to activate it in the current context of society, and by contributing to the development of scientific research in a way that achieves the happiness of the individual, the family, society and humanity, and by revealing the responsibilities of individuals and institutions in developing the needs of societies, present and future.

Keywords: Sustainable development - social development - social field - Sunnah - needs - mechanisms for activating development.

المقدمة

الحمد لله الخبير العلام، ذي الجلال والإكرام، والطول والإنعام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، ورضي الله عن الصحب والتابعين والأئمة الكرام.

أما بعد؛

فقد أكرمنا الوهاب بخير كتاب أنزل، وأفضل نبي أرسل، تلا الآيات، وعلم الأمة الكتاب والحكمة، وزكى النفوس تحلية وتخلية، وتصفية وترقية.

ومن خصائص الوحي - كتابا وسنة- شموليته لأحكام الفرد والجماعة، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وهدايته الخلق إلى الحق، وأمُّ مقاصده حفظ مصالح الدين والدنيا، ودرء مفاسدهما.

ومن المقاصد التي رعتها السنة النبوية تبعا للقرآن الكريم التنمية المستدامة باعتبارها شرطا أساسا لتحقيق الحياة الطيبة في الأولى ونيل العيشة الراضية في الأخرى؛ وقد عقد مركز بحوث السنة النبوية بجامعة الوصل دبي مشكورا مأجورا بإذن الله العزمَ على تنظيم الندوة الدولية الموسومة ب «التنمية المستدامة في السنة النبوية واقع وآفاق»؛ خدمة للسنة النبوية العطرة، وإسهاما في الارتقاء بالمجتمع المعاصر، وتلبيةِ حاجياته، واستدامة نظامه وتوازنه، مع مراعاة المستقبل ومتطلباته وآفاقه.

وتأتي هذه الورقة إثراء للموضوع، وصلة لرحم العلم؛ لتكون لبنة مجاورة لبحوث أُخَر؛ تحقيقا لمقاصد الندوة، واصطفيت لها عنوان "**التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي في السنة النبوية التجليات وسبل التفعيل**".

وتتمثل **إشكالية البحث** في مدى عناية السنة النبوية بالتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي، وهل نجد فيها ما يمكننا من تلبية واجباتنا الوقتية، ومتطلبات أجيالنا المستقبلية في المجالات الاجتماعية؟

وسننطلق من **فرضية** أن السنة النبوية عُنيت عناية فضلى بالمجال الاجتماعي بما يمكن من تحقيق تنمية مستدامة لا للمجتمع النبوي فحسب، ولكن لجيل عصر النبوة والعصور اللاحقة.

ونروم من التحقق من هذه الفرضية والإجابة عن تلكم الإشكالية بلوغ **مرام** أهمها:

- خدمة السنة النبوية باستنطاق نصوصها، وتحليل مقاصدها، وتجديد النظر فيها.

- إبراز مكانة السنة النبوية في تحقيق مصالح المعاش والمعاد ودرء مفاسدهما، وقدرتها على تقديم إجابات شافيات كافيات في مواجهة التحديات العمرانية، وحل المشكلات الاجتماعية في الحاضر والمستقبل.

- التأصيل للتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي من خلال السنة النبوية وإبراز تجلياتها وسبل تفعيلها في واقعنا المعاصر.

- الإسهام في تطوير البحث العلمي بما يمكنه من إسعاد الفرد والأسرة والمجتمع والإنسان كل الإنسان.

- الإعـراب – استنادا إلى السنة النبوية- عن مسؤوليات الأفـراد والمؤسسات في تنمية حاجيات المجتمعات حاضرا ومستقبلا.

وبتأمل الأهداف المذكورات تتضح لنا أهمية الموضوع المصطفى وجدواه، فمناطه التنمية المستدامة وهي من الواجبات الوقتية والمشاريع الأممية التي يطمح إليها الأفراد والشعوب والأمم؛ علَّ دائرة الحرج والضيق والتعاسة والآلام تضيق؛ فتتسع دائرة السعة والسعادة والهناء.

ومورد البحث السنةُ النبوية وهي –بالإضافة إلى كونها المصدر الثاني من مصادر التشريع- الشارحة المبينة لآي القرآن ومقاصده وأحكامه.

ومجال البحث هو المجال الاجتماعي، وأحسب أن تنميته رأس التنمية المستدامة وذروة سنامها، فهو غاية الغايات والتنمية الاقتصادية والبيئية له كالأدوات.

وقد بحثت فيمن تناول الموضوع؛ فألفيت بعضه أعم من بحثي موردا أو مجالا، وبعضه أخص من وجه وأعم من آخر، وبعضه عني بالتنمية الاقتصادية أو البيئية وليس بالتنمية الاجتماعية، ومن الإنتاجات العلمية التي طالتها يدي:

- كتاب "مستقبلنا المشترك" الذي أعدته اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، وترجمه محمد كامل عارف، وراجعه علي حسين حجاج. وهذا يعرض التنمية المستدامة واقعا وتحديات، وحلولا، وتأطيرا قانونيا دون ربطه بالوحي كتابا وسنة.

- كتب وبحوث عنيت بتقديم نظرة إسلامية شاملة للتنمية البشرية عموما أو لبعض فروعها، وفق اجتهاد أصحابها ككتاب "المنظور الإسلامي للتنمية البشرية" لأسامة عبد المجيد العاني، وكتاب "الإسلام والتنمية الاجتماعية" لمحسن عبد الحميد.

- بحوث اهتمت بالتنمية المستدامة أو البشرية في السنة النبوية، ومنها أطروحة "التنمية المستدامة في السنة النبوية دراسة تأصيلية" لبكر عبد الله عواد الخرمان، وبحث ماجستير موسوم ب "التنمية البشرية في السنة النبوية" للباحثة سماح طه أحمد الغندور، وبحث "دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة" لعادل راشد مناحي الدماك.

- بحوث عُنيت بالتنمية الاقتصادية أو البيئية في السنة النبوية، كبحث «التنمية الاقتصادية في السنة النبوية لضياء محمد محمود المشهداني، وبحث «التنمية الاقتصادية في الهدي النبوي لإلهام بدر الجابري، وبحث «آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية» لبكر عبد الله الخرمان.

وهذه البحوث والدراسات لم نجد من ضمنها بحثا خاصا بالتنمية الاجتماعية في السنة النبوية؛ فيكون بحثي إضافة للسابق، وتتميما للناقص، وجمعا للمتناثر، مع الاختلاف الذي سيلحظه الناظر في وجهة البناء وصبغة التحليل، وسوق النماذج وربطها بالتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي. دون أن نغفل الاعتراف بالفضل لمن سبقنا، ونثبت إفادتنا واستمدادنا منهم ما يخدم مقصود بحثنا.

ولتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الورقة اعتمدت خطة قوامها **مقدمة** تشمل تأطير البحث، وإشكاليته، وفرضيته، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة فيه، وجديده، وخطته، ومنهجه.

ويلي المقدمةَ مدخل مختصر نعرف فيه مفاهيم العنوان.

وعطفت على المدخل مبحثين؛ الأول حررت فيه عناية السنة النبوية بمحاربة الفقر والجوع، وتحقيقِ الأمن الغذائي من حيث التجليات وسبل التفعيل، والثاني: حررت فيه

عناية السنة النبوية بالتنمية المستدامة في الصحة والتعليم من حيث التجليات وسبل التفعيل.

وقد بينت – في المدخل- وجه انتماء تلكم القضايا إلى المجال الاجتماعي، وسبب اقتصارنا عليها.

ويلي المبحثَ الثاني خاتمة أضمنها نتائج البحث وتوصياته.

واعتمدت **المنهج** القمن بتحقيق ما نصبو إليه وهو المنهج التحليلي المتمثل في النظر فيما لا يسع إغفاله من نصوص السنة النبوية المنوطة بالتنمية المستدامة في المجال الاجتماعي، وإعمال النظر في أحكامها، وحِكمها، ومقاصدها، وكيف تثمر تنمية اجتماعية مستدامة بحسن تنزيلها في المجتمع المعاصر؟

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

مدخل

ينتظم الموضوع ثلاثة مفاهيم أسس؛ الأول: مفهوم التنمية المستدامة، والثاني: مفهوم المجال الاجتماعي، والثالث: مفهوم السنة النبوية. وأحسب حسن التصور يستدعي الافتتاح بتقريبها وبيان المراد منها، وذلكم ما سيعرب عنه هذا المدخل بحول الله في أربعة عناصر:

أولا: مفهوم التنمية المستدامة:

التنمية المستدامة مركب وصفي يتألف من موصوف هو التنمية، ووصف هو المستدامة، ومدار التنمية في اللغة على "الرفع والزيادة والتذكية"[1].

والتنمية في الاصطلاح عرفت بتعاريف تفاوتت إحاطة ودقة، ولعل من أجودها قول الدكتور نبيل محمد السمالوطي: إنها "التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال عقيدة معينة؛ لتحقيق التغيير المستهدف بغية الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها"[2]، وبتأمل هذا التعريف يظهر أن التنمية مصطلح يدل على عمل جاد، مستبصر، مؤسس على حسن النظر وتصور التحديات والمشكلات؛ يُرام منه تذليل الصعوبات وحل المشكلات؛ لتحقيق ما يُرغب فيه اجتماعيا واقتصاديا. ولو أشير في التعريف إلى الأوضاع البيئية لكان أشمل، وأكثر استيعابا.

و"المستدامة" في اللغة اسم مفعول من فعل "استدام"، والألف والسين والتاء للطلب؛ فيكون معنى "المستدامة" التي يطلب دوامها، والدوام هو "الاستمرار والثبات، والسكون واللزوم والمواظبة والتأني"[3].

ولا يختلف معنى المستدامة حين نصف بها التنمية عن المعنى اللغوي؛ إذ تدل على المواظبة والثبات واللزوم، ويتأكد ذلك حين تقليب النظر في التعاريف الكثيرة «للتنمية

---

1. ينظر ابن فارس أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، المحقق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د. ط، 1979م، (5/479)، مادة (نمى).
2. نبيل السمالوطي، علم اجتماع التنمية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع (ص12).
3. ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (2/315)، مادة (دوم)، وابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، المحقق/ اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م، (12/213-219)، مادة (دوم).

المستدامة»، ومنها تعريف لجنة بريندتلاند التابعة للأمم المتحدة، حيث عرفت الاستدامة بأنها "التنمية التي تلبي حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجاتهم"[1]، فهذا التعريف ينبئ بأن التنمية المستدامة هي مجموع الخطط والعمليات العلمية المحكمة التي تمكننا من إصلاح الحاضر والارتقاء به، وتحقيق متطلباته، والدوام على ذلك؛ بما يمكن من الحفاظ على متطلبات المستقبل وحاجياته. والتنمية بهذا المعنى شاملة لحاجات مختلف الكائنات الحية، في شتى المجالات.

ثانيا: مفهوم المجال الاجتماعي:

المجال الاجتماعي مركب وصفي يتألف من موصوف هو المجال، ووصف هو الاجتماعي، والمجال في اللغة "موضع الجولان"[2]، و"الجولان والجول هو الدوران، والتطواف، والذهاب والمجيء"[3]، والمجال في الاصطلاح تختلف دلالته باختلاف ما وصف به، والذي يعنينا في هذا السياق هو المجال الاجتماعي، ونقصد به قضايا العمران البشري والاجتماع الإنساني، ومختلف التفاعلات والروابط والأنشطة المنوطة بالعلاقة بين الأفراد والمؤسسات والشعوب.

ثالثا: مفهوم التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي:

بتوظيف ما سلف في العنصرين الأول والثاني يمكن تصور التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي بأنها عمليات منظمة ومحكمة ومطردة تروم تطوير وتحسين قضايا العمران البشري والاجتماع الإنساني، وتجويد الأنشطة والعلاقات الاجتماعية والرفع منها؛ بما يمكن من تلبية حاجات الفرد والجماعة في الحاضر والمستقبل. وقد عُبِّر عن هذا المعنى بتعبيرات اختلف مبناها، وتقارب معناها، فذهب عبد الباسط محمد حسن، وإسماعيل

---

1. اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك، ترجمه محمد كامل عارف، وراجعه علي حسين حجاج، عالم المعرفة، د. ط، 1989م، (ص69). ولعل الترجمة المثبتة في موقع الأمم المتحدة أدق وأدل على المقصود، ونصها: "تعني (أي الاستدامة) تلبية حاجات الحاضر دون المساس بقدرات الأجيال المستقبلية على تلبية حاجاتها الخاصة"؛ ينظر الاستدامة، في موقع الأمم المتحدة، (من دون تاريخ نشر)، اطلع عليه في 04/11/2024م. رابط الموقع: https://www.un.org/ar/122274.
2. مرتضى الزبيدي محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق/ محمود محمد الطناحي، ومراجعة عبد السلام هارون، وزارة الإعلام بالكويت، 1993م، (28/253).
3. ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (1/495)، مادة (جول)، وابن منظور، لسان العرب (11/130-131)، مادة (جول).

حسن عبد الباري، ومحمد شفيق إلى أنها "عمليات تغير اجتماعي social change تلحق بالبناء الاجتماعي ووظائفه بغرض إشباع الحاجات الاجتماعية للفرد والجماعة"[1]، فهذا تعريف بالحد.

ورأى بعض الباحثين أن التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي أو ما يعبر عنه اختصارا بالتنمية الاجتماعية "تهدف إلى تطوير التفاعلات المجتمعية بين أطراف المجتمع: الفرد، الجماعة، المؤسسات الاجتماعية المختلفة، المنظمات الأهلية"[2]، وهذا تعريف بالهدف والثمرة.

وبناء على تصورنا لمفهوم التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي رأينا أنها غير محصورة في الروابط الاجتماعية كالإخاء، والعدالة والمساواة، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، وإعانة المحتاج... بل تتجاوزها إلى محاربة الظواهر الاجتماعية التي تعوق التنمية؛ ومن ثم اعتبرنا محاربة الفقر والجوع، وتحقيق الأمن الغذائي، والعناية بالصحة والتعليم من صميم التنمية الاجتماعية، وحاولنا التركيز في النصوص النبوية على المسؤولية المشتركة، وتفاعل كل مكونات المجتمع (أفراد، ومؤسسات، ومنظمات، وحكومات) في تطوير حاجيات الأفراد والجماعة إلى الغنى، والغذاء، والصحة، والتعليم، وربطنا هذه القضايا بالعدالة، والمساواة بين الجنسين، والتكافل الاجتماعي، والسلم الاجتماعي. وإنما لم نفرد هذه بالبيان؛ لضيق المقام، ولعل الله ييسر مناسبة أخرى فنتحدث عنها بالتفصيل.

هذا ولسنا بدعا في تصنيف محاربة الفقر والجوع وتحقيق الأمن الغذائي والعناية بالصحة والتعليم ضمن التنمية الاجتماعية؛ فالأمم المتحدة وضعت للتنمية سبعة عشر هدفا، مقسمة على ثلاثة مجالات (المجال الاجتماعي، والمجال الاقتصادي، والمجال البيئي)، وصنفت القضايا المذكورات ضمن التنمية الاجتماعية.[3]

وهذا مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية الذي عقد في كوبنهاجن سنة 1995،

---

1. مدحت أبو نصر وياسمين مدحت محمد، التنمية المستدامة مفهومها – أبعادها – مؤشراتها، القاهرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط1، 2017م، (ص94).
2. مركز الإنتاج الإعلامي بجامعة الملك عبد العزيز، التنمية المستدامة في الوطن العربي بين الواقع والمأمول، جدة، جامعة الملك عبد العزيز، 2006م، (ص21).
3. أهداف التنمية المستدامة، (بدون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 09-11-2024م، رابط الموقع: https://www.un.org.

وحضره أكثر من 14000 شخص، من بينهم مندوبو 186 دولة، و117 ممثلًا على مستوى رؤساء الدول أو الحكومات. تعهدت فيه الحكومات بجعل القضاء على الفقر، وهدف العمالة الكاملة وتعزيز التكامل الاجتماعي، هي الأهداف الأسمى للتنمية الاجتماعية.[1]

ومما جاء في التقرير العالمي للتعليم الذي أعدته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (UNISCO) "تؤدي التنمية الاجتماعية إلى تحسين رفاه الإنسان، وتعزز المساواة وتتوافق مع الديمقراطية والعدالة. والتعليم رافعة قوية لقدرات الإنسان وتمكينه، وجانب أساسي في التنمية الاجتماعية (...) ويرتبط قطاع التعليم ارتباطًا وثيقًا مع القطاعات الأخرى، وأهميته الكبيرة لها مثل أهمية الصحة والتغذية وموارد الطاقة له (...) تتطلب التنمية الاجتماعية الشاملة توفير الخدمات الحيوية للجميع مثل التعليم والصحة والمياه والصرف الصحي والطاقة والإسكان والنقل.."[2].

تلكم طائفة من الأطر المرجعية التي اعتمدناها في تصور مفهوم التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي، وهي تظهر بجلاء اجتماعية القضايا التي اصطفيناها، وقوة ترابطها، وما بينها من التأثير والتأثر.

رابعا: مفهوم السنة النبوية:

السنة النبوية مركب وصفي يتألف من موصوف هو (السنة)، ووصف هو (النبوية)، والسنة في اللغة تطلق على معان أشهرها وألصقها بموضوعنا "السيرة؛ قال الهذلي (هو خالد بن زهير):

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها

والسنة في الاصطلاح تختلف دلالتها؛ لاختلاف المجال المعرفي الذي توظف فيه؛ فتطلق على "الشريعة، وعلى أحد الأدلة الأربعة الشرعية، وهو ما صدر عن النبي ﷺ غير

1. مؤتمرات التنمية الاجتماعية (بدون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 01-02-2024م، رباط الموقع: https://www.un.org/ar/conferences/social-development/copenha-gen1995.
2. التقرير العالمي لرصد التعليم، (بدون تاريخ النشر)، موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اطلع عليه في 03-02-2025م، رابط الموقع: https://gem-report-2016.unesco.org/ar/chapter.

القرآن من قول أو فعل أو تقرير، وتطلق على ما ثبت بالسّنة، وعلى ما يعمّ النفل، وتطلق على الطريقة المسلوكة في الدين سواء كانت فرضا أو نفلا، وتطلق على الطريقة المسلوكة في الدين من غير وجوب ولا افتراض مما واظب عليه النبي ﷺ ولم يتركه إلا نادرا، وتطلق على نقيض البدعة"[1].

وحين نصف السنة بالنبوية فإننا نعني بها سنة النبي محمد ﷺ؛ فتسع عند المحدثين جميع ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو وصف أو هم، أو سيرة، وتختص عند الأصوليين بأقواله وأفعاله التي قصد بها التشريع، فيدخل فيها تقريره ﷺ[2].

ولأننا في مقام الهدي والتشريع فسنستثمر السنة النبوية في بحثنا هذا بالمعنى الأصولي. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الأول: عناية السنة النبوية بمحاربة الفقر والجوع وتحقيق الأمن الغذائي

لعل مشكلة الفقر والجوع وتدهور الأمن الغذائي من أقسى المشكلات الاجتماعية التي كان ولا يزال الأفراد والمجتمعات والدول يعانون من وطأتها، وإن إطلالة سريعة في الإحصائيات الرسمية تؤكد هول هذه المشكلة عالميا؛ ففي "عام 1980 كان هناك 340 مليون فرد في 87 بلدا ناميا لا يحصلون على ما يكفي من السعرات الحرارية للحيلولة دون إعاقة النمو والأخطار على الصحة"[3]، ولم يتجاوز إجمالي الدخل الفردي لستمائة وعشرة ملايين 610 مليون شخص يسكنون الدول ذات الدخل المنخفض - باستثناء الصين والهند - 190 دولارا في سنة 1984م.[4]

وإذا كانت التقارير تشير إلى انخفاض معدلات الفقر إلى النصف منذ سنة 2000م،

---

1. ينظر التهانوي محمد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، المحقق/ علي دحروج، ترجمة عبد الله الخالدي، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م، (1/979-983).
2. ينظر في التفريق بين الاصطلاحين: طاهر بن صالح الجزائري ثم الدمشقي، توجيه النظر إلى أصول الأثر، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1995م، (1/37).
3. اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك (ص51).
4. ينظر اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك (ص54).

فإنها تشير أيضا إلى أن جائحة كورونا يمكن أن تزيد الفقر العالمي ليصل نصف مليار شخص في العالم. وترتفع نسبة الفقر في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى حيث يعيش 42% من سكانها تحت خط الفقر، وفي عام 2016، لم يستفد 55 في المائة من سكان العالم - حوالي 4 مليارات شخص - من أي شكل من أشكال الحماية الاجتماعية.[1]

ومن التقارير الحديثة الصادمة تقرير أممي أنجزته خمس وكالات متخصصة، وأظهر هذا التقرير عن حالة الأمن الغذائي والتغذية في العالم أن نحو 733 مليون شخص عانوا من الجوع في عام 2023، وهو ما يعادل واحدا من بين كل 11 شخصا على مستوى العالم، وواحدا من بين كل خمسة أشخاص في أفريقيا، وأشار التقرير أيضا إلى أنه في السنة نفسها عانى نحو 2.33 مليار شخص حول العالم من انعدام الأمن الغذائي المعتدل أو الشديد، وهو عدد لم يتغير كثيرا منذ أن شهد ارتفاعا حادا في عام 2020م إبان جائحة كوفيد19-.[2]

وفي عالمنا العربي ما زال العجز عن تغطية الحاجات الاستهلاكية كبيرا؛ فبينما "لم يتجاوز معدل نمو الإنتاج الزراعي السنوي في الوطن العربي 2,5 % خلال السنوات 1970-1985م كان معدل نمو الطلب على المنتوجات الزراعية نحو 6% سنويا"[3].

وتعتبر مشكلة الجوع والفقر وانعدام أو تدهور الأمن الغذائي من أكبر معيقات التنمية؛ لأنها تؤدي إلى انتشار الجرائم، والحروب، والاعتداء على أرواح الناس وممتلكاتهم، وتردي الوضع الصحي وتهديد السلامة البيئية، فأكثر "الفقراء في العالم يعيشون في أحياء بائسة بدون مياه نقية ولا مرافق صحية؛ مما يجعلهم فريسة سهلة للأمراض، والاضطراب الدائم، وتعتمد معظم البلدان الفقيرة على منتجات الزراعة الاستوائية، أو/ ومشاريع اقتصادية تفاقم مديونيتها، وتجهد بيئتها"[4]، وتحول بينها وبين تحسين معيشة السواد الأعظم من شعبها، وتُعَسِّر تطوير مشاريعها التنموية، كما أنها تكرس تبعيتها وتحكم الآخر

1. ينظر قضايا عالمية: القضاء على الفقر، (من دون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 07/11/2024م. رابط الموقع https://www.un.org/ar/global-issues/ending-poverty.
2. ينظر تقرير أممي، 24 تموز/يوليه 2024، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في07/11/2024م، رابط الموقع https://news.un.org/ar/story/2024/07/1132831.
3. عارف دليلة وآخرون، دراسات في التنمية العربية الواقع والآفاق، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1998م، (ص363).
4. ينظر اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك (ص54-53). ومركز الإنتاج الإعلامي، التنمية المستدامة في الوطن العربي بين الواقع والمأمول (ص116).

في قراراتها.

ولا تنحصر الآثار السلبية للفقر والجوع وتدهور الأمن الغذائي فيما سلف، بل ثمة آثار أخرى لا تقل خطورة؛ كانتشار الأمراض النفسية والشعور باليأس والهدر المدرسي والتخلف المعرفي، والتفكك الأسري وارتفاع حالات الطلاق، والعزوف عن الزواج أو الإنجاب...

من أجل ذلك ألفينا السعي الحثيث من الحكومات والهيئات وكثير من الباحثين والخبراء إلى تخفيف حدة الفقر والجوع وتحسين الأمن الغذائي تنظيرا وتنزيلا.

وإسهاما منا في الموضوع رجعنا البصيرة والبصر وأجلنا الفكر والنظر في سنة النبي القدوة الأبر ﷺ؛ باعتبار سنته أصلا أصيلا صالحا لكل زمان ومكان وإنسان، وحلا لمشكلات عصره، والعصور التالية؛ فألفيناها حبلى بالوسائل التنموية الكفيلة بتضييق دائرة الفقر والجوع وتحقيق مستوى عال من الأمن الغذائي، والمطالب الآتيات شواهد مجليات:

المطلب الأول: الدعوة النبوية إلى العمل والتنفير من العطالة والتسول

يفتقر قطار التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي إلى فاعلية المجتمع، والحرص على العمل والكسب من عرق الجبين، ولعل العلاقة بين العمل والفقر ظاهرة؛ فكلما اتسعت معدلات السكان النشيطين المزاولين للعمل، وتقلصت معدلات البطالة ضاقت دائرة الفقر والعوز؛ ولذا جاء الترغيب النبوي في العمل والتنفير من امتهان التسول، وإذلال النفس بمد اليد إلى الغير، ومن شواهد ذلك ما رواه المقدام بن معدي كرب (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ، قال: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ"[1]؛ ففي هذا الحديث نفي يراد به تقرير "أن خير الكسب عمل اليد"[2]، وذكر الطعام في هذا الحديث من باب الخاص يراد به العموم؛ فيشمل الأكل والشرب واللباس والسكن، وسائر التكاليف المعيشية؛ فلا أفضل من أن تكون من كد العبد وسعيه، وعمل اليد يقاس عليه عمل سائر الجوارح؛ فيشمل في

1. أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، المحقق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2001م، (3/57) حديث رقم (2072).
2. ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1960م، (4/306).

نظري الزراعة، والصيد، والرعي، والتجارة والصناعة، وسائر الخدمات، وما يستجده الناس كالقطاع المالي والمصرفي... ولمزيد من التحفيز والإقناع ذكر النبي ﷺ مثلا فيمن كان قبلنا؛ فأخبر أن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده، والسبب في اصطفائه دون سائر الأنبياء أن "اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة؛ لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله تعالى، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل"[1]؛ فإذا كان نبي الله داود على استغنائه عن العمل حريصا على أن لا يأكل إلا من عمل يده فغيره أولى بالحرص عليه.

ومن الأحاديث المرغبة في العمل، والمرغبة عن التسول -أيضا- قوله ﷺ: "لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ"[2]، ومقصد هذا الحديث كسالفه هو بيان فضل العمل، وشرف أهله، وأن أي عمل يمتهنه الإنسان مهما صغرت قيمته في نظر الناس فهو أفضل من العطالة والبطالة وسؤال الناس. وفي الباب أحاديث كثيرة ليس غرضنا استقصاءها، ولكن تجلية العناية النبوية بإشاعة روح المبادرة إلى ما يُسِّر من العمل تضييقا لدائرة الفقر، واستجلابا للأمن الغذائي، وحفظا لكرامة الإنسان.

هذا وإن العمل الذي دعت إليه السنة النبوية ورتبت عليه أجرا أخرويا بالإضافة إلى الفائدة الدنيوية هو العمل الشريف النظيف؛ الذي يحقق مصلحة العامل وغيره ويسهم في استقامة أحوال الناس ولا يضاد قصد الشارع، وأما العمل الخبيث فقد حذرت السنة منه ودعت إلى نبذه؛ لمآلاته السيئة في العاجلة والآجلة؛ فكم غني افتقر بعد غنى، وكم صداقة استحالت عداوة، وكم يد انتهت إلى عطالة؛ وكم أخوة آلت إلى عداوة؛ بسبب عمل محرم كالمتاجرة في الخمر والمخدرات، أو تعاطي القمار، أو التعامل بالربا، أو الاحتكار...[3] ولعل من أوضح الأحاديث إيجابا للاقتصار على الكسب الطيب وتحذيرا من الكسب الخبيث قوله ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون: 51] وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾

1. المرجع نفسه، والموضع نفسه.
2. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (2/123) حديث رقم (1471).
3. ثبت عن النبي ﷺ أحاديث مستفيضة في تحريم تلك المعاملات، وتوعد صاحبها، والمقام لا يسمح بعرضها، وأحسب أن بعضها مشهور مذكور.

[البقرة: 172]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟"[1].
فهذا الحديث يلهمنا طريقين في العمل؛ الأول: طريق الكسب الطيب، وهو سبيل المرسلين وأتباعهم من المؤمنين الصادقين، وسالكه يغنم البركة في الرزق، وقبول الدعاء، والقرب من رب الأرض والسماء. والثاني: طريق الكسب الخبيث، وهو سبيل الغاوين المحجوبين عن رب العالمين فلا يقبل منهم صدقة ولا دعاء.

ومن تمام نظرنا -ونحن نرجع البصيرة والبصر ونقلب النظر- في النصوص الداعية إلى العمل الشريف، النابذة العطالةَ والعمل الخبيث أن نتجاوز قصرها على الأفراد؛ فحكمها يستوعب الحكومات والمؤسسات؛ فكما يوجد أفراد فقراء، توجد دول ومجتمعات فقيرة، وكما يطلب من الأفراد الإنتاج والعمل لتجاوز مشكلة الفقر؛ يطلب من الحكومات والمؤسسات التخطيط الرصين والسعي المكين إلى استثمار ما عندها من موارد بشرية وطبيعية؛ لتنمية إنتاجها، وتحقيق أمنها الغذائي.

المطلب الثاني: حسن التدبير ومحاربة الإسراف والتبذير

لم تُعنَ السنة النبوية بموارد الإنسان وكسبه فحسب، وإنما عُنيت -أيضا- بمصارفه ومواضع إنفاقه؛ فجاء الإخبار النبوي بأن الإنسان موقوف يوم القيامة ومسؤول عن مأخذ ماله ومصرفه؛ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ"[2].

وإنما النجاة يوم السؤال بأن يطيب مصدر المال، ويحسن إنفاقه، وحسنُ الإنفاق يقتضي تحاشي رذيلتين؛ أولاهما: الإسراف والثانية: التبذير، والفرق بينهما -على ما رجح لي- أن "الإسراف صرف الشيء فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي؛ بخلاف التبذير؛ فإنه صرف الشيء فيما لا ينبغي»[3].

---

1. أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (2/703) حديث رقم (1015).
2. أخرجه الترمذي في أبواب صفة يوم القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب في القيامة (4/612) حديث رقم (2417).
3. الشريف الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، المحقق/ جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب

إننا نعتقد أن مشكلة الناس أفرادا وأمما ليست في نقص أو فقر الموارد الطبيعية والثروات الغذائية، ولكن المشكلة بل المعضلة في كيفية إنفاقها وتوزيعها، وباعث هذا الاعتقاد منطوق القرآن، ومنطوق الواقع؛ فأما الأول فإن الله عز وجل أخبرنا بأنه خبير بصير بأحوال عباده، وأن له خزائن السموات والأرض، فيعطي العباد من خزائنه بمقدار حكيم دقيق يناسب احتياجهم؛ فقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: 21]، وقال تعالى: ﴿۞وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: 27]. وأما الواقع فإنه ملحوظ مشاهد ينبئ عن ظاهرة الإسراف والتبذير الفرديين والجماعيين؛ مما يعمق ويديم فقر وحرمان أفراد آخرين ودول أخرى، أو يهوي بالمسرف المبذر فردا كان أو دولة من الغنى إلى الفقر.

لقد جاءت السنة النبوية العطرة مؤكدة ما في القرآن الكريم؛ فنهت عن الإسراف والتبذير، والشواهد وفيرة ننتقي منها قول النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَّ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ"[1]، ففي هذا الحديث نهي عن إضاعة المال؛ وإضاعته تشمل تجاوز حد الاعتدال في الإنفاق كما تشمل إنفاق المال في وجه غير مرضي شرعا، ومن الأحاديث الصريحة في هذا الباب قول النبي ﷺ: "كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ"[2]؛ ففي هذا الحديث أمر النبي ﷺ أمر إباحة بالأكل والشرب واللباس والصدقة -وفي معنى المذكورات سائر وجوه الإنفاق المأذون فيها شرعا- شرط تحاشي الإسراف وبقياس الأولى تحاشي التبذير، والبعد عن المخيلة وهي "العجب والكِبر"[3].

وجماع الكلم في المطلبين السابقين أن السنة النبوية ضبطت مصدر المال كما ضبطت مصرفه موضعا وكما وكيفا، ومن مقاصد ذلك ذود الفقر والجوع عن الناس والحفاظ على أمنهم الغذائي.

العلمية، بيروت، ط2، 2003م، (ص28).

1. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: «لا يسألون الناس إلحافا» (2/124) حديث رقم (1477)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (3/1341) حديث رقم (593). واللفظ للبخاري.
2. ذكره البخاري معلقا بصيغة الجزم في كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: 32]، (7/140).
3. ينظر: ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث رقم والأثر، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م، (2/93).

المطلب الثالث: سَنُّ التكافل الاجتماعي

أباحت شريعتنا الغراء للإنسان أن يسعى لتنمية ممتلكاته، وتزكية ثروته، ولكنها في الوقت ذاته وضعت نظاما اجتماعيا واقتصاديا شاملا يحمي حقوق الفرد والجماعة، والقوي والضعيف، والصغير والكبير، والأثرياء الأغنياء والمحرومين الفقراء؛ فأوجبت لهؤلاء على أولئك حقا، وسنت التكافل الاجتماعي، وهو مفهوم شامل يعني مشاركة الكل في حفظ مصلحة الكل، و"أن يصير الفرد في كفالة مجتمعه؛ فيقوم له المجتمع بما يلزم عند اقتضاء الحال ذلك، وأن يقدم كل فرد قادر ما يمد المجتمع بالخير، ويحفظ كيانه، ويعلي بنيانه، ويرفع شأنه"[1]. وهو بهذا المعنى واسع جدا يغطي كل مجالات الحياة، ولكن لضيق المقام ومراعاة للسياق سنقتصر على صور منتقاة من السنة النبوية مما له تعلق بمحاربة الفقر والجوع وتحقيق الأمن الغذائي؛ **والصورة الأولى:** فريضة الزكاة التي عدها النبي ﷺ ركنا من أركان الدين؛ فقال: بني الإسلام على خمس: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ"[2]، وجعلها ثالث وظيفة لمعاذ (رضي الله عنه) لما بعثه إلى اليمن؛ فعن ابن عباس: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا (رضي الله عنه) إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: "ادْعُهُمْ إِلَى: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أطاعوه لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أطاعوه لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ"[3]، وهذا الحديث يظهر لنا العناية النبوية الواضحة بالتكافل؛ حيث أمر عليه الصلاة والسلام بتوزيع الزكاة على فقراء البلد نفسه، وفي ذلك إشارة إلى أنها لا تنقل إلى غيرهم حتى تتحقق الكفاية فيهم، وتسد خصاصتهم.

إن الزكاة باب عظيم من أبواب تحقيق التنمية الاجتماعية من جوانب شتى؛ وفيما يتعلق بسياق حديثنا فالزكاة متى أعطيت إلى الفقراء والمساكين والغارمين وابن السبيل تمكنوا -كلا أو بعضا- من تأمين غذائهم، وتوفير طعامهم ولباسهم ومسكنهم، وسائر

---

1. عبد العال أحمد عبد العال، التكافل الاجتماعي في الإسلام، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، (ص13).
2. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم (1/11) حديث رقم (8)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام (1/45) حديث رقم (16).
3. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (2/104) حديث رقم (1395)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (1/50-51) حديث رقم (19). واللفظ للبخاري.

حاجياتهم... وإذا كانت الزكاة مصحوبة بالتوجيه والمراقبة وحسن التسيير وجودة التدبير فإنها ستُخرج الفقراء كلا أو بعضا من دائرة العوز والحاجة إلى دائرة الغنى أو الكفاف بمشاريع نهضوية تدر عليهم أرباحا، وتلبي متطلبات عيشهم الكريم.

وفي الزكاة توفير فرص شغل للعاملين عليها، وإدماج للمؤلفة قلوبهم وإشعارهم بأنهم في كفالة المجتمع الإسلامي، وإذا فسرنا مصرف في سبيل الله بجميع المجالات الخيرية فلا يخفى أثرها في تحقيق مقصد التكافل الاجتماعي. وأما مصرف (الرقاب) فقد كان محققا معنى كفالة الأحرار للعبيد والإماء بإخراجهم من ربقة العبودية، ومن فضل الله علينا في زماننا أنه خِلو من الرقيق.

والزكاة من أفضل السبل لحماية أموال الأغنياء من النهب والسلب، والغصب، وسائر ألوان الاعتداء، كما أنها تقوي الروابط الاجتماعية؛ بإشاعة المحبة والتواد بين الأغنياء والمحتاجين، وتبعد شعور الكراهية، والبغضاء...

والصورة الثانية: الوقف، ويعني "حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة"[1]، وقد أرشد النبي ﷺ إليه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[2]؛ لما استشاره في الأرض التي أصابها بخيبر.[3]

وبيَّن ﷺ في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عظم أجره؛ فقال: "مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِيمَانًا بِاللَّهِ، وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[4]؛ وإنما كان أجره كذلك؛ لما يحققه من المقاصد الجليلة، وفي مقدمتها التكافل الاجتماعي، وتقوية الروابط بين أفراد المجتمع.

والصورة الثالثة: الصدقة الجارية، والعلاقة بينها وبين الوقف علاقة عموم وخصوص؛ فكل وقف صدقة جارية، ولا عكس؛ لأن الصدقة الجارية تستوعب كل صدقة "يجري نَفعهَا

---

1. الشريف الجرجاني، التعريفات ص253).
2. إرشاد النبي ﷺ لعمر إرشاد لغيره بالتبع؛ لأن الخطاب النبوي للواحد خطاب للجماعة إلا ما استثني بقرينة.
3. حديث عمر أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف (3/198-199) حديث رقم (2737)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوقف (3/1255) حديث رقم (1633-1632).
4. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرسا (4/28) حديث رقم (2853).

وأجرها ويدوم"[1]، وكلما استمر النفع والأثر بقي الثواب والأجر، وإن مات المتصدق، ودليل ذلك حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[2].

والصورة الرابعة: التأمين التعاوني، وهو من عقود التبرعات لا المعاوضات؛ ولذا اغتفر فيه الغرر والجهالة. ومعنى التأمين التكافلي "أن يتفق مجموعة من الأقارب، أو الأصدقاء، أو الزملاء على أن يدفع كل منهم اشتراكًا معينًا، لتعويض الأضرار التي قد تصيب أحدهم إذا تعرض لخطر معين من مرض، أو خسارة، أو احتراق"[3].

ويستمد التأمين التعاوني مشروعيته من عموم النصوص الداعية إلى التعاون؛ كقوله ﷺ: "وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"[4]، ومن الأحاديث الخاصة كقوله ﷺ: "إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ"[5]؛ فهذا الحديث يفتح باب التكافل التعاوني سواء بين الأفراد أو بين المؤسسات، بل يمكن تطبيقه أيضا بين الدول، وسواء كان الاشتراك موحدا أو متفاوتا؛ لتفاوت الدخل والقدرة المالية. ولا شك أن هذه الصورة من أرقى صور أجرأة مفهوم الجسد الواحد والبناء الواحد في العلاقات الاجتماعية.

وإذا كان النبي ﷺ قد أقر الأشعريين وأشاد بتأمينهم التعاوني في الطعام الذي جسد معنى الأمة الواحدة والجسد الواحد؛ فإننا نستطيع أن نطوره، ونجدد أساليبه؛ ليستجيب

---

1. القاضي عياض أبو الفضل بن موسى، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة، 1978م، (1/145).
2. أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (3/1255) حديث رقم (1631).
3. التويجري محمد بن إبراهيم، موسوعة الفقه الإسلامي، بيت الأفكار الدولية، السعودية، ط1، 2009م، (3/446).
4. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، (4/2074) حديث رقم (2699).
5. أخرجه البخاري في كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام (3/138) حديث رقم (2486)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (رضي الله عنهم)، باب من فضائل الأشعريين (رحمهم الله) (4/1944) حديث رقم (2500).

لما استجد من التحديات والواجبات الوقتية؛ كالتأمين على المرض، والسكن، والمركب، والولادة، والتعليم، والعجز عن العمل، وغير ذلك كثير؛ وبهذا نلبي مختلف حاجيات المجتمعات ومتطلبات رقيه.

والصورة الخامسة: الدعوة النبوية الملحاحة إلى إعانة المحتاج والضعيف بما يستطاع؛ ككفالة اليتيم والسعي على الأرملة والمسكين، وإنظار المعسر، وقضاء الحوائج، وإطعام الجائع، وقضاء الدين عن المدين... وفي ذلك أحاديث كثيرات واضحات، نقتصر منها على ثلاثة؛ الأول: قوله ﷺ: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا". وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبابةِ وَالْوُسْطَى"[1]، والثاني: قوله ﷺ: "السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ: كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ"[2]، والثالث: قول النبي ﷺ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"[3].

تلك صور خمس – لا ندعي إحاطتها بالمقصود- ناطقات بالمكانة السنية والمنزلة العلية التي تبوأها التكافل الاجتماعي في السنة النبوية؛ باعتباره مفتاحا لتضييق دائرة الفقر، وتقليص المسافة بين الأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، وتخفيض معدلات الجوع والحرمان، وتوفير الأمن الغذائي للأفراد والمجتمعات كما وكيفا، وترسيخ قيم المحبة والإخاء، والتراحم والتعاطف، وتمتين عرى التماسك والتعاون...

المطلب الرابع: الترغيب في الادخار، والترغيب عن الاحتكار

ثبت عن عمر (رضي الله عنه): "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَبِيعُ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَيَحْبِسُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ"[4]، وهذه سنة فعلية تشريعية إرشادية إلى أنه لا حرج على العبد في أن

1. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما (8/9) حديث رقم (6005).
2. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الساعي على الأرملة (8/9) حديث رقم (6006)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين (4/2286) حديث رقم (2982).
3. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (4/2074) حديث رقم (2699).
4. أخرجه البخاري في كتاب النفقات، باب حبس نفقة الرجل قوت سنة على أهله وكيف نفقات العيال؟ (7/63) حديث رقم (5357).

يدخر؛ قال الإمام ابن بطال (ت449هـ): "قال المهلب: في هذا الحديث دليل على جواز ادخار القوت للعالم للأهل والعيال، وأن ذلك لا يكون حكرة، وأن ما ضمه الإنسان من أرضه أو جَدَّه من نخله وثمره وحبسه لقوته لا يسمى حكرة، ولا خلاف في هذا بين الفقهاء"[1]. قلت: وفيه -أيضا- أن الادخار المذكور كان ديمة؛ بدلالة الفعل المضار (يحبس)، وفيه أن مجرد الادخار لا ينافي التوكل؛ لأن النبي ﷺ كان ولا يزال سيد المتوكلين، ومع ذلك كان يدخر قوت حَوْل كامل. ويقاس على ادخار التمر المذكور في الحديث ادخار سائر الأطعمة، وادخار الأموال العينية وغيرها؛ فليس ثمة فارق بينها.

وإذا كان الادخار محمودا في حق الأفراد فهو مطلوب من باب أولى في حق المؤسسات والحكومات؛ فلا بأس أن تدخر لوقت الشدة أو الحاجة؛ فقد ينعم بلد بعام غوث ورخاء، ثم يبتلى بسنة أو سني قحط وعناء؛ فإن لم يكن في خزائنها مدخرات افتقرت، وربما أصابتها مجاعة عامة.

وإذا كان النبي ﷺ قد أرشدنا إلى الادخار؛ باعتباره ملمحا لحسن التدبير والتخطيط، ووسيلة من وسائل درء الافتقار؛ فإنه نفَّر من الاحتكار؛ لما يسببه من أضرار وأخطار؛ فقال عليه الصلاة والسلام: "لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ"[2]؛ فهذا الحديث صريح في تحريم الاحتكار؛ لأن النبي ﷺ وصف المحتكر بالخاطئ، ومعناه الآثم المذنب، وقد اختلف العلماء في فقه هذا الحديث؛ فذهبت طائفة إلى القول بعموم النهي عن الاحتكار في الطعام وغيره، وخصه آخرون بالطعام؛ وقد اتفقوا على أن اشتراء التاجر الطعام في وقت الغلاء ليزداد غلاء محرم؛ لهذا الحديث، ولعل الأمر في الاحتكار منوط بالضرر؛ فمتى أدى إلى ضرر عام؛ لم يجز وكان المحتكر آثما عاصيا، وأما مجرد اشتراء سلعة والتربص بها بلا ضرر محقق أو يغلب على الظن وقوعه فليس بمحرم. وخلاصة الكلام في الاحتكار أنه حرم منه ما يكون سببا لتجويع الناس، وحرمانهم من الغذاء، أو افتقار التجار وكساد تجارتهم، وإشاعة العداوة والبغضاء والنفرة في قلوبهم.

ولعل المطالب الأربعة المحررة كافية -وإن كانت غير محيطة- في التدليل على عناية السنة النبوية بالتنمية الاجتماعية عموما، ومحاربة الفقر والجوع وتحقيق الأمن

---

1. ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، المحقق/ أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 2003م، (7/533).
2. أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات (3/1228) حديث رقم (1605).

الغذائي على وجه الخصوص.[1]

وإتماما لما حررناه، ودفعا للإشكال والالتباس نذَكِّر بأن في السنة النبوية نصوصا ظاهرها مدح الفقر والتحريض عليه، وتفضيل الفقراء على الأغنياء؛ كقوله ﷺ: "يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ نِصْفِ يَوْمٍ"[2]، وقوله: "اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ..."[3]، وهذه الأحاديث متأولة بما يناسب سياقها ولا يصادم غيرها من النصوص، ولا يعطل مقصود الشارع؛ فحديث أبي هريرة محمول على أن الأغنياء حبسوا من أجل الحساب على أموالهم، لا أن منزلتهم في الجنة تأخرت؛ لغناهم، وحديث عمران يحمل على "أن الفقراء في الدنيا أكثر من الأغنياء فأخبر عن ذلك كما تقول أكثر أهل الدنيا الفقراء إخبارا عن الحال وليس الفقر أدخلهم الجنة وإنما دخلوا بصلاحهم مع الفقر فإن الفقير إذا لم يكن صالحا لا يفضل"[4]؛ وهكذا فالفقر في ذاته ليس منقبة، والغنى ليس مذمة ولا منقصة، لكن يحمد المرء لو قُدِر عليه رزقه؛ فصبر واحتسب، ولم يهمل السعي طلبا للرزق؛ فينال أجر المتوكلين الصابرين، ويحمد -أيضا- حين ينعم الله عليه بالسعة في رزقه، فيشكر ويسارع في الخيرات؛ فينال أجر المتوكلين الشاكرين، ثم تتفاوت منازل الناس في الجنة؛ لتفاوت صلاحهم وقوة إيمانهم، لا لمجرد فقرهم وغناهم. وإنما حملنا على هذا التأويل أن الله ﷻ أمرنا بالضرب في الأرض والابتغاء من فضله؛ فقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: 15]، وامتن على النبي ﷺ بإخراجه من الفقر إلى الغنى؛ فقال سبحانه: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى: 8]، وثبت عنه ﷺ مدح الغنى، فقال لعمرو بن العاص (رضي الله عنه) : "يَا عَمْرُو، نِعْمَّا

1. ثمة مطلب خامس لا يحسن الغفلة عنه؛ لأثره القوي في محاربة الجوع والفقر وتحقيق الأمن الغذائي هو الدعوة إلى غرس الأشجار والحفاظ على الثروة المائية، لكننا أجلناه إلى المبحث التالي؛ لأن له تعلقا به أيضا.
2. أخرجه الترمذي في أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم (4/578) حديث رقم (2353). وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح".
3. جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، (4/117) حديث رقم (3241).
4. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (11/279).

بِالْمَالِ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ"[1]، وثبت عنه ﷺ أنه تعوذ بالله من الفقر وقرنه بالكفر؛ فقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ"[2].

وبهذا يتأكد أن السنة النبوية نمَّت المجال الاجتماعي؛ فحاربت الفقر الفردي والجماعي، ولم تكرسه، وضيقت منافذ المجاعة، وأنارت السبل لتحقيق الأمن الغذائي؛ فحري بنا أن نفيد منها، ونحسن تفعيلها في واقعنا، ومن **سبل تفعيلها** ما يلي:

- إسهام الحكومات ومختلف الهيئات الوطنية والدولية، والمنابر الإعلامية، والمؤسسات البحثية، والهيئات العلمية والدعوية، وجميع مؤسسات المجتمع المدني في نشر الوعي بأهمية العمل، ومخاطر البطالة، ومقومات الأمن الغذائي.

- إسهام الأفراد والمؤسسات في تربية النشء على حب العمل الشريف والحرص عليه، والكسب من عرق الجبين، ونبذ البطالة والعطالة.

- سَنُّ القوانين واتخاذ الإجراءات التي تضيق سبل الكسب الخبيث، وامتهان التسول.

- استثمار المشترك الإنساني، والقيم الكونية، والوحدة المصيرية، وتنوع الموارد الطبيعية في تطوير تكافل اجتماعي محلي ودولي كفيل بالحد من فقر الدول والشعوب، ومواجهة الجوائح والكوارث، وإنتاج غذاء عالمي كاف كما وكيفا.

- التدبير الحسن للموارد الطبيعية، ومنع إهدار الطعام والإسراف في الثروة المائية.

- تضافر جهود الدول والمؤسسات والأفراد في تطوير وتنويع فرص الشغل، والاستفادة من الخبرات الوطنية والأجنبية.

---

1. جزء من حديث أخرجه أحمد في حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ (29/298) حديث رقم (17763). وصحح إسناده الحافظ زين الدين العراقي، ينظر: زين الدين العراقي أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، مطبوع بهامش إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005م، (1/1138).
2. جزء من حديث أخرجه أبو داود في أول كتاب الأدب، أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح (7/421) حديث رقم (5090)، والحديث رقم سكت عنه أبو داود، وما سكت عنه فهو صالح كما صرح في رسالته.

- تعزيز قيم السلم والتعايش؛ مما يذلل التعاون المشترك، ويحد من الحروب والصراعات الأهلية والإقليمية والدولية؛ باعتبار الحروب والصراعات من أبرز أسباب انتشار الفقر والمجاعة، وسوء التغذية.

المبحث الثاني: عناية السنة النبوية بالتنمية المستدامة في الصحة والتعليم

الصحة والتعليم أولى الأولويات في التنمية المستدامة؛ فلا رقي للمجتمعات ولا تحضر لها بدون صحة جيدة، وتعليم جيد، ولا ريادة اقتصادية إلا باستدامة التنمية في مجالي الصحة والتعليم؛ لأجل ذلك تسعى المنظمات العالمية وفي مقدمتها منظمة الصحة العالمية (WHO)، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (UNESCO) وحكومات الدول -على تفاوت واضح بينها- وخبراء الصحة والتعليم والمؤسسات البحثية المحلية والدولية المعنية بهما إلى وضع البرامج والمخططات، ورسم الاستراتيجيات، وتجييش الموارد المالية والبشرية؛ لأجل تحسين الوضع الصحي، وتطوير التعليم.

وقد أثمر تضافر الجهود تحسنا ملحوظا في المجالين؛ ففي مجال الصحة لوحظ تزايد واضح في مؤشرات متوسط العمر، وانخفاض في معدلات وفيات الأطفال في ثمانينيات القرن الماضي.[1]

واستمر الخط التصاعدي في تحسن مستوى الصحة العالمي في السنوات والعقود اللاحقة، كما تدل عليه تقارير رسمية.[2]

وفي مجال التعليم تشير الإحصائيات الرسمية إلى تحسن ملموس فيه؛ فقد أفاد "تقرير اليونسكو العالمي لرصد التعليم لعام 2024م بأنّه التحق 110 مليون طفل وشاب إضافيّ بالمدارس منذ اعتماد هدف الأمم المتحدة المعني بالتعليم ضمن أهداف التنمية المستدامة في عام 2015، وأنّ عدد الأطفال الملتحقين بالمدارس اليوم هو أكبر من أي وقت مضى، ومعدلات إتمام الدراسة تتزايد كون أنّ عدد الشباب الذين يُتمون تعليمهم

1. اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك (ص133).
2. ينظر مثلا: منظمة الصحة العالمية، منشور الإحصاءات الصحية العالمية 2010م. ويتألف من 177 صفحة، ومنشور الإحصاءات الصحية العالمية 2024، ويتألف من 96 صفحة، وكلاهما منزل على موقع المنظمة. ورابطه: https://www.who.int.

الثانوي ارتفع بمقدار 40 مليون شاب اليوم مقارنةً بعام 2015م"[1].

وعلى أهمية المعطيات أعلاه؛ فإن هذا التحسن ما زال دون مستوى الطموح، وما انفك يعاني من صعوبات وتحديات؛ ففي القطاع الصحي يظهر "اتساع الفجوة بين النظم الصحية العالمية، وضعف البنى التحتية والأطر الطبية أو عدم كفايتها في كثير من البلدان النامية، ومصرع سبعة ملايين شخص سنويا وانتشار الأمراض المعدية كالملاريا، وأمراض الجهاز التنفسي بسبب التغير المناخي واختلال التوازن البيئي"[2].

ومن التحديات -أيضا- عدم المساواة في الحصول على الرعاية الصحية، والآثار الصعبة للأوبئة والجوائح، وآخرتها جائحة كورونا، وغياب العدالة في تمكين الدول من الحصول على الأدوية واللقاحات الآمنة. وأما المؤشرات العالمية التي تدل على تحقيق تطور ملحوظ في التنمية الصحية فإنها تصدق على الأرقام من حيث الإجمال، وأما تفصيلا فإننا نجد جزءا كبيرا من سكان العالم يفتقر إلى مجرد إمكانية الوصول إلى خدمات الرعاية الصحية الحيوية.[3]

وفي قطاع التعليم أفاد تقرير اليونسكو العالمي لرصد التعليم لعام 2024م بأن 251 مليون طفل وشاب لا يزالون خارج المدرسة، ويعاني التعليم -خاصة في الدول ذات الدخل المنخفض- من نقص حاد ومزمن في تمويل التعليم والاستثمار فيه؛ إذ تنفق 4 من كل 10 دول أقل من 15% من إجمالي الإنفاق العام.[4]

وتتوقع الأمم المتحدة بأنه "إذا لم يتم اتخاذ تدابير إضافية، لن يتمكن حوالي 84 مليون طفل وشاب من دخول المدرسة بحلول 2030، وسيفتقر ما يقرب من 300 مليون

---

1. أودري أزولاي، 31 أكتوبر 2024، بيان صحفي، موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اطلع عليه في 10-11-2024م، رابط الموقع: https://www.unesco.org.
2. ينظر: التحديات الصحية العالمية الملحة في العقد القادم، 13 كانون الثاني/يناير 2020م، موقع منظمة الصحة العالمية، اطلع عليه في 09-11-2024م، رابط الموقع: https://www.who.int.
3. ينظر أهداف التنمية المستدامة، الهدف الثالث: الصحة الجيدة والرفاه، (بدون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 09-11-2024م، رابط الموقع: https://www.un.org.
4. ينظر أودري أزولاي، 31 أكتوبر 2024، بيان صحفي، موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، (مرجع إلكتروني سابق).

طالب إلى مهارات الحساب والقراءة والكتابة الأساسية اللازمة للنجاح في الحياة"[1].

إن وضع الصحة والتعليم في العالم عموما والدول النامية خصوصا يقتضي التفكير الجاد والدائم في سبل الحفاظ على المقدرات، وتحاشي الانتكاسات، وتذليل الصعوبات، ومواجهة النقص والتحديات. وذلكم ما تعنى به المنظمات[2] والهيئات والحكومات، وكثير من الباحثين والخبراء.

وانطلاقا من إيماننا بشمولية السنة النبوية وواقعيتها هرعنا إليها استنطاقا لنصوصها؛ فألفينا فيها ثروة من التوجيهات في المجالين الصحي والتعليمي، يمكن استثمارها في التنمية المستدامة للمجالين، وسنحرر ما يسمح به المقام في مطلبين:

المطلب الأول: التنمية النبوية المستدامة في المجال الصحي

نبه النبي ﷺ إلى مكانة الصحة وكونها نعمة من أعظم المنن الربانية؛ فقال: "نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"[3]، فهذا الحديث فيه تصريح وتذكير بأن الصحة نعمة؛ فهي تستوجب الحفاظ عليها ووقايتها وعلاجها، وتستوجب حسن توظيفها، لكن بسبب الجهل بقيمتها أو الغفلة عن ذلك؛ غُبن فيها كثير من الناس، والمغبون هو "ضعيف الرأي، الذي يبيع ما عنده ببخس من المال"[4]؛ فكأنه عنى أن الذي لا يحافظ على صحته أو لا يوظفها في صلاح دنياه وآخرته باعها برُخص؛ فكان من الأخسرين في صفقته. وتأكيدا على أهمية الصحة جعل النبي ﷺ صحة البدن ثالثة ثلاثة من ملكها؛ فكأنما ملك الدنيا؛ فقال -كما في حديث عبيد الله بن محصن الخطمي-: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي

1. أهداف التنمية المستدامة، الهدف الرابع: التعليم الجيد، د. ت، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 10-11-2024م، رابط الموقع: https://www.un.org/.
2. من أحدث المشاريع المؤسساتية المشتركة في مجال الصحة: خطة العمل المشتركة بشأن نهج الصحة الواحدة (2022-2026)، وشعارها العمل من أجل صحة البشر والحيوان والنباتات والبيئة، وقام بإعدادها ونشرها منظمة الأغذية والزراعة وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ومنظمة الصحة العالمية والمنظمة العالمية لصحة الحيوان، روما 2024.
3. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة (8/88) حديث رقم (6412).
4. ينظر ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المحقق/ دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، ط1، 2008م، (29/399).

سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"[1].

إن هذين الحديثين يرشدان الإنسان إلى إدراك قيمة الصحة والحفاظ عليها، وتنمية عطائها، ويرشدان الأطباء إلى استشعار عظمة وظيفتهم باعتبارهم حماة الصحة، والمسهمين مباشرة في سلامتها وقاية أو علاجا، ويرشدان القادة وصناع القرار إلى أن السهر على صحة الناس أولى الأولويات المنوطة بهم؛ وبهذا تكون الصحة مسؤولية مجتمعية، يتفاعل في حمايتها وتحسينها كل أطراف المجتمع، وليست مسؤولية فردية.

ولم تنحصر العناية النبوية بالصحة في التنبيه إلى قيمتها، ولكن أضاف إليه توجيهات حكيمة جلت العناية بالتنمية المستدامة في مجالي الصحة الوقائي والعلاجي، وفيما يلي البيان:

✓ الشق الأول: التنمية النبوية المستدامة في المجال الوقائي

أكثِر بصور التنمية النبوية المستدامة في مجال وقاية الصحة؛ فمنها: **عنايته ﷺ بالسلامة الغذائية**؛ حيث أمر بالتوسط في الأكل؛ حفاظا على الجهاز الهضمي؛ فقال -كما في حديث المقدام بن معدي كرب (رضي الله عنه)- "مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ"[2]، وأمر بأكل الطيبات؛ لما فيها من تزويد البدن بالطاقة والنمو والمناعة...[3] وحرم أكل الخبائث وشربها؛ لما فيها من الأضرار البدنية والنفسية والعقلية، وفي مقدمة هذه الخبائث الخمر التي تذهب العقل وتفسد النفس، وتجلب الهم والغم والاكتئاب، وتصيب أعضاء حيوية في الجسم كالكبد والرئة، ومن الخبائث -أيضا- الحشيش والمخدرات، وقد اجتمع النهي عن الخمر والمخدرات في حديث أم سلمة (رضي الله عنها): "نَهَى رَسُولُ

---

1. أخرجه الترمذي في أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب (ترجمة مرسلة) (4/574) حديث رقم (2346)، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب القناعة (5/253) حديث رقم (4141). واللفظ للترمذي.
2. أخرجه الترمذي في أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل (4/590) حديث رقم (2380)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، (4/448) حديث رقم (3349)، واللفظ للترمذي.
3. مما يستشهد به حديث أبي هريرة (رضي الله عنه): "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا.." وقد مضى في المطلب الأول.

اللهِ ﷺ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ، وَمُفَتِّرٍ"[1]، ومنها الميتة؛ لما يتراكم فيها من التعفن والجراثيم والميكروبات، ومنها لحم الخنزير مستودع الديدان الشريطية، وأحد أسباب ارتفاع الضغط وأمراض القلب والرئة...وهذه الخبائث الثلاثة (الخمر والميتة ولحم الخنزير) نزل القرآن الكريم بتحريمها، ثم أكدت السنة النبوية ذلك، وعززته بتقرير المسؤولية المجتمعية في الحد منها؛ فمنعت بيعها والمتاجرة فيها؛ فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما): أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول عام الفتح وهو بمكة: "إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ، وَالْأَصْنَامِ"[2]. وأمر ﷺ بتغطية الآنية؛ فقال: "غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ"[3]، ونهى عن الشرب قائما، والأكل متكئا، وندب إلى الأكل باليمين والتصبح بسبع تمرات عجوة، إلى غير ذلك من الآداب التي اشتهرت أحاديثها، ولا يخفى أثرها في الحفاظ على السلامة الصحية.

والصورة الثانية من صور التنمية النبوية الوقائية في مجال الصحة أن النبي ﷺ نهى عن مخالطة الصحيح للمريض مرضا معديا، وأمر بالبعد عن المجذوم -وفي معناه كل مريض مرضا معديا- فقال: "لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ"[4]، وقال: "لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ"[5]، ولا تزاحم بين نهيه ﷺ عن مخالطة المريض، ونفيه العدوى؛ لأنَ المقصود "أن هذه الأمراض لا تعدي بطبعها، ولكن الله تبارك وتعالى جعل مخالطة المريض بها للصحيح سببا لإعدائه مرضه، ثم قد يتخلف ذلك عن سببه كما في سائر الأسباب"[6]، وهذا موافق تمام الموافقة للواقع ومخرجات الطب أن مخالطة المرضى سبب للإصابة، ولكن قد لا ينتقل المرض؛ لوجود مناعة، وقد ينتقل المرض دون ظهور أعراضه.

---

1. أخرجه أبو داود في كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر (5/529) حديث رقم (3686). وسكت عنه أبو داود، وما سكت عنه فهو صالح، وجسن إسناده الحافظ ابن حجر. ينظر: ابن حجر، فتح الباري (10/44).
2. جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع الميتة والأصنام (3/84) حديث رقم (2236)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام (3/1207) حديث رقم (1581).
3. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء (3/1594) حديث رقم (2012).
4. أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب لا هامة (7/138) حديث رقم (5771-5770).
5. ذكره البخاري معلقا بصيغة الجزم، في كتاب الطب، باب الجذام (7/126) حديث رقم (5707).
6. ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، معرفة أنواع علوم الحديث، تحقيق: عبد اللطيف الهميم، ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1423هـ، 2002م، (ص390).

والصورة الثالثة: فرض الحجر الصحي quarantine، ويدل عليه قوله ﷺ: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا"[1]؛ فهذا توجيه نبوي إلى إجراء علمي فعال للحد من انتشار الأوبئة، يقوم على منع الدخول إلى الأرض الموبوءة؛ لئلا يتأذى الأصحاء، ومنع من كان داخل الأرض الموبوءة من الخروج منها؛ لئلا ينقلوا الفيروس إلى غيرهم، ويشمل المنع من لم تظهر عليه أعراض الإصابة خشية أن يكون حاملا للفيروس وهو لا يدري.

والصورة الرابعة: العناية بالنظافة الشاملة Hygiène générale، ومن شواهدها أن النبي ﷺ جعل النظافة نصف الإيمان؛ فقال: "الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ"[2]، ومعنى الطُّهور في هذا الحديث "نظافة الباطن والظاهر"[3]؛ فيشمل نظافة الباطن من الكفر والشرك والرذائل الباطنية، ونظافة البدن والثياب والمكان من النجاسات والأدران، وتطهير البدن بالوضوء من الحدث الأصغر، والغسل من الحدث الأكبر. ولا يخفى على ذي لب أثر طهارتي الحدث والخبث في تحقيق السلامة الصحية، وطرح الميكروبات والخلايا الميتة من الجسم. والنظافةُ لا تنحصر فائدتها في صحة الأبدان، بل تتعداها إلى تنمية الصحة النفسية، وإشعار الإنسان بمنسوب عال من الطاقة الإيجابية، والشعور بالراحة والسكينة، مما يجعله صالحا، وفاعلا في مجتمعه.

ومن شواهد العناية النبوية بالنظافة المجتمعية إلزام النبي ﷺ الناس بالحفاظ على نظافة الماء والطريق والظل؛ فقال: "لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ"[4]، وقال: "اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ"[5]. وعَدَّ النبي ﷺ إبعاد ما يؤذي الناس من الطريق صدقة وشعبة من شعب الإيمان؛ فقال: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاس عَلَيْهِ صَدَقَةٌ (...) وَيُمِيطُ الْأَذَى

---

1. أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (7/130) حديث رقم (5728).
2. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (1/203) حديث رقم (223).
3. ينظر القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، المحقق/ يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1998م، (2/5).
4. أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم (1/57) حديث رقم (239) واللفظ له، ومسلم في كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد (1/235) حديث رقم (282).
5. أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في طريق الناس وظلهم (1/226) حديث رقم (269).

عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"[1].

والصورة الخامسة: الترغيب في الغرس والزرع، ومن شواهده قول النبي ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"[2]، بل إن النبي ﷺ حض على غرس الأشجار، حتى لو ظهرت أمارات يوم القيامة؛ فقال: "إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ، فَلْيَغْرِسْهَا"[3]. والأشجار فوائدها كثيرة وآثارها وفيرة؛ فبالإضافة إلى توفيرها الغذاء للإنسان والحيوانات وسائر الكائنات الضرورية للتوازن البيئي ومحاربة الجوع الذي يهدد صحة البشر، يمكن "لشجرة أن تمتص ما يصل إلى 150 كلغم من ثنائي أكسيد الكربون سنويا، وبالتالي تخفف من آثار تغير المناخ. والأشجارُ الناضجة تسهم في تنظيم تدفق المياه وتحسين نوعيتها، وأثبتت الدراسات أن قضاء بعض الوقت بالقرب من الأشجار يحسن الصحة البدنية والعقلية عن طريق زيادة مستوى الطاقة وسرعة الشفاء، ويخفض أيضا من ضغط الدم والإجهاد.."[4].

وبهذا يظهر أن غرس الأشجار لا تنحصر فائدته في المجال البيئي، بل له فوائد اجتماعية -أيضا- تتمثل في الحفاظ على صحة الأفراد، وسلامة المجتمع من الأمراض الناتجة عن التغير المناخي، وانتشار التلوث.

ومن جميل الهدي النبوي أنه لم يكتف بالترغيب في غرس الأشجار، ولكن حذر من قطع الأشجار؛ إفسادا وظلما، لا لمصلحة راجحة؛ فقال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ قَطَعَ

---

1. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من أخذ بالركاب ونحوه (4/56) حديث رقم (2989) واللفظ له، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (2/699) حديث رقم (1009).
2. أخرجه البخاري في كتاب الحرث والمزارعة (3/103) حديث رقم (2320).
3. أخرجه أحمد في مسند أنس بن مالك (رضي الله عنه) (20/251) حديث رقم (12902). وصحح الهيثمي إسناده وبين فقهه؛ فقال: "رواه البزار، ورجاله أثبات ثقات، لعله أراد بقيام الساعة: أمارتها، فإنه قد ورد: "إذا سمع أحدكم بالدجال، وفي يده فسيلة فليغرزها، فإن للناس عيشا بعد"". ينظر: الهيثمي أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م، (4/63).
4. ينظر فوائد الأشجار الحضرية، 2016-05-30، موقع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، اطلع عليه في 2024-11-11م. رابط الموقع: https://www.fao.org/archive.

سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ"[1].

والصورة السادسة: تحريم الفواحش، وهذا قد نطق به القرآن الكريم صريحا، وأكدته السنة النبوية، مع إضافةٍ نوعية مفادها أن الفواحش كالزنا، واللواط، والسحاق، وإتيان البهائم، وسائر الانحرافات الجنسية التي تضاد الفطرة متى انتشرت واستفحلت أدت إلى انتشار الأمراض الفتاكة التي لم تكن فيمن سبق؛ قال عليه الصلاة والسلام: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِنِ ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَنَزَلَ فِيكُمْ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يَعْمَلُوا بِهَا إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ،..."[2]. وهذا أظهره واقع الناس؛ فقد انتشرت الأمراض المنقولة جنسيا كالإيدز، والسفلس، والزهري، وجدري القردة...وأول مسبباتها الفواحش على اختلافها.

والصورة السابعة: عناية النبي ﷺ بالتحصين النفسي والروحي، ويظهر ذلك في حثه على ذكر الله تعالى في كل الحركات والسكنات؛ بدءا من الاستيقاظ وانتهاء بالنوم، وذكر الله -كما أخبر الله تعالى- به ﴿تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: 28]، وهو حصن حصين من أذى الشيطان، والبطلة (السحرة) وغيرهم، ويشهد لذلك أحاديث نبوية منها قوله ﷺ: "الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيلة كَفَتَاهُ"[3].

تلك صور نحسبها كافية في استجلاء التنمية النبوية المستدامة في تنمية الصحة وقاية مع أننا لم نرم فيها الإحاطة؛ موافقة لقصد الاختصار في هذا البحث. وإكمالا للتصور ننتقل إلى الشق الثاني:

---

1. أخرجه أبو داود في أول كتاب الأدب، باب في قطع السدر (7/523) حديث رقم (5239)، وسكت عنه - فهو صالح عنده- وقال في فقه هذا الحديث: "هذا الحديث مختصر، يعني: من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم، عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها، صوب الله رأسه في النار" (أبو داود، السنن [مصدر سابق]، 7/525).
2. جزء من حديث أخرجه الحاكم في كتاب الفتن والملاحم (4/583) حديث رقم (8623). وصحح إسناده ووافقه الذهبي.
3. أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب (ترجمة مرسلة) (5/84) حديث رقم (4008)، ومسلم في كتاب باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة (1/554) حديث رقم (807).

✓ الشق الثاني: التنمية النبوية المستدامة في المجال العلاجي

أولى النبي ﷺ التنمية العلاجية عناية كبيرة، تجلت في صور، **منها:** حثه على التداوي، وفيه أحاديث صحاح كقوله ﷺ: "تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّه (عز وجل) لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ"[1]. فهذا الحديث يدل بالمطابقة على مشروعية استعمال الدواء لعلاج المرض، ويدل بالاقتضاء على أن المجتمعات مأمورة أمرا كفائيا بتوفير الدواء، والبحث عن علاج لما جد ويجد من الأمراض، وفيه لفتة تحفيزية مفادها أن جميع الأمراض والأسقام -عدا الهرم- جعل الله لها دواء؛ فعلى الناس أن يبحثوا ويجدُّوا في اكتشاف أدوية الأدواء؛ وعليه لا يصح أن يدعى أن مرضا ما لا دواء له؛ كالذي كان يقال في مرض داء فقدان المناعة المكتسبة AIDS، بل الواجب اعتقاد أن الدواء موجود، وأن الإنسان لَمَّا يكتشفْه؛ فيكون هذا مدعاة إلى تضافر الجهود وتكاثف الخبرات للوصول إلى معرفة الدواء بدل الاستسلام للمقولة الخاطئة (لا دواء له).

والصورة الثانية: تحريمه ﷺ التداوي بالحرام حال الاختيار، وفيه قول النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّه أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ"[2]؛ فأذن بالتداوي بالحلال الطيب، ومنع التداوي بالحرام، والسبب أن ما حرم الله كالخمر، والنجاسات، والسحر، ولحم الخنزير...ليس دواء؛ من أحد وجهين؛ الأول: أنه ليس فيه منفعة ألبتة ولا هو علاج للمرض وإن تُوهم أنه كذلك، والثاني: أن فيه علاجا لبعض الأمراض، لكن ضرره أكبر من نفعه؛ فيكون مستعمله كالمستجير من الرمضاء بالنار؛ وهذا مدلول قول النبي ﷺ، حين سئل عن استعمال الخمر للدواء فقال: "إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ"[3].

والصورة الثالثة: إرشاده ﷺ إلى بعض الأدوية التي أثبت الطب الحديث فعاليتها

---

1. أخرجه أبو داود في أول كتاب الطب، باب الرجل يتداوى (6/5) حديث رقم (3855) واللفظ له، والترمذي في أبواب الطب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الدواء والحث عليه (4/383) حديث رقم (2038) وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (4/497) حديث رقم (3436).
2. أخرجه أبو داود في كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة (6/23) حديث رقم (3874)، وسكت عنه، فهو صالح عنده كما صرح في رسالته.
3. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمر (3/1573) حديث رقم (1984).

كالعسل، والحبة السوداء، والحجامة... وفي ذلك أحاديث مستفيضة نكتفي منها بقول النبي ﷺ: "إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ - أَوْ: يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ - خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ"[1]، وقد آثرت هذه الرواية لأنها موضحة للرواية المجملة التي يوهم ظاهرها حصر الشفاء في الأدوية الثلاثة، فهي تفصح عن تفضيل هذه الأدوية على سائر الأدوية التي كان يستعملها المخاطَبون، وهذا لا يمنع أن يكون الخير في أدوية أخرى في زمن النبي ﷺ، أو بعده إلى زماننا ثم الذي يليه.

والصورة الرابعة: إرشاده ﷺ إلى وسائل تعزيز الروح المعنوية لدى المريض، وتقوية إرادته وعزيمته، وثقته الكاملة بربه؛ فجعل عيادة المريض حقا له على المجتمع؛ فقال: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، (...) وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ"[2]، وشرع ﷺ الرقية الخالية من الشرك والشعوذة؛ فقال: "اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ"[3].

تلك باقة من الصور تظهر بوضوح المكانة السامقة للتنمية الصحية في السنة النبوية العطرة وقاية وعلاجا؛ فحري بنا أن نفيد منها، ونحسن تفعيلها في واقعنا ومجتمعاتنا، ولعل من **سبل تفعيلها** ما يلي:

- أولا: إسهام الحكومات ومختلف الهيئات الوطنية والدولية، والمنابر الإعلامية، والمؤسسات البحثية والإرشادية في نشر الوعي بأهمية الصحة البدنية والنفسية، وسبل تحصيل الوقاية، وتسهيل العلاج.

- ثانيا: إشعار الناس بمختلف الطرق والوسائل المتاحة بأمانة الصحة، وضرورة الحفاظ على نظام غذائي متوازن، والبعدِ عن مهددات الأمن الصحي للأفراد والشعوب.

- ثالثا: التكافل الدولي في المجال الصحي، والنهوض بالدول الفقيرة؛ كي تكون قادرة

---

1. أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: 69] (7/123) حديث رقم (5683).
2. أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام (4/1705) حديث رقم (2162).
3. أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك (4/1727) حديث رقم (2200).

على توفير جهاز صحي قوي.

- رابعا: جعل الصحة أولى الأولويات، وزيادة الاستثمار فيها؛ بما يوافق مكانتها وأهميتها.
- خامسا: تشجيع وتطوير البحث العلمي الفردي والمؤسساتي في مجالي الطب والتغذية.
- سادسا: الإفادة من الطب النبوي فهما وتنزيلا.
- سابعا: سن القوانين الكفيلة بحماية الثروة النباتية والمائية والهوائية، وحماية البيئة عموما بما يوفر محيطا يمتاز بالتوازن البيئي، وتتقلص فيه مساحة التلوث البيئي.
- ثامنا: تطوير نظام الحماية الاجتماعية، وتعميم التأمين التعاوني الإجباري على المرض والعجز.
- تاسعا: زيادة الاستثمار في الصحة بما يوافق مكانتها.
- عاشرا: تعزيز الأمن الاجتماعي، والسلم المحلي والعالمي، والسعي الحثيث والمنظم لسد أبواب الحروب والظلم، والاعتداء على دماء الناس كُلا أو جزءا.
- حادي عشر: تصدي الحكومات والمنظمات العالمية للتجار في البشر وآلام الناس، والفاسدين، ومحتكري الأدوية.
- ثاني عشر: نشر ثقافة النظافة الشاملة، والعناية بغرس الأشجار وجمال المحيط.
- ثالث عشر: الحد من انتشار الآفات الصحية كالخمر والمخدرات، والفواحش كالزنا واللواط والسحاق...
- رابع عشر: تطوير الطب النفسي والروحي بما يوافق الضوابط الشرعية، والتصدي للشعوذة والسحر والرقى الشركية.
- خامس عشر: تعزيز القدرة على مواجهة الجوائح والأوبئة، وتطوير نظام الحجر الصحي.
- سادس عشر: المساواة بين الناس في الحق في التطبيب والعلاج، والتصدي لكل أشكال التمييز والعنصرية والمحاباة أو الحيف.

المطلب الثاني: التنمية النبوية المستدامة في المجال التعليمي

رفع الله شأن العلم، وشرَّف أهله؛ فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة: 11]، وكان أول ما نزل على نبينا محمد ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق: 1]، وأناط سبحانه بنبيه وظائف من أهمها التعليم؛ فقال: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران: 164]؛ لذا جاءت السنة النبوية العطرة حافلة بالتنمية المستدامة في مجال التعليم، ومن صورها:

الصورة الأولى: أن النبي ﷺ افترض طلب العلم على كل مسلم ومسلمة؛ فقال: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"[1]، وندب الناس إلى طلب العلم والارتقاء في مدارجه؛ فقال: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ"[2]؛ فهذا إخبار تحفيزي بأن نهاية طريق العلم لمن أخلص فيه، ونفع وانتفع به هي الجنة، ومما يسترعي الانتباه في هذا الحديث تنكير الطريق؛ للدلالة على (الشيوع)[3]؛ فيشمل كل الطرق والوسائل التي تذلل العلم وتنميه، وهي "لا تحصى كثرة"[4]، وتتجدد بتجدد الزمان والمكان والإنسان؛ فكأن في الحديث دعوة إلى الابتكار والتطوير فيها. وتنكير العلم مشعر -أيضا- بالشمول؛ فيسع كل علم نافع، ولا يختص بالعلوم الشرعية.

والصورة الثانية: أن النبي ﷺ بوأ العلماء مقام وراثة الأنبياء، وفضَّل العالم العامل على العابد؛ فقال: "إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ

---

1. أخرجه ابن ماجه في كتاب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (1/151) حديث رقم (224). قال الحافظ زين الدين العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (1/8): "ضعفه أحمد والبيهقي"، قلت: وللحديث طرق وشواهد كثيرة قد يرتقي ببعضها إلى مرتبة الحسن لغيره.
2. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (4/2074) حديث رقم (2699).
3. ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (2/666).
4. المرجع نفسه والموضع نفسه.

بِحَظٍّ وَافِرٍ"[1].

والصورة الثالثة: أن النبي ﷺ كما رغَّب في التعلم، رغب في نشر العلم النافع وبثه سواء تعلق بأحوال المعاش أو بأحوال المعاد؛ فقال: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[2]. فهذا الحديث ينبئ بأن العلم ثالث ثلاثة يستمر ثوابها بعد الموت، ولكن لا بد من الانتباه إلى فعل الانتفاع فقد جاء بصيغة الفعل المضارع (ينتفع) الذي يدل على الاستمرار والدوام، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان لصاحبه مشروع علمي ورَّثَه طلبة حملوه وخدموه بعده، أو ألف تصنيفا في علم من العلوم النافعة؛ فاستمرت الإفادة منه بعد موته.

والصورة الرابعة: أن النبي ﷺ لم يُعنَ فقط بترغيب الناس في العلم والتعليم، ولكن حرص على عقد مجالس للعلم حوت -بالإضافة إلى تعليم أحكام الإيمان والعبادات والمعاملات- تعليم كل شيء نافع؛ ومما يهدي إلى ذلك قول أبي ذر (رضي الله عنه): "لَقَدْ تَرَكَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا أَذْكَرَنَا مِنْهُ عِلْمًا"[3]. ومن العلوم التي اهتم بها النبي ﷺ علم تزكية النفوس[4]، وعلم التاريخ، ويشهد له ما قصه النبي ﷺ على أصحابه من قصص السابقين، وقوله: "حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ"[5]، وعلم الأنساب،

---

1. جزء من حديث أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (5/485) حديث رقم (3641) واللفظ له وسكت عنه، والترمذي في أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (5/48)، (2682) وصحح بعض طرقه، وابن ماجه في أبواب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (1/150) حديث رقم (223).
2. أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد (3/1255) حديث رقم (1631).
3. أخرجه أحمد في حديث أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه) (35/290) حديث رقم (21361). وقال الهيثمي: "رواه أحمد، والطبراني (...) ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ وهو ثقة، وفي إسناد أحمد من لم يسم" (نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/263-264).
4. علم التزكية من أهم الوظائف النبوية كما في الآية التي سلف ذكرها ولها نظائر في القرآن الكريم؛ فكان النبي ﷺ مزكيا أصحابه تخلية وتحلية، ومعلما إياهم كيف يزكون أنفسهم وأنفس غيرهم؛ قال ابن القيم: "تزكية النفوس مسلم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية، وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة، وتعليما وبيانا، وإرشادا، لا خلقا ولا إلهاما، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم" (ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م، (2/315).
5. جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (4/170) حديث رقم (3461).

ومن شواهده قوله ﷺ: "تَعلَّمُوا من أنْسابِكُمْ ما تَصِلُونَ بهِ أرْحامَكُمْ.."[1]، والعلوم البحتة؛ فقد أخبر النبي ﷺ بمراحل نمو الجنين في رحم أمه، وأمر بتنظيف الإناء الذي أصابه لعاب الكلب بالماء والتراب، وأخبر بوجود فيروس ومضاده في الذباب، وعدد المفاصل في جسم الإنسان... وفي ذلك أحاديث صحاح مشهورات؛ ضربنا عن ذكرها صفحا للاختصار. وفيما يتعلق بالعلوم البحتة فإنه لم يكن في زمن النبي ﷺ تطور علمي ومختبرات لاستجلاء ما أخبر به؛ فاكتفي بعلم اليقين؛ استصحابا لعقيدة أنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، وحين تَطور العلمُ، وعَلَّم الله الإنسان ما لم يكن يعلم صار ما أخبر به النبي ﷺ عين اليقين، وكل ما أخبر به لا يزيده العلم إلا إحقاقا وتثبيتا.

وقراءتي للأحاديث الكاشفة عن الحقائق العلمية تتجاوز الوقوف عند كونها من الإعجاز العلمي في السنة النبوية، وإثبات صدق النبوة إلى مقام آخر وهو مقام الدعوة إلى تضافر جهود جميع أطراف المجتمع في إعمال النظر وحث خطى البحث فيما أودعه الله في الآفاق والأنفس؛ لاكتشاف عظمة الخالق ووحدانيته من جهة، ولتوظيف مخرجات البحث العلمي في إصلاح معاش المجتمعات ومعادهم من جهة ثانية.

والصورة الخامسة: مساواة النبي ﷺ بين الرجال والنساء في حق التعلم؛ فقد أذن لهن في أن يأتينه؛ فيسألنه، وجعل للنساء يوما خاصا للتعليم؛ استجابة لطلبهن؛ فعن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: "اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا. فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ"[2].

والصورة السادسة: أن النبي ﷺ استثمر طرقا وأساليب رائدة في التعليم؛ كضرب المثال، والإشارة، والرسوم التوضيحية، وأسلوب الاستفهام والتحفيز والزوبعة الذهنية، والتكرار، وتغيير الهيئة، والتعبير بالملامح، والقصص، والتأكيد، والحوار، والتشويق، وتقييم

2. جزء من حديث أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في تعليم النسب (4/351) حديث رقم (1979).
3. أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل (9/101) حديث رقم (7310)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، (4/2028) حديث رقم (2633).

السؤال، ومراعاة الفوارق الفردية، والتدرج، والتعليل والاستدلال، والرفق والإقناع، والمبادرة، والتعليم بالقدوة...وعلى كل أسلوب شواهد متنوعات من السنة لو أوردناها لطال البحث، وقد كُفينا عرضها هنا بما أُلف فيها مفردا، فلتطلب في مظانها.[1]

ونكتفي في مقامنا هذا بشهادة صحابي أعرابي أخطأ فتكلم في الصلاة، فأصلح النبي ﷺ خطأه، وعلمه بالرفق واللين؛ فقال الرجل -وهو معاوية بن الحكم السلمي-: "مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي". قَالَ: "إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ"[2].

والصورة السابعة: أن النبي ﷺ ألغى كل أشكال التمييز في التعلم والتعليم؛ فقال - في خطبة حجة الوداع وهو يعلم الحجيج وجميع الأمة مبدأ التساوي في الأصل، ونبذ العنصرية والتمييز استنادا إلى اللغة أو القبيلة أو اللون...-: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى"[3].

والصورة الثامنة: أن النبي ﷺ أرسل بعثة علمية، وأناط بها مهمة التعليم، ويشهد لذلك قول أنس بن مالك (رضي الله عنه): "جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ..."[4].

وما حررنا من الصور كاف -وإن كان غيضا من فيض- في التدليل على العناية النبوية بالتنمية المستدامة في التعليم، ومن أهم ثمار إدراكها تفعيلها في واقعنا استصلاحا وتنمية لتعليمنا، ومن **سبل تفعيلها** ما يلي:

- أولا: إسهام الحكومات ومختلف الهيئات الوطنية والدولية، والمنابر الإعلامية، والمؤسسات البحثية والإرشادية في نشر الوعي بأهمية التعليم، وسبل تطويره،

---

1. ينظر -مثلا- علي بن نايف الشحود، الأساليب النبوية في التعليم، بهانج، دار المعمور، ط1، 2009م.
2. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة (1/381) حديث رقم (537).
3. جزء من حديث أخرجه أحمد في حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ (38/474) حديث رقم (23489). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (3/266): "رجاله رجال الصحيح".
4. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد (3/1511) حديث رقم (677).

وخطورة الأمية والجهل، وسبل تطويقهما.

- ثانيا: إشعار الناس بمختلف الطرق والوسائل المتاحة بضرورة التعلم والتعليم وكونهما مفتاح التنمية الشاملة.

- ثالثا: التكافل الدولي في المجال التعليمي، وإعانة الدول الفقيرة ماديا ولوجستيا؛ لتمكينها من توفير نظام تعليمي قوي وواعد.

- رابعا: جعل التعليم - إلى جانب الصحة- أولى الأولويات، في المشاريع الحكومية، وأنشطة فعاليات المجتمع المدني.

- خامسا: تشجيع وتطوير البحث العلمي في بناء نظريات وبيداغوجيات تعليمية فعالة وذات جدوى، وتوسيع مجال توظيف تكنولوجيا المعلوميات والاتصال.

- سادسا: الإفادة من الطرق والأساليب النبوية في الارتقاء بديداكتيك التعليم.

- سابعا: إعداد ترسانة قانونية كافية في تحصين وضبط مختلف العلائق التعليمية التعلمية.

- ثامنا: زيادة الاستثمار في التعليم بما يوافق مكانته.

- تاسعا: تطوير البنى التحتية للمدارس والمعاهد، وتزويدها بالموارد البشرية والمادية الكافية.

- عاشرا: تعزيز الأمن الاجتماعي، والسلم المحلي والعالمي؛ بما يحقق بيئة آمنة للمعلمين والمتعلمين.

- حادي عشر: إرسال البعثات العلمية للإفادة من الخبرات والتجارب الأجنبية، واستقدام الأطر الإدارية والتربوية الرائدة.

- ثاني عشر: سَن إلزامية التعليم، والتصدي للهدر المدرسي، ومد يد العون

للأسرة الفقيرة، وتقريب المدارس من المواطنين، وتشجيع مجانية التعليم الجيد، والاستعانة بالتعليم عن بعد.

- ثالث عشر: المساواة بين الجنسين في الحق في التعليم، والتصدي لكل أشكال التمييز والعنصرية.

وأحسب هذه السبل مفاتيح لتطوير تعليم رائد تنظيرا وتنزيلا.

خـــــاتمة

أظهر البحث في سنة النبي ﷺ صحة فرضية أن السنة النبوية عُنيت عناية فضلى بالمجال الاجتماعي بما يمكن من تحقيق تنمية مستدامة لا للمجتمع النبوي فحسب، ولكن لجيل عصر النبوة والعصور اللاحقة؛ وقد خلصنا بما حررناه من الشواهد إلى نتائج، أهمها:

- أن النبي ﷺ كان ولا يزال الأنموذج الفائق، والمثال السامق، للمعلم اللوذعي، والمربي الألمعي، والقائد النحرير، والمخطط البصير، والمفتي المحقق، والمصلح المدقق.

- أن النبي ﷺ لم تشغله رعاية دين الناس عن إصلاح دنياهم، وهدايتهم إلى ما فيه سعادتهم.

- أن التنمية النبوية المستدامة في المجال الاجتماعي تجاوزت الترغيب والترهيب، إلى تقديم خطط مدققة وتوجيهات محققة لتقليص دائرة الفقر والجوع، وتحقيق الأمن الغذائي، والنهوض بالصحة، والارتقاء بالتعليم.

- أن التنمية النبوية المستدامة في المجال الاجتماعي تمتاز بالفطرية، والشمولية، والواقعية، والوسطية.

- أن التنمية النبوية المستدامة في المجال الاجتماعي حبلى بحلول لمشكلات وتحديات كل العصور والأقطار، وفيها الرحمة للعالمين كل العالمين.

- أننا أحوج ما نكون في زماننا إلى العَبِّ من معين السنة النبوية بحسن فهمها، وتحقيق مناطاتها، وصحة تنزيلها، مع الانفتاح على تجارب الإنسانية وخبراتها؛ لتحقيق تنمية مستدامة شاملة.

- أن التنمية المستدامة في المجال الاجتماعي وغيره مسؤولية مشتركة بين الشعوب والحكومات ومختلف الهيئات.

وتأسيسا على تلكم النتائج المتوصل إليها عنَّت لنا توصيات، نراها تتميما للناقص، واستدراكا للفائت، ومنها:

- إعداد بحوث ودراسات تعنى بالتنمية النبوية المستدامة في مجالات اجتماعية أخرى كالمساواة بين الجنسين ورعاية حقوق المرأة، وحماية المياه وتطوير خدمات الصرف الصحي، وحفظ الكرامة الإنسانية ونبذ كل أشكال التمييز، وتقوية الراوبط الاجتماعية. وهذه القضايا قد ألمعنا إليها في بحثنا، ولكنها قمنة بأن تفرد بدراسات مستقلة ومستفيضة.

- عقد مؤتمرات وملتقيات علمية وطنية ودولية تستثمر مداخل المشترك الإنساني، والنظر المقاصدي، وأحكام العبادات والمعاملات، والسلام العالمي، والبعد القيمي، والبعد الإحساني في تفعيل التنمية النبوية المستدامة؛ لأجل تلبية حاجات الحاضر دون الإضرار بحقوق أجيال المستقبل.

- ترجمة مخرجات البحث في التنمية المستدامة في السنة النبوية إلى اللغات العالمية وحسن إبلاغها؛ كيما تفيد منها البشرية جمعاء.

لائحة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم (مصحف المدينة للنشر الحاسوبي)**
- **الأساليب النبوية في التعليم**، علي بن نايف الشحود، بهانج، دار المعمور، ط1، 2009م.
- **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، المحقق/ يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1998م.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمرتضى الزبيدي محمد بن محمد، المحقق/ محمود محمد الطناحي ومراجعة عبد السلام هارون، وزارة الإعلام، الكويت، 1993م.
- **التعريفات**، للشريف الجرجاني علي بن محمد، المحقق/ جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003م.
- **التكافل الاجتماعي في الإسلام**، لعبد العال أحمد عبد العال، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م.
- **التنمية المستدامة في الوطن العربي بين الواقع والمأمول**، لمركز الإنتاج الإعلامي بجامعة الملك عبد العزيز، جدة، جامعة الملك عبد العزيز، 2006م.
- **التنمية المستدامة مفهومها – أبعادها – مؤشراتها**، لمدحت أبو نصر وياسمين مدحت محمد، القاهرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط1، 2017م.
- **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، لطاهر بن صالح الجزائري ثم الدمشقي، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1995م.
- **التوضيح لشرح الجامع الصحيح** لأبي حفص عمر بن علي ابن الملقن، المحقق/ دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دمشق دار النوادر، سوريا، ط1، 2008م.
- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه** (صحيح البخاري)، لأبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري، المحقق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2001م.
- **خطة العمل المشتركة بشأن نهج الصحة الواحدة (2022-2026)**، روما، منظمة الأغذية والزراعة وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ومنظمة الصحة العالمية والمنظمة العالمية لصحة الحيوان، 2024م.
- **دراسات في التنمية العربية الواقع والآفاق**، لعارف دليلة وآخرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998م.

- **السنن،** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، لأبي عيسى، المحقق/ أحمد محمد شاكر وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م.
- **السنن،** لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المحقق/ شعَيب الأرنؤوط محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 2009م.
- **السنن،** لأبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، المحقق/ شعَيب الأرنؤوط محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 2009م.
- **شرح صحيح البخاري،** لأبي الحسن علي بن خلف ابن بطال، المحقق/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 2003م.
- **علم اجتماع التنمية،** نبيل السمالوطي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع. د. ط. ت.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1960م.
- **لسان العرب،** لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م.
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،** لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، المحقق/ محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996م.
- **مستقبلنا المشترك،** للجنة العالمية للبيئة والتنمية، ترجمه محمد كامل عارف، ومراجعة علي حسين حجاج، عالم المعرفة، 1989م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1954م.
- **المسند** لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.

- **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى، المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة، 1978م.
- **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس، أحمد المحقق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م.
- **معرفة أنواع علوم الحديث** لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، المحقق/ عبد اللطيف الهميم، ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م.
- **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، مطبوع بهامش إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005م.
- **موسوعة الفقه الإسلامي**، التويجري محمد بن إبراهيم، بيت الأفكار الدولية، السعودية، ط1، 2009م.
- **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** للتهانوي محمد بن علي ، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، المحقق/ علي دحروج، ترجمة عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لأبي السعادات ابن الأثير مجد الدين المبارك بن محمد، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م.

المنشورات الإلكترونية:

- **الاستدامة**، اطلع عليه في 04/11/2024م. موقع الأمم المتحدة رابط الموقع: https://www.un.org/ar/122274.
- **أهداف التنمية المستدامة**، الهدف الثالث: **الصحة الجيدة والرفاه**، (بدون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 09-11-2024م، رابط الموقع: https://www.un.org.
- **أهداف التنمية المستدامة، الهدف الرابع: التعليم الجيد**، (بدون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 10-11-2024م، رابط الموقع: https://www.un.org.
- **بيان صحفي** لأودري أزولاي، بتاريخ 31 أكتوبر 2024، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اطلع عليه في 10-11-2024م، رابط الموقع: https://www.unesco.org.

- **التحديات الصحية العالمية الملحة في العقد القادم**، 13 كانون الثاني/يناير 2020م، موقع منظمة الصحة العالمية، اطلع عليه في 09-11-2024م، رابط الموقع: https://www.who.int.
- **تقرير أممي**، 24 تموز/يوليه 2024، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في07/11/2024م، رابط الموقع https://news.un.org/ar/story/2024/07/1132831.
- التقرير العالمي لرصد التعليم، (بدون تاريخ النشر)، موقع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، اطلع عليه في03- 02 -2025م، رابط الموقع: https:// gem-report-2016.unesco.org/ar/chapter.
- **فوائد الأشجار الحضرية**، 30-05-2016، موقع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، اطلع عليه في 11-11-2024م. رابط الموقع: https://www.fao.org/archive.
- **قضايا عالمية: القضاء على الفقر**، (من دون تاريخ النشر)، موقع الأمم المتحدة، اطلع عليه في 07/11/2024م. رابط الموقع https://www.un.org/ar/global-issues/ending-poverty.
- **منشور الإحصاءات الصحية العالمية 2010م**. منظمة الصحة العالمية، رابط الموقع: https://www.who.int.
- **منشور الإحصاءات الصحية العالمية 2024**، منظمة الصحة العالمية، رابط الموقع: https://www.who.int.

دورُ المرأةِ المسلمةِ في التنميةِ المستدامةِ في السنةِ النبويّةِ

أ.د. هدى حسن صديق عبد السلام

أستاذ الشريعة الإسلامية المساعد

كلية دار العلوم – جامعة المنيا – جمهورية مصر العربية

ملخص

دور المرأة المسلمة في التنمية المستدامة في السنة النبوية

يَهْدِفُ هَذَا البَحْثُ إِلَى إِبْرَازِ دَوْرِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ فِي تَحْقِيقِ التَّنْمِيَةِ الْمُسْتَدَامَةِ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ تَطْبِيقَاتِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، حَيْثُ كَانَ لِلْمَرْأَةِ دَوْرٌ مَحْوَرِيٌّ فِي بِنَاءِ الْمُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ مُنْذُ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ.

يَتَنَاوَلُ البَحْثُ مَفْهُومَ التَّنْمِيَةِ الْمُسْتَدَامَةِ فِي الإِسْلَامِ، وَمَكَانَةَ الْمَرْأَةِ فِي التَّشْرِيعِ الإِسْلَامِيِّ، ثُمَّ يَسْتَعْرِضُ نَمَاذِجَ مِنْ مُسَاهَمَاتِ الْمَرْأَةِ فِي مُخْتَلِفِ الْمَجَالَاتِ، مِثْلَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، وَالاِقْتِصَادِ، وَالعَمَلِ الاجْتِمَاعِيِّ، وَحِمَايَةِ البِيئَةِ.

كَمَا يُنَاقِشُ البَحْثُ أُسُسَ اسْتِدَامَةِ هَذِهِ الأَدْوَارِ وَفْقًا لِلتَّوْجِيهَاتِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي رَكَّزَتْ عَلَى التَّوَازُنِ بَيْنَ مَسْؤُولِيَّاتِ الْمَرْأَةِ دَاخِلَ الأُسْرَةِ وَخَارِجَهَا، وَأَثَرِ ذَلِكَ فِي بِنَاءِ أَجْيَالٍ قَادِرَةٍ عَلَى الإِسْهَامِ فِي نَهْضَةِ الأُمَّةِ، وَيُؤَكِّدُ البَحْثُ أَنَّ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ زَاخِرَةٌ بِالْمَوَاقِفِ الَّتِي تَعْكِسُ تَكَامُلَ دَوْرِ الْمَرْأَةِ مَعَ الرَّجُلِ فِي تَحْقِيقِ التَّنْمِيَةِ الْمُسْتَدَامَةِ.

وَيُخْتَتِمُ البَحْثُ بِتَوْصِيَاتٍ تَدْعُو إِلَى تَعْزِيزِ مُشَارَكَةِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ فِي مَجَالَاتِ التَّنْمِيَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، مَعَ التَّأْكِيدِ عَلَى الحِفَاظِ عَلَى القِيَمِ الإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تَضْمَنُ تَحْقِيقَ التَّنْمِيَةِ الْمُسْتَدَامَةِ بِشَكْلٍ مُتَوَازِنٍ وَمُسْتَدَامٍ.

الكلمات المفتاحية: (تمكين المرأة، التنمية، المستدامة، السنة النبوية، المشاركة المجتمعية).

Abstract

(The Role of Muslim Women in Sustainable Development in the Prophetic Sunnah)

This research aims to highlight the role of Muslim women in achieving sustainable development by studying its applications in the Prophetic Sunnah. Women have played a pivotal role in building Islamic society since the time of the Prophetr.

The study explores the concept of sustainable development in Islam and the status of women in Islamic legislation. It then presents examples of women's contributions in various fields, such as education, economy, social work, and environmental protection.

Additionally, the research discusses the foundations of sustaining these roles according to Prophetic guidance, which emphasized the balance between women's responsibilities inside and outside the family and its impact on raising generations capable of contributing to the advancement of the Ummah. The study affirms that the Prophetic Sunnah is rich with examples demonstrating the complementary role of women alongside men in achieving sustainable development.

The research concludes with recommendations calling for enhancing the participation of Muslim women in various fields of development, while emphasizing the preservation of Islamic values, which ensure the achievement of sustainable development in a balanced and enduring manner.

Keywords: (Women's empowerment, Development, Sustainability, Prophetic Sunnah, Social participation).

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...أما بعد،

لقد خلق الله تعالى الإنسان وكرّمه وفضّله على سائر مخلوقاته... وأمره بتعمير الأرض، وهيأ له بفضله كل ما يُمَكِّنه من أداء هذه المهمة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ١٠﴾ (الأعراف: 10)، وقال أيضا: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ (لقمان: 20). وانطلاقًا من هذا الأمر الإلهي بعمارة الأرض وما يتطلبه ذلك من تحقيق التنمية المستدامة، نجد أن مبادئ الإسلام وتعاليمه قد اشتملت على أحكام وأصول ومبادئ تعد قواعد أساسية لتحقيق هذه التنمية، وإذا ما طُبقت هذه المبادئ والأحكام بشكل صحيح، لتحققت التنمية المستدامة المنشودة في العالم أجمع.

وعلى الرغم من أن مصطلح التنمية المستدامة مصطلح حديث، لم يتعرض له المسلمون الأوائل، إلا أن تفعيل هذا المصطلح في الحياة في العصر النبوي كان واضحا وملحوظا، فقد عمل النبي ﷺ على تفعيل هذا المصطلح- وإن لم يُذكر ذلك صراحة- لكنه كان ملموسا في المجتمع، فعمل ﷺ على تنمية الإنسان، والبيئة، والاقتصاد، والاجتماع...، وهذه هي فكرة التنمية بمفهومها الحديث، كما عمل على ديمومة واستمرارية هذه التنمية، وهذه هي فكرة الاستدامة التي تقوم على المحافظة على حقوق الأجيال الحالية، دون المساس بحقوق الأجيال القادمة، إذن فقد فعَّل النبي ﷺ فكرة التنمية المستدامة، وحقق أهدافها منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة.. والسنة النبوية مليئة بالنماذج والتطبيقات التي تؤكد ذلك، وهو ما سيظهر في ثنايا هذا البحث بإذن الله تعالى.

ولم تكن المرأة المسلمة بعيدة عن مجالات التنمية، بل كانت عضوا فاعلا فيها، فللمرأة دور كبير وعظيم في المجتمع؛ فدورها لا ينتهي عند كونها نصف المجتمع، وإنما هي أيضًا التي تلد وتُربِّي النصفَ الآخر، وتؤثِّر في الرجال الذين يتولَّون قيادةَ الأمم؛ لذا فهي تقف بجوارِ الرجل تشدُّ من أزره، وتعلمه المبادئَ والقِيَم التي يتربَّى عليها، وتقف بجواره ليدافع عن المجتمع بما تربى عليه من أخلاق ومبادئ؛ فالنساء كما قال رسول الله

ﷺ: "شقائق الرجال[1]"، وكما قال شاعر النيل حافظ إبراهيم (رحمه الله):

الأمُّ مدرسةٌ إذا أَعْـــدَدْتَها أعددتَ شعبًا طَيّبَ الأعراقِ[2]

وهذا الدور الكبير والعظيم للمرأة لم يظهر داخل الأسرة والمنزل فقط، وإنما خارجهما أيضا، فلم يقتصر دور المرأة على رعاية بيتها وأسرتها، وإنما شاركت في شتى مجالات الحياة المختلفة داخل الأسرة وخارجها، وكان تأثيرها واضحا ونتيجة مشاركتها في تنمية المجتمع ظاهرة وجلية.

والسنة النبوية مليئة بنماذج لنساء كان لهن دور بارز في عملية التنمية، وأثرن في مجتمعهن بشكل كبير، ووقفن بجانب الرجل في عملية التحول الخطير الذي تحوله المجتمع من الجاهلية إلى الإسلام، وكان لهن دور كبير في عملية الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري الذي حملته الدعوة الإسلامية، فقد كانت النساء يسعين بكل جهودهن لبناء مجتمع جديد يختلف عما كانوا عليه من ظلم وقهر وجهل وتخلف، فالمجتمع يتحول أمام أعينهن من الظلام إلى النور، ومن الجهل إلى العلم والمعرفة، ومن الكفر والشرك إلى الإيمان... فكان لابد أن يكون لهن دور في كل هذه التحولات، ولا يقفن متفرجات عما يحدث حولهن من أحداث، بل شاركن في ذلك بكل ما يملكن من مقومات وإمكانيات. وقد أتاح النبي ﷺ لهن هذه الفرصة، فمنحهن حقوق المشاركة في تنمية المجتمع، وفعَّل دورهن المهم فيه، فكانت بصماتهن في تنمية المجتمع واضحة، وأصبح لهن دور لا يقل بحال عن دور الرجال، فكن على قدر المسؤولية التي ألقيت على عاتقهن، وأصبحن عنصرا فاعلا في عملية التنمية المستدامة.

وقد اشتهرت نساء مسلمات في عصر الرسالة كان لهن دور عظيم في التنمية، وأثرن في المجتمع تأثيرا كبيرا، والسنة النبوية ثرية بالحديث عن مثل هؤلاء النساء، وذكر مكانتهن والدور الذي قمن به في تنمية المجتمع في جميع المجالات، وفي كل ما يتعلق بشؤون الدنيا والآخرة، وهو ما سيتضح من خلال صفحات البحث بإذن الله تعالى.

---

1. أخرجه أحمد في مسنده، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ، 2001م (43/265) حديث رقم (26195) وقال المحقق/ حديث حسن لغيره.
2. ديوان حافظ إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط3، 1987م (ص 282).

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع نفسه، فالموضوع يتعلق بأشرف العلوم بعد علوم القرآن الكريم وهو السنة النبوية المشرفة، وإنه لشرف عظيم أن أحظى- للمرة الثانية- بعمل دراسة تتعلق بالسنة النبوية، خاصة وأن هذه الدراسة تلمس جانبا مهما من جوانب حياتنا ألا وهو التنمية المستدامة، فعملية التنمية في حد ذاتها عملية حضارية؛ لكونها تشمل أوجه النشاطات المختلفة، منذ بداية بناء الإنسان وما يحقق كرامته ورفاهيته، مرورا بالجانب الاقتصادي والاجتماعي والبيئي... ففكرة التنمية تهدف إلى تنمية الإنسان، والبيئة، والاقتصاد، والاجتماع...، كما أن فكرة الاستدامة تقوم على المحافظة على حقوق الأجيال الحالية، دون المساس بحقوق الأجيال القادمة، وهذا ما فعله النبي ﷺ وطبقه منذ أكثر من الف وأربعمائة سنة.

وقد جاء هذا البحث ليوضح دور المرأة المسلمة في التنمية المستدامة في عصر الرسالة، لأن النبي ﷺ وإن كان قد عمل على تنمية المجتمع المسلم واستدامة هذه التنمية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإنه لم يقص المرأة المسلمة، بل فعَّل دورها في المشاركة في عملية التنمية، ومنحها كافة الحقوق والامتيازات التي تمكنها من ذلك، فأبدعت المرأة المسلمة، وشاركت في جميع مجالات التنمية، فنراها المربية، والمعلمة، والعالمة، والشاعرة، والمحدثة، والتاجرة، والمُطَبِّبة، والممرضة، والصانعة، والزَّارِعة، والمحاربة، والمدافعة عن وطنها، والواقفة بجانب الرجل في جميع المجالات...

ومن أجل إبراز دور المرأة في التنمية المستدامة في السنة النبوية، فكرت في عمل هذا البحث الموجز، ليعلم العالم أن الإسلام قد كرَّم المرأة وأنصفها ومنحها حقوقها كاملة، زوجةً كانت أم أمًا أم بنتًا.. وأفسح لها المجال لتسهم في حركة المجتمع وبنائه، فهي شريكة للرجل، وعليها دور كبير لا يقل بحال عن دور الرجل، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ (التوبة 71)، فالمرأة أساس المجتمع إن صلحت صلح المجتمع كله، وإن فسدت فَسَدَ، فأناط الإسلام بها مسؤوليات عظيمة؛ وأولاها عناية فائقة، ومنحها اهتمامًا بالغا يلائم دورها الخطير ومسؤوليتها العظيمة في المجتمع، ووضع لها ضوابط تكفل تحقيق الهدوء والاستقرار، وتجعلها أداة من أدوات البناء الاجتماعي، فدور المرأة المسلمة لم يكن على الإطلاق محصورا في الأسرة فقط، بل تعدى ذلك إلى المجتمع بأكمله، فمكانتها متميزة داخل الأسرة وداخل المجتمع أيضا.. ولها دور مهم في عملية التنمية.

يوضح البحث للعالم أجمع أسبقية السنة النبوية منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة إلى مجالات التنمية المستدامة، وأن العالم الآن بحاجة ماسة إلى تطبيق تعاليم ومبادئ السنة النبوية في التنمية المستدامة؛ لأنه لا مخرج من الأزمات الراهنة إلا بتطبيق هذه المبادئ والتعليمات في جميع المجالات، وإذا ما تحقق ذلك لتقدم العالم الإسلامي، ولعاد إليه مجده وعزته.

كما يوضح البحث مدى اهتمام السنة النبوية بالمرأة، والحرص على مشاركتها في التنمية المجتمعية في جميع مجالاتها المختلفة، وأن الإسلام لم يقصِ المرأة ولم يبعدها عن مجال التنمية المجتمعية، فنجد النساء يشاركن الرجال في جميع المجالات، ويقفن بجوارهم يشددن من أزرهم، ويعينونهم على أمور الحياة المتقلبة، ولهن دور بارز في الحياة الأسرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية... وغيرها من مجلات التنمية المختلفة. وهذا ما سيتضح من خلال البحث بإذن الله تعالى.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يستر العيب، ويسد الخلل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد:

أولا: تعريف التنمية المستدامة: Sustainable Development

إن مصطلح التنمية المستدامة مصطلح حديث، يرجع ظهوره إلى عام 1972م عقب انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة في ستوكهولم بالسويد، وكان هذا أول مؤتمر عالمي يجعل البيئة قضية رئيسية، وكان هدفه إيجاد حلول عملية للمشاكل البيئية التي أصبحت تهدد العالم، وحماية البيئة من التعديات البشرية، وكانت إحدى النتائج الرئيسة لهذا المؤتمر وضع التصورات المستقبلية للتنمية كأداة لاستدامة حفظ الإنسان، واصطلح على هذا النوع من التنمية باسم "التنمية المستدامة"[1].

وقامت هيئة الأمم المتحدة عام 1984م بإيجاد استراتيجيات تنموية طويلة المدى، تأخذ بعين الاعتبار الجوانب البيئية والاقتصادية والاجتماعية، وأوكلت المهمة إلى الدول الصناعية والدول النامية، وسميت بالمفوضية الدولية للبيئة والتنمية (WCED) وقد

1. الموقع الالكتروني الرسمي للأمم المتحدة https://www.un.org/ar .

خلصت هذه المفوضية إلى تعريف التنمية المستدامة بأنها: التنمية التي تعمل على تحقيق الاحتياجات للمجتمعات الحالية لفترة غير محددة تسمى طويلة المدى، ولكن ليس على حساب احتياجات الأجيال القادمة[1].

وفي عام 2002م عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو ICESCO) المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة في جدة، وقد أعدت المنظمة مجموعة من الوثائق والدراسات، وفي هذه الوثائق تم تعريف التنمية المستدامة على أنها :عملية متعددة الأبعاد تعمل على التوازن بين أبعاد التنمية الاقتصادية والاجتماعية من جهة، والبعد البيئي من جهة أخرى، وتهدف إلى الاستغلال الأمثل للموارد والأنشطة البشرية القائمة عليها من منظور إسلامي يؤكد على أن الإنسان مستخلف في الأرض له حق الانتفاع بمواردها دون حق ملكيتها، ويلتزم في تنميتها بأحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، على أن يراعى في عملية التنمية الاستجابة لحاجات الحاضر، دون إهدار حق الأجيال اللاحقة، ووصولا إلى الارتفاع بالجوانب الكمية والنوعية للمادة والبشر[2].

وقد عرَّفها الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة (IUCN) بأنها: تحسين نوعية الحياة مع العيش ضمن القدرة الاستيعابية للنظم البيئية الداعمة[3].

والتعاريف السابقة على الرغم من اختلاف ألفاظها إلا أنها متحدة المعنى، وهو أن للتنمية المستدامة ثلاثة أبعاد أساسية، وهي: الاقتصاد (Economy)، والمجتمع (Society)، والبيئة (Environment). ولابد وأن يكون هناك ترابط بين هذه الأبعاد، لأنه لا يمكن فصل أي بعد عن الآخر، أو الاهتمام ببعد وإهمال الآخر، لأن ذلك سيؤدي إلى انهيار العملية بشكل عام، لأن غاية هذه التنمية هي الاستدامة التامة في جميع الجوانب، وهذه لا تتحقق إلا في إطارٍ واحدٍ يشمل جميع الأبعاد.

---

1. أبو علي، التنمية المستدامة في العمارة التقليدية في المملكة العربية السعودية، مهندس: نايف بن نائل بن عبد الرحمن أبو علي، رسالة ماجستير، بكلية الهندسة والعمارة، جامعة أم القرى، 1431، 1432ه. (ص 47).
2. (إيسيسكو ICESCO) الموقع الرسمي للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .https://icesco.org/ar
3. الجيوسي، الإسلام والتنمية المستدامة رؤية كونية جديدة، لودة راشد الجيوسي، ترجمة: الإسكندرية- مجموعة الترجمة جمانة وليد وآخرون، مؤسسة فريدريش ايبرت، مكتب الأردن والعراق، 1113هـ. (ص 11).

ثانيا: أبعاد التنمية المستدامة:

مما سبق يمكن استخلاص أن التنمية المستدامة اهتمت بأبعاد ثلاثة أساسية، هي: البعد البيئي (The environmental dimension)، والبعد الاقتصادي (The economic dimension)، والبعد الاجتماعي (The social dimension).

وتعرف هذه الأبعاد بالأبعاد المحورية للتنمية المستدامة. وتفعيل التنمية المستدامة يعني بالضرورة تفعيل هذه الأبعاد الثلاثة معا، لأن التقليل من قيمة أي بُعد، سيؤدي إلى انهيار التنمية بشكل عام، لأن غاية هذه التنمية هي الاستدامة التامة في جميع الجوانب، وهذا لا يتحقق إلا بمراعاة جميع هذه الأبعاد الثلاثة.

ثالثا: أهداف التنمية المستدامة:

اعتمدت جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في عام 2015م أهداف التنمية المستدامة (SDGs)، والتي تُعرف أيضًا باسم "الأهداف العالمية"، باعتبارها دعوة عالمية للعمل على إنهاء الفقر وحماية الكوكب وضمان تمتع جميع الناس بالسلام والازدهار بحلول عام 2030م، وهذه الأهداف هي:

(القضاء على الفقر، والقضاء التام على الجوع، والصحة الجيدة والرفاهية، والتعليم الجيد، والمساواة بين الجنسين، والحياة النظيفة والنظافة الصحية، وطاقة نظيفة وبأسعار معقولة، والعمل اللائق ونمو الاقتصاد، والصناعة والابتكار والهياكل الأساسية، والحد من أوجه عدم المساواة، ومدن ومجتمعات محلية مستدامة، والاستهلاك والإنتاج، والعمل المناخي، والحياة تحت المياه، والحياة في البر، والسلام والعدل والمؤسسات القوية، وعقد الشراكات لتحقيق الأهداف[1]).

وتنقسم هذه الأهداف حسب المجالات التنموية على النحو التالي:

أهداف اقتصادية: العمل اللائق ونمو الاقتصاد، والصناعة والابتكار والهياكل الأساسية، والعمل المناخي.

أهداف اجتماعية: القضاء على الفقر، والقضاء التام على الجوع، والصحة الجيدة

1. الموقع الالكتروني الرسمي للأمم المتحدة https://www.un.org/ar .

والرفاهية، والتعليم الجيد، والمساواة بين الجنسين.

أهداف بيئية: والحياة النظيفة والنظافة الصحية، وطاقة نظيفة وبأسعار معقولة، والاستهلاك والإنتاج، والحياة تحت المياه، والحياة في البر.

أهداف مشتركة: والسلام والعدل والمؤسسات القوية، وعقد الشراكات لتحقيق الأهداف، ومدن ومجتمعات محلية مستدامة.

رابعا: مبادئ التنمية المستدامة:

هناك عدة مبادئ وأصول لابد من مراعاتها في العملية التنموية؛ حتى تضمن الاستمرارية والبقاء، ومن هذه المبادئ:

1. جعل الإنسان محور التنمية المستدامة فهو الهدف الأول والأساس لها.

2. جعل البيئة من أهم الاعتبارات في العملية التنموية، وأي إصلاح أو تقنية تتعارض مع سلامتها فهو مرفوض حتى يتم إصلاحه وتمشيه مع سلامتها.

3. ترشيد استخدام الموارد الطبيعية وحسن التعامل معها.

4. التفاعل الإيجابي والشراكة والتعاون بين أبناء المجتمع الواحد، وبينهم وبين الدولة خاصتهم، وبين الدول بعضها وبعض، هذه الشراكة وهذا التعاون الإيجابي يساهم بشكل كبير في العملية التنموية، ويضمن استمرارها.

5. ترتيب الأولويات، وتحديد القضايا المهمة في العملية التنموية ووضع الخطط لتنفيذها، وإزالة جميع العقبات التي تحول دون تنفيذها، ومحاولة إيجاد حلول لها.

6. ترسيخ مبدأ المساواة سواء أكان بين الأفراد في المجتمع، أم بين الدول بعضها وبعض[1].

---

1. للمزيد من المبادئ ينظر: التنمية الشاملة المستدامة المبادئ والتنفيذ، لخبابه عبد لله، بحث بمؤتمر التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، جامعة فرحات، السطيف، الجزائر، أبريل 2008م، (ص 6). والتنمية المستدامة في السنة النبوية، فراس بن ساسي، رسالة ماجستير، جامعة الزيتونة، 1439هـ، 2018م، (ص 15-14).

خامسا: عوائق التنمية المستدامة:

هناك بعض العوائق التي قد تعوق عملية التنمية المستدامة، هذه العوائق منها ما هو بيئيٌّ ومنها ما هو اجتماعيٌّ ومنها ما هو اقتصاديٌّ، على النحو التالي:

أولا: العوائق البيئية:

1. من أبرز العوائق البيئية التي تؤثر سلبا على عملية التنمية المستدامة هو التلوث البيئي، لأن البيئة هي محور التنمية المستدامة، فالتلوث البيئي هو العائق الأكثر تأثيرا على عملية التنمية المستدامة.

2. استنزاف الموارد الطبيعية، وذلك بسوء استخدامها، وعدم التعامل معها بشكل رشيد.

3. التوسع في الاستثمارات الاقتصادية الكبرى على حساب المساحات الخضراء، حيث يتم القضاء على المساحات الخضراء وإقامة المصانع والمنشأت بدلًا منها، مما يؤثر سلبًا في البيئة.

4. الصيد الجائر لبعض الحيوانات، مما يؤدي إلى انقراضها أو ندرتها، مما يحدث خللًا في الطبيعة الكونية وعدم توازن في البيئة.

ثانيا: العوائق الاجتماعية:

من أهمها: الفقر، والبطالة، والجهل، وانتشار الإرهاب والأفكار المتطرفة، والنمو السكاني المتزايد... وغيرها.

ثالثا: العوائق الاقتصادية:

ومن أهمها: الفساد الإداري والسياسي، وكثرة الديون الخارجية، وسوء توظيف الموارد الاقتصادية، وعشوائية الخطط والاستراتيجيات... وغيرها.

مما سبق نستخلص أن الإنسان هو محور العملية التنموية وهو أيضا من أهم أهدافها ووسائل تحقيقها، ومن أبرز عوائقها أيضا، لذا يجب عليه معالجة هذه العوائق، بأن يغير من ثقافته العدوانية في التعامل مع الموارد الطبيعية؛ لضمان استمرارية عملية

التنمية وديمومتها.

المبحث الأول

الدور الاقتصادي للمرأة في التنمية المستدامة

لاحظنا مما سبق أن عملية التنمية المستدامة تقوم على ثلاثة أبعاد رئيسة، هي: البيئة والاجتماع والاقتصاد، والتعامل الأحادي أو الثنائي مع أي من هذه الأبعاد الثلاثة، لا يحقق التنمية المستدامة المنشودة، لذا يجب أن يكون هناك توازن في التعامل مع هذه الأبعاد.

ومن خلال دراسة أهداف التنمية المستدامة التي نادت بها الأمم المتحدة، يمكن استخلاص أن أهداف التنمية المستدامة تنقسم حسب المجالات التنموية على النحو التالي:

أهداف اقتصادية: العمل اللائق ونمو الاقتصاد، والصناعة والابتكار والهياكل الأساسية، والعمل المناخي.

أهداف اجتماعية: القضاء على الفقر، والقضاء التام على الجوع، والصحة الجيدة والرفاهية، والتعليم الجيد، والمساواة بين الجنسين.

أهداف بيئية: الحياة النظيفة والنظافة الصحية، وطاقة نظيفة وبأسعار معقولة، والاستهلاك والإنتاج، والحياة تحت المياه، والحياة في البر.

أهداف مشتركة: السلام والعدل والمؤسسات القوية، وعقد الشراكات لتحقيق الأهداف، ومدن ومجتمعات محلية مستدامة.

وقد فعّل النبي ﷺ مبادئ التنمية المستدامة وأهدافها وعمل على تحقيقها جميعا، ومنح المرأة كافة الحقوق والإمكانات لتساهم بدورها في عملية التنمية المستدامة، لأنه يعلم جيدا أن المرأة أساس المجتمع إن صلحت صلح المجتمع كله، وإن فسدت فَسَدَ، فأناط الإسلام بها مسؤوليات عظيمة؛ وأولاها عناية فائقة، ومنحها اهتمامًا بالغا يلائم دورها الخطير ومسؤوليتها العظيمة في المجتمع، ووضع لها ضوابط تكفل تحقيق الهدوء والاستقرار، وتجعلها أداة من أدوات البناء الاجتماعي، فدور المرأة المسلمة لم يكن على الإطلاق محصورا في الأسرة فقط، بل تعدى ذلك إلى المجتمع بأكمله، فمكانتها متميزة

داخل الأسرة وداخل المجتمع أيضا، وقد ذكر القرآن الكريم عددا من النساء كان لهن دور مهم في تاريخ البشرية، وأثرن في المجتمع تأثيرا ملحوظا، ومن هؤلاء النساء: السيدة هاجر المصرية أم سيدنا إسماعيل وزوجة سيدنا إبراهيم عليهم جميعا السلام، وملكة سبأ، وآسيا زوجة فرعون، وأم سيدنا موسى وأخته وزوجته، والسيدة مريم ابنة عمران عليها السلام. وقصص هؤلاء النساء في القرآن الكريم معروفة، كما أن ما فعلته كل واحدة منهن في المجتمع وأثرها فيه كان واضحا وجليا.

وفي عصر الرسالة اشتهر نساء كان لهن عظيم الأثر في عملية التنمية، فقد ووقفن بجانب الرجل في عملية التحول الخطير الذي تحوله المجتمع من الجاهلية إلى الإسلام، وكان لهن دور كبير في عملية التنمية والإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري الذي حملته الدعوة الإسلامية، فقد كانت النساء يسعين بكل جهودهن لبناء مجتمع جديد يختلف عما كانوا عليه من ظلم وقهر وجهل وتخلف، فالمجتمع يتحول أمام أعينهن من الظلام إلى النور، ومن الجهل إلى العلم والمعرفة، ومن الكفر والشرك إلى الإيمان... فكان لابد أن يكون لهن دور في كل هذه التحولات، ولا يقفن متفرجات عما يحدث حولهن من أحداث، بل شاركن في ذلك بكل ما يملكن من مقومات وإمكانيات، والتاريخ الإسلامي ثرى بالحديث عن مثل هؤلاء النساء، وَذِكْر مكانتهن والدور الذي قمن به في جميع المجالات وفي كل ما يتعلق بشؤون الدنيا والآخرة.

ومن ضمن أهداف التنمية المستدامة هناك أهداف اقتصادية، كالعمل اللائق ونمو الاقتصاد، والصناعة والابتكار والهياكل الأساسية، وقد عمل النبي ﷺ على تحقيق هذه الأهداف، فقد عمل صلوات ربي وسلامه عليه على تنمية المجتمع اقتصاديا، وحث الجميع على العمل والكسب وبيَّن فضل ذلك في أكثر من قول، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن رسول الله ﷺ قال: "لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ[1]". وعن المِقْدَامِ (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ[2]". وقد سُئِل رسول الله ﷺ: أي الكسب أطيب؟ قال: "عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ

1. أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده (3/57) حديث رقم (2074).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (3/57) حديث رقم (2072).

وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ[1]". وقال ﷺ: "من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفورا له[2]". فكل الأحاديث السابقة واضحة الدلالة على أهمية العمل والكسب وطلب الرزق الحلال، وكلها أمور تسهم بشكل فعَّال في عملية التنمية وتعمل على استدامتها.

وقد علمهم النبي ﷺ -وهو القدوة والمثل- كيفية استغلال أقل أقل الإمكانيات للكسب والعمل، وتجنب ويلات العوز والحاجة، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: "أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟" قَالَ: بَلَى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: "ائْتِنِي بِهِمَا"، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَقَالَ: "مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟" قَالَ رَجُلٌ: أَنَا، آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قَالَ: "مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا"، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: "اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ"، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: "اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا"، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ[3]". قال الإمام بدر الدين العيني (رحمه الله): فيه إثبات الكسب والأمر به، وأن السؤال حرام إذا قدر على الكسب[4]. ففي هذا الحديث قدَّم لنا النبي ﷺ نموذجا عمليا لتحويل الأيدي العاطلة المتسولة إلى أيدي عاملة منتجة، وجعْلها توظِّف طاقاتها وقدراتها لمواجهة الفقر ولخدمة مجتمعها، وهذا من أهم أهداف التنمية المستدامة.

وخلاصة القول أن هدف النبي ﷺ من الحث على العمل والكسب هو أن يبني دولة قوية، لديها اكتفاء ذاتي من حاجاتها، لأن قوة الدول تعتمد على توفير حاجاتها الأساسية

---

1. أخرجه أحمد في مسنده (28/502) حديث رقم (17265) وقال المحقق/ حسن لغيره حديث.
2. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (7/289) حديث رقم (7520).
3. أخرجه أبو داود في سننه، المحقق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت. ط1، 1430هـ، 2009م، كتاب الزكاة، بَابُ مَا تَجُوزُ فِيهِ الْمَسْأَلَةُ، (2/120) حديث رقم (1641).
4. (حلس): كساء بلى ظهر البعير يفرش تحت القتب. و(فانبذه): أي ألقه. و(نكتة): أي نقطة. و(مدقع): أي شديد يفضي بصاحبه إلى الدقع وهو التراب. و(أو دم موجع): هو أن يتحمل دية فيها يؤديها إلى أولياء المقتول فإن لم يؤدها قتل المحتمل عنه فيوجعه قتله. العيني، شرح سنن أبي داود (6/389).

دون اللجوء إلى الاستيراد الخارجي. وكل هذه الأمور من أهم أهداف التنمية المستدامة.

ولم يمنع النبي ﷺ النساء من المشاركة في التنمية الاقتصادية وإنما سمح لهن بذلك، فقد كان للمرأة المسلمة في ذلك الوقت دور مهم في التنمية الاقتصادية المستدامة، وقد اشتهرت نساء بعينها في عصر الرسالة كان لهن دور مهم في الحياة الاقتصادية، حيث إنهن قدمن نموذجا محوريا في العملية الاقتصادية، وساهمن بشكل كبير في التنمية الاقتصادية، ومن هؤلاء النساء:

أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها): فلا يمكن لأحد أن ينكر الدور الذي قامت به هذه السيدة للإسلام والمسلمين، فقد كان لها دور محوري ومهم في تنمية المجتمع الإسلامي، لقد ساهمت بأموالها وشاركت بآرائها ومواقفها النبيلة في نشر الدعوة ومساندة النبي ﷺ، هذه السيدة كانت لها مساهمات كبيرة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في عصرها، وهي تُعتبر من أبرز الشخصيات النسائية في التاريخ الإسلامي، ولها دور كبير في عملية التنمية المستدامة، فقد كانت (رضي الله عنها) سيدة أعمال ناجحة، حيث كانت تدير تجارتها الخاصة وتحقق أرباحًا جيدة، مما جعلها من أغنى أغنياء قريش.

وعندما بدأ النبي ﷺ دعوته، كانت خديجة أول من آمن به ودعَّمه، فقد قدمت له الدعم العاطفي والمالي، مما ساعده على مواجهة التحديات التي قابلته في بداية الدعوة، فقال ﷺ: "مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ ﷻ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ ﷻ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ[1]".

كما كانت (رضي الله عنها) تستثمر أموالها في مشاريع تجارية، مما ساهم في تعزيز الاقتصاد المحلي، فكانت تُرسل القوافل التجارية إلى الشام وتحقق أرباحًا جيدة، مما جعلها من سيدات الأعمال البارزات في ذلك الوقت.

إذن فقد كانت هذه السيدة شخصية محورية في المجتمع الإسلامي، من خلال ريادتها للأعمال ودعمها للنبي ﷺ ومساندته، هذه المرأة المسلمة العظيمة علَّمت النساء دروسا مهمة في التنمية والجهاد والتضحية ومساندة الزوج والعطف على الفقراء والمحتاجين...

1. أخرجه أحمد في المسند (41/365) حديث رقم (24864) قال محققه/ حديث صحيح، وهذا سند حسن في المتابعات مجالد بن سعيد ليس بالقوي. وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير علي بن إسحاق، وهو السلمي، فمن رجال الترمذي، وهو ثقة.

وغيرها من الدروس التنموية المهمة، وصدق القائل صلوات ربي وسلامه عليه حينما قال: "خَيْرُ نِسَائِهَا- أي الأرض- مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ[1]".

وهذه أم المؤمنين **زينب بنت جحش (رضي الله عنها)**، كانت تدب الجلود وتخرزها، وتتصدق بثمنها على الفقراء والمساكين، فعَنْ عَائِشَةَ، (رضي الله عنها) قَالَتْ "كَانَتْ زَيْنَبُ امْرَأَةٌ صَنَّاعَةَ الْيَدِ، فَكَانَتْ تَدْبُغُ وَتَخْرُزُ وَتَصَدَّقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ[2]". وقد كانت كثير من النساء تقوم بعملية الخرازة، ويدل على ذلك أنها كانت تجيد هذه الصناعة في مكة ثم احترفتها في المدينة، وقد وجد الكثير من النساء في مكة والمدينة يجدن هذه الصناعة[3].

ومن صور مشاركة المرأة في العصر النبوي في التنمية الاقتصادية أن النساء كن يعملن ويكسبن ويساعدن أزواجهن، لتتجنبن التسول والعوز والحاجة، فهذه **رائطة زوجة عبد الله بن مسعود** (رضي الله عنه)، عندما سألت رسول الله ﷺ فقالت: إني امرأة ذات صنعة فأبيع، وليس لي ولا لوالدي ولا لزوجي شيء، ويشغلونني فلا أتصدق، فهل لي في النفقة عليهم من أجر؟ فقال: "لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم، فأنفقي عليهم[4]". فهذه المرأة لم تقف مكتوفة الأيدي أو تتسول على أحد، وإنما جاهدت بما معها من صنعة وأنفقت على نفسها وأسرتها، وجنَّبت أسرتها ويلات العوز والاحتياج، فهي بهذا الفعل- الذي يظهر بسيطا- تكون قد شاركت في التنمية المستدامة، وعلَّمت نساء العالم درسا تنمويا مهما.

ومن صور مشاركة المرأة في التنمية الاقتصادية في العصر النبوي أيضا أن النساء كن يعملن أكثر من عمل في ذات الوقت مادامت ظروفهن تسمح بذلك، فهذه **أسماء بنت عُمَيْسٍ** (رضي الله عنها) زوجة جعفر بن أبي طالب، كانت تعمل بالدباغة والنجارة، ولم يمنعها عملها هذا من الاهتمام ببيتها وأسرتها، قالت: لَمَّا كَانَ أُصِيبَ جَعْفَرُ وَأَصْحَابُهُ

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، بَابُ ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٢﴾ [آل عمران: 43] (خير نسائها): أي نساء الدنيا في زمانها، (4/164) حديث رقم (3432).
2. أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، المحقق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م (4/26) حديث رقم (6776) وقال: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.
3. العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ (ص 300-299).
4. أخرجه أحمد في المسند (25/494) حديث رقم (16086) وقال المحقق/ حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

غَدَوْتُ عَلَى دَبِيغٍ لِي فَدَبَغْتُ أَرْبَعِينَ، ثُمَّ عَجَنْتُ عَجِينِي، ثُمَّ قَدِمْتُ إِلَى بَنِيِّ، فَغَسَلْتُ وُجُوهَهُمْ، وَدَهَنْتُهُمْ، فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: "ائْتِينِي بِبَنِي جَعْفَرٍ"، فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ، فَأَخَذَهُمْ وَضَمَّهُمْ إِلَيْهِ وَشَمَّهُمْ، فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَعَلَّكَ بَلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ شَيْءٌ؟ فَقَالَ: "نَعَمْ، قُتِلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ[1]".

وعملها بالنجارة، أنها كانت بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وكان الأحباش يعملون بالنجارة، فتعلمت هذه الحرفة، وعندما توفيت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة (رضي الله عنها)، صنعت لها نعشا، وكانت أَوَّلُ امْرَأَةٍ جُعِلَ عَلَيْهَا النَّعْشُ[2].

كما أن هناك نساء ساهمن في التنمية الاقتصادية عن طريق عملهن بالزراعة والفلاحة، فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما)، قال: طُلِّقَتْ خَالَتِي، فَأَرَادَتْ أَنْ تَجُدَّ نَخْلَهَا، فَزَجَرَهَا رَجُلٌ أَنْ تَخْرُجَ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: "بَلَى فَجُدِّي نَخْلَكِ، فَإِنَّكِ عَسَى أَنْ تَصَدَّقِي، أَوْ تَفْعَلِي مَعْرُوفًا[3]".

وهذه أخرى كانت تعمل بالنسيج، وقد نسجت بيدها بردة وأهدتها للنبي ﷺ، فعن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ (رضي الله عنه) ، قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، "فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ[4]".

وهذه قيلة كانت تبيع وتشتري، فقد أخرج ابن ماجه في سننه عَنْ قَيْلَةَ أُمِّ بَنِي أَنْمَارٍ، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ عُمَرِهِ عِنْدَ الْمَرْوَةِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي امْرَأَةٌ أَبِيعُ وَأَشْتَرِي، فَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَاعَ الشَّيْءَ، سُمْتُ بِهِ أَقَلَّ مِمَّا أُرِيدُ، ثُمَّ زِدْتُ، حَتَّى أَبْلُغَ الَّذِي أُرِيدُ، وَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَ الشَّيْءَ، سُمْتُ بِهِ أَكْثَرَ مِنَ الَّذِي أُرِيدُ، ثُمَّ وَضَعْتُ حَتَّى أَبْلُغَ الَّذِي أُرِيدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَفْعَلِي يَا قَيْلَةُ إِذَا أَرَدْتِ أَنْ تَبْتَاعِي شَيْئًا، فَاسْتَامِي بِهِ الَّذِي

---

1. أخرجه أحمد في المسند (45/ 25) حديث رقم (27086) قال محققه: إسناده ضعيف لجهالة أم عيسى الجزار وبقية رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير محمد بن إسحاق، فقد روى له مسلم متابعةً.
2. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، المحقق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ، 2003م، كتاب النكاح، باب تسمية أزواج النبي ﷺ وبناته وتزويجه بناته (7/111) حديث رقم (13423).
3. أخرجه مسلم في صحيحه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الطلاق، بَابُ جَوَازِ خُرُوجِ الْمُعْتَدَّةِ الْبَائِنِ، وَالْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا فِي النَّهَارِ لِحَاجَتِهَا (2/1121) حديث رقم (1483)، (أن تجد نخلها) الجداد بالفتح والكسر صرام النخل وهو قطع ثمرتها.
4. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، بَابُ ذِكْرِ النَّسَّاجِ (3/61) حديث رقم (2093).

تُرِيدِينَ، أُعْطِيتِ أَوْ مُنِعْتِ، وَإِذَا أَرَدْتِ أَنْ تَبِيعِي شَيْئًا، فَاسْتَامِي بِهِ الَّذِي تُرِيدِينَ، أَعْطَيْتِ أَوْ مَنَعْتِ[1].

إذن فقد ساهمت المرأة المسلمة بكل ما أتيح لها من إمكانات في التنمية الاقتصادية ولم تقف مكتوفة الأيدي تتسول الناس فيعطوها أو يمنعوها، لكنها كافحت وعملت وجنبَّت نفسها وأسرتها ويلات العوز والاحتياج، وساهمت في تنمية المجتمع ورفاهيته.

المبحث الثاني

الدور الاجتماعي للمرأة في التنمية المستدامة

من أعظم ما دعت إليه السنة النبوية هو التكافل الاجتماعي بين البشر، ومساعدة كل منهم الآخر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ[2]".

ولتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي، فقد أوجب النبي ﷺ على الأغنياء أن يتكفلوا بالفقراء، ويعاونوهم على مشاق المعيشة، وجعل ذلك من الإيمان، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما)، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ[3]".

لأن ذلك يسهم بشكل كبير في عملية التنمية المستدامة، فمن ضمن أهداف التنمية المستدامة التي أقرتها الأمم المتحدة: الأهداف الاجتماعية، وهي: القضاء على

---

1. أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1430هـ، 2009م، كتاب التجارات، بَابُ السَّوْمِ، قال المحقق/ ضعفه الألباني، وفي الزوائد في إسناده انقطاع قال المزي في الأطراف ابن خثيم عن قيلة فيه نظر، قال الذهبي في الكاشف: قيلة هي أم رومان روى عنها عبد الله بن عثمان بن خثيم مرسلا. و(عُمَرِهِ) جمع عمرة، و(ابتاع): أي أشترى، و(سمت): سام البائع السلعة سوما عرضها للبيع وسامها المشتري واستامها طلب بيعها (2/743) حديث رقم (2204).
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ (4/2074) حديث رقم (2699).
3. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الضحايا، باب: صاحب المال لا يمنع المضطر فضلا، إن كان عنده (10/5) حديث رقم (19666)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ، 1994م: ورواته ثقات (8/167).

الفقر، والقضاء التام على الجوع، والصحة الجيدة والرفاهية، والتعليم الجيد، والمساواة بين الجنسين. وقد حقق النبي ﷺ هذه الأهداف منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وذلك على النحو التالي:

القضاء على الفقر: وذلك بدعوته للعمل والكسب، كما تم توضيحه في العنصر السابق.

القضاء التام على الجوع: عملت السنة النبوية على تحقيق هذا الهدف، وذلك بدعوة النبي ﷺ إلى إطعام الطعام، وبيان أنه من أعظم أبواب الخير وأنفعه، وأفضل أعمال البر، فقد أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما)، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ[1]". قال ابن بطال (رحمه الله): في هذا الحديث الحض على المواساة، واستجلاب قلوب الناس بإطعام الطعام وبذل السلام، لأنه ليس شيء أجلب للمحبة وأثبت للمودة منهما[2].

وقد بين النبي ﷺ أن الإطعام سبب من أسباب دخول الجنة، قال ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ[3]". قَالَ الْخطابِيّ (رحمه الله): جعل النبي ﷺ أفضلهَا إِطْعَام الطَّعَام الَّذِي هُوَ قوام الْأَبدَان[4].

كما حثَّ صلوات ربي وسلامه عليه المؤمنين على الاهتمام بأقاربهم الفقراء - الذين لا تجب عليهم نفقتهم- ومساعدتهم والإنفاق عليهم ورغَّب في ذلك، فبيَّن أنَّ الصَّدقة على الأقارب مضاعفة؛ ومن ذلك ما أخرجه الترمذي في سننه عن سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ (رضي الله عنه)، قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ:

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، بابٌ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنَ الإِسْلاَمِ (1/12) حديث رقم (12) و(رجلا) هو أبي ذر الغفاري (رضي الله عنه). و(أي الإسلام خَيْر): أي أعمال الإسلام أكثر نفعا. و(تقرأ السلام) أي: تسلم.
2. ابن بطال، شرح صحيح البخاري، المحقق/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ، 2003م. (1/63-64).
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ إِطْعَامِ الطَّعَامِ (2/1083) حديث رقم (3251).
4. العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت (1/ 139).

صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ[1]".

فمن أعظم ما دعت إليه هذه الشريعة الغراء هو إطعام الطعام وسد حاجات الفقراء والمحتاجين، وقد اشتهرت نساء في عصر الرسالة تؤدي هذه الشعيرة الكريمة، فهذه أم المؤمنين زينب بنت خزيمة (رضي الله عنها)، والتي كانت كثيرة الصدقة والإنفاق وإطعام الفقراء والمساكين، لم تألُ جهدًا في رعاية الأيتام والأرامل وتعهّدهم، وتفقّد شؤونهم والإحسان إليهم.. وغيرها من ألوان التراحم والتكافل، فاستطاعت بذلك أن تزرع محبتها في قلوبهم، حتى لقبت بـ (أم المساكين). قال ابن كثير (رحمه الله): كان يقال لها (أُمُّ الْمَسَاكِينِ) لِكَثْرَةِ صَدَقَاتِهَا عَلَيْهِمْ وَبِرِّهَا لَهُمْ وَإِحْسَانِهَا إِلَيْهِمْ[2].

وهذه أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) تقوم بتوزيع الشاة التي تم ذبحها على الفقراء والمحتاجين، ولم تترك إلا كتفها فقط، جاء في سنن الترمذي عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا بَقِيَ مِنْهَا؟" قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا، قَالَ: "بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا[3]". أَيْ مَا تَصَدَّقْتِ بِهِ فَهُوَ بَاقٍ وَمَا بَقِيَ عِنْدَكِ فَهُوَ غَيْرُ بَاقٍ إشارة إلى قوله تعالى ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل: 96)[4].

ولا يخفي ما كانت تقوم به السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) من الإطعام والإحسان إلى الفقراء والمحتاجين، وكتب السنة والسيرة ثرية بالحديث عن مواقفها في مساعدة الفقراء والمحتاجين.

هؤلاء النساء وغيرهن قدمن نماذج رائعة في الإيثار والعطاء، وكان لهن دورٌ كبير في دعم الفقراء والمحتاجين في المجتمع الإسلامي، مما كان له عظيم الأثر في عملية التنمية المستدامة.

---

1. أخرجه الترمذي في سننه، المحقق/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، كتاب الزكاة، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي القَرَابَةِ، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ (2/40) حديث رقم (658).
2. ابن كثير، السيرة النبوية [مُستَلًّا مِن كتابه: البداية والنهاية]، المحقق/ د. مصطفى عبد الواحد، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1395هـ، 1976م (3/173).
3. أخرجه الترمذي في سننه، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وقال: حَدِيثٌ صَحِيحٌ (4/225) حديث رقم (2470).
4. المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط. ت (7/142).

الصحة الجيدة والرفاهية:

اهتم الإسلام بالنفس البشرية، وأمر بصيانتها والحفاظ عليها من كل ما يؤذيها أو يضرها، ومن صور المحافظة على النفس: الاهتمام بصحة الإنسان، ولذلك صور وأشكال متعددة، منها:

الاهتمام بالنظافة الشخصية والطهارة، سواء أكانت داخلية أم خارجية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ (البقرة: 222). وقال ﷺ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ[1]". فالإسلام دين النظافة، وليس المقصود هنا النظافة الخارجية فقط أي نظافة الجسم، ولكن يُقصد النظافة الداخلية وهي نظافة الروح، فدعا الإسلام إلى نظافة الروح من الكفر والشرك والضلال، ودعا إلى نظافة القلب من الكره والغل والحقد والنفاق، ودعا إلى نظافة الجوارح من السلوكيات السيئة والتعاملات المذمومة، كما دعا إلى نظافة البدن والثوب والمكان... وغير ذلك. هذه النظافة- سواء الداخلية أم الخارجية- صورة من صور المحافظة على النفس. إذن لابد أن يكون الإنسان محافظا على نظافة نفسه داخليا وخارجيا؛ حتى يتسنى له تنظيف البيئة المحيطة به، كل ذلك يسهم في خلق إنسان نظيف يسعى لإيجاد بيئة صحية وخالية من التلوث.

ومن صور المحافظة على الصحة أن الله تعالى أوجب الوضوء للصلاة، فهو بالإضافة إلى كونه عبادة وقربة يتقرب بها العبد إلى ربه، فإنه أيضا نظافة وجمال، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن رَسُولَ اللهِ ﷺ، قال: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟[2]".

وخصال الفطرة أيضا التي بينها النبي ﷺ هي في مجملها عبادة وطاعة، وفي ذات الوقت هي نوع من النظافة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أن رسول الله ﷺ قال: "الفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ،

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ (1/203) حديث رقم (1/223) (الطهور) قال جمهور أهل اللغة: يقال الوضوء والطهور بضم أولهما إذا أريد به الفعل الذي هو المصدر ويقال الوضوء والطهور بفتح أولهما إذا أريد به الماء الذي يتطهر به (شطر) أصل الشطر النصف.
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، بَابُ الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ تُمْحَى بِهِ الْخَطَايَا، وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ (1/462) حديث رقم (667).

وَقَصُّ الشَّارِبِ[1]".

كما شُرع التداوي من أجل المحافظة على صحة الإنسان، قال ﷺ: "تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، لَمْ يَضَعْ دَاءً، إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا الْهَرَمَ[2]".

كما أمر النبي ﷺ بالاقتصاد في المأكل والشرب؛ حفاظا على الصحة، قال ﷺ: "مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الْآدَمِيِّ، لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتِ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ[3]".

وبالنسبة للرفاهية فقد جعل الإسلام حق للفقراء في المال، وأمر الأغنياء بالوفاء بهذا الحق ودفعه للفقراء، وهو بذلك يكون قد عمل على تحقيق الرفاهية للجميع، باعتبار أن جميع البشر ينشدون الرفاهية، والرفاهية هذه تتحقق عن طريق تحسين الأحوال المعيشية، وتقديم كافة الخدمات للفقراء والمحتاجين كتوفير المسكن، والملبس، والمأكل، والمشرب، والتعليم الجيد، والرعاية الصحية، ووفرة السلع، والاستمتاع بكافة الحقوق، والشعور بالسعادة والرضا، وسائر أشكال المتعة... وقد عمل النبي ﷺ على تحقيق هذه الأمور من خلال سنته الشريفة. فنراه ﷺ يدعو إلى تحسين الأحوال المعيشية لجميع البشر، فالأمر بإخراج الصدقة يعطيها الغني للفقير في حد ذاته محاولة لتحقيق الرفاهية للفقير والمسكين، والصدقة تشمل كل وجوه الخير، ودعوته للعمل والكسب هو أيضا محاولة لتحقيق الرفاهية، والأحاديث السابقة في الأمر بالصدقة، محاربة الفقر والحث على العمل والكسب، خير دليل على دعوته ﷺ لتحقيق الرفاهية لجميع البشر.

وكان للمرأة دور كبير في هذا المجال، فقد اهتمت المرأة المسلمة في عهد النبي ﷺ بالصحة، ومن مظاهر هذا الاهتمام: أن بعض النساء تعلمن مهنة الطب والتمريض ليداوين المرضى والجرحى، فهذه **أم سليم** (رضي الله عنها) ومعها جماعة من نساء الأنصار كن يشاركن في الغزوات فكن يسقين الجنود الماء، ويداوين جرحهم، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، بَابُ قَصِّ الشَّارِبِ (7/160) حديث رقم (5889).
2. أخرجه ابن ماجه في سننه، أول أبواب الطب، بَابُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً (2/1137) حديث رقم (3436)، قال محققه: إسناده صحيح.
3. أخرجه ابن ماجه في سننه، أول أبواب الطب، بَابُ الِاقْتِصَادِ فِي الْأَكْلِ، وَكَرَاهَةِ الشِّبَعِ (2/1111) حديث رقم (3349)، قال محققه: حديث صحيح بطرقه، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أم مَحَمَّد بن حرب وأمها، وهذا الطريق انفرد به ابن ماجه.

(رضي الله عنه)، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْزُو بِأُمِّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا، فَيَسْقِينَ الْمَاءَ، وَيُدَاوِينَ الْجَرْحَى[1]".

ومن النساء التي عملت في هذا المجال أيضا **أم عطية** (رضي الله عنها)، جاء في صحيح مسلم، عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ (رضي الله عنها)، قَالَتْ: "غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ، أَخْلُفُهُمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَأَصْنَعُ لَهُمُ الطَّعَامَ، وَأُدَاوِي الْجَرْحَى، وَأَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى[2]".

وهذه الرُّبَيِّع بِنْتِ مُعَوِّذٍ (رضي الله عنها)، قَالَتْ: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَسْقِي وَنُدَاوِي الجَرْحَى، وَنَرُدُّ القَتْلَى إِلَى المَدِينَةِ[3]"

وجاء في صحيح البخاري أيضا عَنْ حَفْصَةَ (رضي الله عنها)، قَالَتْ: كُنَّا نَمْنَعُ عَوَاتِقَنَا أَنْ يَخْرُجْنَ فِي العِيدَيْنِ، فَقَدِمَتِ امْرَأَةٌ، فَنَزَلَتْ قَصْرَ بَنِي خَلَفٍ، فَحَدَّثَتْ عَنْ أُخْتِهَا، وَكَانَ زَوْجُ أُخْتِهَا غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَكَانَتْ أُخْتِي مَعَهُ فِي سِتٍّ، قَالَتْ: كُنَّا نُدَاوِي الكَلْمَى، وَنَقُومُ عَلَى المَرْضَى[4].

والأمثلة على ذلك كثيرة... ووجود المرأة المسلمة في هذا الميدان يُؤكِّد عظمة الإسلام في تقديره لها، ومنحها كامل حقوقها في مشاركة الرجل في عملية التنمية والعمل الاجتماعي. كما يؤكد مدى اهتمامها بالصحة العامة، وهذا بدوره له تأثير إيجابي في عملية التنمية المستدامة.

كما عملت المرأة المسلمة على تنفيذ تعاليم النبي ﷺ في الاهتمام بالنظافة

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، بَابُ غَزْوَةِ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ (3/1443) حديث رقم (1810).
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، بَابُ النِّسَاءِ الْغَازِيَاتِ يُرْضَخُ لَهُنَّ وَلَا يُسْهَمُ (3/1447) حديث رقم (1812).
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، بَابُ مُدَاوَاةِ النِّسَاءِ الجَرْحَى فِي الغَزْوِ، (4/34) حديث رقم (2882).
4. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، بَابُ شُهُودِ الحَائِضِ العِيدَيْنِ وَدَعْوَةَ المُسْلِمِينَ (1/72) حديث رقم (324) وَيَعْتَزِلْنَ المُصَلَّى، (عواتقنا) جمع عاتق وهي الأنثى أول ما تبلغ والتي لم تتزوج بعد. (قصر بني خلف) وكان في البصرة. (الكلمى) جمع كليم وهو الجريح. (نقوم على المرضى) مخدمهم ونقوم بشؤونهم.

الشخصية، فكان النساء يذهبن إلى السيدة عائشة (رضي الله عنها)، وأمهات المؤمنين، ليتعلمن كيفية الوضوء والاغتسال وخصال الفطرة، لتكون المرأة المسلمة طاهرة نظيفة، لأن ذلك سينعكس على البيئة المحيطة بها. فعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها): أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ؟ قَالَ: "تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا فَتَطَهَّرُ، فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتُدَلِّكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا حَتَّى يَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا" قَالَتْ أَسْمَاءُ: وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا؟ قَالَ: "سُبْحَانَ اللهِ، تَطَهَّرِي بِهَا" فَقَالَتْ عَائِشَةُ كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ: تَتَبَّعِي أَثَرَ الدَّمِ. وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ؟ قَالَ: "تَأْخُذِينَ مَاءً فَتَطَهَّرِينَ، فَتُحْسِنِينَ الطُّهُورَ، أَوْ أَبْلِغِي الطُّهُورَ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتُدَلِّكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ" فَقَالَتْ عَائِشَةُ: نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ[1].

التعليم الجيد:

للعلم أهمية كبيرة في الإسلام، وقد بين الله سبحانه وتعالى أهميته ورغَّب فيه في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة، 11)، وقال أيضا: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر، 9).

وقد بين النبي ﷺ أهمية طلب العلم والحث عليه، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ[2]". وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ[3]". وعن أَنَسٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ[4]".

---

1. مسند أحمد (42/73) حديث رقم (25145) وقال المحقق/ حديث صحيح.
2. أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المقدمة، بَابُ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ (1/81) حديث رقم (224) قال محققه: إسناده ضعيف، عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعفه أحمد، وابن معين، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم.
3. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ (3/1255) حديث رقم (1631).
4. أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المقدمة، بَابُ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ (1/81) حديث رقم (224)، قال محققه: إسناده ضعيف، عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعفه أحمد، وابن معين، وأبو داود، والنسائي، وغيرهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ[1]". وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) قال، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ". ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ[2]".

الأحاديث السابقة واضحة في الدلالة على حث النبي ﷺ على طلب العلم والترغيب فيه، وقد وعى النبي ﷺ دور العلم الحاسم في النهوض بالأمم والمجتمعات، لذلك حث عليه ورَغَّبَ فيه، فالعلم يساعد على فهم أصول المشكلات والعوائق وخصائصها، ويتطلب إيجاد حلول لهذه المشكلات، كما أن للعلم دور كبير في زيادة الوعي، وإشاعة قيم ومبادئ الاستدامة، وتعزيز الشعور بالانتماء، وتعزيز فهم الترابط القائم بين القضايا المتعلقة بالتنمية المستدامة، كالقضايا البيئية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، وهو أمر ضروري لاتخاذ قرارات ذكية حول كيفية استخدام الموارد ، يمكن أن يساعدنا أيضًا في إيجاد حلول لكل المشكلات المتعلقة بالتنمية المستدامة، مثل تغير المناخ، وتلوث البيئة، وتحسين نوعية الحياة لكل الكائنات الحية.

ولم تكن المرأة المسلمة بعيدة عن مجالات التعليم، ومن يتتبع السنة المشرفة يجد أن النساء كان منهن معلمات فضليات انتفع بعلمهن مالا يحصى من الرجال والنساء، وخير مثال على هؤلاء النساء أم المؤمنين السيدة **عائشة** (رضي الله عنها)، زوج النبي ﷺ، الصديقة بنت الصديق، القرشية، المكية، الفقيهة، المحدِّثة، المبرأة من فوق سبع سماوات، أفقه نساء هذه الأمة على الإطلاق، ملأت أرجاء الأرض علمًا. روت من أحاديث النبي ﷺ ما لم ترو امرأة من نسائه، جاء في الإجابة: اشْتَمَلَ كِتَابُ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ عَلَى أَلْف حَدِيْثٍ وَمِائَتَيْ حَدِيْثٍ مِنَ الْأَحْكَام فَرَوَتْ عَائِشَةُ مِنْ جُمْلَةِ الْكِتَابَيْنِ مِائَتَيْنِ وَنَيِّفًا وَتِسْعِيْنَ حَدِيْثًا لَمْ يَخْرُجْ عَنِ الْأَحْكَام مِنْهَا إِلَّا الْيَسِيْرُ[3].

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ (4/2074) حديث رقم (2699).
2. أخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ (4/347) حديث رقم (2685) وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.
3. الزركشي، الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة، المحقق/ سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1358هـ، 1939م، (ص 39).

وقد كان لها دور كبير في تعليم النساء والرجال، فهي التلميذة النبوية، معلمة العلماء، التي شهدت نزول الوحي، وكانت حجرتها تسمى مهبط الوحي.. جمعت كل ما يحتاجه مفسر القرآن من قوة في اللغة، وإحاطة بطرائق العرب في كلامها، وتضلع بأدب العرب في جاهليتهم من الشعر والنثر والخطب والأمثال، فقد عُرفت بفصاحة لسانها، وقوة عارضتها، وعلو بيانها، وقد رسمت لمن جاء بعدها أقرب الطرق لتفسير القرآن الكريم وفهمه[1].

قال فيها عروة بن الزبير (رضي الله عنه): "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْعِلْمِ وَالشِّعْرِ وَالطِّبِّ مِنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ[2]".

وقال الزُّهْرِيِّ: "لَوْ جُمِعَ عِلْمُ النَّاسِ كُلِّهِمْ، ثُمَّ عِلْمُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ لَكَانَتْ عَائِشَةُ أَوْسَعَهُمْ عِلْمًا[3]". وقال مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْصَحَ مِنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)[4]".

وعندما سئل مسروق: هَلْ كَانَتْ عَائِشَةُ تُحْسِنُ الْفَرَائِضَ؟ قَالَ: "إِي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ مَشْيَخَةَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَسْأَلُونَهَا عَنِ الْفَرَائِضِ[5]".

وقال عَطَاء: "كَانَتْ عَائِشَةُ، أَفْقَهَ النَّاسِ وَأَعْلَمَ النَّاسِ وَأَحْسَنَ النَّاسِ رَأْيًا فِي الْعَامَّةِ[6]".

ولا عجب أن تبلغ هذه السيدة ما بلغته من العلم والثقافة وقوة الفهم، وأن تصبح مرجعا مهما من مراجع الحديث والسنة، دخلت المدرسة النبوية في نحو التاسعة من عمرها، ولبثت تسع سنين تتلقى العلم عن النبي ﷺ، وتوفي عنها وهي في ريعان شبابها، بعد أن تخرجت على يديه وتلقت عنه، فكانت نابغة عصرها، ومنارا يسترشد به الناس في أمور دينهم ودنياهم، ومرجعا من مراجع العلم، ونابغة الفقهاء والمحدثين، وعلمة غزيرة

1. طهماز، السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الاسلام، دار القلم دمشق، د. ط. ت (ص179).
2. الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة (4/12) حديث رقم (6733).
3. المصدر السابق، (4/12) حديث رقم (6734).
4. المصدر السابق، (4/12) حديث رقم (6735).
5. المصدر السابق، (4/13) حديث رقم (6736).
6. المصدر السابق، (4/15) حديث رقم (6748).

العلم، وراوية من رواة الشعر النابهين[1].

وهذه **أسماء بنت يزيد الأنصارية** (رضي الله عنها)، وهي ابنة عمة معاذ بن جبل (رضي الله عنه)، الملقبة بخطيبة النساء، أو رسول النساء إلى النبي ﷺ، هذه المرأة التي جمعت في شخصيتها صفات المرأة القوية الشجاعة المحدِّثة، العالمة بأمور دينها، المحاربة المقاتلة، فقد قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وكانت راوية للحديث فروى عنها شهر بن حوشب، ومجاهد، وإسحاق بن راشد، ومحمود بن عمرو.. وغيرهم. ولُقِّبت بخطيبة النساء حينما أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فَقَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي وَافِدَةُ النِّسَاءِ إِلَيْكَ، وَاعْلَمْ - نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ - أَمَا إِنَّهُ مَا مِنِ امْرَأَةٍ كَائِنَةٍ فِي شَرْقٍ وَلَا غَرْبٍ سَمِعَتْ بِمَخْرَجِي هَذَا أَوْ لَمْ تَسْمَعْ إِلَّا وَهِيَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِي، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَآمَنَّا بِكَ وَبِإِلَاهِكَ الَّذِي أَرْسَلَكَ، وَإِنَّا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ، قَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ، وَمَقْضَى شَهَوَاتِكُمْ، وَحَامِلَاتُ أَوْلَادِكُمْ، وَإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا أُخْرِجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا وَمُرَابِطًا حَفِظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَغَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابًا، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلَادَكُمْ، فَمَا نُشَارِكُكُمْ فِي الْأَجْرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مَسْأَلَتِهَا فِي أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟ "فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِي إِلَى مِثْلِ هَذَا[2].

والأمثلة على ذلك كثيرة، والمتصفح للسنة النبوية يجد هناك نساء كثيرات أردن تعلم العلم بكل فروعه، فقد تصدت المرأة المسلمة لفنون العلم وشؤون الأدب وأمعنت في كل ذلك إمعانًا أعيا على الرجال دركه في مواطن كثيرة، وكان لها مظهر خلقي كريم في العلم والتعلم، وامتازت بالعلم والأمانة، قالت عائشة (رضي الله عنها): (نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ[3]).

وقد حدَّث ابن سعد في طبقاته عن سبعمائة امرأة روين عن النبي ﷺ، وعن بعض

---

1. سليم، نساء حول النبي ﷺ، محمد إبراهيم، مكتبة ابن سينا (ص 173).
2. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، المحقق/ أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 1421هـ، 2000م، باب حقوق الأولاد والأهلين (11/177) حديث رقم (8396) قال الهيثمي: «وفيه رشدين بن كريب، وهو ضعيف». مجمع الزوائد، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ، 1994م (4/305).
3. أخرجه أحمد في المسند (42/73) حديث رقم (25145) وقال المحقق/ «حديث صحيح».

الصحابة. وابن حجر في الإصابة ترجم لثلاث وأربعين وخمسمائة وألف من المحدثات ويشهد لهن بالعلم ويوثقهن[1].

وقال الحافظ الذهبي (رحمه الله): ما علمت في النساء من اتهمت ولا من تركوها[2].

المساواة بين الجنسين:

اهتم الإسلام بالإنسان، ولم يفرق بين الرجل والمرأة في الجانب الإنساني، وإنما ساوى بينهما في الحقوق والواجبات، وجعل المفاضلة على أساس التقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات: 13). فقبل الإسلام كانوا يمنعون المرأة أبسط حقوقها وهو الحق في الحياة، وعندما جاء الإسلام أنصف المرأة ومنحها حقوقها كاملة لتشمل: حق الميراث والتملك والزواج والنفقة...، بل وجعل لها ذمة مالية مستقلة...، ونهى النبي ﷺ عن الإساءة لها، وأمر بمعاملتها بالحسنى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا[3]". ولم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة إلا في أمور تتعلق بالفروق الجسدية بين الذكر والأنثى، وبناءً على هذه الفروق وضع الإسلام الأطر التي تحكم علاقة الرجل بالمرأة والعكس، وحدد حقوق كل منهما وواجباته تجاه الآخر، وبسبب هذه الاختلافات أصبح الرجل مسؤولًا عن رعاية المرأة وحمايتها وتوفير العيش الكريم لها، وهو ما يسمى بالقوامة.

أما من حيث الإنسانية فلا فرق بينهما، فقد جعل النبي ﷺ المرأة مماثلة للرجل في القدر والمكانة، وهي شريكته في تحمل أعباء الحياة ومسؤولياتها، كونها تلعب دورًا أسريًا ومجتمعيًا مهما، قال ﷺ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ[4]". كما قال رسول الله ﷺ: "النساء

---

1. سليم، نساء حول النبي ﷺ، (ص171).
2. الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المحقق/ علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1382هـ، 1963م، (4/604).
3. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ (2/1090) حديث رقم (1468).
4. أخرجه البخاري وصحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعه في القرى و المدن (ج2/ص5) حديث رقم (893).

شقائق الرجال[1]". قال الخطابي (رحمه الله): (شقائق الرجال) نظائرهم وأمثالهم في الخلق والطباع فكأنهن شققن من الرجال[2].

وهذه المساواة التي أكد عليها الإسلام تلعب دورًا حيويًا في تحقيق التنمية المستدامة، وذلك على النحو التالي:

ففي المجال الاقتصادي: عندما تُتاح الفرصة للنساء للمشاركة في سوق العمل، فإن ذلك يعزز من الإنتاجية الاقتصادية؛ لأن النساء يمثّلن نصف المجتمع، واستغلال مواهبهن ومهاراتهن يعزز النمو الاقتصادي.

وفي مجال تحسين الصحة والتعليم: فإن المساواة بين الجنسين تعني تحسين فرص الحصول على التعليم والرعاية الصحية للنساء والفتيات، والتعليم الجيد يساهم في تحسين نوعية الحياة ويؤدي إلى تقليل الفقر وزيادة الوعي الصحي.

وفي مجال البيئة: فالنساء غالبًا ما يكنّ أكثر ارتباطًا بالموارد الطبيعية، وخاصة في المجتمعات الريفية، عندما يتم إتاحة الفرصة لهن، يمكنهن المساهمة في إدارة الموارد بشكل مستدام، مما يساعد على الحفاظ على البيئة.

وفي مجال محاربة الفقر: فإن المساواة بين الجنسين تساهم في تقليل الفقر من خلال تحسين فرص العمل والدخل للنساء، عندما تكون النساء مستقلات اقتصاديًا، فإن ذلك ينعكس إيجابيًا على أسرهن ومجتمعاتهن.

وفي مجال تعزيز الاستقرار الاجتماعي: فإن المجتمعات التي تتمتع بمزيد من المساواة بين الجنسين تميل إلى أن تكون أكثر استقرارًا وأقل عرضة للنزاعات، فالمساواة تعزز من التماسك الاجتماعي والعدالة.

وبشكل عام، فإن المساواة بين الجنسين تُعتبر حجر الزاوية لتحقيق التنمية المستدامة، حيث تساهم في تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والبيئية بشكل متكامل، وهذا ما أكدت عليه السنة النبوية.

---

1. سبق تخريجه في مقدمة البحث.
2. الخطابي، معالم السنن (وهو شرح سنن أبي داود) المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1351هـ، 1932م (1/79).

المبحث الثالث

مشاركة المرأة في الحفاظ على البيئة

من أهداف التنمية المستدامة التي أقرتها الأمم المتحدة: أهداف بيئية، وتشمل: الحياة النظيفة والنظافة الصحية، وطاقة نظيفة وبأسعار معقولة، والاستهلاك والإنتاج، والحياة تحت المياه، والحياة في البر. وقد عمل النبي ﷺ على تحقيق هذه الأهداف، وذلك على النحو التالي:

دعا النبي ﷺ إلى الحياة النظيفة والصحية منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، فقد دعا صلوات ربي وسلامه عليه إلى نظافة البدن والثوب والمكان والبيئة المحيطة...، بالإضافة إلى فرض الوضوء والاغتسال، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط والعانة، والتطيّب... كل ذلك يسهم في جعل الإنسان نظيفا يسعى لإيجاد بيئة صحية ونظيفة.

ومن دعوة النبي ﷺ لمياه نظيفة أنه عمل على توصيل مياه الشرب النظيفة لكل أحد، فعن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ، وكانت عند رجل يهودي، فكان يمنع المسلمين الماء، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دِلاَءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟" فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي[1]).

كما نهى النبي ﷺ عن البول في الماء الراكد أو الجاري، فعَنْ جَابِرٍ (رضي الله عنه)، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: "أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ[2]"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: "لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ[3]".

وكذلك حث النبي ﷺ على نظافة البيئة المحيطة، فبدأ بالسكن، فعن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)، قال رسول الله ﷺ: "طَهِّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ، فَإِنَّ الْيَهُودَ لَا تُطَهِّرُ

---

1. أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، بَابٌ فِي مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ (رضي الله عنه) (6/68) حديث رقم (3703)، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ.
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ البوْلِ فِي المَاءِ الرَّاكِدِ، (1/235) حديث رقم (281).
3. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ البوْلِ فِي المَاءِ الرَّاكِدِ، (1/235) حديث رقم (282).

أَفْنِيَتَهَا[1]". جاء في التنوير: (طهروا أفنيتكم) جمع فناء وهو المتسع أمام الدار وهو مفتح بابها، وحيث يدخل منه إليها، والمراد من تطهيرها رفع الأقذار والكناسات منها[2].

ومن حرصه ﷺ على نظافة البيئة: حثه على نظافة الطرق، فقد جعل النبي ﷺ إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ[3]". قال الإمام النووي (رحمه الله): (إِمَاطَةُ الْأَذَى): أَيْ تَنْحِيَتُهُ وَإِبْعَادُهُ وَالْمُرَادُ بِالْأَذَى كُلُّ مَا يُؤْذِي مِنْ حَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ أَوْ شَوْكٍ أَوْ غَيْرِهِ[4].

وكذلك نهى عن البول في الطرق والأماكن العامة والظل، وأن هذا الفعل يجلب على صاحبه اللعن، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ" قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ[5]".

إذن فقد عملت السنة النبوية على أن يعيش الإنسان حياة نظيفة، خالية من الملوثات، لأن ذلك سينعكس على صحته وعلى البيئة المحيطة به، وهو ما له تأثير مباشر على التنمية المستدامة.

وتُعتبر الطاقة أحد العناصر الأساسية في حياة الإنسان، حيث تلعب دورًا حيويًا مهما في الحياة، ومصطلح الطاقة المتجددة مصطلح حديث ومعناه: الطاقة المستمدة من الموارد الطبيعية التي لا تنضب، كالطاقة الشمسية والرياح وأمواج البحر... وغيرها. وهذا

---

1. أخرجه الطبراني في الأوسط (4/231) حديث رقم (4057)، وقد حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، مكتبة المعارف، 1422هـ، 2002م، حديث رقم (236).
2. الصنعاني، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، المحقق/ د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432هـ، 2011م (7/139).
3. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ شُعَبِ الْإِيمَانِ (1/63) حديث رقم (35).
4. النووي، شرح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ، (2/6).
5. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّخَلِّي فِي الطُّرُقِ، وَالظِّلَالِ (1/226) حديث رقم (269). وقال المحقق/ (اللعانين): قال الإمام أبو سليمان الخطابي المراد باللعانين الأمرين الجالبين للعن الحاملين الناس عليه والداعيين إليه وذلك أن من فعلهما شتم ولعن يعني عادة الناس لعنه فلما صارا سببا لذلك أضيف اللعن إليهما. (الذي يتخلى في طريق الناس): معناه يتغوط في موضع يمر به الناس. (في ظلهم): قال الخطابي وغيره من العلماء المراد بالظل هنا مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلا ومناخا ينزلونه ويقعدون فيه وليس كل ظل يحرم القعود تحته.

المصطلح لم يذكر صراحة في القرآن الكريم أو السنة المشرفة، أو أقوال العلماء القدامى، لكنه ذُكِر ضمنا بمعناه، فقد ورد في القرآن الكريم والسنة المشرفة ذكر الكواكب والشمس والقمر والرياح وأمواج البحر والأجرام السماوية... وغيرها. بالإضافة إلى تأكيد النصوص المشرفة على أهمية حماية الموارد الطبيعية وترشيد الاستهلاك في كل الأمور، قال تعالى: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ (سورة الأعراف: 31)، وقد قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)، وهو يتوضأ: "مَا هَذَا السَّرَفُ؟" فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: "نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ[1]". أي الاقتصاد في الماء حتى ولو كنت على نهر جار، فقد نهى النبي ﷺ عن الإسراف في استخدام الماء حتى ولو في الوضوء الذي هو عبادة، فمن باب أولى يجب الاقتصاد في استخدام كل الموارد الطبيعية، قياسا على الماء.

ومن المعروف أن الطاقة المتجددة تعتبر أساس التنمية، حيث إن الطاقة المتجددة تساهم في تقليل نسبة الفقر وتحسين الظروف المعيشية وتحسين الصحة وتحقيق التنمية المستدامة بشكل عام، فهذه الطاقة لا غنى عنها في الحياة، وأي مصدر من مصادرها يعتبر مصدرًا نظيفا لا ينتج عن استخدامه نفايات ضارة بالبيئة، كما أنه قليل التكلفة، لذا فهو يناسب واقع التنمية في المناطق النامية، ويساهم أيضا في تلبية الاحتياجات الضرورية.

كما أن ترشيد استهلاك الموارد من أهم أهداف التنمية المستدامة، والاستهلاك من أهم الأنشطة التي يقوم عليها الاقتصاد في العالم، بل هو الغاية التي يصل إليها النشاط الاقتصادي بشكل عام، وقد ساهمت السنة النبوية في توجيه السلوكيات الإنسانية في مجالات الإنفاق والاستهلاك، ووضعت بعض القواعد المهمة التي ينضبط بها سلوك الفرد والمجتمع، وعززت عملية ترشيد الاستهلاك والتوازن ما بين المتطلبات والنفقات دون مبالغة، مما يؤدي إلى الاستعمال الأمثل لجميع الموارد.

ومن مظاهر ترشيد الاستهلاك في السنة النبوية أنه ﷺ أمر بالتمتع بالطيبات دون إسراف أو تبذير، فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ[2]". جاء في فتح الباري: هَذَا الْحَدِيثُ جَامِعٌ لِفَضَائِلِ تَدْبِيرِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَفِيهِ تَدْبِيرُ مَصَالِحِ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَإِنَّ السَّرَفَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَضُرُّ بِالْجَسَدِ وَيَضُرُّ بِالْمَعِيشَةِ فَيُؤَدِّي إِلَى الْإِتْلَافِ وَيَضُرُّ

1. أخرجه أحمد في المسند (6/481) حديث رقم (7056)، وقال محققه: إسناده صحيح.
2. أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب اللباس، بَابُ الْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَكَ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ (4/600) حديث رقم (3605)، قال محققه: إسناده حسن.

بِالنَّفْسِ إِذْ كَانَتْ تَابِعَةً لِلْجَسَدِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ[1].

كما عملت السنة النبوية أيضا على ضرورة الاقتصاد في استعمال الماء وعدم السرف فيه، حتى ولو كان ذلك للعبادة، فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ[2]". قال الإمام العيني (رحمه الله): وأما الاعتداء في الطهور أن يسرف في الماء، بأن يكثر صبه أو يزيد في الأعداد[3]. فإذا جاء النهي عن الإسراف بالماء عند أداء العبادة، فإن النهي قائم من باب أولى، بشأن كل الاستعمالات المفرطة غير الرشيدة في جميع المجالات.

فالإسراف أو التبذير أكبر خطر يهدد التنمية المستدامة، لأنه يستنزف الموارد ويهلكها، وقد شبه الله سبحانه وتعالى المبذرين بأنهم إخوان الشياطين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ (الإسراء: 27) فجاءت التوجيهات الإسلامية لتحد من الإسراف، وتضبط عملية الاستهلاك وفق ما يحتاج إليه الإنسان. وهو من أهم أهداف التنمية المستدامة.

وقد كانت للتوجيهات النبوية دور كبير في تعزيز الوعي البيئي لدى المرأة، لأن المرأة تلعب دورا مهما في تحقيق الاستدامة البيئية من خلال ممارساتها اليومية داخل الأسرة وخارجها، وذلك على النحو التالي:

- تساعد التوعية البيئية المرأة على تمكينها من اتخاذ قرارات بيئية صحيحة، مثل: شراء منتجات صديقة للبيئة، أو إعادة تدوير المخلفات، واستخدام المواد الطبيعية في صنع الأطعمة والأدوية...وغيرها.

- كما يساعد تزويد المرأة بالمعلومات البيئية السليمة على مشاركتها في عملية الوعي والتثقيف البيئي، وغرس تلك الممارسات لدى أبنائها، من خلال تربية الأبناء على القيم البيئية، مثل عدم الإسراف والحفاظ على الموارد، فقد كانت النساء تلعب دورًا محوريًا في نقل هذه المفاهيم للأجيال القادمة، لتساهم في إيجاد بيئة مستدامة سليمة.

---

1. ابن حجر، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، د. ط (2/253).
2. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، بَابُ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاءِ (1/24) حديث رقم (96)، قال محققه: حديث حسن، فقد حسّن إسناده الحافظ في «الأمالي المطلقة»: حديث حسن.
3. العيني، شرح سنن أبي داود، المحقق/ أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ، 1999م، (1/226).

• ونظرا لتحمل المرأة مسئولية إدارة البيت، يجعل لها شأنا في مواجهة التلوث المنزلي وفي اختيار السكن المناسب بيئيا، وفي إدارة الموارد بشكل متوازن، فقد كانت النساء تُدير الموارد المنزلية بحكمة، مثل الماء والطعام، وتقوم دائما باختيار السلع الغذائية والأدوية والملابس المناسبة لأسرتها، وبإمكانها اختيار السلع الصديقة للبيئة، كما بإمكانها توفير الغذاء ودعم الاكتفاء الذاتي لأسرتها وللمجتمع، مما يعكس وعيها بأهمية الحفاظ على الموارد الطبيعية.

• أما المرأة الريفية التي تعمل في الأرض وتزرع المحاصيل وترعي الحيوانات والماشية وتقوم على تربية الطيور، فهي أكثر أفراد المجتمع إحساسا بالمشكلات البيئية، بدءًا من تدهور التربة الزراعية وتلوث المياه والهواء والجفاف والأمراض ومن ثم فإن هناك ضرورة لتعزيز دورها البيئي.

• ولما كانت النساء جزءًا من المجتمع، فقد شاركن في الأنشطة الاجتماعية التي تعزز من الوعي بأهمية البيئة، مثل التنظيم للمناسبات التي تهدف إلى الحفاظ على البيئة.

في المجمل، كانت تعاليم السنة النبوية تشجع على احترام البيئة والحفاظ عليها، وكانت المرأة في العصر النبوي تلعب دورًا محوريًا في الحفاظ على البيئة وتعزيز الوعي البيئي، مما ساهم في بناء مجتمع متوازن ومستدام.

• استخدام الموارد الطبيعية: كانت النساء يستخدمن الموارد الطبيعية بطرق مستدامة. على سبيل المثال، جمع الأعشاب والنباتات الطبية واستخدامها في الطب الشعبي لعلاج الأمراض، مما يُظهر احترامهن للطبيعة ومواردها.

• الاهتمام بالمياه: كانت المرأة تسهم في إدارة مصادر المياه، مثل حفر الآبار وتجميع مياه الأمطار، كانت النساء يحملن الماء من الأنهار والآبار، مما يعكس أهمية إدارة الموارد المائية في حياتهم اليومية.

• التربية على القيم البيئية: من خلال تربية الأطفال وتعليمهم القيم الإسلامية المتعلقة بالبيئة، مثل عدم الإسراف والحفاظ على الموارد، كانت النساء تلعب دورًا محوريًا في نقل هذه المفاهيم للأجيال القادمة.

المبحث الرابع

مشاركة المرأة في بناء الدولة

من أهداف التنمية المستدامة التي أقرتها الأمم المتحدة: أهداف مشتركة بين الاقتصاد والاجتماع والبيئة، وتشمل: السلام والعدل والمؤسسات القوية، وعقد الشراكات لتحقيق الأهداف، ومدن ومجتمعات محلية مستدامة.

يسعى هذا الهدف إلى التشجيع على إقامة مجتمعات مسالمة لا يُهمّش فيها أحد، وإتاحة إمكانية وصول الجميع إلى العدالة، وبناء مؤسسات فعالة وخاضعة للمساءلة وشاملة للجميع على جميع المستويات. فينبغي أن يتحرر الناس في كل مكان من الخوف من جميع أشكال العنف وأن يشعروا بالأمان طول حياتهم مهما كان عرقهم أو عقيدتهم أو ميولهم الجنسية [1].

ومع ذلك فإن الملاحظ تعَرْقُل تحقق هذا بسبب النزاعات العنيفة المستمرة والجديدة في جميع أنحاء العالم المسار العالمي نحو تحقيق هذا الهدف. إن المستويات المرتفعة من العنف المسلح وانعدام الأمن لها تأثير مدمر على تنمية أي بلد.

وحتى تتحقق التنمية المستدامة، لا بد من وجود روابط وعلاقات وثيقة بين الأفراد، وهذا يسهم في تكوين منظومة اجتماعية واحدة، ذات هموم وأهداف مشتركة، مما يؤثر إيجابا على البيئة من حيث تعزيز فكرة حماية البيئة ومكافحة التلوث، ويؤثر في الاقتصاد من خلال مكافحة البطالة والفقر، فالمجتمع المستدام ينهض بالأفراد المهمشين، ويجعلهم شركاء في عملية التنمية بعد شمولهم بها[2].

وقد أكدت السنة النبوية على هذا الهدف، فعمل النبي ﷺ على إزالة الفوارق والطبقات بين الناس، وأن المجتمع كله نسيج واحد، ولم يهمش أي فئة من فئات المجتمع، وعزّز فكرة أن لكل شخص دوره في المجتمع وهذا الدور يكتمل بتعاونه مع غيره من بني جنسه، وحرصه على حسن التعامل مع كل ما حوله من كائنات حية أو البيئة المحيطة به، وقد حرص ﷺ على ترسيخ فكرة أن المجتمع عبارة عن منظومة متكاملة، لا يمكن فصل

1. الموقع الالكتروني الرسمي للأمم المتحدة https://www.un.org/ar.
2. الخرمان، التنمية المستدامة في السنة النبوية (ص61).

جزيئاتها عن بعضها، ولكي تتم التنمية المستدامة يجب تفاعل كل جزئيات هذه المنظومة مع بعضها البعض، فالمجتمع كالجسد الواحد إذا اختل فيه جزء أثَّر هذا الاختلال على باقي الأجزاء، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى[1]".

وقد ضربت المدينة المنورة بعد الهجرة أروع الأمثلة في التراحم والتواد بين البشر، وترسيخ فكرة الجسد الواحد، فما الذي يجعل هذا الأنصاري الثري يتقاسم ماله مع هذا المهاجر الذي لا تربطه به صلة قرابة أو نسب أو مصاهرة أو دم؟ هذا المجتمع كان كالجسد الواحد، عاش فيه الجميع على اختلاف دياناتهم وهويتهم وعاداتهم وطباعهم في سلام وأمان، تحت مظلة الإسلام وبقيادة النبي ﷺ.

إذن فقد صدَّر النبي ﷺ فكرة الجسد الواحد، وهذه الفكرة لها تأثيرها الإيجابي على عملية التنمية المستدامة، فتؤثر إيجابا على البيئة من حيث تعزيز فكرة حماية البيئة ومكافحة التلوث والمحافظة على الموارد الطبيعية، وتؤثر في الاقتصاد من خلال مكافحة الفقر والبطالة.. فالمجتمع المستدام لم يترك الأفراد المهمشين بل ينهض، ويجعلهم شركاء في عملية التنمية.

كما شجّعت الشريعة الإسلاميّة على التعاون والتشارك والعمل الجماعي، قال تعالى في سورة الكهف: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي﴾ (الكهف، 95). وقد ورد في السنة النبوية أحاديث عديدة تدل على حرص النبي ﷺ على العمل الجماعي وعقد الشراكات، ومما يدل على ذلك تعاون النبي ﷺ مع صحابته الكرام في بناء المسجد النبوي الشريف، جاء في صحيح البخاري: كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ مع صحابته الكرام اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ (أي المسجد النبوي) وَيَقُولُ، وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ: "اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ، فَارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَالمُهَاجِرَهْ [2]".

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ (8/10) حديث رقم (6011).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ (5/60) حديث رقم (3906).

اللّٰهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللّٰهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللّٰهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ[1]"

ولم تكن المرأة المسلمة في عهد النبي ﷺ بعيدة عن هذه الأمور، بل كانت شريكة للرجل ومعاونة له، والسنة النبوية ثرية بالحديث عن نساء شاركن الرجال في بناء الدولة الإسلامية، وكانت آراؤهم مؤثرة في المجتمع، ومن هؤلاء النساء:

أم المؤمنين السيدة أم سلمة (رضي الله عنها)، فلا بد أن يُذكر الموقف النبيل والمشاركة المجتمعية الفاعلة التي قامت بها أثناء صلح الحديبية، عندما غضب الصحابة من شروط صلح الحديبية، ولم يمتثلوا لأمر النبي ﷺ حين أمرهم أن ينحروا جزورهم، ودخل عليها النبي ﷺ وحكى لها ما حدث، فاستخدمت ذكائها وفطنتها، وأسرعت بالإشارة عليه بأن يخرج إليهم لا يكلم أحدا، وينحر بدنه ويدعو حالقه، فأخذ النبي ﷺ بمشورتها ورأيها، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا[2]. فهنا كانت السيدة أم سلمة (رضي الله عنها) موضع مشورة للرسول ﷺ، وكانت مؤثرة في قراره السياسي، فقد شاركت في حل مشكلة كبيرة كادت أن تفتت جسد الأمة الإسلامية، فعملت على لَمِّ الشمل ورأب الصدع، وقد وُفِق النبي ﷺ عندما أخذ برأيها ومشورتها.

وهناك من النساء من شاركن الرجال في بناء الدولة الإسلامية الأولى، وذلك أثناء بيعة العقبة، فقد شاركت فيه بعض النساء، منهن: **أم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية، وأم منيع بنت عمرو بن عدي الأنصارية (رضي الله عنهم)**، هاتان المرأتان تحملتا مشاق السفر من المدينة إلى مكة مع وفد مؤلف من ثلاثة وسبعين رجلًا؛ للمشاركة في أمر عام، ولقاء النبي ﷺ ومبايعته في بيعة العقبة الثانية[3].

وهذه المرأة بعينها **نسيبة بنت كعب الأنصارية أم عمارة**، هي التي شاركت في

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ (4/2074) حديث رقم (2699).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ (3/193) حديث رقم (2731).
3. ابن هشام، السيرة النبوية، المحقق/ مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1375هـ، 1955م، (1/441).

غزوة أحد، حينما ذهبت لسقي الماء، ولما رأت انهزام المسلمين سارعت إلى النبي ﷺ، وكانت تباشر القتال بنفسها، وتدافع عن النبي ﷺ، وترمي عنه بالقوس، حتى جُرِحَت[1]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى وعي المرأة المسلمة، وأهمية دورها في تنمية المجتمع، وأنه لا يقل بحال عن دور الرجل.

وهذه **أُمَّ هَانِئٍ بِنْتَ أَبِي طَالِبٍ**(رضي الله عنها)، التي كان لها رأي في النشاط السياسي للدولة، وفي الدعوة إلى إصلاح المجتمع وتخفيف أعباء الرجل السياسية، فعندما فتح النبي ﷺ مكة، وكان قد حكم على بعض أهلها بالإعدام، وعندما علم هؤلاء المجرمون بعودته إلى مكة هربوا جميعا، ماعدا ابن هبيرة فقد استجار بأم هانئ ابنة عم النبي ﷺ فأجارته، فاحتج بعض الصحابة على ذلك، فذهبت للنبي ﷺ تخبره، فقال لها: "قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ[2]". فقد احترم النبي ﷺ رأي هذه المرأة، واحترم العهد الذي أعطته لأحد المطلوبين للعدالة، ولم يخذلها أبدا، وفي هذا أكبر دليل على احترام الإسلام للمرأة وتقديرها. كما يدل على مدى وعي المرأة المسلمة وأهمية دورها ومشاركتها في النشاط المجتمعي والسياسي.

وإذا كان النبي ﷺ قد طبق مبادئ التنمية منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، فهو أيضا عمل على استدامتها، ولم يكتف بتفعيل وتطبيق مبادئ التنمية لمن يعيشون في عصره فقط، وإنما عمل على استدامتها للأجيال القادمة، فعمل النبي ﷺ على تحقق نفع المسلم ليس لزمنه فقط وإنما لمن بعده أيضا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ[3]".

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ[4]".

---

1. ابن هشام، السيرة النبوية (2/82).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، بَابُ أَمَانِ النِّسَاءِ وَجِوَارِهِنَّ (4/100) حديث رقم (3171).
3. أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المقدمة، بَابُ ثَوَابِ مُعَلِّمِ النَّاسَ الْخَيْرَ (1/88) حديث رقم (242) قال محقق: وإسناده ضعيف، مرزوق بن أبي الهذيل لين الحديث.
4. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ (3/1255) حديث رقم (1631).

وعلى الرغم من حصر النبي ﷺ ما يلحق المؤمن بعد وفاته في هذه الأشياء، إلا أن الأمر فيه توسعة، ويشمل كل ما يتركه المؤمن بعد وفاته لنفع الناس، وهنا يتحقق معنى الاستدامة، ومن أهم مظاهر الاستدامة في السنة النبوية: الصدقة الجارية، وهي التي يستمر ثوابها بعد موت الإنسان، والجريان بمعنى الاستدامة، لأن نفع هذه الصدقة يستمر حتى بعد موت صاحبها.

ومن أمثلة الصدقة الجارية: العلم النافع، والولد الصالح، وشق الأنهار والقنوات، وحفر الآبار، وبناء المساجد والمدارس والمستشفيات، وتعليم أبناء الفقراء، وتوفير مأوى لابن السبيل واللاجئين... وغير ذلك من الأمور التي تساهم في تنمية المجتمع. وهذه وما شابه من أهم وأبرز عوامل تحقيق التنمية المستدامة، فالعلم النافع يسهم في دراسة الموارد الطبيعية وكيفية تعامل الإنسان معها. والولد الصالح: يشكل بُعدا اجتماعيا مهما، ويعالج أحد أهداف التنمية المستدامة، من حيث إيجاد الفرد الحريص على ما ينفعه وينفع غيره، الواعي بما يدور حوله من مشاكل بيئية واقتصادية واجتماعية[1]. وشق الأنهار وحفر الآبار أيضا من أهم وسائل تحقيق التنمية المستدامة، لأنه يهدف إلى توفير المياه العذبة النظيفة إلى الكائنات الحية جميعها. وتوفير المأوى لابن السبيل واللاجئين من الدول الأخرى يعد من أهم مبادئ التنمية المستدامة، وكل وقف يدوم نفعه إلى الأجيال القادمة هو صدقة جارية ويعد أساسا في عملية التنمية المستدامة. وعليه فإن هذا التوجيه النبوي الكريم يعد أساسا ومنهجا في تحقيق التنمية المستدامة.

ومن يتابع السنة النبوية يجد أن نساء المسلمين لم يدعن لرجالهن مجالا من المجالات يستأثرون بها دونهن، وهذه بعض النماذج لنساء مسلمات شاركن في الحياة بكل مجالاتها، فلم يقتصر دورهن على مباشرة أمور المنزل وتربية الأبناء فحسب، بل تعدى ذلك بكثير، فقد رأينا مشاركة المرأة في الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والعلمية والثقافية، وكان كل هؤلاء النساء وغيرهن- مما لا يتسع المجال لذكرهن كلهن- قد أثَّرن في المجتمع تأثيرا ملحوظا، وحققن نجاحا باهرا، وكانت لهن بصمة واضحة في التنمية المستدامة، مثلهن مثل الرجال، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ (التوبة 71).

---

1. بكر عبد الله الخرمان، آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية، مداخلة نشرت في كتاب أعمال المؤتمر الدولي الخامس عشر لمركز جيل البحث العلمي حول آليات حماية البيئة، الذي نظم في طرابلس لبنان يومي 26 و27 ديسمبر 2017، (ص199).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... أما بعد.

فبعد هذا العرض الممتع لهذا البحث الموجز، نستخلص عدة نتائج، منها:

1. أن السنة النبوية سبقت ما نادت به الأمم المتحدة في مجال التنمية المستدامة منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة.

2. أن أهداف التنمية المستدامة في السنة النبوية هي أهداف شاملة لجميع نواحي الحياة، فلم تترك مجالا من مجالات التنمية المستدامة إلا ونبهت إليه وحرصت عليه.

3. أن السنة النبوية قررت مجموعة من المبادئ العامة، التي يمكن من خلالها تحقيق التنمية المستدامة بشكل عام.

4. أن مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام يتجاوز المنظور المادي وتحقيق الرفاهية القائمة على إشباع متطلبات الجسد ويمتد إلى طلبات الروح والعقل التي لا تقل عن الناحية المادية في الحياة.

5. على الرغم من عدم ورود مصطلح التنمية المستدامة في السنة النبوية، إلا أنه كان مفعلا، وورد ما يدل على مفهومه ومعناه.

6. لم تكن المرأة المسلمة بعيدة عن مجالات التنمية، بل كانت عضوا فاعلا فيها، وقد عملت السنة النبوية على تفعيل هذا الدور.

7. أبدعت المرأة المسلمة، وشاركت في جميع مجالات التنمية، فنراها المربية، والمعلمة، والعالمة، والشاعرة، والمحدثة، والتاجرة، والمُطَبِّبة، والممرضة، والصانعة، والزَّارِعة، والمحاربة، والمدافعة عن وطنها، والواقفة بجانب الرجل في جميع المجالات...

8. العالم الآن بحاجة ماسة إلى تطبيق تعاليم ومبادئ السنة النبوية في التنمية المستدامة؛ لأنه لا مخرج من الأزمات الراهنة إلا بتطبيق هذه المبادئ والتعليمات في

جميع المجالات، وإذا ما تحقق ذلك لتقدم العالم الإسلامي، ولعاد إليه مجده وعزته.

ومن التوصيات:

1. أوصي باهتمام المعنيين بشؤون التنمية المستدامة في العالم، بتفعيل وتطبيق ما جاء في السنة النبوية المشرفة من توجيهات وضوابط خاصة بالتنمية المستدامة.

2. أوصي بضرورة تفعيل دور المؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية لخدمة موضوع التنمية المستدامة.

3. كما أوصي بالاهتمام بالقضايا البيئية وبرامج التنمية المستدامة من قبل الباحثين، لأننا أصبحنا في حاجة ماسة إلى الاهتمام بها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. الْإِجَابَةُ لِإِيْـرَادِ مَا اسْتَدْرَكَتْهُ عَائِشَةُ عَلَى الصَّحَابَةِ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت794هـ)، المحقق/ سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1358هـ، 1939م.

2. الأدب المفرد البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت256ه)، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1409هـ، 1989م.

3. الاستيعاب في أسماء الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت463ه) القاهرة، ط1، 1328هـ.

4. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت630هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ، 1994 م.

5. الإسلام والتنمية المستدامة رؤية كونية جديدة، لودة راشد الجيوسي، ترجمة: الإسكندرية، مجموعة الترجمة جمانة وليد وآخرون، مؤسسة فريدريش ايبرت، مكتب الأردن والعراق، 1113هـ.

6. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852ه)، المحقق/ عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ.

7. آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية، بكر عبد الله الخرمان، مداخلة نشرت في كتاب أعمال المؤتمر الدولي الخامس عشر لمركز جيل البحث العلمي حول آليات حماية البيئة، الذي نظم في طرابلس لبنان يومي 26 و27 ديسمبر 2017.

8. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت1353ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط. ت.

9. التنمية الشاملة المستدامة المبادئ والتنفيذ، لخبابه عبد لله، بحث بمؤتمر التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة، جامعة فرحات، السطيف، الجزائر، أبريل 2008م.

10. التنمية المستدامة في السنة النبوية الشريفة: غزوة حنين نموذجا، هناء أبو بكر محمد بابطين، مجلة جامعة الوصل، العدد (67)، ديسمبر 2023م.

11. التنمية المستدامة في السنة النبوية، فراس بن ساسي، رسالة ماجستير، جامعة الزيتونة، 1439، 2018م.

12. التنمية المستدامة في العمارة التقليدية في المملكة العربية السعودية، مهندس/ نايف بن نائل بن عبد الرحمن أبو علي، رسالة ماجستير، بكلية الهندسة والعمارة، جامعة أم القرى، 1432هـ.

13. التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت1182هـ)، المحقق/ د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432 هـ، 2011م.

14. الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، عبد العزيز بن إبراهيم، دار أشبيلية، الرياض، ط2، 1400هـ، 2000م.

15. ديوان حافظ إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1987م.

16. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني [ت1420هـ]، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، مكتبة المعارف، 1422هـ، 2002م.

17. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد (ت273ه)، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية. ط1، 1430هـ، 2009م.

18. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت275هـ)، المحقق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت. ط1، 1430هـ، 2009م.

19. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت279هـ)، المحقق/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

20. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني،

أبو بكر البيهقي (ت458هـ)، المحقق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ، 2003م.

21. السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الاسلام، لعبد الحميد محمود طهماز، دار القلم دمشق، د. ط. ت.

22. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت213هـ)، المحقق/ مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1375هـ، 1955م.

23. السيرة النبوية، لأبي الفداء، إسماعيل بن كثير (ت774هـ)، مُستَلًّا مِن كتابه: البداية والنهاية، المحقق/ د. مصطفى عبد الواحد، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1395هـ، 1976م.

24. شرح سنن أبي داود، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني (ت855هـ)، المحقق/ أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ، 1999م.

25. شرح صحيح البخاري، لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت449هـ)، المحقق/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ، 2003م.

26. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (458هـ)، المحقق/ أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 1421هـ، 2000م.

27. صحيح البخاري، المسمى (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت 256هـ)، المحقق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

28. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت1420هـ)، المكتب الإسلامي.

29. صحيح مسلم، المسمى: (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:261هـ)، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

30. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت855هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

31. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.

32. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت:1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356.

33. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت630هـ)، المحقق/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م.

34. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت807هـ)، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ، 1994م.

35. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت405هـ)، المحقق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م.

36. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت241هـ)، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ، 2001م.

37. مسند البزار المنشور باسم (البحر الزخار)، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت292هـ)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، د. ت.

38. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت211هـ)، المحقق/ حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط2، 1403هـ.

39. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم

بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت388هـ)، المطبعة العلمية، حلب، ط1 1351هـ، 1932م.

40. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت360هـ)، المحقق/ طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د. ط. ت.

41. المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت360هـ)، المحقق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، د. ت.

42. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي، د. ط. ت.

43. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.

44. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت748هـ)، المحقق/ علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1382هـ، 1963م.

المواقع الإلكترونية:

1. الموقع الالكتروني الرسمي للأمم المتحدة https:www.un.org.ar

2. الموقع الالكتروني الرسمي لـوزارة البيئة والمياة والزراعة السعودية .https:www mewa.gov.sa.ar

3. الموقع الرسمي للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة https:icesco.org.ar

دور استغلال الطاقة المتجددة في تعزيز التنمية المستدامة من منظور شرعي

د. أنس سليمان المصري

محاضر غير متفرغ – الأردن

ملخص

اهتمت هذه الدراسة باستقراء النصوص والأدلة الشرعية المباشرة وغير المباشرة المتعلقة بالطاقة المتجددة ودورها في تعزيز التنمية المستدامة، باعتبارها أولى مصلحة لعمارة الأرض، وأصوب مقصدًا لتطبيق شرعه الذي يضمن أفضل منهج لخدمة البشرية، وتحليل تلك الأدلة الشرعية وتصنيفها وتقعيدها ضمن منظومة تؤسس للمنهج الرباني في اكتشافها وتطويرها وتوظيفها، ومعالجة الأخطاء الواقعة خلال استخدامها.

الكلمات المفتاحية: المنظور الشرعي، المنهج النبوي، الطاقة المتجددة، التنمية المستدامة.

Abstract

This study was concerned with extrapolating the texts and direct and indirect Islamic evidence related to renewable energy and its role in promoting sustainable development, as the first interest of the architecture of the earth, and the most correct destination for the application of its law, which guarantees the best approach to serve humanity, and the analysis of these Islamic evidence, classification and classification within a system that establishes the divine approach in discovering, developing and employing them, and addressing errors during their use.

Keywords: Sharia perspective, prophetic approach, renewable energy, sustainable development.

مقدمة

لما خلق الله تعالى البشرية، سخر لها من أسباب ديمومتها وتطور عمارتها للأرض، وأودع لها ما يمكن من المصادر والثروات ما يحول دون فنائها، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾ (النحل:12)، وقدّر فيها أقواتها التي تكفي البشرية دون نقص أو حاجة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠﴾ (فصلت: 10)، فحمّلها مسؤولية تسخير تلك المصادر والثروات بطريقة تضمن بقاء صلاحها، ومنهجية تحمي الإنسان والبيئة من تبعات فسادها.

فكان من أهم مقاصد الشريعة حفظ النفس البشرية، والمحافظة على كل الجزئيات والمقومات التي تدعم ذلك، وتحريم أي مفسدة أو ضرر يؤثر عليها جزئيًا أو كليًّا؛ ليجعل طرق استهلاكها والانتفاع منها مضبوطة بتلك المقاصد الشرعية على المدى البعيد.

وقد اعتادت البشرية – مسلمها وغير مسلمها- على استغلال ما يتوفر بين يديها من الطاقات والمنافع الدنيوية لتطوير مدنيتها، وتسهيل حياتها؛ لكنها أغفلت -أحيانًا- ما تُخلفه تلك المنافع الآنية من ضرر على البيئة والإنسان لاحقًا.

ومع مرور الزمن بدأت تتعالى بعض الأصوات التي رجحت كفة المصلحة البشرية على الاستغلال المادي والسيطرة على مصادر الطاقة، فسلطت الضوء ولفتت الأنظار إلى مدى الأضرار الواقعة من بعض المناهج المادية في التعامل مع مصادر الطاقة الأحفورية وأمثالها، فوافقت مقاصد الشريعة في تقديم المصالح العامة على الخاصة، ودرء المفاسد العليا الناتجة عن المصالح الصغرى، استنادًا للقاعدة الشرعية الكبرى الواردة في حديث النبي ﷺ: "لا ضَرَرَ، وَلا ضِرارَ، مَن ضَارَّ ضَارَّهُ اللَّهُ، ومَن شَاقَّ شَاقَّهُ اللَّهُ"[1]، فنادت باستخدام مصادر الطاقة المتجددة والتخلي عن مصادر الطاقة الأحفورية.

ومن باب المسؤولية الملقاة على عاتق أصحاب القرار، وعلماء الطاقة، والمختصين

1. أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، المحقق/مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، القاهرة، د. ط، 1997م، كتاب البيوع، باب هذا البيع يحضره الكذب واليمين فشربوه بالصدقة (2/74) حديث رقم (2400)، وحسنه النووي، بستان العارفين، دار الريان للتراث (1/20)، وابن رجب، جامع العلوم والحكم، المحقق/شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 2001م، (2/207)، والألباني، أحكام الجنائز، المكتب الإسلامي، بيروت، د. ط، 1986م، (1/7).

في ذلك المجال، في قول النبي ﷺ: "كُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عن رَعِيَّتِهِ"[1]، كان لا بد من رصد آلية للتحول إلى ما هو أنفع للبشرية والبيئة، وأكثر تحقيقًا للتنمية المستدامة، مع دوام مراقبة آثاره على المدى البعيد.

ولأن الرسالة الإسلامية رسالة خاتمة شاملة أبدية للبشرية كافة، فقد اهتمت بالبيئة اهتمامًا كبيرًا من منطلق أنها ميراث الأجيال المتلاحقة، حيث أودع الله تعالى فيها كل مقومات حياة الإنسان المستخلف فيها، كما أرسى الإسلام الأسس والقواعد والمبادئ التي تضبط الإنسان وتحقق العلاقة السوية المتوازنة التي تصون البيئة من ناحية، وتساعدها على أداء دورها المحدد من قبل الخالق العليم في إعالة الحياة من ناحية أخرى[2].

ومن هنا جاء دور هذه الدراسة في ضبط تلك المنهجيات، ووضع القواعد الشرعية التي تؤطر تلك المفاهيم التي كانت الشريعة قد سبقت بالتأصيل إليه والدعوة لمراعاته منذ اللحظة الأولى من التنزيل.

مشكلة الدراسة:

تعالج هذه الدراسة عدد من الإشكالات، أهمها:

1. تُعنى الدراسات المتعلقة بالطاقة المتجددة بمعالجة موضوعاتها من جهة اقتصادية تنموية أو اجتماعية، باعتبارها دراسات غربية المنهج، دون إسنادها إلى القواعد الفقهية أو المقاصد الشرعية المنضوية تحتها.
2. فراغ الساحة الشرعية والتنموية من وجود دراسة شرعية مؤصلة تبحث النصوص الشرعية المتعلقة بالطاقة المتجددة، والتعامل معها من منطلق مقاصدي قائم على المصالح والمفاسد.
3. إن مصطلح التنمية المستدامة لفظٌ مستحدث، يحتاج إلى وضع ضوابطه

---

1. متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/ مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1987م، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه (3/848) حديث رقم (2278)، ومسلم في صحيحه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر (3/1459) حديث رقم (1829).
2. خليل رزق، الإسلام والبيئة، دار الهادي للنشر والتوزيع، بيروت، 2006م، (ص46).

الشرعية، وتجريده مما قد يُستخدم له من غايات تعارض المنهج الرباني.

4. عموم النصوص الشرعية التي تعالج قضايا الطاقة المتجددة، مما يوجب ربطها مع أهداف التنمية المستدامة وإبراز المقاصد الشرعية والمنهج الرباني في التعامل معها.

أهداف الدراسة:

1. معالجة التباين بين المبادئ المتعلقة بالطاقة المتجددة ودورها في تحقيق التنمية المستدامة، وبين القواعد الفقهية والمقاصد الشرعية، ووضعها ضمن أصولها الشرعية التي تنضوي تحتها، وأطّرها ضمن سياقها الشرعي المطلوب.

2. ملء الفراغ المطلوب في محاكمة أسس ومناهج التعامل مع الطاقة المتجددة من خلال المقاصد الشرعية القائمة على المصالح والمفاسد الشرعية بعيدًا عن المادية والمصلحة الدُّنيا.

3. تجريد مصطلح التنمية المستدامة من أية شوائب أو مفاهيم أو تطبيقات مخالفة للشريعة الإسلامية، باعتباره أصيل المعنى وقديم المفهوم في الشريعة الإسلامية بما يرد من مفردات شرعية كـ (الاستخلاف، والاستعمار، والتسخير)؛ خشية التوسع في استخدامها لغايات تعارض المنهج الرباني.

4. استقراء النصوص الشرعية المتعلقة بالطاقة المتجددة، واستظهار المقاصد الشرعية الواردة فيها فيما يخدم التنمية المستدامة، ويعالج قوانين الطاقة المتجددة المعاصرة.

الدارسات السابقة:

تعالج الدراسات السابقة مواضيع الطاقة المتجددة من منطلقات إنسانية مصلحية بحتة، باعتبارها أبحاث مادية صادرة عن مراكز دراسات ومؤسسات لا عناية لها بالفقه الإسلامي، مما أنتج قواعد مادية غير مدعومة ولا مؤطّرة بالمنظور الشرعي.

وعلى الرغم من وجود نصوص شرعية، وقواعد أصولية يمكن لتلك الدراسات أن تندرج فيها، إلا أنها لم تجد من يُعنى بها للتدليل على ما تصُب به تلك الدراسات في

المصلحة الإنسانية، أو تضبط جزئياتها بالمنظور الشرعي والمنهج الرباني، مما يعوِز إلى دراسة تربط بين التأصيل الشرعي باعتباره المرجع الأول والأكمل في الإرشاد إلى المصلحة المثالية للإنسانية، وبين الدراسات والنظريات المعاصرة في علوم الطاقة المتجددة، وحاجتها إلى تلك المبادئ، ودرء ما قد يُدّعى من أن تلك الدراسات تراعي المصالح الإنسانية بطريقة لم يسبق لها مثيل في التأصيل الشرعي.

ولا شك أن عددًا من الدراسات العلمية عرضت حول هذا الموضوع؛ لأهميته وحيويته في الظروف المعاصرة؛ لكن أيًّا منها لم يؤصل تلك القواعد المستجدة من منظور الشريعة الإسلامية وعلم المقاصد الشرعية.

ومن أهم الدراسات السابقة التي عرضت حول هذا المفهوم ما يأتي:

1. طالبي وساحل، محمد ومحمد، أهمية الطاقة المتجددة في حماية البيئة لأجل التنمية المستدامة –عرض تجربة ألمانيا-، مجلة الباحث، الجزائر، عدد 6، 2008م.

أبرزت الدراسة المصالح البيئية والآثار الإيجابية لاستخدام الطاقة المتجددة بدلًا عن الطاقة الأحفورية، وقارنت بين المخلفات والنتائج في كل منهما، ثم عرضت تجربة تطبيقية على دولة ألمانيا، وأثر تحولاتها إلى الطاقة المتجددة، لكنها لم تُعنَ بالتأصيلات الشرعية لذلك؛ لأن ذلك خارج مشكلة دراستها.

2. ربيع وبشير وغانم، دنيا وأحمد حسين وعصام جمال، دور الطاقة المتجددة والطاقة الشمسية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، مجلة الدراسات والبحوث البيئية، جامعة مدينة السادات، العدد 1/14، 2024م.

عالجت الدراسة الفرق بين تأثير الطاقة المتجددة وغير المتجددة على البيئة، والاقتصاديات الناتجة عن التحول في استخدامها، وحركات التوجه العالمي لاستخدام الطاقة المتجددة، والإجراءات المتبعة لتشجيع ذلك التحول، كما إنها رصدت الرؤى المستقبلية لتلك الإجراءات، لكنها لم تعالج المنطلقات الشرعية، ولا المقاصد الإسلامية في ذلك؛ لأنه ليس من أهدافها.

تلك الدراسات وعدد غيرها من الأبحاث التي طرقت جوانب الموضوع، بطريقة لا تُغني عن هذه الدراسة، ليس بداعي التقصير، وإنما لعدم اختصاص موضوعاتها، أو

استقراء مادتها، أو تحليل مواقفها بالطريقة التي تؤدي غرض هذه الدراسة.

ومن هنا كان لا بد من دراسة استقرائية تحليلية تأصيلية تمايز تلك المفاهيم وتؤطرها بالمنظور الشرعي.

منهجية البحث:

اتبع البحث عدة منهجيات تعاضدت لتشكل في مجملها سلسلة متكاملة متناسقة حسب الآتي:

1. المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء الآيات والأحاديث النبوية؛ لاستخراج النصوص المتعلقة بمفاهيم الطاقة المتجددة والقواعد الشرعية للاستخلاف الرباني.
2. المنهج التحليلي: من خلال تحليل تلك النصوص الشرعية وتحديد المصطلحات المكوِّنة لتلك المفاهيم واستخداماتها.
3. المنهج التقعيدي: ويشمل تقعيد تلك المفاهيم الشرعية بحسب الأسس العلمية المعاصرة.
4. المنهج التطبيقي: ويشمل الآليات الممكنة لإدماج تلك القواعد الشرعية ضمن قوانين استخدام الطاقة المتجددة المعاصرة.

المبحث الأول: مفهوم الطاقة المتجددة:

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للطاقة:

الطاقة في المفهوم اللغوي هي أقصى القدرة التي يستطيعها الشخص[1]، أو ما يفعله الإنسان بمشقة[2]، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ (البَقَرَة: 184)، قال ابن عباس: أي يتجشمونه –أي يجدون صعوبة في أدائه-، ونزلت في الشيخ الكبير الذي

1. ابن منظور، لسان العرب، المحقق/عبد الله الكبير وآخرون، دار المعرفة، القاهرة، (4/2725).
2. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، (2/571).

لا يطيق الصوم –أي لا تُمكنه طاقته من أدائه-[1].

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾ (البَقَرَة: 249)، أي: أن قلّتهم دون القدرة على مواجهة جالوت وجنوده[2].

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ (البَقَرَة: 286)، أي بما لا قِبل لنا به من التكليف والبلاء والمصائب[3].

وقال ﷺ: "اكْلَفُوا مِنَ الأعْمَالِ ما تُطِيقُونَ"[4]، أي: ما يدخل في دائرة استطاعتكم.

المطلب الثاني: المفهوم العلمي (الاصطلاحي) للطاقة المتجددة:

هي الطاقة التي نحصل عليها من خلال مصادر يتكرر وجودها في الطبيعة على نحو تلقائي ودوري[5].

وعكسها الطاقة غير المتجددة: وهي الوقود الأحفوري (الفحم والنفط والغاز) من الموارد غير المتجددة التي استغرق تشكيلها زمنًا طويلًا من السنين، أو أنها أودعت بكمياتها المحدودة في باطن الأرض.

المبحث الثاني: مصادر الطاقة المتجددة الواردة في سياق النصوص الشرعية:

وردت مفردات الطاقة المتجددة في النصوص الشرعية بمعرض التدليل على إسباغ النعم على البشر، وإثبات ربوبية الله تعالى بما سخّره لضمان ديمومة عيشهم، وما وهبهم الله تعالى إياه من أدوات للاستخلاف وعمارة الأرض بالمنهج الرباني المطلوب دون إحداث

1. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المحقق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، (1/366).
2. المصدر السابق (1/509).
3. المصدر السابق (1/573).
4. متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (5/2373) حديث رقم (6100)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصوم، باب النهي عن الوصال في الصوم (2/774) حديث رقم (1103).
5. زرزور، المسألة البيئية والتنمية المستدامة، معهد علوم التسيير، المركز الجامعي بالمدية، 2006م، (ص7-6).

ضرر، وفساد فيها، سواء بمعصية واعتداء، أم بسوء استخدام واستغلال.

ولم تُعنَ تلك النصوص الشرعية، بتفصيل خصائص تلك المصادر، أو آليات تطويرها واستغلالها؛ لأن ذلك موكل للجهد البشري الذي أتاحه الله تعالى للناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم؛ لأنه متعلق بربوبية الخالق من الرزق والتسخير الذي منحه لكل المخلوقات.

لكنه بلا شك، وضع قواعده العامة، ومقاصده الشرعية التي تعود على الإنسان بالمصلحة والاستمرار الذي هيأه الله تعالى له قبل خلقه.

ومن أبرز تلك المصادر الواردة في النصوص الشرعية ما يأتي:

المطلب الأول: الطاقة الحرارية الشمسية:

تُعد الطاقة الحرارية الشمسية أشهر مصادر الطاقة التي استخدمها الإنسان في حياته من بدايات خليقته؛ وذلك لسهولة الحصول عليها ووفرتها، وقد ورد ذكرها في سياق النصوص الشرعية التي عبّرت عنها من خلال عدة ألفاظ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦﴾ (نوح: 16)، والسراج: هو الآلة المشتعلة بالوقود المتفاعل الصادر عنها ضوء وحرارة، وهي مطابقة لمكونات الشمس ذات الوقود المشتعل الذي يصدر عنه الضوء المصاحب للحرارة.

فالشمس مصدر طاقة متجدد يضمن التنمية المستدامة دون أن ينضب أو يترك أثرًا سلبيًّا، سخّره الله تعالى لمخلوقاته، وترك لهم مجالات استغلاله والتعامل معه، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ (النَّحل: 12)، ثم ختم الآية بالآلة الواجب استخدامها للإفادة من تلك المصادر بشكل صحيح فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾ (النحل: 12).

وقد كان العرب يستغلون تلك الحرارة بالمقدار والأدوات التي كانوا يملكونها، فكانوا يشرّقون لحوم نسكهم أيام التشريق في الحج يقول ابن منظور: "تشريق اللحم تقطيعه وتقديده وبسطه، ومنهُ سميت أيام التشريق، وأيام التشريق ثلاثة أيامٍ بعد يوم النحر؛ لأن لحم الأضاحِي يُشرَّق في للشمس أي يُشرَّر"[1].

1. ابن منظور، لسان العرب (4/2246).

كما أوردت النصوص الشرعية لفظ (الحر) في إشارة إلى الطاقة الحرارية الصادرة من الشمس في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ (التَّوبَة: 81)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ (النَّحل: 81)، والمقصود هنا (حر الشمس)، وقد جاء ذكر ذلك صراحة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦﴾ (نُوح: 16).

وقوله ﷺ: "إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ"[1]، وقول أنس (رضي الله عنه): كنا نصلي مع النبي ﷺ، فيضع أحدنا طرف الثوب من شدة الحر مكان السجود[2].

وعلى الرغم من أن الطاقة الشمسية هي المصدر الأكبر للطاقة، وهو المرشّح الأول لمقومات التنمية المستدامة باعتبارها الأوفر تكلفة، والأكثر أمنًا من ترك مخلفات سلبية تؤثر على البيئة، فإننا نجد -كذلك- أنها المصدر الرئيس الذي ينتج بسببه أنواع أخرى من الطاقة المتجددة؛ كالرياح وبعض أنواع الطاقة الحيوية، إلا أنها بقيت حتى وقت قريب غير ممكنة التخزين، ولا يمكن استغلالها بشكل كافٍ لفقدان أدوات تخزينها أو تحويلها إلى طاقة مختزنة.

لكن مؤخرًا تم تطوير وتحسين تكنولوجيا، وصناعة أجهزة يمكنها المساعدة على تخزين تلك الطاقة، وتحويلها إلى أنواع أخرى من الطاقة لتوفير التدفئة والتبريد والإضاءة والكهرباء من خلال الألواح الكهروضوئية، أو مرايا تركيز الإشعاع الشمسي، وغيرها من الأدوات التي تحقق التنمية المستدامة التي تضمن للأجيال اللاحقة الإفادة منها والاستمرار في تطويرها لخدمة مجتمعاتها، وتحقيق مدنيتها وعمرانها.

وتتفاوت دول العالم بحسب مواقعها الجغرافية بدرجات الطاقة الشمسية الممكن استغلالها، لكن الله تعالى لما خلق الأرض وقدّر فيها أقواتها، وازن ذلك التفاوت بتوفير مصادر أخرى للطاقة بدلًا عن الشمس، على ما سيأتي في هذا المبحث.

ولا بد من الإشارة إلى ضرورة إجراء أبحاث أكثر من قبل المختصين للنظر في الآثار الجانبية الخفية التي قد يخلفها التزايد على استخدام الألواح الشمسية، وهل يوجد حد أعلى

---

1. متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد في شدة الحر (1/198) حديث رقم (510)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر (1/430) حديث رقم (615).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب الصلاة في الثياب، باب السجود على الثوب في شدة الحر (1/151) حديث رقم (378).

للمساحات المستخدمة، خشية أن يكون لها أثر في تغير المناخ بالنسبة لبعض المواقع الطبيعية، أو انخفاض الحرارة، أو التأثير على حركات الرياح والمطر باعتبار أن الرياح واحدة من المصادر الطبيعية المعتمدة على تفاوت درجات الحرارة.

المطلب الثاني: الطاقة الحرارية الأرضية:

أولًا: الطاقة الحيوية:

هي الطاقة الحرارية الناتجة عن احتراق المخلفات النباتية والحيوانية، مثل الخشب والفحم والروث لإنتاج الحرارة والطاقة.

وقد شاع استخدامها في الزمان الماضي لأسباب متعددة؛ كوفرتها نسبة إلى قلة عدد المستهلكين مما شكل اكتفاءً باستخدامها، إضافة إلى كثرة تواجدها في المناطق الريفية والصحراوية التي كانت منتشرة زمن النبي ﷺ حتى وقت قريب، مما ساعد على سهولة الحصول عليها وتخزينها، وعدم احتياجها معدات معقدة لاستخراج الطاقة منها خلافًا لغيرها من مصادر الطاقة، إضافة إلى مساهمتها -ولو بشكل جزئي- في تحقيق التنمية المستدامة في بعض المناطق.

وقد استُخدمت لأغراض الطهي والإضاءة والتدفئة، ولا زالت تُستخدم حتى يومنا هذا من قبل السكان الأكثر فقرًا في البلدان النامية.

وقد عبرت عنها النصوص الشرعية في سياق ذكر النعم التي أنعمها الله تعالى على البشر بلفظ (النار) إشارة إلى الطاقة الحرارية الناتجة عن عملية الاحتراق، وطرق الانتفاع منها؛ كالصناعة كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ (الرَّعد: 22)، والطبخ والتدفئة كما في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢﴾ (الوَاقِعَة:71-72)، وما جاء في قول عائشة: "إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أُوقدت في أبيات رسول الله نار"[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠﴾ (يس:

1. متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها، باب فضلها والتحريض عليها (2/907) حديث رقم (2428)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، بدون باب (4/2283) حديث رقم (2972).

80)، في إشارة إلى أن الشجر الجاف هو المستخدم في استخراج المصدر الحراري، على خلاف الأخضر، وفي ذلك دلالتان: الأولى: ترك الشجر الأخضر حتى يجف طبيعيًا، دون المسارعة في قطعه واستنزافه، والثاني: أن تلك الطاقة المستخرجة من المخالفات النباتية والحيوانية مصدرها ضوء الشمس المتسبب في اخضرار الشجر ونمو الحيوان، وما يقوم به من عمليات أيضية تعمل على تخزين الطاقة فيه، فيُعاد استخراجها عن طريق الإحراق، في دورة طبيعية لا تؤثر على البيئة أو استنزاف مصادر الطاقة الكامنة حولنا.

وجاء في الحديث استخدامات أخرى لمصادر الطاقة الحيوية، كالعلاج في قوله ﷺ: "إنْ كانَ في شيءٍ مِن أدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ، فَفِي شَرْبَةِ عَسَلٍ، أوْ شَرْطَةِ مِحْجَمٍ ، أوْ لَذْعَةٍ مِن نارٍ"[1].

وكذلك في العقاب؛ كقوله ﷺ: "ليسَ صَلَاةٌ أثْقَلَ علَى المُنَافِقِينَ مِنَ الفَجْرِ والعِشَاءِ...، ...، لقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ المُؤَذِّنَ...، ثُمَّ آخُذَ شُعَلًا مِن نَارٍ، فَأُحَرِّقَ علَى مَن لا يَخْرُجُ إلى الصَّلَاةِ بَعْدُ"[2].

وتنتج الطاقة الناجمة عن حرق المخلفات النباتية والحيوانية انبعاثات غازات دفيئة، ولكن بمستويات أقل بكثير من حرق الوقود الأحفوري؛ لمحدودية استخدامها، وطبيعة مكوناتها، بشرط ألا يتم التجاوز في استغلالها إلى حد يؤثر على البيئية سلبًا، من إزالة للغابات الحية، أو انقراض أنواعها النادرة، الأمر الذي له مفاسد على صحة الإنسان والحيوان والبيئة.

وفي حال انتشار استخدامها على نطاق واسع فإن المنظور الشرعي لها سيعتمد على مدى الأثر الذي ستتركه على البيئة والإنسان.

فقد تسبب انبعاث مخلفات المحارق التي تحوي جسيمات عالقة ومعادن ثقيلة متبوعةً بمواد وغازات كيماوية ضارة، على الرغم من انخفاض كمية الانبعاثات المُنطلقة من المحارق الحديثة نسبيًا، لكنها تحوي على الرماد المتطاير السام، الذي يجب معالجته في منشآت التخلص من النفايات الخطرة، وكذلك رماد قاع المحارق (IBA)، الذي يجب

1. متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل (5/2152) حديث رقم ((5359)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (4/1729) حديث رقم (2205).
2. متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجماعة والإمامة، باب فضل العشاء في الجماعة (1/234) حديث رقم (525)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة والتشديد في التخلف عنها (1/451) حديث رقم (651).

إعادة استخدامه بشكل صحيح[1].

ثانيًا: طاقة الحرارة الجوفية:

جاء ذكر ذلك المصدر في إشارة قرآنية في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ﴾ (البَقَرَة: 74)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا ٩٠﴾ (الإسرَاء: 90)، وما يتفجر من الأرض من عيون أو أنهار أو ينابيع منها ما هو حار ومنها ما هو بارد.

وقد ذكر الله تعالى ذلك على سبيل النعمة التي وهبها لعباده في استخدام تلك المياه وما تختزنه من الطاقة الحرارية المتوفرة في باطن الأرض، فيما يُسمى اليوم بـ(الخزانات الأرضية الساخنة)، التي تستخدم في عدة مجالات لتوليد الطاقة واستعمالها.

وجاءت كذلك في سياق طلب المشركين واحدة من ثروات الأرض التي كانوا يجادلون أنبياءهم ويعاجزوهم في وهبهم إياها، وقد وجدها ذو القرنين في واحدة من بقاع الأرض التي وصفها الله تعالى بكثرة المتاع ووفرة الثروات، فقال -عن الشمس-: ﴿وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ﴾ (الكَهف: 86)، وفي قراءة بعض أهل الكوفة: ﴿فِي عَيۡنٖ حَامِيَةٖ﴾ (الكَهف: 86)، والعين الحمئة، هي العين الحارة ذات التربة السوداء[2].

وسبب تفجر تلك المياه الحارة هو ازدياد ضغط الحرارة الجوفية في باطن الأرض، مما يدفعه خارجها عبر الشقوق، أو تبقى مختزنة في الجوف، ويخضع استخدامها للنظر في تكاليف استخراجها وتحويلها؛ إذ إنها قد تكون باهظة التكاليف بالمقارنة مع غيرها من مصادر الطاقة المتجددة، أو قد تكون المصدر الأمثل في بعض المناطق لقلة وجود مصادر أخرى، وقد استخدم المتقدمون ما أُتيح لهم منها دون الحفر أو البحث عنها.

كما تُستخدم اليوم على نطاق ضيق في التدفئة، لكنها -نظريًّا- يمكن أن تغطي من

1. DIRECTIVE (2000/76/EC) OF THE EUROPEAN PARLIAMENT AND OF THE COUNCIL , Article 3-13, p. 95.

2. القرطبي، تفسير القرطبي، المحقق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، مصر، ط2، 1964م، (11/49).

احتياجات البشر من الطاقة لمئة ألف سنة قادمة[1]، الأمر الذي يمكنه المساهمة في تعزيز التنمية المستدامة للأجيال اللاحقة في حال تم اكتشاف أساليب أقل تكلفة، وأسهل تخزينًا.

حيث إن النشاط الإشعاعي في باطن الأرض يولد كمية هائلة من الطاقة يوازي ضعف ما يستخدمه البشر في زماننا المعاصر[2].

المطلب الثالث: الطاقة الضوئية:

الطاقة الضوئية مرتبطة بشكل كبير بالطاقة الحرارية المنبثقة عن مصدر الطاقة الضوئية الأكبر في الأرض وهو الشمس، التي لها الدور الأساس في حياة البشر منذ بدء الخليقة، وما زال العلماء يطورون طرقًا جديدة لاستغلال طاقتها المتجددة، واستخدامها لتعزيز دعائم التنمية المستدامة على مر العصور.

وقد جاء ذكر الشمس كأحد أهم مصادر الطاقة الضوئية في القرآن الكريم في سياق النعم التي وهبها الله تعالى لمخلوقاته، وكانت من أسس مقومات حياتهم؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ (يُونُس: 5)، وذكرت أهم خصائص هذا الضوء أن له مسارات مستقيمة، مما يؤدي إلى ظهور الظل ومطابقته للجسم المنعكس عنه، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ۝٤٥﴾ (الفُرقَان: 45)، وتم استغلال تلك الميزة للتحكم بانعكاسات الضوء وتركيزه وتجميعه في بؤرة لجمع طاقته وتخزينها، كما فيه إشارة إلى أن الظل هو أحد آثار الضوء.

كما ورد في النصوص الشرعية لفظ (النار) الناتجة عن احتراق المواد الصلبة كأحد مصادر الضوء في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِى ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ۝١٧﴾ (البَقَرَة: 17)، أو احتراق المواد السائلة، وبعض التفاعلات الكيمائية، كما في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ﴾ (النُّور: 35)، وذلك الاحتراق ناتج عن مصادر طبيعية لا يؤثر استخدامها على البيئة النباتية أو الحيوانية

1. مجلة "دويتشلاند" أون لاين الالكترونية، النسخة العربية، نسخة محفوظة، 11 مارس 2008م، مقال: (من باطن الأرض إلى غرفة الجلوس)، الموقع الالكتروني للمقال بتاريخ 21/12/2024م:
https://web.archive.org/web/20080311102448/http://www.magazine-deutschland.de/artikel_arab.php?id=218&lang=arab

2. Pollack, «Heat Flow from the Earth's Interior: Analysis of the Global Data Set», 30/267-280.

ما دام ضمن الإطار الموافق للبيئة في سبيل الإفادة منها في إنتاج الطاقة الضوئية التي تساهم في التنمية المستدامة بدلًا من مصادر أخرى لها أثر سلبي على البيئة، بشرط ألا يتم استنزاف تلك الثروات بشكل سلبي.

كما أشارت النصوص الشرعية إلى لفظ (البرق) كأحد مصادر الضوء الطبيعية، في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾ (البَقَرَة: 20)، وجاء ذكره في سياق الطاقة الهائلة التي يمكن أن تتولد عنه، في توجيه رباني إلى إمكانية تطوير الأدوات اللازمة لتخزين هذا الكم الهائل من الطاقة في البرق واستخدامه في مجالاته النافعة، تلك الطاقة شديدة التركيز بحيث تكاد الطاقة المنبثقة عنها أن تذهب بالأبصار، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٣﴾ (النُّور: 43).

وقد فرّق القرآن الكريم بشكل واضح بين مصادر الضوء الأولية ذاتية الإشعاع؛ كالشمس والنار والبرق، وبين النور الناتج عن انعكاس الضوء على الأسطح الطبيعية المظلمة؛ كالقمر والكواكب؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾ (نُوح: 16)، وقوله تعالى: ﴿وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ۝٦١﴾ (الفُرقَان: 61)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ (يُونُس: 5)، في إشارة إلى أن النور مختلف عن الضياء، فهو طاقة ضوئية منكسة لا صادرة، ولا تُخالطها أية حرارة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ (التَّوبَة: 32)، وفي ذلك إشارة لإمكان الإفادة من انعكاسات الضوء كواحد من مصادر الطاقة المتجددة الداعمة لتعزيز التنمية المستدامة في هذا المجال.

وقد جاء ذلك في سياق قول إبراهيم عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ﴾ (الأَنعَام: 76)، فرؤيته -عليه السلام- للكوكب لازمة عن صدور النور عنه ليلًا دون شك.

المطلب الرابع: الطاقة الحركية:

هي الطاقة الصادرة عن بعض الظواهر الطبيعة؛ كحركة الرياح، والحركة المائية، أو غيرها مما قد يمكن استغلاله في المستقبل.

كما تصدر الطاقة الحركية عن الكائنات الحية كالإنسان أو الحيوان؛ وهي من أوائل صور الطاقة التي استخدمها البشر في نقل ما كان يحتاجه من مكان لآخر، أو الاستعانة بالحيوانات لفعل ذلك. وتاليًا تفصيل ذلك:

أولًا: الطاقة الحركية الصادرة بفعل الكائنات الحية:

ورد ذكر الطاقة الحركية الصادرة عن الكائنات الحية في نصوص الشريعة في سياق نعم الله تعالى على عباده المؤمنين وغير المؤمنين على حد سواء، وما سخره لخدمتهم وراحتهم، والاستعانة لإتمام مهام عمارة الأرض، قال تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ (الزُّخرُف: 13)، فينقلكم وينقل أمتعتكم، وقال تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢﴾ (يس: 72)، وقوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ (النَّحل: 7)، ثم ألحقها بقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ (النَّحل: 8)، إشارة منه إلى إمكان ظهور وسائل نقل تعتمد على مصادر حركية أخرى سيخلقها الله تعالى في المستقبل لم تكن تعلمها الأجيال السابقة.

وقد ثبت في السنة النبوية عددٌ كثير من الأحاديث الوارد فيها استغلال مصادر الطاقة الحركية للإنسان والحيوان، باعتبارها مصدرًا متوافرًا في ذلك الزمان، منها أن النبي ﷺ ركب حماره وأردف عليه[1]، وقد نهى النبي ﷺ عن الإسراف بتحميل الحيوان فوق طاقته، أو استنزافها بعدم الاهتمام بإطعام الحيوان وشرابه الذي يعطيه تلك الطاقة؛ كما روي عن النبي ﷺ أنه دخل حائِطًا لرجُلٍ منَ الأنصارِ، فإذا فيهِ جملٌ، فلمَّا رأى النَّبيَّ ﷺ؛ حنَّ إليْهِ وذرِفَت عيناهُ، فأتاهُ النَّبيُّ ﷺ فمسحَ ذفريْهِ، فسَكنَ، فقالَ: "من ربُّ هذا الجملِ؟" فجاءَ فتًى منَ الأنصارِ فقالَ: هوَ لي فقالَ: "ألا تتَّقي اللَّهَ في هذِهِ البَهيمةِ الَّتي ملَّكَكَ اللَّهُ إيَّاها، فإنَّهُ شَكا إليَّ أنَّكَ تجيعُهُ وتدئبُهُ"[2].

ثانيًا: الطاقة الحركية الصادرة بفعل حركة الرياح:

ورد ذكر الطاقة الحركية الصادرة عن الظواهر الطبيعية؛ كالرياح، في السياق ذاته من تذكير البشر بنعم الله عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾... ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾... ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤﴾ (البَقَرَة: ١٦٤)، إضافة إلى بيان عظمة الله تعالى، وإتقان

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب كنية المشرك (10/601) حديث رقم (5854).
2. أخرجه أحمد في المسند، المحقق/شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط1، 2001م، (3/274) حديث رقم (1745)، وصححه الذهبي، تاريخ الإسلام، المحقق/بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2003م، (1/691)، وشعيب في تحقيق المسند، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 2002-1995م، (1/58) حديث رقم (20).

خلقه، كما قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (الرُّوم: 46)، وفي الآية تصريح إلى أن طاقة الرياح وغيرها من أنواع الطاقة الكونية -لا شك- مسخرة لخدمة الإنسان دون إرادة أو جهد منه.

فكما أن الشمس بحرارتها وضوئها طالما كانت سببًا في استدامة الحياة على سطح الأرض دون تحكم بشري، فالرياح تنقل السحب الثقال التي تحمل الماء من مكان لآخر؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ (الأعرَاف: 57)، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ (فَاطِر:9).

كما تنقل طلع النباتات من مكان لآخر فتتلقح وتتكاثر؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ (الحِجر: 22)، فهي مسخرة في الأرض قبل خلق الإنسان، وبسببها تجري كثير من سنن الله تعالى في كونه.

كما في النصوص الشرعية إشارة إلى أن طاقة الرياح مرسلة من الله تعالى يصرفها كيف يشاء؛ فإما أن يطلقها ليستفيد الإنسان منها في حركة الفُلك وآلات ركوبه سواء في الماضي أو المستقبل؛ كاستخدامها في حركة الطيران والملاحة اليوم أو ما يمكن الاستفادة منها من تعريضها لمراوح تُستخدم لتوليد الطاقة الكهربائية أو غيرها من الاستخدامات؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ (النَّحل: 14).

أو يُسكنها كليًّا أو جزئيًّا، بشكل مؤقت أو دائم، فتتعطل الآلات والبشر الذين يعتمدون عليها كما في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ (الشُّورَى : 33).

أو يرسلها بالعذاب؛ كما في قوله ﷺ: "الرِّيحُ مِن رَوحِ اللّهِ تعالَى -أي: رَحمتِه، أي: رَحمتِه لعِبادِه- تَأْتي بالرَّحمةِ وتَأْتي بالعذابِ"[1]، فمن مقتضيات ذلك التصريف أن يرسلها

1. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح، المحقق/محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د. ط. ت، (2/747) حديث رقم (5097) وحسّنه النووي، الأذكار، المحقق/ عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1994م، (1/178) والألباني، صحيح سنن أبي داود (1/2) حديث رقم (5097).

الله تعالى بدرجات أعلى مما يحتمله الإنسان، فتُهلكه أو تفنيه، وقد جاءت نصوص الشريعة بذلك التصريف في سياق التهديد والوعيد من عصيان الله، ونقمته على عصاته، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ (الأحقاف:24-25)، وقوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ (الإسرَاء: 69)، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ (الحَاقَّة: 6).

وقد كان النبي ﷺ يستعيذ الله تعالى من الريح إذا اشتدت فيقول: "اللهمَّ لَقْحًا لا عَقِيمًا"[1].

كما كان ﷺ يقول للريح إذا عصفت: "اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ ما فِيهَا، وَخَيْرَ ما أُرْسِلَتْ به، وَأَعُوذُ بكَ مِن شَرِّهَا، وَشَرِّ ما فِيهَا، وَشَرِّ ما أُرْسِلَتْ به"[2].

وفي ذلك إشارة واضحة في أن الإنسان إذا استخدم مصادر الطاقة بأنواعها بكميات عالية التركيز، فقد يُحدث من الضرر ما يعكس المقصد الذي سخرها الله تعالى له، فتكون سببًا في تعاسته وضرره وإهلاكه بدلًا من نفعه وفائدته.

كل تلك المبادئ والقواعد التي شرّعها الله تعالى في سنن كونه كفيلة في تبصير الإنسان بكيفية التعامل مع مصادره الطبيعية للطاقة بطريقة تضمن تعزيز التنمية المستدامة التي يطمح إليها في حياته، وحسب الشروط التي تتوافق مع الفطرة الكونية.

وعلى الرغم من أن متوسط سرعات الرياح يختلف اختلافًا كبيرًا حسب موقعه من الأرض، إلا أن الرياح كواحدة من مصادر الطاقة النظيفة المتجددة تكفي ما يحتاجه الإنسان، لكن على المختصين في علوم الطبيعة والطقس التنبه إلى احتمال وجود آثار سلبية قد تنتج

---

1. أخرجه ابن حبان في صحيحه، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م)، باب الاستعاذة، ذكر ما يقول المرء عند اشتداد الرياح إذا هبت (3/288) حديث رقم (1008)، وصححه ابن حجر، الفتوحات الربانية، جمعية النشر والتأليف الأزهرية، مصر، كتاب الأذكار المشروعة في الكسوف، باب ما يقوله إذا هاجت الريح (4/276) والألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (5/90) حديث رقم (2058)، ومعنى (لقحًا) حامل للماء؛ كاللقحة من الإبل، و(العقيم) التي لا ماء فيها كالعقيم من الحيوان لا ولَدَ فيها.
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر (2/616) حديث رقم (899).

عن الاستغلال الزائد لحركة الرياح في بعض المناطق مما قد يؤثر على التوازن الطبيعي، وبناء على تلك المنافع والمضار المضبوطة بمقاصد الشريعة؛ فإن الحكم الشرعي قائم على الموازنة بينها.

ثالثًا: الطاقة الحركية الصادرة بفعل المياه:

وأما الطاقة الحركية الصادرة عن حركة المياه، فيمكن للإنسان استغلالها من خلال تحويلها إلى طاقة يمكن اختزانها؛ كطاقة الوضع التي تكون بفعل الخزانات والسدود، أو تحويلها إلى طاقة أخرى قابلة للتخزين؛ كالطاقة الكهربائية جراء تدفقها من الأعلى إلى الأسفل، أو حركتها الموجية الترددية الصادرة عن التيارات البحرية أو حركة المد والجزر أو الأمواج.

وبعض أنواع تلك الطاقة الكامنة في المياه الجارية إنما هي مختزنة فيه بفعل عدد من المصادر الطبيعية؛ كالحرارة التي تُبخر الماء بداية ثم ترفعه إلى السماء، ثم الرياح التي تحرك السحب التي تحملها إلى مكان مرتفع، ثم الجاذبية التي بفعلها يسقط الماء ليسيل في أنهار إلى المناطق الأقل ارتفاعًا فيستغل الإنسان ذلك الجريان لتوليد الطاقة منه.

أو طاقة الرياح التي تُحدث حركة الأمواج، والطاقة الحرارية الشمسية والأرضية التي بسببها تتوالد التيارات البحرية العميقة، أو جاذبية القمر التي تُسبب حركات المد والجزر.

وتعد الطاقة المائية من أكبر مصدر الطاقة المتجددة، التي يساهم بشكل كبير في تحقيق التنمية المستدامة، لكنها تعتمد الموقع الجغرافي بشكل كبير والذي يؤثر على كميات هطول الأمطار وأماكنها، وتوافر الظروف المناسبة لإنشاء السدود ومولدات الطاقة، أو البعد عن المناطق الساحلية، التي قد تتأثر سلبًا بحالات الجفاف أو الفيضانات والأعاصير أو التغيرات في النظم البيئية التي قد تؤثر على أنواع الهطول وكمياته، مما يضع عقبات أمام مشاريع التنمية المستدامة في بعض المناطق.

وقد جاء ذكر الطاقة الحركية بفعل المياه في النصوص الشرعية في سياق تذكير الإنسان بالنعم التي سخر الله تعالى له، وواجبه في استخدامها بالطريقة التي أمره الله تعالى بها، وألا يكفرها كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ (الأنعام: 6)، كما جاءت كأحد مقومات التنمية المستدامة التي يطمح إليها البشر كما في تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ﴾ (البَقَرَة: 266).

كما جاءت لتبيين عظمة الله تعالى وإتقان خلقه المستحق للعبودية دون غيره، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ﴾ (الرَّعد: 3).

وتتنوع أشكال الطاقة الصادرة عن حركة المياه؛ سواء من خلال الأنهار والممرات المائية الدائمة أو المؤقتة كما في قوله تعالى: ﴿نزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ﴾ (الرَّعد: 17).

أو من خلال حركة الموج المتأثرة بالرياح، أو عوامل المد والجزر الناتجة عن جاذبية القمر، وقد وردت في نصوص شرعية في سياق ذكر نعم الله التي سخرها لعباده دورها فيما يرنو إليه الإنسان من تحقيق التنمية المستدامة، كما قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ (هُود: 42)، وقوله تعالى: ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ﴾ (هُود: 43)، فقد تم استخدام حركة الموج للتنقل منذ القدم، باستخدام التيارات المائية أو الأمواج البحرية لحركة السفن بمساعدة الرياح، ولا زالت الأبحاث المعاصرة تطوّر طرق الإفادة منها في إنتاج الطاقة لتعزيز التنمية المستدامة، كما جاء عن النبي ﷺ: "نَاسٌ مِن أُمَّتي يَرْكَبُونَ البَحْرَ الأخْضَرَ في سَبيلِ اللَّهِ، مَثَلُهُمْ مَثَلُ المُلُوكِ علَى الأسِرَّةِ"[1].

ويعتمد المنظور الشرعي في استخدام حركة الموج والتيارات البحرية والنهرية لإنتاج الطاقة، على الموازنة بين المصالح والمفاسد الناتجة عنها، فإنه -أي المنظور الشرعي- متوافق مع المصلحة العليا للكون والبشر؛ وهذا ما يمكن للدراسات والتجارب البيئية المعاصرة أن تحدده من خلال فهم مدى تأثر الحياة المائية بوجود آلات تُنتج الطاقة من الأنهار أو البحار.

وقد جاء ذكر الطاقة المائية في سياق تهديد الله تعالى ووعيده وعذابه لعصاته وجاحديه، وذلك بإرسال تلك الطاقة عليهم بكميات لا تحتملها أجسادهم ولا عمرانهم، فيغرقهم أو يُهلكهم بها، مطابقًا في ذلك غيره من أنواع الطاقة؛ كالحرارة والضوء ودورها في إهلاك العصاة بالطريقة ذاتها، كما قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ٦٤﴾ (الأَعرَاف: 64)، مما يضع على كاهل الإنسان المسؤولية في التحكم في كميات المياه المخزّنة لغايات توليد الطاقة، وكمياتها المُطلقة حتى لا تُحدث من الضرر ما يُحدثه الطوفان، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا

1. متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء (3/1027) حديث رقم (2636)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر (3/1518) حديث رقم (1912)، والثبج: ظهر البحر ووسطه.

فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤﴾ (العَنكَبُوت: 14)؛ ولهذا كان النبي ﷺ دائمًا ما يدعو الله تعالى عند سقوط المطر فيقول: "اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا"[1]، وقوله عند اشتداد المطر: "اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ولاَ عَلَيْنَا"[2]، وذلك بعدما استسقى الله تعالى فنزل المطر بكميات شكا الصحابة من كثرتها، فأغرقت الزرع والماشية.

المطلب الخامس: الطاقة الكامنة في الأرض والكون:

تعد الطاقة الكامنة في الكون والأرض والعناصر الموجودة فيهما طاقة متجددة، ذكرتها النصوص الشرعية في إشارات محدودة تترك المجال واسعًا لعلماء الفيزياء والفيزياء الكونية لمعرفة أنواعها أو أشكالها.

وقد جاء عدد من النصوص الشرعية التي أشارت إلى وجود طاقة الجاذبية وطاقة الطرد المركزي التي يقوم عليهما توازن الكون وحركات الأجرام السماوية؛ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ (الرَّعد: 2)، وفي تلك الآية إشارة إلى وجود طاقة كونية كامنة، فالرفع المذكور في الآية جهد محتاج إلى طاقة تمسك السماء وتعطي للأجرام توازنها في الكون، وتمنح الأرض دورانها المناسب، واستقرارها الذي تقوم عليه الحياة واستدامتها، ونظام الفصول والليل والنهار.

كما عبّر عنه القرآن -في موضع آخر- بلفظ الإمساك الذي يحتاج إلى طاقة، في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ (فَاطِر: 41)، أي أن ينحرف شيء منها عن مساره، وإن كان الرفع والإمساك هو أمر خاضع لقدره الله تعالى، لكنه تعالى سخّر له القوانين والقوى الكونية التي تُبقيه متوازنًا.

ولا شك أن تلك الأجرام -ومن ضمنها الأرض- تحمل طاقة كامنة تدفعها للجريان في فلكها، فدوران الأرض حول نفسها، أو دورانها حول الشمس، هو نتيجة طاقة متبادلة بين الأرض والشمس وما يحيط بهما من الأجرام السماوية، وهي محصلة لعدد من أنواع الطاقة تؤدي إلى التوازن بين طاقتي الجذب والطرد، التي تمنح الأرض استقرارها.

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب ما يقال إذا أمطرت (1/349) حديث رقم (985).
2. متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب رفع اليدين في الخطبة (1/315) حديث رقم (891)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء (2/614) حديث رقم (897).

وينطبق ذلك القانون الجذبي على كل مخلوق فوق الأرض أو خارجها، فالله تعالى يُمسك الطير أن تقع بفعل طاقة الجاذبية، كما أمسك السماء أن تقع بفعل تلك الطاقة؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ ١٩﴾ (المُلك: 19)، فإن تركها الله تعالى سقطت بفعل تلك الطاقة.

ومعنى الإمساك هو تسخير طاقة مضادة توازن قوى الجذب تكفل بقاءه في السماء معلقًا؛ كطاقة الضغط الجوي وحركة الرياح، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ٣١﴾ (الحَج: 31).

وقد تصل الأبحاث في المستقبل إلى ابتكار أدوات تساعد على استغلال طاقة الدوران الأرضي أو قوى الطرد والجذب الكوني بآلية يمكن تحويلها أو تخزينها كواحدة من أنواع الطاقة المتجددة وجعلها صالحة للاستهلاك البشري وداعمة لمقومات التنمية المستدامة، كاستخدامه طاقة الجاذبية -في سقوط الماء وجريانه- كواحدة من أنواع الطاقة المتجددة.

ولا شك أن النصوص الشرعية لا تستخدم المصطلحات البشرية المعاصرة؛ كالجاذبية والطاقة المتجددة، والطاقة الكهربائية وغيرها من المفردات، لكنها تحمل الإشارات والمفاهيم المناسبة في سياقات محددة؛ كالتسخير، والإنعام، والترهيب والوعيد، وأمثالها.

ومن الطاقة الكامنة المحتمل إمكان استخدامها في المستقبل -كدوران الأرض-، هي طاقة البرق، وهي طاقة كهربائية ناتجة عن تفريع شحنة إلكترونية عالية التركيز ضمن ظروف جوية معينة، ذكرت النصوص الشرعية بعضًا منها في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ (النُّور: 43)، فإما أن يُنعم الله تعالى على الإنسان بها كواحدة من مقومات الحياة الأساسية، أو تكون عليه وبالًا إن أرسلها الله بكميات تفوق تحمل البشر لها، كما قال تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْۚ﴾ (البَقَرَة: 20)، وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ٤٣﴾ (النُّور: 43)، وكل ذلك يدخل فيما اصطلحت عليه المؤسسات العلمية المعاصرة باسم الكهرباء الساكنة.

كما يدخل في مفهوم الطاقة الكامنة في الأرض والكون كل ما أودعه الله تعالى من أنواع الطاقة المختزنة في مكوناته، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ٦﴾ (طه: 6) سواء كانت طاقة ذرية أو نووية أو غيرها من أنواع

الطاقة التي يستخرجها الإنسان بالطرق العلمية الحديثة، ويخضع استخدامها في مجالات التنمية المستدامة إلى المقاصد الشرعية وما ينبثق عنها من قواعد أصول الفقه المتعلقة بالمصالح والمفاسد.

المطلب السادس: الطاقة الترددية:

تعد الطاقة الترددية واحدة من أنواع الطاقة التي يصدر عنها الصوت نتيجة للاهتزازات التي تُحدثها في وسط من الأوساط التي تسمح بالعبور خلالها، وتكون ضمن النطاق الذي تستقبله أذن الإنسان.

وقد جاء ذلك في سياق النصوص الشرعية، كما في قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾ (البَقَرَة: 19)، فتلك الطاقة الهائلة الصادرة من الرعد قادرة على إحداث تأثير على الإنسان والكون، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ (الرَّعد: 13)، الأمر الذي قد يُستخدم إلى تحويل تلك الطاقة أو تخزينها لتُستخدم لاستهلاك البشر، وتعزيز مجالات التنمية المستدامة بطريقة أو بأخرى.

كما قد ينتج عن هذه الطاقة إحداث ترددات عالية -ليست في نطاق السمع البشري- ناتجة عن حركات الذرات أو البلورات، يُمكن تحويلها إلى نوع من الطاقة القابل للتعديل والتخزين.

وقد وردت الطاقة الترددية في بعض النصوص الشرعية في سياق التهديد والوعيد من استخدامها كطاقة مُهلكة للبشر؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ (هُود: 67)، وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ٨٣﴾ (الحِجر: 83)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣﴾ (فُصِّلَت: 13)، وغيرها من الآيات المماثلة.

المبحث الثالث: استغلال الطاقة المتجددة في إطار مقاصد الشريعة:

المطلب الأول: مشروعية استغلال الطاقة المتجددة، ودورها في حفظ النفس:

يعتمد المنظور الشرعي في استغلال أنواع الطاقة المتجددة ومصادرها -سواء المكتشفة منها أو ما سيتم اكتشافه في المستقبل- بناء على الموازنة بين المصالح والمفاسد المتعلقة بها، وذلك مقياسًا على مدى تأثيرها على مقاصد الشريعة إيجابًا أو سلبًا.

فيتغير الحكم بناء على القواعد الأصولية وضمن الضوابط الشرعية المقررة من منع

وقوع الضرر، كما في قوله ﷺ: "لا ضَرَرَ، وَلا ضِرارَ"[1]، وقاعدة تقديم الضرر الأدنى على الأعلى، وقاعدة درء المفاسد، وحرمة دفع الضرر بضرر مثله، وغيرها من القواعد الشرعية بحسب الظروف المحيطة بكل مسألة على حدة؛ فقد تكون المصلحة متاحة لاستخدام إحدى مصادر الطاقة في زمن معين وتحت ظرف محدد، وبكمية تؤدي المقصد المطلوب؛ فإذا تغيرت الظروف المحيطة، أو ارتفعت الكمية المُطلقة من تلك المصادر أو كان اختلاف الوقت يؤدي إلى ارتفاع درجة المفسدة على المصلحة المتحققة من تلك الاستخدامات لتعزيز التنمية المستدامة؛ فإن المنظور الشرعي في تلك الحالة يتغير مع المصلحة الطارئة دون المصلحة المنتهية.

وبناء على ذلك فإن استغلال مصادر الطاقة المتجددة متعلق بالحفاظ على الضرورات الشرعية المختلفة؛ سواء في النفس وما يتعلق بها من أمان البيئة المحيطة بها، أو صحة الإنسان والحيوان والنبات، أو بمدى تحقيق الأمن المجتمعي، وهذا متعلق بضرورة الحفاظ على النفس البشرية وملحقاتها.

أما ما يتعلق بحفظ المال؛ فإن الطاقة المتجددة تساعد على توفير حياة أفضل للبشرية؛ من خلال خفض التكاليف على الفرد والمجتمع، وتوفير كمية من الطاقة لكل فرد بشكل أكبر، وهذا أحد مقاصد الشريعة التي وضعها الله تعالى لخدمة الإنسان في عمارة الأرض بما يُصلحها.

ومن هنا كان لا بد من دراسة الأثر الحاصل من استخدام الطاقة المتجددة على مقصد حفظ النفس، وذلك ضمن ما يأتي:

أولًا: أثر الطاقة المتجددة على البيئة وصحة الإنسان:

يقوم الاختيار الواقع على نوع مصدر الطاقة الأفضل لخدمة الإنسان، والأكثر حفاظًا على بيئته وصحته من خلال استعراض بدائل الطاقة الممكن استخدامها والموازنة بينها من خلال دراسات بيئية وطبية متخصصة للوصول إلى توصيف دقيق لكل مصدر من المصادر وما يُنتجه من الطاقة وما يُحققه من المصلحة لتعزيز التنمية المستدامة، مقابل

1. أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب البيوع، باب هذا البيع يحضره الكذب واليمين فشربوه بالصدقة (2/74) حديث رقم (2400)، وحسنه النووي، بستان العارفين، دار الريان للتراث (1/20)، وابن رجب، جامع العلوم والحكم (2/207)، والألباني، أحكام الجنائز (1/7).

ما يُخلفه من المفسدة، والمقارنة بينه وبين غيره من المصادر للخلوص من خلال المنظور الشرعي لاختيار المصدر الأنسب في تلك البقعة الخاضعة للحكم، وما يحيط بها من ظروف زمانية وبيئية.

وقد كشفت عدة دراسات عن الأثر الواقع على تلوث الهواء الناتج عن حرق الوقود الأحفوري بشكل متكرر، وارتباطه الوثيق بأمراض القلب والأوعية الدموية والسكتات الدماغية وأمراض الجهاز التنفسي الحادة والسرطان[1].

وهذا أحد المؤشرات السلبية الناتجة عن استخدام الطاقة الناتجة عن احتراق الوقود الأحفوري، والذي تعتمد عليه النظرة الشرعية وحكمها في تفضيل مصادر الطاقة الأخرى الأقل ضررًا على صحة الإنسان وغيره من الكائنات الحية.

ولهذا فقد أُجريت عدة دراسات بيئية لنوعية الهواء المحيط بإطلاق مصادر الطاقة الأحفورية؛ فوُجد وفقًا لتقديرات منظمة الصحة العالمية أن سكان العالم يتنفسون الهواء فوق الحد الأعلى لجودة الهواء المطلوبة بنسب متفاوتة تصل في بعض مناطقها إلى (99%) من السكان، مما يهدد صحتهم[2]، ويقلل الفرص أمام تأمين تنمية مستدامة للأجيال اللاحقة بسبب نضوب تلك المصادر.

ولا شك أن ذلك الفساد الواقع على البيئة وصحة الإنسان مصدره التصرفات البشرية الخاطئة، والاستخدام غير المناسب للمصادر الطبيعية؛ ذلك أن الله تعالى لما فطر الأرض والكون، خلقهما على الصلاح والتوازن والاستدامة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠﴾ (الرَّحمٰن: 10)، أي وضعها صالحة لهم دون أية ثغرات، لكن الفساد يقع من الآليات غير المناسبة من البشر في تسريع عجلة الحضارة والعمران، أو المصالح الخاصة والأهداف المادية الأخرى التي تؤدي إلى ترك أثر سلبيٍّ متراكمٍ يؤثر على الأجيال اللاحقة، ويهدد التنمية المستدامة؛ كما قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ (الرُّوم: 41)، فالفساد المادي والمعنوي الواقع في خلق الله تعالى لا يكون إلا بفعل بعض البشر فقط.

---

1. Galimova, Ram, Breyer, Mitigation of air pollution and corresponding impacts during a global energy transition towards 100% renewable energy system by 2050, Volume 8, Pages 14124.
2. WHO- World Health Organization ambient air quality database, report, 2023, p22.

وأما الانبعاثات الناجمة عن توليد الطاقة المتجددة، فإن الأبحاث المختصة بالتوافق مع الواقع المنظور، تُشير إلى أنها أقل بكثير من ذلك، مما يحقق التنمية المستدامة للبيئة والإنسان؛ ولذلك يُعد التحول من الوقود الأحفوري إلى استغلال مصادر الطاقة المتجددة أمرًا ذا أولوية شرعية؛ لمعالجة الأثر السلبي على المناخ، وذلك أحد مقاصد الشريعة المطلوب تحقيقها.

والقوانين الإنسانية يجب أن تنضبط وظيفتها في خدمة المصالح البشرية، التي تُعد في الشريعة من المصالح المرسلة التي يراعيها الشرع، ويبني عليها أحكامًا شرعية مرتبطة بنصوصه وقواعده؛ ولذلك نرى أن النصوص الشرعية أقرت عند تنزيلها استخدام الطاقة الصادرة عن الإنسان والحيوان للحمل والنقل، والرياح المستخدمة لحمل السفن وإبحارها، والشمس في تشريق اللحوم وتجفيفها وغيرها من المصادر التي كانت متوفرة في زمن النبي ﷺ.

وبقي الأمر على ذلك حتى تطورت احتياجات الإنسان للطاقة على أعقاب الثورة الصناعية بعد اكتشاف أنواع الوقود الأحفوري؛ كالفحم، ثم النفط، والغاز الطبيعي، والزيت الصخري، ولم يكن أثرها ظاهر آنذاك حتى توسع استخدامها على نطاق كبير، فظهر مدى ضررها على الصحة والإنسان، إضافة إلى ما كان يُهددها من النضوب وعدم الاستدامة، مما اضطر أهل الاختصاص للبحث عن مصادر أخرى ذات تأثير أقل ضررًا على البيئة والإنسان، وأكثر استدامة؛ ليفتح الباب أمام الرجوع إلى ما سخّره الله تعالى من مصادر طاقة نظيفة؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ (النَّحل:12)، ثم ختم الآية بالآلة الواجب استخدامها للإفادة من تلك المصادر بشكل صحيح فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾ (النَّحل: 12).

ثانيًا: أثر الطاقة المتجددة على الأمن:

تتميز الطاقة المتجددة بتوزّع أنواعها المختلفة بشكل متكافئ على مناطق الأرض المختلفة، فهي أكثر انتشارًا، وأوسع وجودًا من مصادر الطاقة الأحفورية، التي تتمركز في عدد محدود من الدول، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ (فُصِّلَت: 10)، فقوت كل ناحية في الأرض مقدر من الله تعالى بأكثر مما يكفي سكانه إلى يوم القيامة.

والاقتصار بالاعتماد على مصادر الطاقة الأحفورية محدودة النطاق دافع يزيد من الصراعات والحروب القائمة للسيطرة على تلك المصادر، في حين لو تم التزود بمصادر

الطاقة الأخرى لما تسبب في وجود تلك الصراعات، سواء كانت عسكرية أو اقتصادية أو غير ذلك.

وهذه أحد ميزات مصادر الطاقة المتجددة في المستقبل أنها أكثر أمانًا بحيث ستحد من الصراعات والحروب القائمة على السيطرة على مصادر الطاقة والوقود الأحفوري؛ لتواجدها في جميع أنحاء الأرض على خلاف بعض مصادر الطاقة التقليدية المحصورة في عدد محدود من البلدان[1]، مما يعزز مقومات التنمية المستدامة بشكل كبير.

المطلب الثاني: مشروعية استغلال الطاقة المتجددة، ودورها في حفظ المال:

يعتمد المنظور الشرعي في المقارنة بين أنواع الطاقة الأحفورية والمتجددة على النظر إلى أقربهما في تحقيق المصلحة الاقتصادية الأفضل، وذلك من خلال الدراسات الاقتصادية المتعلقة بتكاليف الإنتاج والتخزين والتحويل المطلوبة، إضافة إلى ما تم دراسته من نسب توافرهما أو أثرهما الناتج على الإنسان والبيئة.

ولا بد من الاعتماد على الدراسات الاقتصادية لفهم تلك الآثار، مع الأخذ بعين الاعتبار التغيرات الحاصلة في المستقبل على نتائج تلك الدراسات؛ لأن المنظور الشرعي دائر مع المصلحة العامة للإنسان، وتلك المصلحة ربما تتغير بتغير المعطيات الاقتصادية الصادرة عن تلك الأبحاث.

ومن هنا لا بد من تقديم ما يحقق التنمية الاقتصادية المستدامة، سواء على الدخل الفردي أو القومي، وما ينعكس من النمو الاقتصادي في حال استخدام كل من تلك المصادر.

إذا لا شك أن الأثر الإيجابي للطاقة المتجددة المتحقق على الدخل القومي، والنمو الاقتصادي له انعكاساته المباشرة على مستوى الدخل الفردي؛ فقد أظهرت الدارسات المعاصرة من خلال المقارنة بين الإفادة من مصادر الطاقة الأحفورية وما يوازيها من الطاقة المتجددة فروقاتٍ في التكلفة، كما جاء في ملخص المؤتمر التنفيذي للوكالة الدولية للطاقة المتجددة، أن الطاقة المتجددة المستخرجة من الشمس أقل تكلفة من غيرها

1. Overland, Indra. Subsidies for fossil fuels and climate change: A comparative perspective. International Journal of Environmental Studies. P:304.

بنسبة (85%)، وكذلك الطاقة المستخرجة من الرياح أقل بنسبة (56%)[1].

وهذا يعزز مفهوم ترجيح المصلحة الأعلى للإنسان في توفير تلك المصادر المتجددة للطاقة، بشرط بقاء تحقق ذلك الأثر الاقتصادي.

وسبب ذلك الأثر متعلق باستدامة تلك المصادر المتجددة منذ بدء الخليقة، وعدم نضوبها، فهي غير قابلة للاستنزاف أو الإهدار؛ لطبيعة تولّدها المستمرة سواء استغلها الإنسان أو أهملها، إضافة إلى توافرها بكميات أكبر ونطاق أوسع من غيرها، مما يجعلها أقرب للاكتفاء الذاتي في سد احيتاجات البشرية الصناعية والفردية، بشرط استخدامها بالطريقة المناسبة، والشروط الشرعية والإنسانية العادلة، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾ (لُقمَان:٢٠)، فالإسباغ هو الإفاضة والإتمام والاكتمال، الذي يُحقق الاكتفاء.

الأمر الذي سيؤدي إلى توفير الأمن الاقتصادي للدول الفقيرة والنامية وحتى الكبرى منها بتخفيف التكاليف الباهظة التي تُثقل ميزانيتها من المواد الأولية المستوردة لتوليد الطاقة، مما يفتح لها المجال للإفادة من تلك التكاليف في مشاريع التنمية الأخرى، ودفع عجلة النمو في جميع المجالات، وحمايتها من خطر التقلبات غير المتوقعة في أسعار الوقود الأحفوري، وتزيح عنها مخاطر التحكم والسيطرة الواقعة من البلدان التي تتحكم بتلك المواد الأولية.

إضافة إلى توفير التكلفة الاقتصادية المتعلقة بالنظام الصحي الناتجة عن علاج آثار ذلك التلوث في الهواء والغذاء والبيئة، مما يجعلها حلًا مثالية لتحقيق التنمية المستدامة في عدة مجالات مختلفة.

المبحث الرابع: الضوابط الشرعية لاستغلال مصادر الطاقة المتجددة:

تُعد الطاقة المتجددة أحد الثروات البشرية التي أودعها الله تعالى في أرضه الواسعة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ (إبرَاهِيم: 34)، وأنزلها الله تعالى بتوازن حكيم يخدم جميع أنحائها، فلم يترك مساحة على الأرض مهما كان مناخها شديد الحرارة أو البرودة، كثير الزرع أو المعادن، إلا أودع فيه ما يكفي أهله

1. IRENA- The International Renewable Energy Agency. The executive summary of World Energy Transitions Outlook 2022: 1.5°C Pathway, International Renewable Energy Agency, Abu Dhabi Research and analysis into the benefits of renewables", p:9.

من الثروات التي تمكنهم من ديمومة العيش فيه، وهذا مقتضى قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ (فُصِّلَت: 10).

وعلى الرغم من توافر تلك المصادر وشموليتها، فإن الإنسان بطبيعته البشرية، وحبه الخير لنفسه لا بد له من منهج رباني للتعامل مع تلك الثروات، ويحتاج إلى ضوابط شرعية تمكنه من استغلاله بطريقة عادلة وشاملة لا تخلّف ضررًا عليه أو على غيره؛ وذلك مصداقًا لتتمة الآية: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ (إِبرَاهِيم: 34)، فهو بطبيعته ظلوم في تعامله مع نفسه أو غيره، وكفار في تعامله مع ربه.

ذلك أن تلك الثروات من الطاقة المتجددة هي أحد الأركان التي يعتمد عليها الاقتصاد العالمي والنشاط الاقتصادي، وما يستهلكه الإنسان من السلع والخدمات، لتوفير حاجاته، وإشباع رغباته التي قد يتحكم بها حب الذات، والرغبة في امتلاك السيطرة على الغير، أو احتكار المنفعة. هذا في التعامل مع الغير.

وفي مجال التعامل مع النفس، فلا بد أن يضبط هذا الاستهلاك بمنهج يمنع كثير من الأخطاء التي يمارسها الفرد والمجتمع من الإسراف، أو الاستخدام الخاطئ، أو التبذير، أو الاستنزاف والإهلاك، أو الاحتكار، أو إيقاع الضرر الواقع على الإنسان والحيوان والبيئة.

ولهذا نرى النصوص الشرعية قد وضعت عددًا من الضوابط الشرعية التي يقتضي اتباعها استخدام تلك الثروات بطريقة مثالية للجيل الحالي وما سيأتي من الأجيال في المستقبل.

الضابط الأول: إخضاعها للمنهج الرباني والأحكام الشرعية:

إن تأطير القوانين والتعليمات المتعلقة بالطاقة المتجددة بمنهج الشريعة الإسلامية يجعلها تابعة لجميع أحكامه، ويحميها من المصالح الخاصة، والمادية المفرطة، وقد نبّه الشارع الحكيم إلى أن الإنسان مستخلف في تلك الثروات، محاسب عليها في الدنيا والآخرة وليس مالكًا لها أو له مطلق التحكم فيها امتثالًا لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ (يُونُس: 14)، فالله تعالى هو المنشئ والخالق وصاحب القانون الأعلى في ذلك، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ (هُود: 61)، وهذا الاستعمار مسؤولية تتطلب وضع السياسات وسن القوانين والتعليمات المتوافقة مع الأحكام الشرعية لضمان التنمية المستدامة في مجالات الطاقة المتجددة.

الضابط الثاني: المراقبة والمحاسبة:

يقتضي تأطير القوانين المتعلقة بالطاقة المتجددة بالمنهج الرباني دوام مراقبة القائمين على إدارتها، ومحاسبتهم للالتزام بتلك القوانين والتعليمات، سواء كانت مراقبة ذاتية أو خارجية، بحيث لا تنحرف فيهم البوصلة، وذلك عملًا بقوله ﷺ: "مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ"[1].

الضابط الثالث: المحافظة على صلاحها وديمومتها وتطويرها:

ينتج عن انضباط قوانين التعامل مع الطاقة المتجددة بالأحكام الشرعية، ومراقبتها في ذلك، المحافظة على صلاحها واستدامتها، والعمل على تطويرها واستغلالها بشكل آمن، من خلال تمويل مشاريعها وزيادة الاستثمارات، وطرح المساهمات الفردية والمؤسسية لتحقيق ذلك، عملًا بقوله ﷺ: "إنْ قامَتِ الساعةُ وفي يدِ أحدِكمْ فَسِيلةٌ، فإنِ استطاعَ أنْ لا تقومَ حتى يَغرِسَها فلْيغرِسْهَا"[2]، وقوله ﷺ: "ما مِن مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ منه طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ؛ إِلَّا كانَ له به صَدَقَةٌ"[3]، فإن في ذلك استدامتها وتطويرها؛ ولهذا نرى الإسلام قد شجع على إحياء الموات، كما في قوله ﷺ: "مَنْ أحْيا أَرضًا مَيِّتَةً فَهيَ لَهُ"[4]، وجعل لذلك شروطًا وقيودًا.

كما عليه حمايتها مما يؤثر عليها أو يُفسدها عملًا بقوله ﷺ: "وإِماطَةُ الأَذَى عَنِ

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (1/69) حديث رقم (49).
2. أخرجه أحمد، المسند (20/251)، وقال محققه: «على شرط مسلم"، وصححه العيني، عمدة القاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (12/155)، والألباني، صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، بيروت، (1/200) حديث رقم (1424).
3. متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (2/817) حديث رقم (2195)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (3/1188) حديث رقم (1552).
4. أخرجه أحمد في المسند (22/170) حديث رقم (14271) وصححه المحقق، وأخرجه الترمذي في سننه، المحقق/ بشار عواد معروف، دار الغرب، بيروت، 1998م، أبواب الأحكام، باب ما ذكر في إحياء الأرض الموات (3/57) حديث رقم (1379)، وقال: "حديث حسن صحيح"، وصححه والألباني، إرواء الغليل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1985م، باب إحياء الموات (6/4) حديث رقم (1550).

الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"[1]، باعتبارها أحد مصادر حياة الإنسان ومقوماتها.

الضابط الرابع: العدالة والشمول:

خلق الله تعالى أقوات الأرض ومصادرها الطبيعية بشكل موزون يضمن استدامتها، قال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩﴾ (الحِجر: 19)؛ لتغطي جميع احتياجات المخلوقات فيها، وتشمل جوانب حياة الإنسان ومتطلباته.

ولهذا يجب توزيع تلك المصادر بشكل عادل وشامل لجميع طبقات المجتمع، عملًا بقوله ﷺ: "لَا حِمَى إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ"[2]، فلا تكون محصورة على أشخاص فئات معينة، أو محتكرة على دول أو مناطق أو أقاليم محددة فالناس سواسية كأسنان المشط، حذرًا من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾ (التَّوبَة: 34)، وقوله ﷺ: "وَمَن كانَ له فَضْلٌ مِن زَادٍ، فَلْيَعُدْ به علَى مَن لا زَادَ له"[3].

ومن مقتضى تلك العدالة أن توضع أولويات في توزيع الطاقة؛ فتُقدم المؤسسات ذات الأولوية الأعلى؛ كالمستشفيات والمرافق الحيوية قبل غيرها من المرافق الترفيهية أو التحسينية.

الضابط الخامس: التوسط والاعتدال:

لا يشترط توسط الإنسان واعتدال استهلاكه لموارد الطاقة أو غيرها أن تكون تلك الموارد محدودة؛ لأن ثقافة التوسط والاعتدال تتعلق بالمستهلِك أكثر من تعلقها بالثروات، فتوافر الموارد الطبيعية وفيضانها أو غنى مالكها وفقره لا يبرر الإسراف والتبذير فيها، وهذا مبدأ ركيز في الشريعة الإسلامية، مصداقًا لقوله ﷺ: "وأَسألُكَ القَصدَ في الغِنى والفقرِ"[4]؛

---

1. متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها، باب فضل المنيحة (2/927) حديث رقم (2488)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (1/63) حديث رقم (35)، واللفظ له.
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب لا حمى إلا لله ولرسوله ﷺ (2/835) حديث رقم (2241).
3. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال (3/1354) حديث رقم (1728).
4. أخرجه النسائي في سننه، المحقق/ مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، بيروت، ط5، 1420ه، كتاب السهو، باب نوع آخر (3/63) حديث رقم (1304) وصححه الألباني.

لأن القصد والتوسط أحد أهم الوسائل لاستدامة مصادر الطاقة وغيرها من الثروات.

وباعتبار أن مصادر الطاقة واحدة من تلك الثروات، فإنها منضبطة بهذا المبدأ الهام الوارد في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ (الفُرقان: 67)، الذي يحمي من الإسراف والتبذير والطغيان، عملًا بقوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١﴾ (طه:81)، ويمنع استخدامه في غير منافعه، مصداقًا لقوله ﷺ: "وكَرِهَ لَكُمْ: قيلَ وقالَ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ، وإضاعَةَ المالِ"[1]، الذي يحول النعمة إلى وسيلة محرمة، وكفران وإهلاك، وهذا من أخطر ما يهدد دعائم التنمية المستدامة.

نتائج البحث:

1. خلق الله تعالى الكون صالحًا للعيش، وقدّر فيه أقوات مخلوقاته، وما يلزمهم من العيش فيه، ومنحه المقومات العقلية والعلمية في البحث عن كافة الموارد والمصادر الطبيعية التي تسهل حياته، وتُقيم مدنيته، وتبني حضارته، ضمن منهج الكتاب والسنة النبوية، مما يضمن له استدامته إلى يوم القيامة.

2. من طبيعة البشر إعطاء الأولوية لمصالحهم المادية في تسريع التقدم العلمي وامتلاك مقوماته على حساب صلاح الأرض، واتباع المنهج النبوي، فيهدد استدامتها ويوقع فيها الفساد.

3. تقدُّم المنهج الإسلامي في الكتاب والسنة على غيره من الأنظمة المعاصرة وأسبقيته في ترسيخ مفهوم التنمية المستدامة ومبادئ التعامل مع مصادر الطاقة بصورة سليمة من خلال مقاصده الشرعية والمصالح الإنسانية، وربط ذلك مع العقيدة والشريعة الإسلامية، والحساب يوم القيامة.

4. تضمن موارد الطاقة المتجددة عمارة الأرض وبناء حضاراتها مع المحافظة على صلاحها واستدامتها، إذا تم التعامل معها ضمن المنهج الرباني، مما يتوافق مع مقاصد الشريعة في الكتاب والسنة التي تنص على تحريم الضرر الواقع على مكوناتها.

---

1. متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ [البقرة: 273]، ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (3/1340) حديث رقم (1715).

5. الطاقة المتجددة لها دور حيوي في تحقيق التنمية المستدامة للبيئة والاقتصاد والحياة الاجتماعية والأمان الصحي، مقابل مصادر الطاقة التقليدية المعرضة للنضوب، إضافة إلى آثارها السلبية على الأجيال المعاصرة والقادمة.

توصيات الباحث:

1. ربط مفهوم الطاقة المتجددة بالشريعة الإسلامية في الكتاب والسنة، واستقاء قواعدها من المقاصد الشرعية؛ لتكون منهجًا عقديًا إسلاميًّا، بعيدًا عن المصالح المادية والخاصة.

2. العودة إلى مبادئ الشريعة الإسلامية، في الكتاب والسنة؛ لإصدار القوانين المتعلقة بالطاقة المتجددة، ومراقبتها، وتوظيف تلك القوانين ضمن المنظور الشرعي لعمارة الأرض واستخلاف الإنسان.

3. التوسع باستخدام مصادر الطاقة المتجددة وتشجيع استغلالها ضمن الشروط الشرعية من الكتاب والسنة النبوية على حساب مصادر الطاقة التقليدية.

4. دعم المشاريع العلمية، وتحفيز البحوث الأكاديمية المتعلقة بالبحث عن مزيد من موارد الطاقة المتجددة والصديقة للبيئة، بشرط عدم معارضتها للمنهج النبوي.

5. تشجيع رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الأموال والمشاريع للاستثمار في مجالات الطاقة المتجددة، ضمن المعايير البيئية والضوابط الشرعية في الكتاب والسنة؛ لتكون متوائمة مع مصلحة البشر والمنظور الشرعي.

قائمة المصادر والمراجع العربية

- أحكام الجنائز، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، 1986م.
- الأذكار، أبو زكريا محيي الدين محمد بن شرف النووي، المحقق/ عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1994م.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1985م.
- الإسلام والبيئة، خليل رزق، بيروت، دار الهادي للنشر والتوزيع، 2006م.
- بستان العارفين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الريان للتراث، د. ط، ت.
- تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، المحقق/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2003م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المحقق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.
- الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق/ مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1987م.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي، المحقق/ شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 2001م.
- الجامع الكبير (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المحقق/ بشار عواد معروف، دار الغرب، بيروت، 1998م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، المحقق/ أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني،

مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1995، 2002م.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، المحقق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، مذيّلة بأحكام الألباني.
- سنن النسائي الصغرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المحقق/ مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة، بيروت، ط5، 1420هـ، مذيلة بأحكام الألباني، ملحقة بشرح السيوطي وحاشية السندي.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، محمد بن علان الشافعي الأشعري، جمعية النشر والتأليف الأزهرية.
- لسان العرب، ابن منظور، المحقق/ عبد الله الكبير وآخرون، دار المعرفة، القاهرة.
- المسألة البيئية والتنمية المستدامة، إبراهيم زرزور، الملتقى الوطني حول اقتصاد البيئة والتنمية المستدامة، معهد علوم التسيير، المركز الجامعي بالمدية، 2006م.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، المحقق/ مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، القاهرة، 1997م.
- المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط1، 2001م.
- المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م.

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية والإلكترونية:

- DIRECTIVE (2000/76/EC) OF THE EUROPEAN PARLIAMENT AND OF THE COUNCIL of 4 December 2000 on the incineration of waste. European Union.
- IRENA- The International Renewable Energy Agency (2022). The executive summary of World Energy Transitions Outlook 2022: 1.5°C Pathway, International Renewable Energy Agency, Abu Dhabi Research and analysis into the benefits of renewables".
- Overland, Indra. Subsidies for fossil fuels and climate change: A comparative perspective. International Journal of Environmental Studies. Vol. 67, No.3, June 2010.
- Pollack، H.N. (1993), «Heat Flow from the Earth's Interior: Analysis of the Global Data Set», Rev. Geophys.
- Tansu Galimova, Manish Ram, Christian Breyer, (2022). Mitigation of air pollution and corresponding impacts during a global energy transition towards 100% renewable energy system by 2050, Energy Reports.
- WHO- World Health Organization ambient air quality database, report, 2023.
- www.magazine-deutschland.de

التنمية البيئية المستدامة في السنة النبوية؛ مكوناتها، ومرتكزاتها، وتطبيقاتها المعاصرة

د. أنس نجيب العلوي

دكتوراه في الحديث وعلومه والمذاهب الفكرية المعاصرة

الإمارات العربية المتحدة

ملخص

تناول البحث موضوع "التنمية البيئية المستدامة في السنة النبوية" موضحًا مكوناتها، ومرتكزاتها، وتطبيقاتها المعاصرة. مبرزا سبق السنة النبوية في التأصيل لمفهوم التنمية المستدامة في المجال البيئي، من خلال أحاديث نبوية شريفة تشجع على عمارة الأرض، والنهي عن الإفساد فيها، وتحريم الإسراف في الموارد الطبيعية، والحث على حسن استثمارها.

من خلال مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث حوى كل منها ثلاثة مطالب، وخاتمة؛

ركز البحث على مكونات التنمية البيئية المستدامة، وهي الماء والهواء، والحيوان، والنبات، فبين العناية النبوية بها وبالحفاظ عليها وتنميتها، عبر توجيهات عملية مثل ترشيد استهلاك الماء، حماية الحيوانات من الإيذاء، وتوسيع الرقعة الخضراء.

ثم عرج على المرتكزات التي تختص بها التنمية المستدامة في الإسلام، وهي البعد العقدي الذي يربط عمارة الأرض بالمسؤولية أمام الله، والبعد الأخلاقي كالرفق والإحسان، والشمولية التي تراعي التوازن بين الأبعاد الحسية والروحية.

ليتطرق بعد ذلك إلى تطبيقات معاصرة يمكن اقتراحها أو تطويرها استلهاما من التوجيهات النبوية لتطوير حلول للمشكلات البيئية الراهنة، مثل تحلية المياه، تقنيات الري الحديث، والمحميات الطبيعية.

ليخلص البحث في خاتمته إلى نتائج أهمها: أن التوجيهات النبوية جاءت بوسائل وقائية وعلاجية ناجعة، تعد نواة الحلول المعاصرة للمشكلات البيئية، كما أنها تدفع نحو تبني التقنيات الحديثة للحفاظ على الموارد.

ويوصي البحث ضمن توصياته بلفت عناية الباحثين والمهتمين إلى استخراج مزيد من أصول وقواعد التنمية البيئية المستدامة المبثوثة في نصوص السنة النبوية مع محاولة تنزيلها على أرض الواقع بما يتوافق مع متطلبات العصر.

الكلمات المفتاحية: التنمية المستدامة، البيئة، الماء والهواء، النبات والحيوان، التطبيقات المعاصرة.

Abstract

The research addresses the topic of "Sustainable Environmental Development in the Prophetic Tradition," highlighting its components, foundations, and contemporary applications. It emphasizes the Prophetic tradition's pioneering role in establishing the concept of sustainable development in the environmental field, as demonstrated by noble Prophetic sayings encouraging the cultivation of the earth, prohibiting corruption within it, forbidding the overuse of natural resources, and promoting their optimal utilization.

Through an introduction, a preface, three chapters (each containing three sections), and a conclusion, the research focuses on the components of sustainable environmental development—water, air, animals, and plants—showcasing the Prophetic care for preserving and developing these resources. It details practical guidance such as rationalizing water usage, protecting animals from harm, and expanding green spaces.

The study also examines the foundations specific to sustainable development in Islam, including:

Theological Dimension: Linking the cultivation of the earth to accountability before God.

Ethical Dimension: Advocating kindness and excellence.

Comprehensive Perspective: Balancing physical and spiritual aspects.

It further explores contemporary applications inspired by Prophetic guidance to address current environmental challenges, such as water desalination, modern irrigation techniques, and the establishment of natural reserves.

The conclusion underscores key findings, including the fact that Prophetic teachings provided effective preventive and remedial measures, forming the foundation for modern solutions to environmental problems. Moreover, these teachings encourage the adoption of advanced technologies to preserve resources.

Among its recommendations, the research calls for researchers and specialists to further extract principles and rules of sustainable environmental development embedded in the Prophetic tradition and work on their practical implementation in line with contemporary needs.

Keywords: Sustainable Development – Environment – Water and Air – Plants and Animals – Contemporary Applications.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه الكريم، هداية للعالمين، وعبرة للمتأملين، ونورا للمستبصرين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فإن موضوع التنمية المستدامة -مع راهنيته وآنيته وشدة الاهتمام به في الوقت المعاصر على الصُّعُد المحلية والعالمية- موضوع قديم قدم الشريعة الإسلامية، فقد اهتم به ديننا الحنيف، وخاصة السنة النبوية منذ صدر الإسلام.

فإننا نجد سيدنا ونبينا محمدا ﷺ سباقا إلى الاهتمام به مفهوما، قبل أن يخصَّص له في اللاحق مصطلحه الذي صار عليه علما (التنمية المستدامة)، فقد وردت أحاديث نبوية كثيرة جدا تؤسس لهذا المفهوم بجميع مجالاته، وخاصة منها المجال البيئي، الذي نجد حيزا كبيرا من الأحاديث النبوية تؤصل له، وتنزله بكل مكوناته على الواقع، مما مكن استخراج مرتكزاته، والالتجاء إليه في وقتنا الراهن؛ لحل كثير من المشكلات البيئية.

وهذا ما يود هذا البحث أن يبرزه ويوضحه.

- **أهمية البحث:**

تكمن أهمية هذا البحث في أهمية موضوعه، وذلك من جهتين:

الأولى: لكونه يتعلق بالمصدر الثاني من مصادر التشريع، وهو السنة النبوية الشريفة، ويبين مدى تأصيله لهذا المفهوم الذي لم يتفطن إليه العالم ولا إلى أهميته إلا حديثا.

الثانية: لكونه يتناول موضوعا يحظى باهتمام عالمي واسع وكبير، لصلته الكبيرة بحاضر البشرية ومستقبلها.

- **أهداف البحث:**

يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

1. ربط التنمية المستدامة –بمفهومها الحديث– بالأصل الثاني من مصادر التشريع وهو السنة النبوية.

2. إبراز دَور الهدي النبوي الشريف في ترسيخ ثقافة الاستدامة البيئية، والسبق في التأصيل لها وتنزيلها.

3. بيان اهتمام السنة النبوية بإعمار الأرض وتنميتها وحثها على استدامة خيراتها؛ مما يبطل النظرة النمطية الخاطئة عنه وعن نظرته للحياة الدنيا.

4. الحث على استحضار البعد الديني والعبادي لإعمار الأرض وتنميتها، وحسن إدارة مواردها.

- **إشكالية البحث:**

وإنني إذ أروم تحقيق هذه الأهداف، أتوسل إلى ذلك بالإجابة عن الأسئلة الآتية:

إلى أي مدى أَصَّلت السنة النبوية لمبدأ التنمية البيئية المستدامة؟

وما مكونات التنمية البيئية المستدامة التي تناولتها السنة النبوية؟ وما مرتكزاتها المستنبطة منها؟

وكيف يمكن استثمار نصوص الأحاديث النبوية المؤطرة للتنمية البيئية المستدامة، لحل المشكلات البيئية المعاصرة؟

- **الدراسات السابقة والإضافة العلمية:**

تناولت التنمية المستدامة عموما، والتنمية البيئية المستدامة على جهة الخصوص، بحوث كثيرة، لكني سأذكر منها ما كان تناوله تأصيلا من السنة النبوية على جهة الخصوص:

أولا: بحوث في التنمية المستدامة في السنة النبوية بشتى مجالاتها.

1. بحث: إدارة الاستدامة والتنمية المستدامة في القرآن والسنة، لمأمون يوسف سالم.

2. بحث: التنمية المستدامة في السنة النبوية، دراسة تأصيلية، لبكر عبد الله الخرمان.

ثانيا: بحوث في التنمية البيئية المستدامة خاصة.

1. بحث: ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، للدكتور محمد عبد القادر الفقي.

2. بحث: آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية، لبكر عبد الله الخرمان.

وقد أفدت من هذه الأبحاث، خاصة فيما له علاقة بالتأصيل للموضوع، لكني أضفت لمستي وأبرزت جهدي من خلال طريقة التناول والاستنباط، إضافة إلى التنزيل الواقعي العملي على العصر الحاضر؛ فإني أزعم أني:

- أستنبط من نصوص السنة بصورة أعمق، وشكل أدق، بحيث أتجاوز استخراج ما هو واضح بين شائع من هذه النصوص، إلى ما قد يخفى إلا بمزيد إعمال نظر، مع مراعاة عدم التكلف.

- أستخرج من الهدي النبوي العملي والتوجيهات النبوية في التعامل مع البيئة ركائز التنمية المستدامة في السنة النبوية.

- أستلهم من هذه النصوص كيفية الاستفادة المعاصرة من هذه التوجيهات والتصرفات النبوية لعلاج المشكلات البيئية المعاصرة، إذ إن كثيرا من الأبحاث لم تربط هذه التوجيهات النبوية بالواقع المعاصر.

- **المنهج المتبع في البحث:**

سأركز في تناول بحثي هذا على المنهجين الآتيين:

أولا: المنهج الاستقرائي، باستقراء النصوص النبوية التي تناولت موضوع التنمية البيئية المستدامة.

ثانيا: المنهج التحليلي، بتحليل تلك النصوص وتصنيفها، واستنباط مرتكزات التنمية البيئية المستدامة من خلالها، وبيان كيفية استثمارها في العصر الراهن.

- **خطة البحث:**

سأبني بحثي على الخطة الآتية:

مقدمة: فيها أهمية الموضوع، وأهدافه، وأسئلته، والمنهج المتبع فيه، وخطته.

تمهيد: فيه تأصيل للتنمية المستدامة من السنة النبوية.

المبحث الأول: مكونات التنمية البيئية المستدامة في السنة النبوية.

المطلب الأول: التنمية المستدامة للماء والهواء.

المطلب الثاني: التنمية المستدامة للحيوان.

المطلب الثالث: التنمية المستدامة للنبات.

المبحث الثاني: مرتكزات التنمية المستدامة في السنة النبوية.

المطلب الأول: المرتكز العقدي العبادي.

المطلب الثاني: المرتكز الأخلاقي.

المطلب الثالث: المرتكز الشمولي.

المبحث الثالث: تطبيقات التنمية البيئية المستدامة في العصر الحاضر.

المطلب الأول: تطبيقات معاصرة لتنمية الماء والهواء.

المطلب الثاني: تطبيقات معاصرة لتنمية الحيوان.

المطلب الثالث: تطبيقات معاصرة لتنمية النبات.

خاتمة: نتائج وتوصيات.

تمهيد: تأصيل التنمية المستدامة من السنة النبوية.

اعتمد مصطلح التنمية المستدامة عالميًّا لأول مرة عام 1972م في مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة في ستوكهولم، وهو أول مؤتمر عالمي يجعل البيئة قضية رئيسة، بصفتها أحد أهم مجالات التنمية المستدامة، محاولا تقييد حق الدول في استغلال مواردها الطبيعية، وخاصة تلك المتسمة بطبيعة غير متجددة، بطريقة غير معيقة. وفيه وافق المجتمع الدولي على فكرة توظيف التنمية والبيئة لإدارة المنفعة العامة[1]. وذلك نتيجة للتطورات السلبية التي صاحبت التقدم الصناعي، والنظام الرأسمالي المتوحش، الذي يهدف إلى التنمية الجائرة، القائمة على تعظيم الأرباح والعوائد المالية، من دون أن يلقي بالا للبيئة المحيطة به، ولا أن يعيرها أي اهتمام، لاهثا وراء النفع الفردي والفائدة اللحظية، مما يجعله نظاما جائرا، يتعارض مع مصالح الإنسانية في الإبقاء على بيئة صحية ونظام بيئي متوازن قادر على التجديد. وهذا ما أسهم في تنامي مجموعة من المشكلات البيئية، مثل تلوث الماء والهواء والأرض، وانتشار ظاهرة التصحر، وتزايد معدلات انقراض الكائنات الحية، واستنفاد طبقة الأوزون... وما نجم عن ذلك من انتشار الأمراض الفتاكة والأوبئة المدمرة[2]، التي تنذر بخطر بيئي قادم.

ثم توالت بعد ذلك الدعوات الأممية والعالمية إلى ضرورة إنقاذ هذه الأرض من الأخطار المحدقة بها، حتى وصلت هذه الدعوات إلى مستوى الإلحاح التي هي عليه اليوم، بعد إدراك الضمير العالمي لأهمية التنمية المستدامة لمستقبل العالم، بل وحاضره[3]،

---

1. ينظر: عبد الله بن جمعان الغامدي، التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الاقتصاد والإدارة، عدد 1، 2009م، (ص211-210).

2. ينظر: عثمان محمد غنيم، وماجدة أحمد أبو زنط، التنمية المستدامة فلسفتها وأساليبها، دار صفاء، عمان، 2007م، (ص95-55). وعبد المجيد عمر النجار، قضايا البيئة من منظور إسلامي، مركز البحوث والدراسات، 2000م، (ص212، 213).

3. شهد العالم بعد أول دعوة للاهتمام بالتنمية المستدامة ركودا في هذا الباب مدة 10 سنوات تقريبا، حتى عام 1983م الذي شكل نقطة تحول في هذا الباب حيث طلب الأمين العام للأمم المتحدة من رئيسة وزراء النرويج تشكيل لجنة للبحث عن أفضل السبل التي تمّكن كوكبنا الذي يشهد نموا سكانيا متسارعا من أن يستمر في الإيفاء بالاحتياجات الأساسية من خلال صياغة افتراضات عملية تربط قضايا التنمية بالعناية بالبيئة والمحافظة عليها، وترفع من مستوى الوعي العام بالقضايا ذات الصلة بالموضوع. وبقي الموضوع مكتسيا نوعا من الاحتشام بعد هذه الدعوة قرابة 10 سنوات أخرى حتى تاريخ انعقاد أول قمة بيئية عالمية من نوعها، وهي قمة الأرض، في مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية، عام 1992م. التي وضعت حجر الأساس لرؤية عالمية جديدة عن البيئة محولة الأجندة الكونية إلى التنمية المستدامة من خلال إثارة اهتمام الرأي العام العالمي بالعلاقة المتبادلة بين الأبعاد البيئية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية للتنمية، كما مهدت الطريق أمام مفهوم التنمية المستدامة لاختراق الخطاب الاقتصادي والسياسي. ينظر: عبد الله بن جمعان الغامدي، التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسؤولية عن حماية البيئة، (ص213-210).

وفي مقابل هذه الدعوات المتأخرة جدا إلى العناية بالتنمية المستدامة؛ نجد أن السنة النبوية قد سبقت إلى التأصيل لهذه التنمية، بجميع مكوناتها، تنظيرا وتطبيقا، داعية إلى إدارة الموارد واستغلالها برشد وعقلانية واعتدال، مراعية الحاضر، ومستشرفة المستقبل.

وهذه مجموعة من التوجيهات النبوية المؤطرة للتنمية المستدامة بمجالاتها المختلفة على جهة الإجمال:

1. الأمر بعمارة الأرض من منطلق الاستخلاف فيها: عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ"[1]. ففي الحديث تقرير لحقيقة مهمة، لها مدخل كبير في موضوع التنمية المستدامة، وهي قضية الاستخلاف في الأرض، الذي يقتضي عمارتها والحفاظ على ثرواتها، وتنمية خيراتها، فإن ذلك مقتضى الاستخلاف، الذي هو "مسئولية عظيمة، تتمثل في تمكين الإنسان من أمانة الأرض وناصية الكون، وتسخيره له، ليكون سيدًا عليه، مالكًا لمفاتيحه، متصرفًا في شؤونه، مستغلًا لخيراته، منفذًا فيه إرادته بالتعمير والتغيير والترقية والتطوير"[2] فعلى البشر جميعا "أن يتعاقبوا على عمارة الأرض جيلا بعد جيل، بحيث لا ينقرض منهم جيل حتى يكون جيل آخر قد خلفه في عمارتها، إلى أن يحين أجل الفناء، لكل من عليها من الأحياء[3] يقول علاّل الفاسي (رحمه الله): "والمقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع"[4].

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1955م، كتاب الرقائق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (4/2098) حديث رقم (2742).
2. محمد زرمان، وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم: دلالاتها وأبعادها الحضارية، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد: 16، عام: 1998م. (ص195).
3. محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1985م، (2/190).
4. علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، ط5، 1993م، (ص46-45).

2. **النهي عن الإفساد في الأرض:** عن عبد الله بن حُبَشي (رضي الله عنه)، أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ"[1]. فهذا الحديث فيه وعيد شديد لمن يعيث فسادا في أحد مكونات البيئة، ويسعى إلى انقطاع أثرها، وفيه إشارة إلى أن من أهم مسؤوليات الإنسان في هذه الأرض -إضافة إلى الإصلاح والتنمية- ترك تخريب مقدراتها والإفساد فيها، من منطلق كونه مستخلفا فيها، وتلك "مسئولية عظيمة، تتمثل في تمكين الإنسان من أمانة الأرض وناصية الكون، وتسخيره له، ليكون سيدًا عليه، مالكًا لمفاتيحه، متصرفًا في شؤونه، مستغلًا لخيراته، منفذًا فيه إرادته بالتعمير والتغيير والترقية والتطوير"[2].

3. **تحريم الإسراف والتبذير:** عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن الرسول ﷺ مر بسعد -وهو يتوضأ- فقال: "مَا هَذَا السَّرْفُ"، فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: "نَعَمْ! وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ"[3]. ففي الحديث نهي واضح وصريح على الإسراف في الماء ولو في العبادة، وفيه إشارة إلى ترك الإسراف في كل مورد بيئي؛ حفاظا على مكونات الأرض ومواردها، وخاصة الأساس منها، لما في الإسراف فيها من ضياع حق الأجيال فيها.

---

1. أخرجه أبو داود في سننه، المحقق شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بلل، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، 2009م، كتاب الأدب، باب في قطع السدر (7/523) حديث رقم (5239) و قال محققه حسن.
2. ينظر: عبد الله بن جمعان الغامدي، التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، (ص211-210).
3. أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ, 2009م، أبواب الطهارة وسننها، باب من جاء في القصد في الوضوء، وكراهية التعدي فيه (1/272) حديث رقم (425) وضعفه محققه.

المبحث الأول: مكونات التنمية البيئية المستدامة في السنة النبوية

البيئة هي "المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان؛ (الأرض وما يحيط بها من غلاف جوي يؤثر في نمط الحياة فيها)، بما يتضمن من ظواهر طبيعية وبشرية، يتأثر بها ويؤثر فيها، ويستمد منها مقومات حياته، ويمارس فيها علاقته مع من سواه"[1].

ولقد تناولت الأحاديث النبوية سواء القولي منها أو العملي موضوع البيئة واستدامة مكوناتها من ماء وهواء وحيوان ونبات. في مواضع كثيرة وسياقات مختلفة.

وهذا ما سأتطرق إليه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التنمية المستدامة للماء والهواء

الماء من النعم العظيمة، فقد جعله الله تعالى سببا للحياة، وزادا للأحياء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء: 30]. وقد يسر الله سبل الحصول عليه، فخلق البحار والأنهار، وألهم الإنسان صناعة الآبار، ووجه نبينا الكريم ﷺ إلى المحافظة على الثروة المائية والهوائية، وجعل ذلك من الصدقات الجارية، قال النبي ﷺ: "إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ المُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ... نَهْرًا أَجْرَاهُ"[2]. ومعلوم ما بين الماء والهواء من الصلة، فالحفاظ على الماء حفاظ على الهواء، والإضرار بالماء إضرار بالهواء.

وهذه بعض التوجيهات النبوية، للحفاظ على الثروة المائية والهوائية، التي تتلخص في ثلاثة أمور: الحرص على استجلاب الماء عند فقده، وعدم تلويثه والإضرار بخصائصه الطبيعية التي خلقها الله تعالى فيه، وترك الإسراف في استعماله بما قد يؤدي إلى استنفاذ ثرواته، وحرمان الأجيال الحالية واللاحقة منه.

أولا: الأمر باستجلاب الماء والنهي عن إتلافه؛ فقد شرع النبي ﷺ للمسلمين حين

---

1. ينظر: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) العالم الإسلامي والتنمية المستدامة؛ الخصوصيات والتحديات والالتزامات: - وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزارة البيئة، دراسة: العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة، جدة، السعودية 2002م، نشر: منظمة إيسيسكو، الرباط، المغرب: 2002م، (ص98)، والسيد الجميلي: الإسلام والبيئة، مركز الكتاب للنشر، الإسكندرية، 1997م، (ص14).
2. أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب ثواب معلم الناس الخير (1/163) حديث رقم (242)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، (دار المكتب الإسلامي) حديث رقم (2231).

الجفاف وعدم نزول المطر إقامة صلاة الاستسقاء، والتضرع إلى الله بالرحمة للبلاد والعباد والبهائم، وأن يكون سقيا رحمة لا سقيا عذاب، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَحَطَ المَطَرُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، فَدَعَا فَمُطِرْنَا، فَمَا كِدْنَا أَنْ نَصِلَ إِلَى مَنَازِلِنَا فَمَا زِلْنَا نُمْطَرُ إِلَى الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ، قَالَ: فَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا" قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ السَّحَابَ يَتَقَطَّعُ يَمِينًا وَشِمَالًا، يُمْطَرُونَ وَلَا يُمْطَرُ أَهْلُ المَدِينَةِ[1]. وحث ﷺ على توفير الماء للناس والحيوان فقال: "إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ -وذكر منها-: أَوْ نَهْرًا كَرَاهُ"[2]. "يعني: حفره"[3]. ونهى عن تخريب مصادر المياه فقال ﷺ: "وَلَا تُغَوِّرَنَّ عَيْنًا"[4].

ثانيا: الاعتدال في استعماله، وعدم الإسراف في استهلاكه؛ فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن الرسول ﷺ مر بسعد -وهو يتوضأ- فقال: "مَا هَذَا السَّرْفُ"، فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: "نَعَمْ! وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ"[5]، وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقتصد في استعمال الماء في الوضوء، فيَتَوَضَّأُ بِمُدٍّ مِنْ مَاءٍ، وَيَغْتَسِلُ بِصَاعٍ[6]. فإذا كان هذا شأنه وأمره في الوضوء وهو من شروط الصلاة التي هي الركن الأول من أركان الإسلام، فما بالك بالاستعمالات الأخرى المفرطة وغير الرشيدة للماء، سواء في الزراعة والصناعة والأغراض المنزلية وغيرها من أعمال الدنيا.

---

1. متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/ جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2002م، أبواب الاستسقاء، باب الاستسقاء على المنبر (2/29) حديث رقم (1015)، ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء (2/614) حديث رقم (897).
2. أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، المحقق/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1992م، كتاب الزكاة، باب فضائل بناء السوق لأبناء السابلة، وحفر الأنهار للشارب (4/121) حديث رقم (2490) وقال الأعظمي: "إسناده حسن لغيره لشواهده".
3. المنذري، حسن بن علي، القريب المجيب على الترغيب والترهيب، المحقق/ محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، ط1، 2018م، (1/688).
4. أخرجه البيهقي في السنن الكبير، المحقق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط1، 2011م، كتاب المرتد، باب ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما (18/301) حديث رقم (18206).
5. سبق تخريجه، ص 234.
6. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، المحقق/ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط1، 1989م، كتاب الطهارة، في الجنب كم يكفيه لغسله من الماء (1/67) حديث رقم (713).

ويتعدى النهي عن الإسراف والتبذير في الماء العذب إلى ما في البحر وما يحتويه، كالأسماك والإسفنج والمرجانيات وسائر الثروات المائية الحية وغير الحية؛ لأن الجور في استهلاك أي من تلك الموارد يؤدي إلى خطر انقراض بعض الثروات المائية وظهور ما يسمى بظاهرة التصحر البحري، أي تجريد الماء من الأحياء المائية وموارده غير الحية، مما يهدد الاتزان البيئي للغلاف المائي بين أحيائه وسيادة بعض الأنواع غير المرغوب فيها، مما يحدث أزمة في التنوع الحيوي واختلالًا في التوازن البيئي[1].

ثالثا: الحفاظ على نظافته، والحرص على عدم تلويثه؛ قَالَ النبي ﷺ: "لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي المَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ"[2]، فقد نهى ﷺ عن قضاء الحاجة في الماء العام الذي يستخدمه الناس في شربهم وطهارتهم، حفاظا على الموارد المائية للمجتمع، فإن هذا التصرف يسبب تلوث المياه، ويؤدي إلى عفونتها، ويفوت الانتفاع بها، فضلًا عن انتقال الجراثيم من خلالها[3]. وعن جابر (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ: "نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ"[4]. وقال ﷺ: "اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَالظِّلِّ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ"[5]. ومعنى الموارد: "طرق الماء. وأحدها موردة، والظل هنا يراد به مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلا ومناخا ينزلونه"[6] "وسميت هذه ملاعن لأنها تجلب اللعن على فاعلها؛ لأنه ضرر عظيم بالمسلمين؛ إذ يعرضهم للتنجيس، ويمنعهم من حقوقهم في

---

1. أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة مقارنًا بالقوانين الوضعية، القاهرة، 1996م، (ص-176 181).
2. متفق عليه، أخرجه البخاري، في كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم (1/57) حديث رقم (239)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الدائم (1/235) حديث رقم (282).
3. ينظر: صالح درويش الكاشف، دور الشريعة الإسلامية في حماية البيئة، بحث منشور في كتاب أعمال المؤتمر الدولي: آليات حماية البيئة، طرابلس، لبنان، 2017-12-27-26م، ضمن سلسلة كتاب أعمال المؤتمرات، مركز جبل البحث العلمي، (ص48).
4. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد (1/235) حديث رقم (281).
5. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نُهي عن البول فيها (1/3) حديث رقم (26)، وابن ماجه في سننه، أبواب الطهارة وسننها، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق (1/218) حديث رقم (328) وقال محققو سنن ابن ماجه: «المرفوع منه حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أبي سعيد الحميري، ثم هو لم يسمع من معاذ. وأخرج المرفوع فقط أبو داود من طريق نافع بن يزيد، بهذا الإسناد. ويشهد له حديث أبي هريرة عند مسلم.
6. حمد بن محمد الخطابي، معالم السنن، المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1932م، (1/21-22).

الماء والاستظلال وغير ذلك"[1]. كما أن لها أثرا واضحا في تلويث الهواء والتأثير في نقائه وصلاحيته للاستنشاق.

وحفاظا على نظافة الماء، وخشية من تلويثه، وتلافيًا لما قد ينتقل إليه من ميكروبات، أو مسببات الأمراض التي تغير خواصه وتجعله غير صالح لما خُلق له، وربما أصدر موادَّ تؤثر على نقاء الهواء؛ نهى النبي ﷺ عن التنفس في الإناء، أو النفخ فيه فقال ﷺ: "إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيُنَحِّ الْإِنَاءَ، ثُمَّ لِيَعُدْ إِنْ كَانَ يُرِيدُ"[2]، وقال ﷺ: "غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ"[3]، قال النووي (رحمه الله): "ذكر العلماء للأمر بالتغطية فوائد، منها الفائدتان اللتان وردتا في هذه الأحاديث، وهما: صيانته من الشيطان، فإن الشيطان لا يكشف غطاء، ولا يحل سقاء، وصيانته من الوباء الذي ينزل في ليلة من السنة. والفائدة الثالثة: صيانته من النجاسة والمقذرات، والرابعة صيانته من الحشرات والهوام، فربما وقع شيء منها فيه فشربه وهو غافل، أو في الليل فيتضرر به. والله أعلم"[4].

وإذا كانت هذه الأحاديث الشريفة تنهى عن تلويث الماء أو إفساده بالهواء ونحوه؛ فما بالك بالمواد الضارة الأخرى، الناتجة عن العمليات والأنشطة الصناعية والتجارية والزراعية وغيرها، والتي تعد اليوم أكثر ضررًا وأشد خطرًا على الماء والهواء، بل وعلى حياة مختلف مخلوقات الله الحية وغير الحية[5].

إن هذه النصوص السابقة وإن كانت تدل بالأصالة على الحفاظ على المورد المائي، فإنها بالطبع تشمل الحفاظ على نظافة الهواء؛ لأن كل ما يصيب الماء هو بالضرورة مؤثر

---

1. أحمد بن عمر القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المحقق/ محيي الدين ديب ميستو وآخرين، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1996م، (1/524).
2. أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الأشربة، باب التنفس في الإناء (4/492) حديث رقم (3427). وقال محققو سنن ابن ماجه: "إسناده حسن، وصححه البوصيري".
3. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله عليها، وإطفاء السراج والنار عند النوم، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب (3/1594) حديث رقم (2012).
4. يحيى بن شرف النووي، شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1972م، (13/183).
5. محمد محمود السرياني، المنظور الإسلامي لقضايا البيئة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2007م، (ص142).

في نقاء الهواء. وهناك نصوص أخرى دلالتها أصرح على الحفاظ على نظافة الهواء، ومنها:

حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن رسول الله ﷺ قال: "اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ". قالوا: وما اللَّعَّانان يا رسول الله؟ قال: "الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ"[1]. فإن ذلك مما يفرز ميكروبات وفيروسات لها أبلغ الأثر في جودة الهواء ونقائه.

حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ... وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"[2] فإن من غايات هذه الإماطة الحفاظ على الهواء نقيا صالحا للاستنشاق من غير ضرر.

يضاف إلى ذلك كل الأحاديث التي تحث على زراعة الأشجار كما سيأتي في التنمية المستدامة للنبات، ففي ذلك إضافة إلى الحفاظ عليها وطلب دوامها، تخليص البيئة من كميات كبيرة من ثاني أكسد الكربون الضار بالصحة، كما أنها تنتج كمياتٍ كبيرةً من الأكسجين اللازم لحياة الإنسان والحيوان، كما يمكن استعمالها مصدرا للرياح (الطاقة الريحية البديلة) وحماية الإنسان والحيوان من التيارات الهوائية وغيرها[3].

المطلب الثاني: التنمية المستدامة للحيوان

الثروة الحيوانية من النعم التي سخرها الله تعالى للإنسان، فمنها مأكله ومشربه وملبسه ومركبه، قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝﴾ [النحل: 5-6] ولأهمية الثروة الحيوانية أمرنا رسول الله ﷺ بأن نتقي الله تعالى فيها فقال: "اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ"[4]. والناظر في السنة النبوية يجد النصوص النبوية الداعية للحفاظ على هذه الثروة، والحرص على

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال (1/226) حديث رقم (269).
2. متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه (4/56) حديث رقم (2989)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (2/699) حديث رقم (1009).
3. أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة، الدار العربية، بيروت، 2001م، (ص174).
4. أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (4/200) حديث رقم (2548)، وابن خزيمة في صحيحه، كتاب المناسك، باب استحباب الإحسان إلى الدواب المركوبة في العلف والسقي، وكراهية إجاعتها وإعطاشها وركوبها والسير عليها جياعا عطاشا (4/143) حديث رقم (2545).

استدامتها وبقائها، والمحذرة من الإضرار بها، متوافرة، وذلك من خلال التوجيهات الآتية:

أولا: تنميتها ورعايتها، والإحسان إليها بإطعامها وسقيها، وعدم إهمالها؛ قال النبي ﷺ لأم هانئ: "اِتَّخِذِي غَنَمًا فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً"[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيَرْضَى بِهِ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ، فَإِذَا رَكِبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجْمَ فَأَنْزِلُوهَا مَنَازِلَهَا، فَإِنْ كَانَتِ الْأَرْضُ جَدْبَةً فَانْجُوا عَلَيْهَا بِنِقْيِهَا"[2] "يعني: فأسرعوا السير على الدواب في الأرض الجدبة إن كانت الدواب ذات شحم ومخ، والنقي: الشحم والمخ، ومعنى هذا: لكي تخرجوا من الجدوبة إلى أرض ذات ماء ومرعى، فإن كانت الدواب ضعافا فارتفقوا ولا تعنفوا عليها"[3] "وهذا عموم يدخل فيه الرفق بالدواب في الأسفار وغيرها. وخص المسافر في هذا الحديث بالذكر فأمر أن يمشي مهلا رويدا، ويكثر النزول إذا كانت الأرض مخصبة لترعى دابته الكلأ وتنال من الحشيش والماء، وهذا إنما هو في الأسفار البعيدة ما لم تضم الضرورة إلا أن يجد في السفر فإذا كانت جدبة وكان عام السنة، فالسنة للمسافر أن يسرع في السفر ويسعى في الخروج عن بلاد الجدب وبدابته رمق يقيه من النقي، والنقي الشحم والقوة حتى يحصل في بلد الخصب"[4] وقال ﷺ: "ارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً"[5].

---

1. أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب التجارات، باب اتخاذ الماشية، (3/402) حديث رقم (2304). وصححه محققو سنن ابن ماجه.
2. أخرجه مالك في الموطأ، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1975م، كتاب الاستئذان، باب ما يؤمر به من العمل في السفر (2/979) حديث رقم (38).
3. عبد الرحمن بن مروان القنازعي، تفسير الموطأ، المحقق/ عامر حسن صبري، دار النوادر، ط1، 2008م، (2/777).
4. يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، الاستذكار، المحقق/ سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، (8/534-535).
5. أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (4/200)، حديث رقم (2548)، وابن خزيمة في صحيحه، كتاب المناسك، باب استحباب الإحسان إلى الدواب المركوبة في العلف والسقي، وكراهية إجاعتها وإعطاشها وركوبها والسير عليها جياعا عطاشا (4/143) حديث رقم (2545).

ثانيا: عدم تعريضها للهلاك أو الضرر لغير منفعة أو مأكلة؛ قال النبي ﷺ: "لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا"[1]. ونهى ﷺ عن "الوقوف على الدواب لا لمعنى يوجبه، بأن يستوطنه الإنسان ويتخذه مقعدا فيتعب الدابة ويضر بها من غير طائل[2] فقال: "إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ"[3]. وجاء في وصية أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ليزيد بن أبي سفيان: "... ولا تعقرن شاة، ولا بعيرا، إلا لمأكلة، ولا تحرقن نحلا، ولا تغرقنه"[4].

ثالثا: عدم تعذيبها أو إيذائها أو التمثيل بها؛ فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) قال: مَرَّ حِمَارٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ كُوِيَ فِي وَجْهِهِ، تَفُورُ مَنْخِرَاهُ مِنْ دَمٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا" ثُمَّ نَهَى عَنِ الْكَيِّ فِي الْوَجْهِ، وَالضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ[5]، وقال ﷺ: "عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيْهَا النَّارَ لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ"[6]. وعن عبدِ الرحمن بن عبد الله عن أبيه، قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في سَفَرٍ، فانطَلق لحاجتِه، فرأينا حُمَّرةً معها فَرْخَانِ، فأخذْنا فرخَيها، فجاءتِ الحُمَّرة فجعلتْ تفرُشُ، فجاء النبي ﷺ فقال: "من فَجَعَ هذهِ بولَدها؟ رُدُّوا ولدَها إليها". ورأى قريةَ نملٍ قد حَرَقْناها، فقال: "من حَرَق هذه؟" قلنا: نحنُ، قال: "إنه لا ينبغي أن يعذِّب بالنار إلا رَبُّ النار"[7]، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) : أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم (3/1549) حديث رقم (1958).
2. الخطابي، معالم السنن (2/253).
3. أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الجهاد، باب في الوقوف على الدابة (4/214) حديث رقم (2567). وحسنه محققو سنن أبي داود.
4. موطأ مالك بن أنس، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو (2/447) حديث رقم (10).
5. محمد بن حبان البُستي، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م، صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب المثلة، ذكر الزجر عن وسم شيء من ذوات الأربع على وجهه (12/443) حديث رقم (5626).
6. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم (4/130) حديث رقم (2218)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي (4/2022) حديث رقم (2242).
7. أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار (4/309) حديث رقم (2675). وصححه محققو سنن أبي داود.

يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، وَغُلَامٌ مِنْ بَنِي يَحْيَى رَابِطٌ دَجَاجَةً يَرْمِيهَا، فَمَشَى إِلَيْهَا ابْنُ عُمَرَ حَتَّى حَلَّهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهَا وَبِالْغُلَامِ مَعَهُ فَقَالَ: ارْجُرُوا غُلَامَكُمْ عَنْ أَنْ يَصْبِرَ هَذَا الطَّيْرَ لِلْقَتْلِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ تُصْبَرَ بَهِيمَةٌ أَوْ غَيْرُهَا لِلْقَتْلِ[1]. "أَي أَن تحبس للرمي، وَكَانُوا يحبسونها ويرمونها بِالنَّبلِ"[2] "وأصل الصبر الحبس، ومنه قيل: قتل فلان صبرا، أي قهرا أو حبسًا على الموت. وإنما نهي عن ذلك لما فيه من تعذيب البهيمة"[3] وتشديدا في الوعيد لمن يؤذي الحيوانات "لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ مَثَّلَ بِالحَيَوَانِ"[4].

رابعا: إنقاذها إذا كان في محنة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: "فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ"[5].

فهذه التوجيهات وغيرها تؤكد على أن السنة النبوية قد كفلت حماية حياة الحيوانات والطيور، حتى تستمر ويستديم عطاؤها وأداؤها لوظائفها التي خلقها الله لها[6]

المطلب الثالث: التنمية المستدامة للنبات

النباتُ طعام للإنسان والحيوان، قال تعالى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣﴾ [النازعات: 33] ومنه يكون الظل الظليل، والمنظر الجميل، وقد رغب النبي ﷺ بالمحافظة عليه، حتى

---

1. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة (7/94) حديث رقم (5514)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم (3/1549) حديث رقم (1958).
2. عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، كشف المشكل من حديث رقم الصحيحين، المحقق/ علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، د. ط. ت، (3/198).
3. الخطابي، معالم السنن (4/277).
4. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة (7/94) حديث رقم (5515)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم (3/1549) حديث رقم (1958).
5. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء (3/112) حديث رقم (2363). ومسلم في كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (4/1761) حديث رقم (2244).
6. محمد محمود السرياني، المنظور الإسلامي لقضايا البيئة (ص186-185).

ولو كان المرءُ على مشارفِ الموت، فقَالَ ﷺ: "إنْ قَامَت السَّاعةُ وَفِي يَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ فَإنْ استَطاعَ أنْ لَا تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَليَغرِسْهَا"[1]. وذلك لما للثروة النباتية من دور في تحقيق التوازن البيئي لنظام الكون. وهذه بعض التوجيهات النبوية للحفاظ على هذه الثروة:

أولا: الحث على توسيع الرقعة الخضراء، واستصلاح الأراضي؛ قال النبي ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"[2]. وقال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ، فَلْيَزْرَعْهَا أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ"[3] وهذا التوجيه النبوي الشريف يعالج كثيرا من الظواهر البيئية؛ مثل تصحر الأرض وانجرافها، وغيرها من المشكلات. وعن ظهير بن رافع (رضي الله عنه)، قال: "سَأَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ كَيْفَ تَصْنَعُونَ بِمَحَاقِلِكُمْ؟" فقلت: نؤاجرها يا رسول الله على الربيع أو الأوسق من التمر أو الشعير. قال: "فَلَا تَفْعَلُوا، ازْرَعُوهَا أَوْ أَزْرِعُوهَا أَوْ أَمْسِكُوهَا"[4].

ثانيا: تحفيز الأفراد على إحياء الأراضي الجدباء؛ قال ﷺ: "مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ"[5]، وقال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ" قال عروة: قضى به عمر (رضي اله عنه) في خلافته[6]، وذلك تحريكا للهمة وتقوية للنشاط في توسيع

---

1. أخرجه البخاري في الأدب المفرد، المحقق/ سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ط1، 1998م، باب اصطناع المال (ص242) حديث رقم (479). وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص181).
2. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (3/103) حديث رقم (2320)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (3/1189) حديث رقم (1553).
3. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب المزارعة، باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمرة (3/107) حديث رقم (2341)، ومسلم في كتاب البيوع، باب كراء الأرض (3/1178) حديث رقم (1544).
4. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب ما جاء في الحرث والمزارعة، باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمرة (3/107) حديث رقم (2339)، ومسلم في كتاب البيوع، باب كراء الأرض بالطعام، (3/1182) حديث رقم (1548).
5. أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في إحياء الموات (4/680) حديث رقم (3073)، والترمذي في سننه، أبواب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب ما ذكر في إحياء أرض الموات (3/213) حديث رقم (1434)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وأحمد في مسنده، حديث رقم (14840)، وابن حبان في صحيحه، كتاب إحياء الموات، ذكر الخبر الدال على أن الذمي إذا أحيا أرضا ميتة لم تكن له (11/616) حديث رقم (5205).
6. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضا مواتا (3/106) حديث رقم (2335).

واستمرارية دائرة الإحياء والعمران للأرض.

ثالثا: النهي عن قطع الأشجار دون ضرورة؛ يقول النبي ﷺ: "مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ"[1]، وكان من وصاياه ﷺ: "وَلاَ تَعْقِرَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلاَ تَحْرِقَنَّ نَخْلاً"[2]. وقال علي (رضي الله عنه): "ولا تحرقوا زرعا ... ولا تقطعوا شجرة مثمرة"[3].

المبحث الثاني: مرتكزات التنمية المستدامة في السنة النبوية

إن المتأمل في النصوص الشرعية عامة، والأحاديث النبوية خاصة، المؤطرة لموضوع التنمية المستدامة، يلوح له منها مرتكزات قد انبنت عليها، تميزها عن التنمية المستدامة من المنظور الغربي. ومن أهم تلك المرتكزات:

المطلب الأول: المرتكز العقدي العبادي

إن البيئة في الشريعة الإسلامية لشاهدة على الوجود الإلهي، وهذا الوجود عنصر أساس من عناصر حقيقتها[4]، يراقبه المرء في كل عمل يعمله، وفي كل خطوة يخطوها، موقنا أنه "محكوم في سعادته وشقائه بقدر ما يتحقق من مهمة التعمير التي تثمر التنمية الفردية والجماعية"[5]

ومن مظاهر ربط هذ الكون بخالقه: ترتيب الجزاء على من أحسن فيه، وأسهم في تنميته، والحفاظ على موارده، ومن ذلك قول النبي ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"[6]. وقوله ﷺ: "وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"[7].

---

1. سبق تخريجه ص 233.
2. أخرجه سعيد بن منصور في سننه، المحقق/ حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، 1982م، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به الجيوش إذا خرجوا (2/181) حديث رقم (2383) والحديث مرسل.
3. أبو بكر أحمد بن علي المروزي، مسند أبي بكر الصديق، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، دار المكتب الإسلامي، بيروت، (ص72) حديث رقم (21).
4. عبد المجيد عمر النجار، الإيمان بالله وأثره في الحياة، دار العلم، الكويت، ط 2، 1979م، (ص74).
5. أحمد حسين فرحات، الخلافة في الأرض، دار الأرقم، الكويت، 1986م، (ص14-12).
6. سبق تخريجه ص 233.
7. سبق تخريجه ص 229.

إن التنمية في الإسلام تقوم على إحالة سعي الإنسان في الدنيا إلى عبادة، وهذه العبادة تتضمن تحصيل العلم بطبائع المخلوقات وخصائصها، والمحافظة على الطبيعة والحُسن بها، وتزكيتها وإصلاح ما أفسد فيها، وذلك بالتعامل معها وفق منهج الله خالقها ومدبرها[1] الذي جعل حسن رعايتها "واجبا مقدسا على كل مستخلف فيها، وتشريعا إلهيا ألزم به عباده؛ يحاسبهم على تركه أو إهماله. وليس توصية مؤتمر تنتهي بانفضاض المؤتمرين، ولا صيحة دوّى بها عالم وسط جموع الحاضرين"[2]. وهذا ما أكده النبي ﷺ حين توعد بالويل من لم يتأمل في هذا الكون ليصل إلى خالقه جل جلاله، فعن عائشة (رضي الله عنها) قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ النبي ﷺ: "يَا عَائِشَةُ، ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي"، قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا يَسُرُّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى وَكَانَ جَالِسًا، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة: 164]"[3] ففي هذه الآية وأمثالها، يربط المولى عز وجل الناس بخالقهم؛ من خلال تذكيرهم بهذه النعم وبالمنعم بها والمدبر لها "ويكاد ينطبق هذا الأمر على كل ما ذكر من مشاهد تدل على التنمية المستدامة وقيامها على توحيد الله في كل مخلوقاته وكونه"[4].

---

1. إبراهيم أحمد عمر، فلسفة التنمية: رؤية تربوية إسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الخرطوم، ط2، 1992م، (ص63-62). بتصرف.
2. آمنة نصير، الإسلام وحماية البيئة، قضايا إسلامية، مجلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر، عدد: 76، (ص90). بتصرف
3. أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب التوبة، ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات وإن كان بائنا عنها مجدا في إتيان ضدها (2/387) حديث رقم (620) وقال شعيب الأرنؤوط "إسناده صحيح على شرط مسلم".
4. عبد المجيد عمر النجار، قضايا البيئة من منظور إسلامي (ص87).

المطلب الثاني: المرتكز الأخلاقي

التنمية البيئية المستدامة في الشريعة الإسلامية عموما، وفي السنة النبوية على وجه الخصوص، نجد فيها لفتة إنسانية، وقيمة أخلاقية، فنجدها تؤسس لحسن التعامل مع الموارد من نبات وحيوان وماء وهواء وغيرها، ومن الأخلاق التي ورد الحث عليها في معاملة هذه الموارد:

- **خلق الرحمة:** جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لَأَذْبَحُ الشَّاةَ فأرحمُها. فقَالَ النبي ﷺ: "وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ" مرتين[1]. يعني: إذا ذبحتها فاذبحها وأنت راحم لها، ولا تعذبها أثناء ذبحها، قال أحد العلماء: "رحمة الحيوان سبب لرحمة الله لعبده، فإنما يرحم الرحمن من عباده الرحماء"[2]. فإذا كان الإنسان مطالبا برحمة الحيوان حال ذبحه وإنهاء حياته، فإنه من باب أولى وأحرى مطالب بذلك حال حياة الحيوان، ليستدام نفعه وخيره.

- **خلق الرفق:** قَالَ النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيَرْضَى بِهِ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ، فَإِذَا رَكِبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجْمَ فَأَنْزِلُوهَا مَنَازِلَهَا، فَإِنْ كَانَتِ الْأَرْضُ جَدْبَةً فَانْجُوا عَلَيْهَا بِنِقْيِهَا"[3].

- **خلق الإحسان:** كما في الحديث السابق: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا. قَالَ غَيْرُ مُسْلِمٍ يَقُولُ: فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ"[4].

ولئن كان بعض المهتمين بالتنمية المستدامة قد تفطن إلى هذا الخلل، فحاولوا

---

1. أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (15592) والبخاري في الأدب المفرد، باب ارحم من في الأرض (ص136) حديث رقم (373). وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4 1997م، (ص149).
2. محمد بن إسماعيل الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، المحقق/ محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 2001م، (11/31).
3. سبق تخريجه (ص 240).
4. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأضاحيّ، باب في الرفقِ بالذبيحةِ (4/437) حديث رقم (2815) وصححه محققو سنن أبي داود.

تداركه من خلال النص على "أن التنمية المستدامة هي قضية أخلاقية وإنسانية بقدر ما هي قضية تنموية وبيئية"[1]، إلا أن نظرتهم الأخلاقية تبقى -عند من يراعيها منهم- قاصرة ومقتصرة على التعامل مع الإنسان دون غيره من الموارد الأخرى، وهذا ما عبر عنه أحد الفلاسفة بقوله: "تطبيق المفاهيم الأخلاقية على العلاقة بالطبيعة يدعو للشك جدًّا، فقطع الغابات وقتل الحيوانات ليسا عملين لا أخلاقيين، إن مجال العلاقة الأخلاقية، أو اللا أخلاقية محصور بالإنسان والمجتمع فقط"[2].

وعلى كل فإن النموذج الغربي مهما حاول إحاطة مفهوم التنمية بسياج أخلاقي؛ فإن إصراره واستمراره على نفس النهج المعهود يُثبِت تمسّكه بهدف واحد هو تحقيق النمو لا غير.

إن غياب البعد الأخلاقي على حساب المصالح الثانية للأشخاص والمؤسسات والدول ينتج عنه الفساد الذي ظهر في ربوع الأرض، وانتشار المواد المسرطنة التي أضرت بالإنسان، وكذا النفايات النووية؛ لذلك يجب أن تنادي بأهمية وجود هذا الوازع الداخلي للوصول إلى حماية البيئة ورعايتها[3].

المطلب الثالث: المرتكز الشمولي

إن الشمول والتكامل والتوازن بين مختلف أبعاد التنمية سمات جلية في الإسلام، فشمولها يجعلها تتجاوز حدود تحقيق العبادة المادية، لتشمل تحقيق النمو الإنساني بجميع أبعاده، حتى تصل بالإنسان إلى مقام التكريم الذي منحه الله له. وتوازنها يجعلها حريصة على أن لا يطغى بُعد من أبعادها على بقية الأبعاد، ولا مصلحة جيل على آخر، ولا قطر على آخر، وتكاملها يجعلها لا تركز على جانب من الجوانب البيئية فقط، بل تشمل -أيضًا- الجوانب الأخرى، فالنبات مثلا يأكل منه الحيوان ليحيا، وبعض الحيوانات والحشرات تسهم

---

1. ينظر: اللجنة العالمية للبيئة والتنمية: مستقبلنا المشترك، ترجمة محمد كامل عارف، مراجعة علي حسين حجاج، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989م، (ص142).
2. توقانيروف: الطبيعة، الحضارة، الإنسان، ترجمة: رضوان القضماني ونجم خريط، دار الغابلي، بيروت، 1987م، (ص44).
3. ينظر: صالح درويش الكاشف، دور الشريعة الإسلامية في حماية البيئة، بحث منشور في كتاب أعمال المؤتمر الدولي: آليات حماية البيئة، (ص50.

في اكتمال دورة النبات، والماء شراب للحيوان وسقاء لنبات... فلا غنى لمقَوِّم عن الآخر، في تكامل بديع. ومن تكامل التنمية المستدامة في الشريعة الإسلامية أنها تراعي ترابط الأبعاد واتساقها، فيتكامل الوحي مع العقل، والقوى الإيمانية مع القوى المادية، والإنسان مع بيئته ومجتمعه، وعالم الغيب مع عالم الشهادة، وذلك في إطار تفاعلي يتميز بالضبط والتنظيم والترشيد للموارد[1]. ويؤدي إلى تحقيق السعادة والنفع للجنس البشري في الدنيا والآخرة.

فقدرة الإنسان على المواءمة بين المقتضيات الحضارية والمصلحة العامة، وبين الهدي الإلهي -بالقدر الذي يسير فيه الركب ثابت الخطى- يحقق التمكين والاستخلاف في الأرض[2].

إن التنمية المستدامة في منظورها الإسلامي ترى الإنسان كائنا فاعلا يستطيع استثمار بيئته ومواردها على أساس مبدأ التسخير والعمارة (التنمية)؛ فهي توازن بين الناحيتين المادية والروحية، وهذه من أوجه التمايز بين نظرة العولمة الغربية والتنمية المستدامة الإسلامية[3]. كما أنها تراعي التوازن والتكامل بين جميع متطلبات التنمية، فمن غير المعقول أن تنفرد التنمية بالنواحي الاقتصادية دون القضايا الصحية أو الثقافية أو الاجتماعية، وأن تستأثر الصناعة بالتنمية دون الزراعة، أو أن يركز على المنشآت المتطورة دون توفير المرافق العامة والتجهيزات الأساسية، أو أن تركز التنمية في المدن دون القرى[4]. وقد جاءت نصوص نبوية كثيرة تؤسس لمبدأ التوازن بين عمل الدنيا وعمل الآخرة، كحديث النفر المشهور، وفيه أنه قال لهم: "أَمَّا أَنَا فَأَنَا أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[5].

---

1. ينظر: محروس أحمد غبان: التنمية الشاملة للمجتمعات الإسلامية، دار الإيمان، المدينة المنورة، ط2، 2009م، (ص89)، وعثمان محمد غنيم، وماجدة أحمد أبو زنط التنمية المستدامة فلسفتها وأساليبها (ص39).
2. ينظر: فؤاد عبد اللطيف السرطاوي: البيئة والبعد الإسلامي، دار المسيرة، عمان، 2000م، (ص48).
3. ينظر: عدنان ياسين مصطفى: التنمية المستدامة بين إيديولوجيا الشمال ومأزق الجنوب: دراسات في التنمية البشرية المستدامة في الوطن العربي، بحوث الندوة الفكرية التي نظمها قسم الدراسات الاقتصادية في بيت الحكمة شباط فبراير 2000م، بيت الحكمة، بغداد، 2001م، (ص242).
4. ينظر: إبراهيم العسل: التنمية في الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1996م، (ص73).
5. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، «لأخشاكم». (7/2)2 حديث رقم (5063)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، (2/1018) حديث رقم (1401).

وانطلاقا من هذه المرتكزات الثلاثة وغيرها وصفت «التنمية المستدامة من منظور الشرع بأنها: "نشاط ذو طبيعة شاملة متضمنة للناحية المادية والأخلاقية والاجتماعية، يقوم على قيم وأهداف المجتمع الإسلامي في كل هذه الأبعاد المختلفة فلا تقتصر الرفاهية المستهدفة من التنمية على الحياة الدنيا فقط بل تمتد للحياة الآخرة دون تعارض بين الحياتين"[1].

المبحث الثالث: تطبيقات التنمية البيئية المستدامة في العصر الحاضر

إن في التوجيهات النبوية لحلا لجميع التحديات البيئية، ولقد كان المسلمون منذ القديم، مستمسكين بها، حريصين على التزامها، فكانت لعلمائهم في ذلك فتاوى شرعية، ولحكامهم وأمرائهم أحكام سلطانية[2]، حفظوا بها البيئة وحافظوا عليها، ونموا مكوناتها.

وفي العصر الحديث ظهرت مشكلات جديدة، وتفاقمت أخرى، بسبب البعد عن كثير من تلك التوجيهات، فكان لزاما على العلماء والباحثين وأصحاب القرار الرجوع إلى معين تلك التوجيهات، والتقاط تلك الإشارات، ففيها ملاذ ومعتصم، وحل محتوم، للمشكلات البيئية المتفاقمة.

وفي هذا المبحث سأتوقف مع بعض تلك التوجيهات والإشارات، في المجالات البيئية الثلاث.

---

1. جمال عبدلي: دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية، دار الفرقان، بيروت، ط1، 1984م، (ص2).
2. كان الحكام يكلفون ذوي الاختصاص من العلماء بمراقبة الأسواق ونحوها من مواطن وجود مكونات البيئة، فيحتمون على الناس التزام التوجيهات الكفيلة بالحفاظ على تلك المكونات، من ذلك ما ذكره عبد الرحمن بن نصر الشيرزي من أن الخبازين كانوا يؤمرون برفع سقائف حوانيتهم، وفتح أبوابها، وجعل منافس واسعة في سقوف الأفران، يخرج منها الدخان، لئلا يتضرر بذلك الناس ينظر: عبد الرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، المحقق/ السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946م، (ص22). ففي ذلك حفاظ على البيئة من كل ما يلوثها أو يسبب الأذى لمكوناتها. وذكر ضياء الدين ابن الأخوة في باب الحفاظ على الثروة الحيوانية أنهم كانوا يلزمون أرباب الدواب أن يتقوا الله سبحانه وتعالى في استعمالها، وأن يريحوها في كل يوم، وليلة لحاجتها إلى الراحة، والسكون، وألا يستعمل الدابة في طحن أكثر مما تتحمل. ينظر: محمد بن محمد ابن الأخوة، معالم القربة في طلب الحسبة، دار الفنون، كمبردج، (ص89).

المطلب الأول: تطبيقات معاصرة لتنمية الماء والهواء

في هذا المطلب سأتوقف مع حديثين نبويين فيهما إشارات نبوية سابقة لعصرها ووقتها في مجال المحافظة على الثروة المائية، ونظافة الهواء، مستنبطا منها ما يمكن أن يكون له كبير الأثر في بيئتنا اليوم.

أولا: حديث أَبَي هُرَيْرَةَ قال (رضي الله عنه): جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ، وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَنَتَوَضَّأُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الِّلَّه ﷺ: "هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ"[1].

ففي هذه الحديث إشارة بيئية مهمة، ودلالات تنموية عميقة، أقتصر منها على ما يأتي:

- فيه الإشارة إلى أهمية هذا المورد الطبعي في التخلص من كثير من المشكلات المتعلقة بندرة الماء، فإن ماء البحر متوافر بكثرة كافية لاستمرار الناس بالعيش عليه أبد الدهر، ووجه الإشارة النبوية أنه لم يجبه عن سؤاله بنعم، ليدله على ما يسأل عنه من الحكم، بل لقد أجابه بجواب يفهم منه أكثر من ذلك بكثير. قال ابن دقيق العيد (رحمه الله): "لو قال: نعم، لم يُستفَد منه -من حيث اللفظُ- إلا جوازُ الوضوءِ به، الذي وقع عنه السؤال، وإذا قال: هو الطهور أفاد جوازَ دفعِ الأحداث أصغرِها وأكبرِها، وإزالةِ الأنجاس به لفظًا، فكان أعمَّ فائدةً"[2] وقال محمد بن علي الأثيوبي: "ولم يقل في الجواب: نعم، مع حصول الغرض به، ليقرن الحكم بعلته، وهو الطهورية المتناهية في بابها، ودفعا لتوهم حمل لفظ نعم على الجواز على سبيل الرخصة للضرورة، ولما يفهم من الجواب بنعم من أنه إنما يتوضأ به فقط؛ لأنه المسؤول عنه، وفي إجابته بقوله الطهور ماؤه بيان أن الطهورية وصف لازم له غير قاصر على حالة الضرورة، وغير خاص بحدث دون حدث، بل يرفع كل حدث، ويزيل كل خبث"[3] وما تحلية المياه اليوم إلا استفادة من هذا العموم، ومظهر من

1. أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الطهارة، باب الطهور للوضوء (1/22) حديث رقم (12).
2. تقي الدين ابن دقيق العيد، شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، المحقق/ محمد خلوف العبد الله، دار النوادر، سوريا، ط2، 2009م، (1/111).
3. محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، دار المعراج الدولية للنشر، ودار آل بروم للنشر والتوزيع ط1، 1996، 2004م، (2/75).

مظاهر استثمار ماء البحر لتعويض ندرة المياه، الناتجة عن الإسراف في استعماله، وعدم التزام التوجيهات النبوية في استهلاكه. ومما يمكن الإفادة منه في هذا الباب توصيل أماكن الوضوء في المساجد بهذا المورد المائي المتجدد حتى ولو لم تكن محلاة ولا معالجة، اقتصادا في الماء من جهة، وفي الطاقة من جهة أخرى، مما يسهم في استغلال الموارد الطبيعية المتاحة بشكل مستدام.

- وفيه إشارة إلى حسن تدبير استعمال الماء، وعدم تبذيره، فإنه لا يتوضأ بالماء القليل المعد للشرب، وإنما يستعمل ما لا يصلح للشرب اقتصادا وحفاظا وترشيدا. وهذا هو الاستثمار العقلاني للماء الذي حضت عليه نصوص كثيرة، وكان نبينا ﷺ يمارسه عمليا حيث "كَانَ ﷺ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ"[1]. والمد الذي هو ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومد يده بهما، ويعادل في المقاييس المعاصرة كما ذهب إليه جمهور الفقهاء 544 غراما، وحجمه 0.688 لترا[2] والناظر اليوم إلى المسلمين المتوضئين يجد حالهم على النقيض من هذا الهدي؛ فقد أثبتت دراسة في عام 2007م أن إجمالي كمية المياه التي يستهلكها الفرد في الوضوء هو 26.85 بمتوسط 5.37 من اللترات للفرض الواحد[3]. وهو رقم مخيف ومنذر ومعبر. فعلى المسلمين أن يرشدوا استعمال مياه عبادتهم أولا ثم الحفاظ على المياه عموما عبر ما يتيسر ويتاح من تقنيات حديثة، مثل الري بالتنقيط واستخدام التقنيات الحديثة والأنظمة الذكية لتحسين استغلال المياه، وترشيد استهلاكها في المنازل والمزارع وغيرها.

ثانيا: حديث معاذ بن جبل (رضي الله عنه)، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ"[4].

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمدة (1/84)، حديث رقم (198).
2. ينظر:حلاق محمد صبحي، الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، دار الجيل الجديد، صنعاء، اليمن، ط1، 2007م، (ص113).
3. الخطاف زمان، المسلمون يستهلكون يوميا أكثر من 32 لترا يوميا في الوضوء، صحيفة الشرق الأوسط العدد 10341.
4. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهى عن البول فيها (1/21) حديث رقم (27).

وفيه أيضا إشارة بيئية ودلالات تنموية أهمها ما يأتي:

- فيه إشارة إلى عدم جواز تلويث الأماكن العامة بما يفسد الهواء، ويلوث الجو، ويؤذي الناس والحيوان والنبات. وهي مشكلة معاصرة تعاني منها جل دول العالم، وتقام لها المؤتمرات والندوات. ولو استحضر الضمير الإنساني هذا التوجيه النبوي لما لوث الجو اليوم بالمواد الكيماوية، والمخلفات الإشعاعية والصناعية، والمبيدات الكيميائية، التي صارت مؤثرة في الغلاف الجوي ومؤثرة في الاحتباس الحراري. فإن تلويث الجو بها في النهي أولى من تلويثه بالقاذورات العضوية.

- وفيه إشارة إلى ضرورة إبعاد النفايات عن الأماكن المأهولة بالسكان، "فإذا تعذر ذلك فتنقل إلى المناطق ذات الكثافة السكانية الأقل، أو إلى القرى البعيدة، دفعًا للضرر المترتب عليها قدر الإمكان"[1]. وهذا ما صار يدعو إليه اليوم عقلاء العالم ويحضون عليه، كما يحضون على نقل كل ما يفرز ملوثا من ملوثات البيئة، كالمصانع ونحوها، إلى أماكن بعيدة تقلل من التضرر بها، والتأثر بانبعاثاتها.

المطلب الثاني: تطبيقات معاصرة لتنمية الحيوان

سأتوقف في هذا المطلب مع حديثين نبويين فيهما إشارات نبوية في مجال المحافظة على الثروة الحيوانية، مستنبطا منها ما يمكن أن يكون له كبير الأثر في بيئتنا اليوم.

أولا: حديث عبد الله بن مغفل (رضي الله عنه) عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا"[2].

ففي هذه الحديث "أنه ﷺ كره إفناء أمة من الأمم، وإعدام جيل من الخلق، لأنه ما من خلق لله تعالى إلاّ وفيه نوع من الحكمة، وضرب من المصلحة"[3] وتلك إشارة بيئية مهمة، ودلالة تنموية عميقة، وهي الحفاظ على التنوع البيولوجي، فهو -وإن كان خاصا بالكلاب

1. عدنان الصمادي، منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة من التلوث، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة 17، العدد 51، (ص331).
2. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصيد، باب في اتخاذ كلب للصيد وغيره (3/383) حديث رقم (2838).
3. الخطابي، معالم السنن (4/289).

في لفظه- يعم كل نوع من أنواع الكائنات الحية، فينهى عن إبادتها، لتؤدي دورها البيئي المنوط بها، حفاظًا على التوازن البيئي. إن الحفاظ على كل صنف من أصناف الحيوانات، بحسن رعايتها، وعدم أذيتها، وبإشباعها إذا جاعت، وإروائها إذا عطشت، ومداواتها إذا مرضت، هو إسهام يحث عليه الإسلام ويأمر به، ويذم فاعل عكسه. لذا نجده أخبر بدخول النار امرأة في هرة لم تطعمها، كما سبق، ومغفرة ذنب آخر في كلب سقاه كما في الحديث المشهور المتفق عليه[1]، وكان الفقهاء وأهل الحسبة يحرصون على مداواة الحيوانات من بيطري مختص، ومن نصوصهم في ذلك: «البيطرة علم جليل سطرته الفلاسفة في كتبهم ووضعوا فيها تصانيف، وهي أصعب علاجا من أمراض الآدميين؛ لأن الدواب ليس لها نطق تعبر به عما تجد من المرض والألم، وإنما يستدل على عللها بالحس والنظر فيحتاج البيطار إلى حسن بصيرة بعلل الدواب، وعلاجها فلا يتعاطى البيطرة إلا من له معرفة وخبرة بالتهجم على الدواب بفصد أو قطع أو كي وما أشبهه"[2].

وما انقراض كثير من الحيوانات وتأثيراته في البيئة إلا بسبب سلوكيات بشرية أدت إليه وساعدت عليه، ففي تقرير للدكتورة إميلي جرينفيلد[3] تبين بعض أسباب انقراض الحيوانات فتقول: "السبب وراء هذا الانقراض الجماعي لا يمكن أن يكون أكثر وضوحا، إنه نحن البشر. لقد تسببنا في ارتفاع درجة حرارة كوكبنا بمعدل غير مسبوق عبر التاريخ. لقد تسببنا في فقدان الموائل والتنوع البيولوجي وتدمير الحياة البرية. سوف يؤدي أسلوب حياتنا إلى القضاء على معظم الأنواع على الأرض خلال القرن القادم. كل هذه الأسباب تدفعنا إلى فهم أهمية التنوع البيولوجي واتخاذ الإجراءات اللازمة للحفاظ عليه"[4]

---

1. متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الشرب والمساقاة، باب فضل سقي الماء (13/111) حديث رقم (2363)، ومسلم في كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (4/1761) حديث رقم (2244).
2. معالم القربة في طلب الحسبة، للشيرزي (ص150).
3. الدكتورة إميلي جرينفيلد هي خبيرة بيئية بارعة تتمتع بخبرة تزيد عن 30 عامًا في كتابة ومراجعة ونشر المحتوى حول مواضيع بيئية مختلفة. تنحدر من الولايات المتحدة، وكرست حياتها المهنية لرفع مستوى الوعي حول القضايا البيئية وتعزيز الممارسات المستدامة. ينظر: أهمية التنوع البيولوجي في التكيف وبقاء الكائنات الحية، إميلي جرينفيلد، منصة سيجما إيرث، (Sigma Earth) رابط:https://2u.pw/FNDqrybs
4. أهمية التنوع البيولوجي في التكيف وبقاء الكائنات الحية، إميلي جرينفيلد، منصة سيجما إيرث، (Sigma Earth) رابط https://2u.pw/FNDqrybs

إن التنوع البيولوجي، الذي يشير الحديث إلى ضرورة الحفاظ عليه - هذا الحديث وأحاديث أخرى فيها الأمر بعدم قتل كثير من الحيوانات -[1]، له أثر بيئي مهم جدا؛ إذ "التنوع بين النظم البيئية يوفر لنا مناخًا مستقرًا، وهواءً صالحًا للتنفس، وماءً صالحًا للشرب. إن التنوع بين النباتات والحيوانات يوفر لنا الدواء. من المستحيل تصنيع معظم المركبات الطبيعية التي نستخدمها في الطب في المختبر. وبصرف النظر عن الزراعة والطب، فإننا نحن البشر نحصل أيضًا على الغذاء من مصادر برية مثل الأسماك. يؤدي الإفراط في صيد نوع معين من الأسماك إلى تقييد النظم البيئية البحرية بأكملها. يصبح أحد الأنواع مفرطًا في الحصاد لدرجة أنه يصبح لاعبًا ثانويًا من الناحية البيئية. إنه لا يمكننا حصر أهمية التنوع البيولوجي وفوائده لمجتمعنا. لكننا نعرف حقيقة أنها واسعة حقًا. منذ عصور ما قبل التاريخ، لم يعش البشر قط في عالم ذي تنوع بيولوجي منخفض، ولا ينبغي لنا أن نعيش فيه في أي وقت قريب. تعتمد صحتنا الجسدية والروحية والنفسية على بيئة متنوعة وغنية"[2]

ثانيا: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ عن المدينة: "مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ"[3]. وحديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة: "إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا"[4] ففي هذين الحديثين إشارة على ما يسمى اليوم بنظام المحميات الطبيعية للحفاظ على الثروات البيئية. وقد التقط أبو هريرة (رضي الله عنه) الإشارة فقال: "لو رأيت

---

1. كقول النبي ﷺ: "مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا سَأَلَ اللهُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الضحايا، من قتل عصفورا بغير حقها، المحقق/ حسن عبد المنعم شلبي، بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، تحت إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م، (4/366) حديث رقم (4519)، وكذلك نهيه عن قتل الضفدع كما عند أبي داود في سننه، أبواب النوم، باب في قتل الضفدع (7/540) حديث رقم (5269)، وكذا الصرد والنملة والهدهد كما عند ابن ماجه في سننه، كتاب الصيد، باب ما ينهى عن قتله (2/1074) حديث رقم (3223).
2. أهمية التنوع البيولوجي في التكيف وبقاء الكائنات الحية، إميلي جرينفيلد، منصة سيجما إيرث، (Sigma Earth) رابط https://2u.pw/FNDqrybs
3. متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب لابتي المدينة (3/21) حديث رقم (1873). ومسلم في كتاب الحج باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها (2/999)، حديث رقم (1372)
4. أخرجه البخاري في كتاب الحجر، باب فضل الحرم (2/147) حديث رقم (1587).

الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها"[1].

"إن المحميات الطبيعية أو الحمى هي إحدى الممارسات الإسلامية في إدارة الموارد الطبيعية، والتي تسهم في عملية الاستدامة البيئية، والمحافظة على الثروة الحيوانية، وقد قدمت السنة النبوية نموذجا حيا لهذا الأمر لا يزال قائما إلى يومنا هذا وهو نموذج (مكة والمدينة)"[2].

لقد شرع الإسلام فكرة المحميات الطبيعية، وأحاطها بسور من التشريعات التي تمنع الاعتداء عليها، ليكون الحامي للبيئة من الاعتداء عليها الوازع الديني عند كل فرد، وهذا أمر متقدم بخطوات على ما أقامه المعاصرون من محميات تكتسب منعتها بقهر الجدار والحديد[3].

ولقد لجأت كثير من الدول اليوم إلى نظام المحميات، لدورها الكبير في حماية الكائنات الحية، وضمان تكاثرها، خاصة تلك الأنواع المهددة بالانقراض، حيث توفر لها بيئة آمنة وتخصص لها أحيانا برامج لتحسين السلالات وزيادة الإنتاجية، من خلال أساليب التربية الانتقائية والهندسة الوراثية.

المطلب الثالث: تطبيقات معاصرة لتنمية النبات

سأتوقف في هذا المطلب مع حديثين نبويين فيهما إشارات نبوية في مجال المحافظة على الثروة النباتية، مستنبطا منها ما يمكن أن يكون له كبير الأثر في بيئتنا اليوم.

أولا: حديث أَنَسِ بْنِ مَالْكٍ (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَة، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَغْرِسْهَا"[4]. فهذا الحديث أصل عظيم من أصول التنمية المستدامة، للنباتات خصوصا، ولجميع موارد

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة، باب لابتي المدينة (3/21) حديث رقم (1873).
2. ينظر: بكر عبد الله الخرمان، آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية، بحث منشور في كتاب أعمال المؤتمر الدولي: آليات حماية البيئة (ص213).
3. ينظر: أحمد هليل، دعوة الإسلام للحفاظ على البيئة، مؤتمر البيئة في الإسلام، مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، 26-27 أيلول [شتنبر] 2010م، (ص262).
4. سبق تخريجه ص 232.

البيئة على وجه العموم؛ إذ إنه يحث على نفع الأجيال اللاحقة ولو لم ينتفع جيل الزارعين والمسهمين؛ "لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعلوم عند خالقها، فكما غرس غيرك ما شبعت به، فاغرس لمن يجيء بعدك"[1]. "قال الهيثمي: ولعله أراد بقيام الساعة أمارتها، فإنه قد ورد: "إِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمْ بِالدَّجَّالِ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِزْهَا، فَإِنَّ لِلنَّاسِ عَيْشًا بَعْدُ"[2] والحاصل أنه مبالغة في الحث على غرس الأشجار وحفر الأنهار؛ لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعلوم عند خالقها. فكما غرس لك غيرك فانتفعت به، فاغرس لمن يجيء بعدك لينتفع، وإن لم يبق من الدنيا إلا صبابة"[3].

ونحن في هذه الأسطر نتوقف مع بعض فوائد الإكثار من زرع الفسائل والأشجار الذي غفل الناس عن أهميته زمنا ثم رجعوا إليه اليوم.

"إن الأشجار تخلص البيئة من كميات كبيرة من غاز ثاني أوكسيد الكربون المضر بالصحة، كما أن لها دورا كبيرا في تحسين جودة الهواء وإنتاج كمية كبيرة من الأكسجين اللازم لحياة الإنسان والحيوان، كما تقوم الأشجار أيضًا في المناطق الصناعية والمدن التي تحيط بها الجبال أو الصحاري بتقليل كمية الأتربة والمواد الملوثة الموجودة في الهواء حيث تعمل مصفاة منقبة للهواء، ومن هنا تجد أن كثيرًا من المدن في عالمنا اليوم قد لجأت إلى إنشاء ما يسمى بالحزام الأخضر حول المدن. كما أن للأشجار دورا كبيرًا في تثبيت الرمال، ومنع زحفها، من ثم تؤدي إلى منع ظاهرة التصحر التي تهدد كثيرًا من الدول"[4].

إن برامج التشجير اليوم -التي يجب على الدول أن تعي بقدر أكبر أهميتها وتسعى على تبني سياسات فعالة بشأنها- تسهم في مكافحة التصحر والحفاظ على البيئة، خاصةً في المناطق القاحلة التي تحتاج إلى استصلاح يحولها أراضي زراعية منتجة باستخدام التقنيات الحديثة، مثل الري بالتنقيط واستخدام الأسمدة العضوية وغيرها.

---

1. التنوير شرح الجامع الصغير (4/241).
2. نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م، كتاب البيوع، باب الكسب والتجارة ومحبتها والحث على طلب الرزق (4/63) حديث رقم (6236).
3. زين الدين المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1938م، (3/30).
4. ينظر: صالح درويش الكاشف، دور الشريعة الإسلامية في حماية البيئة، بحث منشور في كتاب أعمال المؤتمر الدولي: آليات حماية البيئة، (ص49). بتصرف يسير.

ثانيا: أحاديث النهي عن قطع الأشجار: كحديث: "وَلَا تَعْقِرَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلَا تَحْرِقَنَّ نَخْلًا"[1]. السابق. فلئن كان الحديث الذي قبله في تحلية الأرض بالأشجار فإن هذا في النهي عن تخليتها منها، وهذا ما يصطلح عليه في التنمية المستدامة اليوم بالحفاظ على الغطاء النباتي، فقطع الأشجار والتعدي عليها دون سبب ولا منفعة ولا مصلحة مضر بالبيئة، ولهذا تبنت الحكومات اليوم سياسات الحفاظ على الغابات ومنع القطع الجائر للأشجار، بهدف حماية الغطاء النباتي الضروري لاستدامة التوازن البيئي.

إن عدم التزام هذا التوجيه النبوي يؤدي إلى ظاهرة التصحر وتغير المناخ؛ إذ الأشجار كما سبق تسهم بشكل مباشر في امتصاص ثاني أكسيد الكربون، وتوفير الأكسجين، وتحسين جودة الهواء، مما يعزز التنوع النباتي.

وهكذا فإن التوجيهات النبوية في مجال الحفاظ على البيئة وتطبيقاتها العملية تُمثل نموذجًا متكاملًا في التنمية البيئية المستدامة، يتيح للبشرية الاستفادة من الموارد الطبيعية دون المساس بقدرتها على التجدد والاستمرار. فالمفاهيم التي أشار إليها النبي ﷺ في مجالات الماء والهواء والحيوان والنبات تعكس توازنًا دقيقًا بين احتياجات الإنسان ومتطلبات البيئة التي لا غنى له عنها، خاصة في العصر الحديث، فمع التحديات البيئية الكبرى التي نواجهها اليوم من تلوث، واستنزاف للموارد الطبيعية، وتغيرات مناخية، بات من الضروري أن نعيد استحضار تلك التوجيهات النبوية، ونطبقها في سياساتنا البيئية وممارساتنا اليومية؛ لضمان استدامة البيئة للأجيال القادمة، ولتعزيز صحة كوكب الأرض وسلامته.

1. سبق تخريجه. (ص 244).

خاتمة: نتائج وتوصيات.

في ختام هذا البحث؛ أقدم بين يدي قارئه أهم ما توصل إليه من نتائج، وما يقترحه من توصيات.

أولا- نتائج البحث:

1. السنة النبوية سباقة إلى تأصيل موضوع التنمية البيئية المستدامة بما لو طبق اليوم لكان له أكبر النفع وأعظم الأثر.
2. التنمية البيئية المستدامة في الإسلام ترتكز على مرتكزات، من أبرزها: ربط الكون بخالقه، والتركيز على الجانب الأخلاقي، إضافة إلى الشمول والتوازن والتكامل.
3. جاءت التوجيهات النبوية بوسائل وقائية وعلاجية ناجعة، تعد نواة الحلول المعاصرة للمشكلات البيئية، وهي حلول متى ما نزلت على أرض الواقع يمكن تعزيز التنمية المستدامة في مجالات الماء، والهواء، والحيوان، والنبات.
4. الإرشادات النبوية حول الماء والحيوان والنبات تدفع نحو تبني التقنيات الحديثة؛ مثل: تحلية المياه والري بالتنقيط للحفاظ على الموارد.

ثانيا: توصيات البحث:

1. الاعتزاز بالتراث الحديثي فيما يخص التنمية المستدامة ومحاولة استدامة استخراج كنوزه باستمرار.
2. بلورة التوجيهات النبوية الشاملة في شكل قوالب جديدة ومعاصرة.
3. لفت عناية الباحثين والمهتمين إلى استخراج مزيد من أصول وقواعد التنمية البيئية المستدامة المبثوثة في نصوص السنة النبوية مع محاولة تنزيلها على أرض الواقع.
4. إطلاق مبادرات مجتمعية تستند للتوجيهات النبوية.

المصادر والمراجع

المؤلفات:

- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق/ سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ط1، 1998م.
- الاستذكار، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، المحقق/ سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.
- الإسلام والبيئة، السيد الجميلي، مركز الكتاب للنشر، الإسكندرية، 1997م.
- الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنقود الشرعية، حلاق محمد صبحي، دار الجيل الجديد، صنعاء، اليمن، ط1، 2007م.
- الإيمان بالله وأثره في الحياة، عبد المجيد عمر النجار، دار العلم، الكويت، ط 2، 1979م.
- البيئة والبعد الإسلامي، فؤاد عبد اللطيف السرطاوي، دار المسيرة، عمان، 2000م.
- تفسير الموطأ، عبد الرحمن بن مروان القنازعي، المحقق/ عامر حسن صبري، دار النوادر، ط1، 2008م.
- التنمية الشاملة للمجتمعات الإسلامية، محروس أحمد غبان، دار الإيمان، المدينة المنورة، ط2، 2009م.
- التنمية المستدامة فلسفتها وأساليبها، عثمان محمد غنيم، وماجدة أحمد أبو زنط. دار صفاء، عمان، 2007م.
- التنمية في الإسلام، إبراهيم العسل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1996م.
- التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الصنعاني، المحقق/ محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 2001م.
- التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1985م.
- الخلافة في الأرض، أحمد حسين فرحات، دار الأرقم، الكويت، 1986م.
- دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية، جمال عبدلي، دار الفرقان، بيروت، ط1، 1984م.

- ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، دار المعراج الدولية للنشر (ج5-1)، دار آل بروم للنشر والتوزيع (ج40-6)، ط1، 1996–2004م.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجه، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، المحقق/ شعَيب الأرنؤوط ومحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م.
- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، وعبد اللطيف حرز الله، وأحمد برهوم، ومحمد كامل قرة بللي، وهيثم عبد الغفور، وجمال عبد اللطيف، وسعيد اللحام، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق وتخريج: حسن عبد المنعم شلبي، بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، تحت إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م.
- السنن الكبير، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي، المحقق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط1، 2011م.
- سنن سعيد ابن منصور، سعيد بن منصور الخراساني، المحقق/ حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، 1982م.
- شرح الإلمام بأحاديث الأحكام، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، تحقيق وتعليق وتخريج: محمد خلوف العبد الله، دار النوادر، سوريا، ط2، 2009م.
- شرح النووي على مسلم، المسمى: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1972م.
- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البُستي، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م.
- صحيح الأدب المفرد، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4، 1997م.

- صحيح البخاري، (الْجَامِع الْمسند الصَّحِيح الْمُخْتَصر من أُمُور رَسُول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق/ جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 2002م.
- صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق وتعليق وتخريج: محمد مصطفى الأعظمي، مراجعة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1992م.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، دار المكتب الإسلامي.
- صحيح مسلم، (المسند الصّحيح المختصر من السّنن، بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ) مسلم بن الحجاج النيسابوري، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1955م.
- الطبيعة، الحضارة، الإنسان، توقانيروف، ترجمة: رضوان القضماني ونجم خريط، دار الغابلي، بيروت، 1987م.
- فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري، حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري، دراسة وتحقيق وتخريج: محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، ط1، 2018م.
- فلسفة التنمية: رؤية تربوية إسلامية. إبراهيم أحمد عمر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الخرطوم، ط2، 1992م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1938م.
- قانون حماية البيئة مقارنًا بالقوانين الوضعية، أحمد عبد الكريم سلامة، القاهرة، 1996م.
- قضايا البيئة من منظور إسلامي، عبد المجيد عمر النجار. مركز البحوث والدراسات، 2000م.
- كتاب أعمال المؤتمر الدولي: آليات حماية البيئة، طرابلس، لبنان، 2017-12/27-26م، ضمن سلسلة كتاب أعمال المؤتمرات، مركز جبل البحث العلمي.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق/ علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م.
- مسند أبي بكر الصديق، أبو بكر أحمد بن علي المروزي، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، دار المكتب الإسلامي، بيروت.
- مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق/ أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1995م.
- مصنف ابن أبي شيبة (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار)، أبو بكر بن أبي شيبة، المحقق/ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط1، 1989م.
- معالم السنن، حمد بن محمد الخطابي، المطبعة العلمية، حلب، ط1، 1932م
- معالم القربة في طلب الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الأخوة، القرشي، ضياء الدين، دار الفنون «كمبردج».
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، حقيق وتعليق: محيي الدين ديب ميستو وأحمد محمد السيد ويوسف علي بديوي ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1996م.
- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط5، 1993م.
- المنظور الإسلامي لقضايا البيئة، محمد محمود السرياني، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، 2007م.
- المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة، أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، الدار العربية، بيروت، 2001م.
- موطأ مالك، مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1975م.
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبد الرحمن بن نصر الشيزري، المحقق/ السيد الباز العريني، تحت إشراف: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946م.

الرسائل والبحوث والمقالات والمواقع الإلكترونية:

- الإسلام وحماية البيئة، قضايا إسلامية، آمنة نصير، مجلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر، عدد: 76.
- التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، لعبد الله بن جمعان الغامدي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الاقتصاد والإدارة، عدد: 1 عام: 2009م.
- التنمية المستدامة بين إيديولوجيا الشمال ومأزق الجنوب: دراسات في التنمية البشرية المستدامة في الوطن العربي، عدنان ياسين مصطفى، بحوث الندوة الفكرية التي نظمها قسم الدراسات الاقتصادية في بيت الحكمة فبراير 2000م، بيت الحكمة، بغداد، 2001م.
- دعوة الإسلام للحفاظ على البيئة، مؤتمر البيئة في الإسلام، أحمد هليل، مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، 26-27 أيلول 2010، مؤسسة آل البيت، عمان-الأردن، 2001م.
- العالم الإسلامي والتنمية المستدامة، الخصوصيات والتحديات والالتزامات: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزارة البيئة، دراسة: العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة. جدة، السعودية 2002م، نشر: منظمة إيسيسكو، الرباط، المغرب: 2002م.
- مستقبلنا المشترك، اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، ترجمة محمد كامل عارف، مراجعة علي حسين حجاج، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989م.
- المسلمون يستهلكون يوميا أكثر من 32 لتر يوميا في الوضوء، الخطاف زمان، صحيفة الشرق الأوسط العدد 10341.
- منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة من التلوث، عدنان الصمادي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، السنة 17، العدد 51.
- وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم: دلالاتها وأبعادها الحضارية، محمد زرمان، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد: 16. 1998م.
- منصة سيجما إيرث، (Sigma Earth) رابط https://2u.pw/FNDqrybs

الاستدامة الخضراء من منظور السنة النبوية (جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في تحقيقها-أنموذجًا-)

د. عفاف عبد الله

تخصص الفقه وأصوله – الإمارات

د. عائشة مبارك

تخصص الفقه وأصوله – جامعة الوصل – دبي

ملخص

تناولت الدراسة موضوع الاستدامة البيئية من منظور السنة النبوية، من خلال استقراء الأحاديث النبوية التي تظهر العلاقة بين تعاليم السنة النبوية وأهداف الاستدامة البيئية، مع التركيز على إحياء الأرض وغرسها، وحمايتها من التدهور، كما ألقت الدراسة الضوء على بعض الجهود التي تبذلها دولة الإمارات العربية المتحدة في مجال الاستدامة البيئية من خلال مبادرات ومشاريع رائدة، تعكس القيم الراسخة للحفاظ على البيئة مثل: الحزام الأخضر ، وتمكين الوصول إلى الطاقة النظيفة، إضافة إلى إدارة النفايات.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن السنة النبوية زاخرة بالنصوص النبوية التي تدعو إلى التنمية المستدامة وحماية البيئة، والإبقاء على التوازن البيئي.

الكلمات المفتاحية: السنة، الاستدامة، البيئة، الخضراء، دولة الإمارات العربية المتحدة

Abstract

The study addressed the topic of environmental sustainability from the perspective of the Prophetic Hadith's by examining the Prophetic guidance, which shows the connection between the teachings of the Prophetic Hadith and the goals of environmental sustainability, with a focus on the importance of preserving the earth and its resources and protecting them from deterioration. The study also shed light on the efforts made by the UAE through awareness initiatives which opposes the admirable values within this country.

such as :

• The Green Belt

• Enabling access to clean energy

• Waste management

This study found that the Sunnah contains numerous prophetic Hadith's advocating for sustainable development, environmental conservation, and ecological balance.

Keywords: Prophetic Tradition, Sustainability, Environment, Green.

المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

أنزل الله القرآن الكريم والسنة النبوية ليكونا منهجًا يتبع في جميع نواحي الحياة، من عبادة وأخلاق وتعامل ديني ودنيوي، قال النبي ﷺ: "تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا"[1]، فكل ما يحتاجه المسلم سيجد له في القرآن والسنة مسألة تهديه وتبين له الطريق.

وقد جاءت السنة موضحة ومفسرة لكثير من الأمور حتى تلكم المتعلقة بالبيئة من ماء وشجر، وتناولت كيفية التعامل مع البيئة والحفاظ عليها.

أما عن الاستدامة فقد عززت السنة مفهومها من خلال الكثير من المبادئ التي تمثل أسس التعامل الرشيد مع الموارد الطبيعية وحماية البيئة من جميع أنواع الفساد والتلوث، وفي العقود الأخيرة شهدت الدول تحولًا كبيرًا نحو تحقيق الاستدامة الخضراء، حيث أدركت أهمية حماية البيئة والحفاظ على الموارد الطبيعية، وتبرز دولة الإمارات العربية المتحدة كإحدى الدول الرائدة في هذا المجال على مستوى المنطقة والعالم. وتُجسد دولة الإمارات العربية المتحدة بقيادة صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان _حفظه الله ورعاه_ رؤية حكيمة ورائدة لتحقيق الاستدامة البيئية، مستمدة إلهامها من النهج القويم الذي أرسته قيادتها المؤسِّسة، وعلى رأسها المغفور له بإذن الله الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -طيب الله ثراه-، وتعكس أقواله (رحمه الله) عن البيئة هذا الاهتمام، فيقول في كلمته بيوم البيئة الوطني الأول: "إننا نولي بيئتنا جل اهتمامنا؛ لأنها جزء عضوي من بلادنا وتاريخنا وتراثنا ... لقد عاش آباؤنا وأجدادنا على هذه الأرض وتعايشوا مع بيئتها في البر والبحر، وأدركوا بالفطرة وبالحس المرهف الحاجة للمحافظة عليها، وأن يأخذوا منها قدر احتياجهم فقط، ويتركوا فيها ما تجد فيه الأجيال القادمة مصدرًا للخير ونبعًا للعطاء، وكما أجدادنا، كذلك نحن الذين نعيش الآن فوق الأرض المباركة، إننا مسؤولون عن الاهتمام ببيئتنا والحياة البرية فيها وحمايتها، ليس من أجل أنفسنا فقط، بل كذلك من أجل أبنائنا

1. أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وغيره، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، 2009م، أبواب السنة، باب اتباع سنة الخلفاء (1/29) حديث رقم (43). وحكم عليه الهرري في شرحه بالصحة، وصححه الأرناؤوط والألباني.

وأحفادنا ... هذا واجب علينا، واجب الوفاء لأسلافنا وأحفادنا على حد سواء"[1]

وإنه ليسعدنا أن نتقدم إلى الندوة الدولية الثانية عشرة للحديث النبوي الشريف الموسومة بالتنمية المستدامة في السنة النبوية "واقع وآفاق" في الفترة من 19-20 فبراير 2025م بجامعة الوصل بدبي، بدراسة بعنوان «الاستدامة الخضراء من منظور "السنة النبوية" ضمن محور (التنمية المستدامة في المجال البيئي في السنة النبوية) من محاور الندوة، وذلك لأهمية هذا الموضوع في حياتنا ومجتمعنا المعاصر، راجين من الله تعالى أن يوفقنا في تقديم هذا البحث بصورة جيدة، وأن ينال القبول من الجهة المنظمة لهذه الندوة، ونرجو من الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

إشكالية الدراسة:

في زمن التكنولوجيا المتسارعة وتعدد الطاقات المستخدمة لرفاهية الإنسان، ظهرت تحديات بيئية واقتصادية واجتماعية أثَّرت بشكل مباشر على جودة الحياة واستمرارها على الأرض، فنحن بحاجة ماسة لحماية الموارد الطبيعية ومكافحة التغير المناخي وتحسين الصحة العامة ونوعية الحياة لبناء مستقبل أكثر أمانًا وازدهارًا واستقرارًا للأجيال الحالية والمستقبلية.

ومن خلال هذه الاشكالية يمكن طرح الاسئلة الآتية:

ما مفهوم السنة ؟

ما الاستدامة الخضراء ؟

ما النماذج في السنة النبوية المرتبطة بالاستدامة الخضراء ؟

ما النماذج التطبيقية وجهود دولة الإمارات العربية المتحدة في الاستدامة الخضراء ؟

1. محمد يونس، تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة في حماية البيئة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، ط1، 2009م، (ص31-30).

أهمية الدراسة:

- تنبثق أهمية الدراسة من أهمية موضوعها، حيث أصبحت تنمية أساليب العيش، وتخفيف المخاطر التي صنعها الإنسان، وتعزيز كفاءة الموارد تشغل حيزًا كبيرًا من الفكر العالمي لدول العالم والهيئات والمنظمات، وعقدت من أجلها العشرات من المؤتمرات والندوات؛ لما لها من ضرورة حتمية لتحقيق سبل عيش مستدامة للجيل الحاضر والأجيال القادمة.

- إلقاء الضوء على مفهوم الاستدامة الخضراء، وأهم مرتكزاتها في السنة النبوية الشريفة.

- صلتها القوية بواقع أمتنا العربية الإسلامية – على وجه العموم – ودولة الإمارات على وجه الخصوص.

- تلقي هذه الدراسة الضوء على جهود المؤسسات الوطنية في الدولة، وبيان أن رؤيتها الحالية والمستقبلية مبنية على تحقيق الريادة في الاستدامة وجودة الحياة.

أهداف الدراسة:

- بيان مفهوم السنة.

- بيان ماهية الاستدامة الخضراء.

- بيان النماذج التطبيقية من السنة النبوية والمرتبطة بالاستدامة الخضراء.

- بيان النماذج التطبيقية وجهود دولة الإمارات العربية المتحدة في الاستدامة الخضراء.

منهجية الدراسة:

من خلال المنهج الاستقرائي بتتبع الأحاديث النبوية الصحيحة المتعلقة بالأرض والشجر والزرع، كذلك المنهج التحليلي ببيان الأمثلة والنماذج المتعلقة بالاستدامة وتحليلها وبيان أثرها.

الإطار النظري والدراسات السابقة: من الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث:

1. بحث: عادل عبد الرشيد عبد الرزاق، استدامة الموارد المائية في السنة النبوية، مجلة الاقتصاد الإسلامي، بنك دبي الإسلامي، (المجلد 42العدد497 مارس 2022).

استهدف البحث بيان الاستدامة في الموارد المائية في السنة النبوية، وسيتطرق بحثنا إلى "إضافة مبحث في المسطحات الخضراء من زراعة وغرس وجهود دولة الإمارات العربية المتحدة في ذلك".

2. بحث: مها حسن الحسن، دور الأسرة في تعزيز الاستدامة الزراعية بالمسكن، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (العدد 53 يناير 2024).

استهدف البحث بيان دور الأسرة في الاستدامة من خلال الزراعة المنزلية، وسيتطرق بحثنا "للاستدامة الخضراء بشكل أوسع في المجتمع ككل مع بيان نماذج لجهود دولة الإمارات العربية المتحدة للاستدامة الخضراء".

3. بحث: محمد عبد القادر الفقي، ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، بحث مقدم للندوة العلمية الثالثة حول (القيم الحضارية في السنة النبوية)، كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي، عام 2007م.

انصبّت الدراسة حول التركيز على الأحاديث التي تحث على عمارة الأرض والتنمية الزراعية، وفي هذا البحث سيتم التركيز على «الأحاديث الشريفة التي لها صلة بالاستدامة الخضرا، وشرحها والتعليق عليها، وبيان استراتيجية دولة الإمارات في التنمية الخضراء، والتشريعات والقوانين التي وضعتها الدولة في مجال الاستدامة الخضراء».

المبحث الأول:

مدخل مفاهيمي

المطلب الأول:

مفهوم السنة والاستدامة

الفرع الأول: مفهوم السنة مفردًا:

يختلف مفهوم السنة عند أهل العلم، ويمكن اعتبار هذه التعاريف من اختلاف التنوع، ولا مشاحة ببينها، فكل تعريف منها تكلم عن جانب من جوانب السنة، وجاءت كالآتي:

- **السنة** عند الفقهاء[1]: هي أحد الأحكام التكليفية الخمسة وهوالمندوب والمستحب والتطوع[2]. والمندوب هو ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه. والسنة هنا (ما واظب النبي ﷺ على فعله مع ترك ما بلا عذر) [3].

- **والسنة عند علماء العقيدة:** اعتقاد النبي ﷺ في أصول الدين، وما كان عليه من الهدي والعلم والعمل، وما أقره وشرعه مقابل البدع والمحدثات في الدين فهي أيضًا ضد البدعة[4].

---

1. أبو عبد الله الحسين بن علي بن طلحة، للشهاب القرافي، [رفع النقاب عن تنقيح الشهاب]، وهو شرح على «تنقيح الفصول»، المحقق/ عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، ج1، 2، 3 وأحمد بن محمد السراح ج4، 5، 6 مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1425هـ، 2004م، (5/188).

2. يراجع كتب أصول الفقه للاطلاع على اختلاف العلماء في كون هذه الألفاظ مترادفة أم غير مترادفة. عبد الكريم النملة، الْمُهَذَّبُ فِي عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ، (تحريرٌ لمسائِلِه ودراستها دراسةً نظريَّةً تطبيقيَّةً)، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ، 1999م، (1/236).

3. ابن أمير حاج، التقرير والتحبير على كتاب التحرير، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ط1، 1316هـ، 1318ه، (2/223).

4. صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط10، 1417ه، 1997م، (16-15).

- **والسنة عند أهل مصطلح الحديث:** كل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أوفعل أوتقرير. فهوكل ما ثبت عن الرسول من أقوال أو أفعال أو صفات خُلُقيّةَ، بضَم المعجمة واللامَ، أوخَلْقيّةَ، بفتح المعجمة وسكون اللام، أوغير ذلك[1].

- **والسنة عند الأصوليين:** هي كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أوفعل أوتقرير يتعلق به حكم شرعي سوى القرآن. كذلك (الفعل المطلوب طلبًا غير جازم) يعد سنة.[2]

والخلاصة أن السنة كل ما ورد عن النبي ﷺ في الدين كله من أقوال وأفعال واعتقادات، وأوامر ونواهي بدرجتيهما، عن طريق الوحي لا لكونه بشرا بل نبيًا.

الفرع الثاني: مفهوم الاستدامة مفردًا:

أما عن مفهوم الاستدامة فهي: الشيء الدائم، وهي القدرة على الاستمرار، والديمومة هي الصحراء البعيدة التي يدوم فيها السير[3].

وفي الاصطلاح المعاصر فتعرف الاستدامة بأنها: (استراتيجيات التطوير المعتمدة من قبل منظمة الأعمال لتحقيق هدفين في وقت واحد يتمثل الأول في دعم وإسناد البيئة، والثاني توليد الربح) [4]. وهذا التعريف بيَّن أهداف الاستدامة ولم يوضح مفهومها.

ويمكن أن تعرف الاستدامة من خلال العناصر التي تضمنتها بالآتي:

---

1. عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، المحقق/ نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1406هـ، 1986م، (ص45).
2. محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل، المحقق/ حسين بن أحمد السياغي، حسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1408هـ، 1988م، (ص39). وانظر فضلا :كتب أصول الفقه (إرشاد الفحول، العدة، الحدود، الموافقات، الأحكام للآمدي).
3. محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، فصل الدال المعجمة، (12/219). أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المحقق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ، 1987م، فصل الدال، (5/1925).
1. بحث: ثامر البكري وآخر، الإطار المفاهيمي للاستدامة والميزة التنافسية المستدامة، جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، كلية الاقتصاد، الأردن، ط1، 2013م، (ص4).

هي الحفاظ على الموارد الطبيعية باستخدامها دون استنزاف مع تجديدها لتلبية احتياجات المجتمعات الحالية والمستقبلية بتطويرها بشكل مستمر، وتقليل الأثر البيئي كالتلوث بأنواعه والتحول لمصادر الطاقة المتجددة مع دعم وضمان التطور والازدهار في كافة الجوانب.

المطلب الثاني:

مفهوم الاستدامة الخضراء باعتباره مركبًا

الفرع الأول: مفهوم الاستدامة الخضراء مركبًا:

إذا نظرنا إلى تطبيقات الاستدامة الخضراء فسنجدها كثيرة، وسيتم التطرق هنا لنوع واحد من هذه التطبيقات: وهي الزراعة المستدامة، باستصلاح الأراضي ومحاربة التصحر والاعتناء بالتربة، وتقليل استخدام الموارد الكيميائية الضارة.

فالاستدامة الخضراء: هي مصطلح حديث يجمع بين مفهومين رئيسين هما: الاستدامة والخضراء، والاستدامة كما ذكرنا في المطلب الأول تتعلق باستمرارية الأنظمة والحفاظ على الموارد من أجل الأجيال القادمة، أما الخضراء فترمز إلى البيئة الطبيعية والموارد البيئية كالأشجار والنباتات والمياه والتي يُنظر إليها كمكونات مهمة في الحفاظ على توازن البيئة.

إذًا يمكن تعريف الاستدامة الخضراء كمصطلح مركب: هي نهج شامل يدمج مبادئ الاستدامة البيئية مع ممارسات وتقنيات صديقة للبيئة (الخضراء)، يهدف للحفاظ على الموارد الطبيعية وتقليل التأثير السلبي على البيئة، ويعني ذلك تطوير نماذج اقتصادية واجتماعية تسهم في حماية البيئة وتحقيق التوازن بين التنمية والبيئة للأجيال القادمة[1].

يتضح مما سبق أن هذه المفاهيم تشكل أركانًا أساسية لفهم العلاقات بين الإنسان والكون المحيط به، والجمع بين هذه المفاهيم في إطار مركب يشمل البعد البيئي والتنمية المستدامة بشكل أشمل، ومن هنا يأتي مفهوم الاستدامة الخضراء ليشكل رؤية شاملة تدمج بين المبادئ البيئية ومتطلبات التنمية المستدامة.

---

2. محمد البشير، مفاهيم الاستدامة في العالم العربي، مركز الدراسات البيئة العربي، ط1، 2019م، (ص 124)، وعبد العزيز آل خليفة، الاستدامة البيئية والتنمية الخضراء، (ص84).

الفرع الثاني: مفهوم البيئة:

يعد مصطلح البيئة مصطلح حديث وجديد، ومن التعاريف التي وردت فيه ما يلي:

فقد عرفت البيئة بأنها (مجموع العناصر والظروف والمؤثرات التي تؤثر في الكائنات بما فيها الإنسان)[1].

كذلك (ما خلقه الله تعالى في الأرض من عناصر ومكونات وأحياء هيأها الله تعالى لحياة الإنسان وقضاء حاجاته)[2]. فهي تتكون من العنصر البشري والعنصر الآخر الطبيعي.

ونستخلص مما سبق أن البيئة هي:

العوالم التي يعيش الإنسان فيها ويستخدمها ويستفيد منها ويتفاعل معها مما خلقه الله ﷻ له: من مياه وبحار وأنهار وأشجار وأراض وصحار وسهول وجبال، وهواء وفضاء واسع وسماء.

ونجد هذا المعنى في السنة من خلال أحاديث عدة، فمنها حديث النبي ﷺ في عدم الإسراف عند الوضوء فقال ﷺ: "وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ"[3]، وهذا تفاعل واستخدام للبيئة المائية، وفي حديث "أَنّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ: "بِسْمِ اللّهِ، تُرْبةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَة بَعْضِنَا، يُشفى سقيمنا، بإذن ربنا"[4] فاستفاد من التربة كعلاج.

وهكذا، فالبيئة جزء من حياة المسلم، وقد بينت السنة كيفية التعامل معها. وهناك علاقة متصلة ووثيقة لا تنفك بين البيئة والاستدامة الخضراء، حيث تسعى الاستدامة الخضراء للحفاظ على البيئة من نبات وحيوان وهواء ومياه، وحماية هذه الموارد الطبيعية بحلول وممارسات مستدامة دون الإضرار بها فيحصل التكامل الذي يحقق مستقبل أفضل لنا وللأجيال القادمة بإذن الله.

---

1. عبد الرحمن بلعالم، القيم الأخلاقية وأثرها في حماية البيئة واستدامة التنمية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الجزائر، السنة السادسة، العدد21، 22 ، 1441هـ، 2019 م، (ص7).
2. المرجع السابق، (ص8).
3. أخرجه ابن ماجه في سننه، باب اتباع سنة الخلفاء (1/272) حديث رقم (424)، وضعفه التبريزي في المشكاة.
4. أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/ د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط5، 1414هـ، 1993م، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ (5/2168) حديث رقم (5413).

المبحث الثاني:

بيان الاستدامة الخضراء من منظور السنة

المطلب الأول:

دور السنة النبوية في إحياء الأرض وتحقيق الاستدامة البيئية

الفرع الأول: التوازن في استغلال الموارد الطبيعية:

يعد التوازن في استغلال الموارد الطبيعية من المرتكزات الأساسية التي أكدت عليها السنة النبوية في توجيهاتها وتعاليمها، فالإنسان مستخلف في الأرض ومسؤول عن عمارتها وإصلاحها بما يحقق الخير له وللأجيال القادمة دون إسراف أو إهمال، ومن هذا المنطلق نجد أن السنة النبوية قد وضعت ضوابط للاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية التي تعتبر أساسية لاستمرارية الحياة وتوازن النظام البيئي ومنها الأشجار، والنباتات، والغذاء.

الحديث الأول: عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) مرفوعًا: "كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا، مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أَومَخِيلَةٌ"[1].

دلَّ الحديث على تحريم الإسراف في المأكل والمشرب والملبس والأمر بالتصدق من غير رياء ولا سمعة، وحقيقة الإسراف مجاوزة الحد في كل فعل أو قول وهو في الإنفاق أشهر. والحديث مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾[سورة الأعراف: 31]، وفيه تحريم الخيلاء والكبر. وهذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه، وفيه مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة، فإن السرف في كل شيء مضر بالجسد ومضر بالمعيشة، ويؤدي إلى الإتلاف فيضر بالنفس إذا كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال، والمخيلة تضر بالنفس حيث تكسبها العجب، وتضر بالآخرة حيث تكسب الإثم، وبالدنيا حيث تكسب المقت من الناس[2].

---

1. أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب اللباس، باب اللبس (4/600) حديث رقم (3604). وصححه الحاكم.
2. محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأُرمي العَلَّوي الأثيوبي الهَرَري الكري البُوَيطي، شرح سنن ابن ماجه المسمى "مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه" و "القول المكتفى على سنن المصطفى"، مراجعة لجنة من العلماء برئاسة: الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، جدة، ط1، 1439هـ، 2018م، (21/156).

كما أن الحديث الشريف يوجه المسلمين بالاستمتاع بالنعم التي منحها الله لهم من مأكل ومشرب وملبس، ولكنه يشترط التوسط والاعتدال في كل أمر من أمور حياتنا، فالإسراف والتبذير في استخدام الموارد مخالفة لمنهج الإسلام الوسطي، حيث لا إفراط ولا تفريط، وبناءً على ذلك فإن كل استعمال للموارد البيئية على نحو يخرج عن حد الاعتدال والوسطية هو داخل في الإسراف المنهي عنه، كالاستخدام المفرط للمياه زائدًا عن الحاجة ولو كان للطهارة، وكالإسراف في قطع الأشجار وتدمير الغطاء النباتي دون مراعاة تأثير ذلك على البيئة أو تعويضها بزراعة أخرى، وهذا يؤثر على التوازن البيئي ويزيد من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون ويقلل من مستويات الأكسجين، كذلك الإسراف في الطعام؛ حيث يُرمى الفائض من الطعام دون محاولة الاستفادة منه. وقد حث النبي ﷺ على الاعتدال في الطعام والشراب بقوله : "مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطنِهِ"[1].

فالمسلم مكلّف بالاعتدال في كل شيء، إلى جانب إدارة الموارد الطبيعية واستغلالها برشد وعقلانية وحسن تدبير.

الحديث الثاني: قوله ﷺ: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَد أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ؛ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرسَهَا، فليغرسها"[2].

حث النبي ﷺ في الحديث على كل فعل من أفعال البر والإحسانِ والصَّدَقَةِ والنفع للغير حتى ولو لم ير الفاعل ثمرته، وفيه ترغيب للمسلم أن يكون إيجابيًّا في كل أحواله، وأن يكون نافعًا لنفسه ولغيره.

وهذه مبالغة في الحث على غرس الأشجار وحفر الأنهار لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعدود المعلوم عند خالقها فكما غرس لك غيرك فانتفعت به فاغرس لما يأتي بعد[3].

---

1. أخرجه الحاكم في المستدرك، المحقق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م، كتاب الرقاق، حديث رقم (7945)، (4/367) وقال صحيح. وابن أبي الدنيا، إصلاح المال (ص103) حديث رقم (350).
2. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص168) حديث رقم (479)، صححه الألباني وعبد الباقي.
3. محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِير، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، المحقق/ د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432هـ، 2011م، (4/241).

كما أن فيه الترغيب في زرع ما ينتفع الناس به بعد الموت، ليجري أجره للإنسان، وتكتب له صدقته إلى يوم القيامة[1]، وبث روح الإيجابية في حياة المسلم، بحيث يشارك في هذه الحياة بكل ما يستطيع، ولو كان ذلك في آخر لحظات حياته، والاستدامة الخضراء تعتمد على نفس المبدأ فهي تتعلق بتحقيق التوازن بين سد احتياجات الأجيال الحالية دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها، وهذا يعزز مفهوم الاستخلاف في الأرض وتعميرها.

الحديث الثالث: قوله ﷺ: "مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّب اللّٰهُ رأسَهُ في النارِ"[2].

السدرة هي نوع من الشجر هو شجر النبق والمراد بها عموم السدر الذي يكون في الفلاة يستظل به أبناء السبيل، والحيوان، أوحتى ما كان منها في ملك إنسان فتحامل عليه ظالم فقطعه بغير حق[3]. وهذا الوعيد الشديد لا يترتب إلاّ على اجتراح كبيرة، فدل الحديث على تحريم قطع الأشجار والغابات والنباتات إلا إذا دعت إليه مصلحة راجحة، ومنفعة معتبرة، فإذا قام الداعي ونزل منزلة الضرورة فلا بد أن يكون القطع بحساب ومقدار، مع الحرص على غرس بديل المقطوع ليسد مسده في وظيفته الحيوية[4].

والنهي عن قطع السدر يحمل على أحد معنيين، **الأول:** قطع السدر الذي يستظل به الناس عبثًا من غير حاجة ولا مصلحة. **الثاني:** قطع شجر السدر الذي يكون في الحرم، وعلى هذا لا حرج عليه في قطع الشجر التي زرعتها ما لم تكن زارعتها في طريق ليستظل بها الناس[5].

والنهي والوعيد فيمن اعتدى على شجرة السدر أو نحوها مما ينتفع به الناس

---

1. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1 لمكتبة المعارف، ج 1، 4: 1415 هـ، 1995 م، ج 6: 1416 هـ، 1996م، ج7: 1422 هـ، 2002 م، (ص92).
2. أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب أول كتاب الأدب، باب قطع السدر (7/523) حديث رقم (5239)، لم يقطع العيني بصحته وذكر أنه مرسل في عمدة القاري والله أعلم.
3. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المحقق/ محمود الطناحي، وطاهر الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1963م، (2/354).
4. قطب الريسوني، المحافظة على البيئة من منظور إسلامي، دار ابن حزم، ط1، 2008م، (ص100).
5. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الحاوي للفتاوي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د. ط، 1424هـ، 2004م، (2/61) وما بعدها.

والدواب بظله أوثمرته فلا يجوز قطعه ظلمًا وعدوانًا بغير حق[1]، والأصل في الكلام أن يُحمل على ظاهره وعمومه، حتى يكون دليلاً واضحًا على عكسه، وفيه توجيه نبوي نحو الحفاظ على المصلحة العامة[2].

ومما سبق ذكره من الأحاديث يتبين ويتأكد لنا: أن السنة النبوية الشريفة كانت حاضرة في مجال البيئة والمحافظة عليها والحث على الاهتمام بها وتنميتها التنمية السليمة الصحيحة، والتوازن في استغلال الموارد الطبيعية بشكل أمثل يفيد الأرض ومن عليها.

الفرع الثاني: إحياء الأرض واستصلاحها (احياء الموات)

احياء أي جانب من جوانب هذه الحياة مطلب ديني وشرعي وفطري وطبعي في الأصل، ومن الجوانب المهمة والتي يحتاجها الإنسان هي إحياء الأرض، فمن الأحاديث التي حثت على ذلك:

الحديث الأول: قول النبي ﷺ "مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ"[3].

هذا الحديث يمكن ربطه بمفهوم الاستدامة الخضراء من عدة جوانب:

أولا: التشجيع على إحياء الأرض، واستغلالها الاستغلال الأمثل، واستثمارها بشكل يتماشى مع أهداف الاستدامة البيئية التي تدعو إلى الاستفادة من الموارد الطبيعية المتاحة بشكل مستدام ومتوازن من دون هدر.

ثانيا: الأرض ملك عام للجميع، ومن يحييها يصبح له حق ملكيتها، وكذلك الاهتمام بالأراضي غير المستغلة والمهملة، والعناية والمحافظة عليها، من أجل الأجيال الحالية والأجيال القادمة، تتماشى مع مبدأ الاستدامة البيئية.

---

1. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي، شرح سنن أبي داود، المحقق/ عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، جمهورية مصر العربية، ط1، 1437هـ، 2016م، (6/160).
2. أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، غريب الحديث، المحقق/ عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، دمشق، 1402هـ، 1982م، (1/476).
3. أخرجه ابن داوود في سننه، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في إحياء الموات (3/142) حديث رقم (3073)، قال الترمذي في سننه: هذا حديث حسن غريب.

ثالثًا: التنمية المستدامة: إحياء الأرض الميتة وتطويرها يعزز التنمية المستدامة من خلال توفير مساحات جديدة للإنتاج الزراعي أوغيره من الأنشطة الاقتصادية، مما يقلل الضغط على الأراضي المستخدمة حاليا.

الحديث الثاني: ما ورد عنه ﷺ "مَن كانَتْ له أرْضٌ فَلْيَزْرَعْها، أو لِيَمْنَحْها أخاهُ، فإنْ أبَى فَلْيُمْسِكْ أرْضَه"[1].

هذا الحديث يعكس مبادئ التعاون والتكافل الاجتماعي، ويركز على الاستفادة المستدامة من الموارد الزراعية وعدم تركها مهملة من عدة جوانب:

أولا: التشجيع على الاستفادة من الموارد الطبيعية، إما بالاهتمام بها من زرع وغرس وسقي وغيره من الأمور، أو منحها لمن يستطيع تنميتها واستغلالها استغلالاً رشيدا، مما يدعم الأمن الغذائي ويقلّل الاعتماد على الواردات.

ثانيًا: العدالة الاجتماعية: فالحديث يشجع على توزيع الموارد الطبيعية واستغلالها بحيث يعم النفع على الجميع، بدلاً من إهمالها أواستغلالها بشكل غير عادل.

المطلب الثاني:

توجيهات السنة النبوية في منع تعطيل الأرض وحماية الموارد الطبيعية

الفرع الأول: تحريم الظلم:

وردت نصوص كثيرة عامة وخاصة في تحريم الظلم لما له من أثر سلبي كبير ومخاطر على جميع نواحي الحياة: من إنسان وحيوان وحتى السماء والفضاء والأرض، ومن النصوص الحديثية التي تطرقت لمثل هذا المعنى:

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب ما كان أصحاب رسول الله ﷺ (2/825) حديث رقم (2216).

الحديث الأول: عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما)، "أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ حَمَى النَّقِيعَ[1] لِخَيْلِ الْمُسْلِمينَ"[2].

قال الشافعي: والنقيع بلد ليس بالواسع الذي إذا حمي ضاقت البلاد بأهل المواشي حوله[3].

وبين الحديث: أن النبي ﷺ اقتطع أرضًا ومنع الناس منها لمصلحة رآها للمسلمين، واعتنى بالخيل كجزء من رعاية الأصول المهمة في المجتمع، فهو إشارة إلى أهمية رعاية كافة الموارد التي تعتمد عليها الأمة ومنها النباتات والأشجار والثمار، وفيها دعوة للاهتمام بما يخدم الأمة وتطويره.

ومثلها الآن تلكم المحميات التي تقتطع للحفاظ على مصالح معينة لزراعتها ولتشجيرها وزيادة الرقعة الخضراء للمحافظة على الهواء النقي، وللوصول للاكتفاء الذاتي في الغذاء.

الفرع الثاني: احتكار الأرض:

الحديث الأول: عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِوبْنِ نُفَيْلٍ أَنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ"[4]. فنهى النبي ﷺ عن غصبها لما فيه من الظلم وغلظ العقوبة.

---

1. الفيروزآبادي، المغانم المطابة في معالم طابة، مركز بحوث المدبنة المنورة، ط1، 2002م، (3/129)
2. صحيح ابن حبان، المحقق/ محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1433هـ، 2012م، (7/140) حديث رقم (6218). قال الأرناؤوط: حديث صحيح، رجاله ثقات. ابن بلبان، الإحسان (10/538). والبيهقي، السنن الكبرى، المحقق/ عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي، باكستان)، دار قتيبة (دمشق، بيروت)، دار الوعي (حلب، دمشق)، دار الوفاء (المنصورة، القاهرة)، ط1، 1412هـ، 1991م، كتاب إحياء الموات، باب ما جاء في الحمى (6/242) حديث رقم (11808).
3. النقيع: موضع قرب المدينة، كان لرسول الله ﷺ حماه لخيله، ثم حماه عمر بن الخطاب، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، معرفة السنن والآثار، (9/14).
4. أخرجه مسلم في صحيحه، المحقق/ محمد ذهني أفندي وغيره، دار الطباعة العامرة، تركيا، 1334هـ، كتاب البيوع، باب تحريم الظلم (5/57) حديث رقم (1610).

وعد غصب الأرض من أهلها وعدم إعمالها وإهمالها سبب لموات الأرض سببًا للنزاع بين الأفراد وانشغالهم بها فتترك الأراضي بلا تعمير، فالأمن مهم جدا لعمارة الأرض.

والاعتداء على المحميات البيئية والتصرف فيها بشكل غير مسؤول الآن يعد اعتداء على حق الجميع في بيئة نظيفة وآمنة.

والظلم سبب من أسباب التصحر، فقد ورد في أشراط الساعة بعد نزول عيسى عليه السلام وانتشار الإيمان ومحق الكفر وأهله انتشار الإيمان في الأرض يزيد الخير وتظهر البركات على المطر والشجر والثمار.[1]

ورد هذا من حديث النواس (رضي الله عنه) :"ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ"[2].

فكلما زال الظلم بأنواعه زاد الخير على الأرض من زرع وثمار وانعكس ذلك على البيئة واستدامتها.

الحديث الثاني:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ، ضَرَبَهُ اللَّهُ بِالْجُذَامِ وَالْإِفْلَاسِ"[3]. دل الحديث على خطورة

---

1. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، دِينُهُمْ وَاحِدٌ وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ. وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطٌ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُعَطِّلُ الْمِلَلَ، حَتَّى تَهْلِكَ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلُ كُلُّهَا غَيْرَ الْإِسْلَامِ. وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ الْكَذَّابَ، وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْإِبِلُ مَعَ الْأُسْدِ جَمِيعًا، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ وَالْغِلْمَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيَمْكُثُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى، فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ". رواه أحمد في مسنده، المحقق/ أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416هـ، 1995م (15/398) حديث رقم (9632)، وهو صحيح.
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال (8/197) حديث رقم (2937).
3. أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب الحكرة (2/729) حديث رقم (2155) قال الأرناؤوط: حديث صحيح.

الاحتكار وعدم استغلال الأراضي في الزراعة، فيؤدي حرمان الناس من الخيرات.

كذلك دل الحديث على: منع الاحتكار وضرورة محاربته لما فيه من إضرار بالأراضي من استصلاحها وزراعتها وضرر للأمن الغذائي لما لذلك من معارضة للاستدامة التي رعاها الشارع من خلال التشريعات في كل ميدان، وفيه دعوة لاستغلال واستثمار الأراضي الزراعية وتشجيع المزارعين والشركات وأصحاب الأعمال لتطوير قطاع الزراعة والصناعات الغذائية.

المبحث الثالث:

جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في تحقيق الاستدامة الخضراء

المطلب الأول:

إسهامات دولة الإمارات العربية المتحدة في الاستدامة الخضراء من خلال الإحياء وتحقيق الاستدامة البيئية.

تُجسّد دولة الإمارات العربية المتحدة بقيادة صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان - حفظه الله - وأصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد حكام الإمارات رؤية حكيمة ورائدة لضمان استمرارية الاستدامة البيئية ، وتتجلى هذه الجهود في عدد من البرامج والمبادرات والمشروعات النوعية، التي سيتم تفصيلها في هذا المطلب.

الفرع الأول: مبادرة زرع الأشجار (الحزام الأخضر)[1].

ساهمت هذه المبادرة في تعزيز استدامة البيئة من خلال المساحات الخضراء والتنوع البيولوجي، وترشيد استهلاك المياه، وتعليم وتوجيه وتوعية المجتمع فيما يخص البيئة.

فقد سعت دولة الإمارات –حرسها المولى من كل سوء- على زراعة النباتات والأشجار في جميع مناطقها المأهولة وحتى غير المأهولة كالصحاري، من أجل تحسين درجات الحرارة وجودة الهواء.

كذلك اهتمت بنوعية النباتات التي تزرع وتنوعها لتعزيز النظم البيئية وللمحافظة

1. البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات: https://u.ae/ar، AE/about، the، uae/economy/green، economy، for، sustainable، development
جريدة البيان: https://www.albayan.ae/sustainability/2022، 02، 16، 1.4371345

على التنوع البيولوجي.

كما أنها اعتمدت في الري على الطرق الحديثة التي تقلل من استهلاك الماء بنسب عالية تصل إلى 90% كالري بالتنقيط والزراعة المائية.

واهتمت بتوعية كافة شرائح المجتمع، في الجامعات والمدارس ووسائل التواصل المختلفة بأهمية الاستدامة والحفاظ على البيئة.

ومن أهم البرامج هي استضافة الدورة الثامنة والعشرين في مدينة إكسبودبي (COP28)[1] مؤتمر الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ عن اتفاق الإمارات التاريخي الذي يشكل نقطة تحول استثنائية في مسيرة العمل، والذي كان له صدى عالمي ودولي ومحلي لتعزيز ونشر هذا الوعي مع ابراز أهم الممارسات وأطورها في هذا المجال.

كذلك: البرنامج الخاص بالمصانع والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة وتوجيهها إلى الاستدامة الخضراء من خلال مبادرة (ايكومارك) و(العلامة البيئية للمصانع الخضراء).

وبالنظر لهذه المبادرات، نجدها جميعها تحقق ما ورد في السنة من إحياء الأرض والانتفاع منها بما لا يضرها، والسعي لتنميتها واستدامتها.

الفرع الثاني: مبادرة مكافحة التصحر والمحميات الطبيعية.[2]

---

1. يُمثل هذا المؤتمر (الهيئة العليا) للاتفاقية، أي أنه أعلى سلطة لصناعة القرار، ويتألف من جميع الدول الأطراف في الاتفاقية، وهذا المؤتمر مسؤول عن الحفاظ على الجهود الدولية لمعالجة تغير المناخ بالشكل الصحيح، ويقوم المؤتمر بمراجعة الاتفاقية، وفحص التزامات الأطراف بحسب أهداف الاتفاقية، وتقويم المعلومات العلمية المستجدة والخبرة المكتسبة من خلال تطبيق سياسات تغير المناخ. سعد الدين خرفان، تغير المناخ ومستقبل الطاقة، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2010م، (ص94، 95).

2. البوابة الرسمية لدولة الإمارات: https://u.ae/ar، ae/about، the، uae/strategies، initiatives، and، awards/strategies، plans، and، visions/environment، and، energy/the، national، strategy، to، combat، desertification
جهود دولة الإمارات لحماية البيئة: https://blog.ajsrp. com/%d8%ac%d9%87%d9%88%d8%af، %d8%af%d9%88%d9%84%d8%a9، %d8%a7%d9%84%d8%a5%d9%85%d8%a7%d8%b1%d8%a7%d8%aa، %d9%81%d9%8a، %d8%ad%d9%85%d8%a7%d9%8a%d8%a9، %d8%a7%d9 /%84%d8%a8%d9%8a%d8%a6%d8%a9
جريدة البيان: https://www.albayan.ae/across، the، uae/news، and، reports/2020، 06، 18، 1.3887924
https://www.albayan.ae/uae/news/2023، 08، 06، 1.4706447
https://www.albayan.ae/uae/news/2022، 06، 18، 1.4458561

وهذا جانب آخر جديد ومشرق من مبادرات دولة الإمارات العربية المتحدة لحماية البيئة وتعزيز الاستدامة، ومنها:

أنشأت الدولة محميات طبيعية كثيرة وعديدة ومتنوعة، وبلغ عدد هذه المحميات أكثر من 49 محمية رطبة التزامًا لاتفاقيات دولية متفق عليها. كما استصلحت العديد من الأراضي الصحراوية وعلى مساحات واسعة وكبيرة وزيادة المسطحات المائية والغابات الاصطناعية، ففي أبوظبي محمية صير بني ياس وجزيرة مروح والوثبة وبدع زايد الصحراوية.

وفي دبي محمية رأس الخور للحياة الفطرية ومحمية المرموم الصحراوية ومحمية حتا الجبلية ومحمية جل نزوى ودبي والوحوش الصحراوية.

وفي الشارقة محمية واسط الطبيعية وكلباء والفاية الصحراوية وغيرها الكثير والعديد في باقي إمارات الدولة.

كذلك من المبادرات لمحاربة التصحر: استصلاح الأراضي الزراعية، حيث ساهمت في تشجيع المزارعين وإعطائهم الدعم المادي من خلال مبادرة (ازرع الإمارات) لزيادة الإنتاج المحلي والعناية بالأراضي الزراعية وهي مبادرة فيها محاربة للتصحر. واهتمت بالبحث العلمي الخاص بالاستمطار لتحسين جودة الظروف الزراعية.

وساهمت في معالجة المياه واستخدامها في الري الزراعي، فساهم ذلك على تقليل استهلال المياه العذبة والمحافظة عليها.

كل ذلك يعد سعيًّا لتحقيق مراد السنة النبوية في حياة أفضل للأرض ومن عليها، وهذه المبادرات تعتبر مثالا متطورًا وحديثًا يحتذى به.

المطلب الثاني:

مبادرات دولة الإمارات العربية المتحدة في الاستدامة الخضراء من خلال الحث على عدم تعطيل الأرض، وتشجيع الاستخدام المستدام.

تعمل دولة الإمارات العربية المتحدة وفق أجندة واضحة، وتبذل جهودًا حثيثة لتحقيق أهداف التنمية المستدامة على أكثر من صعيد، لاسيما فيما يتعلق بالطاقة النظيفة، وذلك من خلال استراتيجيات مبتكرة ومبادرات طموحة، والتي تبرز التزام الإمارات بدورها الإنساني والبيئي على المستويين المحلي والعالمي.

الفرع الأول: الحياد الكربوني والتقليل من الانبعاثات.

أطلقت دولة الإمارات استراتيجية تحقيق الحياد الكربوني بحلول عام 2050م، وهو توازن بين كمية انبعاثات غازات الاحتباس الحراري خاصة ثاني أكسيد الكربون، وكمية الكربون التي يتم امتصاصها أو إزالتها من الغلاف الجوي[1] وتعد دولة الإمارات أول دولة في الشرق الأوسط تتبنى هذه الرؤية. وتهدف هذه الاستراتيجية إلى تقليل الانبعاثات الكربونية من خلال استخدام الطاقة المتجددة وتعزيز كفاءة استهلاك الطاقة في مختلف القطاعات.

ويمثل استخدام حلول الطاقة النظيفة أحد الركائز الرئيسة في نموذج الإمارات لضمان تحقيق التوازن بين الاحتياجات الاقتصادية والأهداف البيئية باستثمارات تبلغ 600 مليار درهم حتى 2050 لضمان تلبية الطلب على الطاقة، ورفع كفاءة الاستهلاك الفردي والمؤسسي بنسبة 40%، ورفع مساهمة الطاقة النظيفة في إجمالي مزيج الطاقة المنتجة في الدولة إلى 50% منها 44% طاقة متجددة و6% طاقة نووية، وتحقيق توفير يعادل 700 مليار درهم حتى عام 2050 ، بالإضافة إلى خفض الانبعاثات الكربونية من عملية إنتاج الكهرباء بنسبة 70% خلال العقود الثلاثة المقبلة، وتحرص حكومة الإمارات بمختلف جهاتها على تنفيذ المبادرات الهادفة إلى الحد من الانبعاثات، بما يتماشى مع أفضل الممارسات العالمية وذلك عبر تبني التكنولوجيا المبتكرة، وتطوير الحلول المستدامة التي تدعم التحول الأخضر، وشرع المجلس الأعلى للطاقة في دبي بتقييم الانبعاثات الكربونية للسنوات العشر القادمة بمشاركة الجهات المعنية في دبي للوصول إلى الاجراءات المطلوبة للحد من زيادة الانبعاثات ومن ثم رسم خارطة الطريق للوصول إلى أهداف الحياد الكربوني بحلول عام 2050 [2].

ومن أهم المشاريع الداعمة للطاقة النظيفة أنه تم في معرض ومؤتمر أبوظبي الدولي للبترول(أديبك) توقيع اتفاقية شراكة استراتيجية بين دولة الإمارات العربية المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية لاستثمار 100 مليار دولار في تنفيذ مشروعات للطاقة النظيفة وتمويل محطات متميزة تعتمد على الطاقة المتجددة تبلغ طاقتها الإنتاجية 100 غيغاواط في كل من دولة الإمارات والولايات المتحدة، وكذلك ومن الممكن الاستثمار بمشروعات

1. محمد حسَان عوض وحسن شحاته، التغيرات المناخية وتأثيراتها البيئية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2014م، (ص46).
2. وكالة الإمارات وام EMIRATES NEWS AGENCY، WAM

طاقة متجددة في عدد من دول العالم محلول 2035. وقال تشهد هذه الشراكة مشاريع نوعية وتطوير للبطاريات واستخدام التقنيات الحديثة لتقليل تكاليف الإنتاج.[1]

وتُعد مدينة "مصدر" نموذجًا عالميًا للمدن المستدامة الخالية من الانبعاثات وهي شركة إماراتية رائدة في مجال الطاقة المتجددة ومقرها أبوظبي، وتركز "مصدر" على تطوير مشاريع الطاقة النظيفة، والتطوير العمراني المُستدام، وتعزيز الأثر الصديق للبيئة كمنهجية للعيش والمستقبل، إضافة إلى تحديد مسار للتصدي للتحديات في هذا المجال، وتستند مبادرة "مصدر" إلى رؤية أبوظبي الاقتصادية 2030 الرّامية إلى توفير مصادر جديدة للدخل، وتعزيز القطاعات الاقتصادية القائمة على المعرفة، وعلى الصعيد الدولي، تشارك "مصدر للطاقة النظيفة" بتطوير عدد من مشاريع الطاقة المتجددة ومنها:

مشروع توريسول، المشترك بين "مصدر" ومجموعة "سينير"، لبناء وتشغيل محطات لتوليد الطاقة الشمسية المركزة في إسبانيا بمقدرة 120 ميجاواط، ومحطة الشيخ زايد للطاقة الشمسية في موريتانيا[2]

الفرع الثاني: إدارة النفايات وسياسة الاقتصاد الدائري.

انطلاقًا من مسؤولية الدولة في الحد من التغيرات المناخية[3]، والارتقاء بجودة الهواء والحفاظ على البيئة، أصدرت دولة الإمارات قرار مجلس الوزراء رقم (39) بشأن اللائحة التنفيذية ، للقرار الاتحادي رقم (12) لسنة 2018 في شأن الإدارة المتكاملة للنفايات، والذي يهدف إلى تنظيم عملية إدارة النفايات وتوحيد آليات وطرق التخلص السليم منها، بالاستناد إلى أفضل الممارسات والتقنيات المتاحة بغرض حماية البيئة وتقليل الضرر على صحة الإنسان.

كما اعتمدت الإمارات "سياسة الإمارات للاقتصاد الدائري 2021-2031م"، والتي تهدف إلى تقليل استهلاك الموارد وتعزيز إعادة الاستخدام والتدوير، ويسعى هذا النموذج

1. جريدة البيان 2022/11/3.
2. مدينة مصدر https://masdar.ae/ar/global، office، locations/united، arab، emiratesk
3. تغيرالمناخ: التغير الحاصل في العوامل والظروف المناخية بصورة مباشرة عن الأنشطة البشرية التي تقوم بطرح كميات كبيرة من غازات الاحتباس الحراري إلى لغلاف الغازي للأرض كنتيجة للثورة الصناعية وارتفاع معدلات النمو في العديد من البلدان المتقدمة والنامية، محمد حسَان عوض وحسن شحاته، التغيرات المناخية وتأثيراتها البيئية، (ص46).

الاقتصادي إلى تحويل النفايات إلى موارد قابلة لإعادة الاستخدام، مما يقلل الحاجة إلى استغلال الموارد الطبيعية[1]، وبالتالي يقلل من الضغط البيئي، ويساعد هذا النهج في تحقيق الاستدامة، وتعزيز السياسات البيئية

في إمارة أبوظبي أطلقت شركة أبوظبي لإدارة النفايات (تدوير) مبادرة مراكز تجميع المواد القابلة لإعادة التدوير، لتعزيز البنية التحتية لإعادة التدوير، من خلال توفير 20 مركزًا في مواقع استراتيجية لتجميع المواد القابلة للتدوير، وتشجع المبادرة مجتمع الإمارة على اتباع الممارسات المستدامة بيئيًا، وتخطط الشركة لإنشاء 100 مركز إضافي مشابه بحلول عام 2025، دعمًا لتحقيق أهداف عام الاستدامة في دولة الإمارات.

وفي دبي فإن مركز إدارة النفايات مصمم لتحويل 1,9 مليون طن سنويًا طاقة مستدامة، وهويعد أكبر محطة لتحويل النفايات إلى طاقة في العالم يتم بناؤه حتى اليوم، وستقوم المحطة الواقعة في منطقة الورسان بنحو5666 طنًا يوميًا من النفايات الصلبة إلى 200 ميغاواط من الكهرباء يتم تصديرها مباشرة إلى شبكة كهرباء ومياه دبي، وبذلك تكون الطاقة المستدامة المنتجة قادرة على توفير الطاقة لـ 135,000 منزل ما يمثل 2/ تقريبًا من الاستهلاك السنوي للكهرباء في دبي[2].

وفي إمارة الشارقة تتصدر مجموعة "بيئة" مشهد الاستدامة عبر طرح حلول ذكية ومستدامة على صعيد إدارة النفايات، حيث تعمل على تمكين المجتمعات والشركات والمدن بكل من الإمارات، والسعودية ومنطقة الشرق الأوسط، ومصر ليكونوا جاهزين لغدٍ مشرق، تمكنت مجموعة "بيئة" ومن خلال وحدة إعادة التدوير من تطوير تقنيات ذاتية لإدارة النفايات بشكل مثالي بهدف الوصول إلى صفر نفايات، حيث قطعت المجموعة شوطًا كبيرًا نحو إعادة النفايات حتى وصلت حاليًا إلى أكثر من 76% ومن المتوقع أن تكون صفر نفايات قريبًا، وتلعب "بيئة للتعليم"، التابعة لمجموعة "بيئة" دورًا محوريًا في رفع وعي المؤسسات والأفراد بالقضايا البيئية لتعزيز ثقافة استدامة المستقبل، وإضافة لتلك الجهود، فإن الشركة تنظم الفعاليات والدورات التوعوية بداية من مستوى المدارس ولغاية أعلى المناصب المهنية بالمؤسسات وتقدم المكافآت التحفيزية لممن يستحقون وأظهروا أداءً استثنائيًا على صعيد ترسيخ مبادئ الاستدامة والحفاظ على البيئة[3].

---

1. https://web.whatsapp.com/ وزارة الاقتصاد.
2. https://dwmc.ae/ar/ شركة دبي ويست مانيجمنت.
3. https://www.beeahgroup.com/ar/services/ بيئة.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث نستعرض أهم ما تم التوصل إليه من نتائج وتوصيات:

النتائج:

1) الاعتدال والتوازن في استخدام الموارد الطبيعية يعكس مقاصد الشريعة الإسلامية في عمارة الأرض واستدامتها، وتوفير سبل العيش الكريم للأجيال القادمة.

2) أن تشجيع إحياء الأرض المهملة، وزراعتها في السنة النبوية، يشير إلى القيمة الأخلاقية الأصيلة النابعة من تعاليم الدين.

3) تعكس سياسات دولة الإمارات مدى انسجامها مع مقاصد الشريعة الإسلامية في حماية الموارد وتحقيق التنمية المستدامة.

4) ممارسة الاستدامة الخضراء وتعزيزها، تشكل أركانًا أساسية لفهم العلاقات بين الإنسان والكون المحيط به، كما أن الاستدامة أسلوب حياة واستثمار في صحتنا ومستقبلنا.

5) أن السنة النبوية الشريفة كانت حاضرة في مجال البيئة والمحافظة عليها والحث على الاهتمام بها وتنميتها التنمية السليمة الصحيحة، والتوازن في استغلال الموارد الطبيعية بشكل أمثل يفيد الأرض ومن عليها.

6) تعد دولة الإمارات من الدول السباقة والرائدة في الاستدامة الخضراء، وظهر ذلك جليًّا من خلال مجموعة من المبادرات التي عززت هذا المفهوم، ومن أبرزها: مبادرة زرع الأشجار، ومحاربة التصحر والمحميات الطبيعية، والتي تمثلت كذلك في استضافة معرض كوب28(COP28)، ومن خلال مبادرة (ايكومارك) و(العلامة البيئية للمصانع الخضراء) والحياد الكربوني وإدارة النفايات وغيرها.

7) بالنظر لهذه المبادرات، نجدها جميعها تحقق ما ورد في السنة من إحياء

الأرض والانتفاع منها بما لا يضرها، والسعي لتنميتها واستدامتها، وكل ذلك كان سعيًا لتحقيق مراد السنة النبوية في حياة أفضل للأرض ومن عليها، وهذه المبادرات تعتبر مثال متطور وحديث يحتذى به.

8) يُعد الاقتصاد الدائري نموذجًا يركز على الاستفادة القصوى من الموارد من خلال تقليل النفايات وإعادة استخدامها وتدويرها، بدلًا من كمية النفايات التي تنتهي في مدافن النفايات أوالمحيطات

أما عن التوصيات فجاءت كالآتي:

1) استمرار تشجيع وتوعية وتعليم، وتثقيف المجتمع في استخدام الطاقات البديلة والسعي لتطبيق مبادرات الاستدامة الخضراء من خلال الأسر والمؤسسات التربوية.

2) تبني الدول هذا النهج ليحصل التكامل بين الجهات كافة للمحافظة على البيئة لحياة أفضل.

3) تبني وتشجيع كل ما له علاقة بمجال الاستدامة من معارض، وندوات ومؤتمرات لابتكار طرق حديثة وجديدة وسريعة لحل بعض التحديات البيئية.

4) تكريم وتشجيع الباحثين على تناول القضايا التي تصب في صالح موضوع الاستدامة البيئية، وتناولها من زوايا مختلفة، مثل الطاقة المتجددة.

5) تعزيز الدراسات العلمية التي تربط بين تعاليم الشريعة الإسلامية وقضايا البيئة لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

6) التعاون والتكاتف بين الهيئات الشرعية والبيئية في الدولة، لإطلاق مشاريع مشتركة تهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة.

المصادر والمراجع

- أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، المحقق/ حسين بن أحمد السياغي، حسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1408هـ، 1988م.

- الإطار المفاهيمي للاستدامة والميزة التنافسية المستدامة، ثامر البكري وآخر، جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، كلية الاقتصاد، الأردن،ط1، 2013م.

- تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة في حماية البيئة، محمد يونس، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، ط1، 2009.

- تغير المناخ ومستقبل الطاقة، سعد الدين خرفان، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2010م.

- التغيرات المناخية وتأثيراتها البيئية، محمد حسَان عوض وحسن شحاته، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2014م.

- التقرير والتحبير على كتاب التحرير، ابن أمير حاج، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ط1، 1316هـ، 1318ه.

- التَّنويرُ شَـرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، المحقق/ د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432 هـ، 2011م.

- الجامع الصحيح «صحيح مسلم»، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المحقق/ محمد ذهني أفندي وغيره، دار الطباعة العامرة، تركيا، 1334هـ.

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، المحقق/ الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1424هـ، 2004م.

- الحاوي للفتاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1424هـ، 2004م.

- رفع النقاب عن تنقيح الشهاب [وهو شرح على "تنقيح الفصول"] أبوعبدالله الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي، للشهاب القرافي، المحقق/ عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، ج1، 2، 3، وأحمد بن محمد السراح، ج4، 5، 6، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1425هـ، 2004م.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1 لمكتبة المعارف، ج1، 4، 1415 هـ، 1995م، ج6، 1416 هـ، 1996م، ج7: 1422 هـ، 2002م.

- سنن ابن ماجه، أبوعبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وغيره، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، 2009م.

- سنن أبي داود، أبوداود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، 2009م.

- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط10، 1417ه، 1997م.

- شرح سنن ابن ماجة المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه»

محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأُرمي العَلَّوي الأثيوبي الهَرَري الكري البُوَيطي، و«القول المكتفى على سنن المصطفى، مراجعة لجنة من العلماء برئاسة/ هاشم محمد علي حسين مهدي، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، جدة، ط1، 1439هـ، 2018 م.

- شرح سنن أبي داود، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي، المحقق/ عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، جمهورية مصر العربية، ط1، 1437هـ، 2016م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، المحقق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ، 1987م.

- صحيح البخاري، أبوعبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق/ د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط5، 1414هـ، 1993م.

- غريب الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، المحقق/ عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه/ عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، دمشق، 1402هـ، 1982م.

- القيم الأخلاقية وأثرها في حماية البيئة واستدامة التنمية، عبد الرحمن بلعالم، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الجزائر، السنة السادسة، العدد21، 22، 1441هـ، 2019م.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

- المحافظة على البيئة من منظور إسلامي، قطب الريسوني، دار ابن حزم، ط1، 2008م.

- المستدرك على الصحيحين، مع تضمينات: الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، أبوعبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المحقق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق/ أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416هـ، 1995م.

- مسند الصحيح، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، المحقق/ محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1433هـ، 2012م.

- مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، المحقق/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1985م.

- معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبوبكر البيهقي، المحقق/ عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، (كراتشي، باكستان)، (دار قتيبة، دمشق، بيروت)، (دار الوعي، حلب، دمشق)، (دار الوفاء، المنصورة، القاهرة)، ط1، 1412هـ، 1991م.

- معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، المحقق/ نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1406هـ، 1986م.

- مفاهيم الاستدامة في العالم العربي، محمد البشير، مركز الدراسات البيئة العربي، ط1، 2019م.

- الْمُهَذَّبُ فِي عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ، لعبد الكريم بن علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ، 1999م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المحقق/ محمود الطناحي وطاهر الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1963م.

المواقع الالكترونية:

- البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات: https://u.ae/ar-AE/about-the-uae/economy/green-economy-for-sustainable-development

- جريدة البيان: https://www.albayan.ae/sustainability/2022-02-16-1.4371345

- البوابة الرسمية لدولة الإمارات: https://u.ae/ar-ae/about-the-uae/strategies-initiatives-and-awards/strategies-plans-and-visions/environment-and-energy/the-national-strategy-to-combat-desertification

- جهود دولة الإمارات لحماية البيئة: https://blog.ajsrp.com/%d8%ac%d9%87%d9%88%d8%af-%d8%af%d9%88%d9%84%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d9%85%d8%a7%d8%b1%d8%a7%d8%aa-%d9%81%d9%8a-%d8%ad%d9%85%d8%a7%d9%8a%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%a8%d9%8a%d8%a6%d8%a9/

- جريدة البيان: https://www.albayan.ae/across-the-uae/news-and-reports/2020-06-18-1.3887924

https://www.albayan.ae/uae/news/2023-08-06-1.4706447

https://www.albayan.ae/uae/news/2022-06-18-1.4458561

- وكالة لإمارات وام EMIRATES NEWS AGENCY-WAM
- https://masdar.ae/ar/global-office-locations/united-arab-emiratesk مدينة مصدر
- https://web.whatsapp.com/ وزارة الاقتصاد
- https://dwmc.ae/ar/ شركة دبي ويست مانيجمنت.
- https://www.beeahgroup.com/ar/services/ بيئة

والحمد لله رب العالمين.

الاستدامة المائيَّة في السنَّة النبويَّة، وجهود دولة الإمارات العربيَّة فيها

أ. زينب خالد شحاده

طالبة في مرحلة البكالوريوس – كلية الدراسات الإسلامية

جامعة الوصل – الإمارات العربيَّة المتَّحدة

أ.د. إياد أحمد إبراهيم

كلية الدراسات الإسلامية – جامعة الوصل – الإمارات العربيَّة المتَّحدة

ملخص

يهدف البحث الذي عنوانه "**الاستدامة المائيَّة في السنَّة النبويَّة، وجهود دولة الإمارات العربيَّة فيها**"، إلى التعريف بالاستدامة المائيَّة، وبيان مكانتها في السنَّة النبويَّة، وإبراز جهود دولة الإمارات العربيَّة في السعي لتحقيقها.

وتتمثَّلُ إشكاليَّة البحث في العلاقة بين السنَّة النبويَّةِ والاستدامة، وكُفرانِ نعمة الماء بالتصرُّفات السلبيَّة التي تؤثِّر فيه، وما الإرشاداتُ التي يجب اتِّباعها لتحقيق الاستدامة المائيَّة.

وكان المنهج المتَّبع هو المنهج الاستقرائيُّ، وذلك باستقراء عددٍ من الأحاديث التي اشتملت في مدلولها على المحافظة على الماء، وتوفيره؛ للوصول إلى الاستدامة المائيَّة. والمنهج التحليليُّ في تحليل الأحاديث، واستخراج أبرز الأحكام الفقهيَّة منها، واستنباط ما يدلُّ على العلاقة بين السنَّة النبويَّة والاستدامة المائيَّة.

وقد تناول البحث مفهوم الاستدامة المائيَّة، وذكر الماء في السنَّة النبويَّة، وجهود دولة الإمارات في تحقيق الاستدامة المائيَّة.

وخلص البحث إلى: أنَّ السنَّة النبويَّة تضمُّ أهمَّ مبادئ الاستدامة المائيَّة، وتدعو إليها استخراجًا وتحليةً وحفاظًا وترشيدًا، والتحذير من سوء الاستخدام، وأنَّ دولة الإمارات قامت بجهودٍ جبَّارة؛ للمساهمةِ في تحقيق الاستدامة المائيَّة، كحفر الآبار، وبناء السدود، وإنشاء محطَّات تحليةٍ، وغيرها.

وجاءت التوصيات بالعمل بما جاء في السنَّة النبويَّةِ من توجيهاتٍ وإرشاداتٍ؛ وصولًا إلى الاستدامة المائيَّة استخراجًا وتحليةً وحفاظًا وترشيدًا، والبحث في نصوص السنَّة النبويَّة عن حلولٍ ومشاريع أخرى يمكن تطبيقها وتنفيذها على أرض الواقع؛ لتحقيق الاستدامة المائيَّة في نطاقٍ أوسع.

الكلمات المفتاحيّة: (الاستدامة - الموارد المائيَّة - السُّنَّة النبويَّة - البيئة - جهود الدولة)

Abstract

The research dealt with the topic of "Water Sustainability in the Prophetic Sunnah, and the Efforts of the United Arab Emirates in It", It aims to define water sustainability, highlight its importance in the Sunnah, and showcase the UAE's efforts in achieving it.

The study explores the relationship between the Sunnah and sustainability, emphasizing the consequences of misusing water resources and the guidance needed to ensure sustainability.

Using an inductive method, it examines hadiths that promote water conservation and availability, alongside an analytical approach to extract relevant jurisprudential rulings and insights.

The study addressed the concept of water sustainability, the mention of water in the Prophetic Sunnah, and the efforts of the UAE in achieving water sustainability

The research concludes that the Sunnah embodies key principles of water sustainability, advocating for extraction, purification, conservation, and mindful use, while warning against misuse. The UAE has made significant efforts toward sustainability, such as digging wells, constructing dams, and establishing desalination plants.

The researcher recommends adhering to the Sunnah's guidance on water sustainability and encourages further research on actionable Sunnah-based projects for broader water sustainability.

Keywords: (Sustainability -Water Resources -Prophetic Sunnah – Environment- State efforts)

بسم الله الرحمن الرحيم

عن سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: سَقْيُ الْمَاءِ"[1].

1. أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/ محمد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية وفيصل عيسى البابي الحلبي، د. ط. ت، كتاب الأدب، باب فضل صدقة الماء (2/1214) حديث رقم (3684)، واللفظ له. وأبو داود في سننه، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م، كتاب الزكاة، باب في فضل سقي الماء (3/108) حديث رقم (1679)، بلفظ «أيُّ الصدقةِ أعجبُ إليك؟ قال: الماء»، وقال: «حديثٌ صحيحٌ، وإسناد رجاله ثقات».

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

خلق الله الإنسان، ومهَّد له الأرض، واستخلفه واستعمره عليها؛ لعبادته وحده، ووفر له سُبُل العيش الكريم، ففجَّر له العيون، وأجرى له الأنهار، وجعلها عذبةً رقراقةً. ولَمَّا كان الماء هو أساسُ الحياة وإحدى النِّعم العظيمة التي أنعم الله (عز وجل) بها على عباده؛ أوجب عليهم شكرها، وحرَّم عليهم إفسادها؛ فبالشكر تدوم النِّعَم. والماء عنصر مهمٌّ لا يمكن الاستغناء عنه؛ فبِه حياة كلِّ نام. وقد سعت السنَّة النبويَّة إلى تسليط الضوء على الماء وتوجيه الأفراد وإرشادهم إلى حسن التعامل معه؛ لذلك جاء هذا البحث موسومًا بـ "**الاستدامة المائيَّة في السنة النبويَّة، وجهود دولة الإمارات العربيَّة فيها**"؛ لبيان بعض ما ورد في السنُّة النبويَّة من إرشاداتٍ وتوجيهاتٍ وحلولٍ؛ وصولًا للاستدامة المائيَّة، وإبرازا لجهود دولة الإمارات العربيَّة في تحقيقها.

أهميةُ البحث:

تكمُن أهميَّة البحث في:

- توضيح علاقة الاستدامة المائيَّة بالسنَّة النبويَّة، وسَبق السنَّة للاهتمام بالاستدامة المائيَّة، وصلاحيَّة السنَّة لكلِّ زمانٍ ومكانٍ.
- التعرُّف على أساليب السنَّة النبويَّة لتحقيق الاستدامة المائيَّة.
- بيان مكانة دولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة في تحقيق الاستدامة المائيَّة، وإبراز جهودها في ذلك.

إشكاليَّات البحث وتساؤلاته:

كثيرًا ما يُقابل الإنسان النِعم التي أنعم الله بها عليه بكفرانها، وإحدى تلك النعم نعمةُ الماء، فيُسيء الإنسان استخدامه والتصرُّف به. وقد جاءت السنَّة النبويَّة بالتوجيهات والإرشادات؛ للمحافظة على تلك النعمة، وتحقيق استدامتها. وتنبثق من هذه الإشكاليَّة تساؤلات عدة، وهي:

- ما تعريف الاستدامة المائيَّة؟.
- ما العلاقة بين الاستدامة المائيَّة والسنَّة النبويَّة؟.
- ما التصرفات التي تؤثِّر سلبًا على الاستدامة المائيَّة؟.
- ما الإرشادات التي يجب اتِّباعها لتحقيق استدامة الماء؟.
- ما جهود دولة الإمارات المبذولة في تحقيق الاستدامة المائيَّة؟.

أهداف البحث:

- توضيح مفهوم الاستدامة المائيَّة.
- بيان مكانة الاستدامة المائيَّة في السنَّة النبويَّة.
- بيان أبرز الأساليب الخاطئة في استعمال الماء من خلال الأحاديث النبويَّة.
- ذكر التوجيهات والإرشادات النبويَّة؛ لتحقيق الاستدامة المائيَّة.
- إبراز جهود دولة الإمارات في الأخذ بما جاء في السنَّة حول استدامة الماء.

الدراسات السابقة

تعدَّدت الأبحاث حول الاستدامة بشكلٍ عامٍّ؛ بسبب توجُّه العالم وتطلُّعه وسَعْيه لتحقيق الاستدامة في شتَّى المجالات، وبشكلٍ خاصٍّ في مجال الاستدامة المائية. ومن الأبحاث التي تخصُّ الاستدامة المائيَّة من منظور شرعيٍّ ما يلي:

- علي مصطفى علي القضاة، الهديُ النبويُّ في حماية الماء من التلوُّث وأثره في المحافظة على البيئة، مجلَّة محكَّمة، كلِّيَّة الشريعة والقانون، الأردن، المجلد 64، العدد1، 2019م، (من ص327-309). تناول فيها الحديث عن الماء وأهمِّيَّته في الحياة، ثمَّ ذَكَر المخاطر المترتِّبة على تلويثه، ثمَّ بيان طرق المحافظة عليه.

- د. نادي عبد الله محمد، سلوك التعامل مع نعمة الماء في ضوء السنَّة المطهَّرة، مجلَّة محكَّمة، كلِّيَّة أصول الدين، القاهرة، المجلد 30، العدد2، 2017، (من ص478-427). تطرَّق الباحث إلى الحديث عن الماء وأنَّه حقٌ للجميع، ثم بيَّن كيفيَّة المحافظة على الماء من خلال التحذير من تلويثه، والتحذير من إسرافه، وبيَّن ذلك وفق منهجيَّة سرد الأحاديث جملةً ثمَّ التعقيب عليها جملةً كما هو الغالب على البحث.

- د. خالد فؤاد محمد بليل، الاستدامة المائيّة في ضوء السنَّة النبويَّة، مجلَّة محكَّمة، كلِّيَّة الدراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنات بدمنهور، مصر، العدد 5، الجزء الثالث عشر، 2020م، (من ص200-154). تناول الباحث أهميَّة الماء، وذِكر مهدِّدات الاستدامة، ثمَّ بيَّن أساليب السنَّة الوقائيَّة والإجرائيَّة؛ لتحقيق الاستدامة المائيَّة.

الجديد في هذا البحث

يتشابه هذا البحث مع الأبحاث السابقة في تعلُّقها بالماء، وعلاقة الاستدامة المائيَّة بالسُّنَّة النبويَّة، لكن تظهر الإضافة في هذا البحث في الآتي:

- بيان مفهوم الاستدامة بمفهومها الخاص، وليس بمفهوم آخر قريب المعنى كالأمن المائي، أو التنمية، ثمَّ تعريف الاستدامة المائيَّة بوصفها مركَّبًا إضافيًّا.

- التوسُّع قليلًا في دراسة الأحاديث المختارة في البحث والمتعلِّقة بالماء، بحيث نذكر الأحاديث مفردةً ونعلِّق عليها واحدًا تلوَ الآخر، واستنباط العلاقة بين السنَّة النبويَّة والاستدامة المائيَّة.

- إبراز جهود دولة الإمارات في تحقيق الاستدامة المائيَّة من خلال سبر بعض القوانين التي سنَّتها الدولة للمحافظة على الماء، والحدِّ من تلويثه، وفرض عقوباتٍ لمن يخالف نصَّ القوانين، ثمَّ تسليط الضوء على جهود الدولة في إنجاز أهمِّ المشاريع الاجرائيَّة والوقائيَّة التي تخدم المحافظة على الماء والتي تُعدُّ إنجازًا عظيمًا من إنجازاتها.

المنهج المتَّبع في البحث:

رُوعيَ في هذا البحث المنهج الاستقرائيُّ، وذلك بتتبُّع واستقراء عددٍ من الأحاديث الشريفة التي اشتملت في مدلولها على المحافظة على الماء وتوفيره؛ للوصول إلى الاستدامة المائيَّة. والمنهج التحليليُّ في تحليل الأحاديث الشريفة واستخراج أبرز الأحكام الفقهيَّة منها، واستنباط ما يدلُّ على العلاقة بين السنَّة النبويَّة والاستدامة المائيَّة.

خطة البحث:

تطلَّب البحث تقسيمه إلى: مقدِّمةٍ، وثلاثة مباحثٍ، في كلِّ مبحثٍ مطلبان، ثم الخاتمة وفيها أهمُّ النتائج، والتوصيات.

- **المبحث الأول: التعريف بالاستدامة المائيَّة، وذِكر الماء في السنَّة النبويَّة، وفيه مطلبان:**
  - المطلب الأوَّل: تعريف الاستدامة المائيَّة.
  - المطلب الثاني: الأحاديث النبويَّة في ذكر الماء، واستدامته.
- **المبحث الثاني: الاستدامة المائيَّة في السنَّة النبويَّة بين الحثِّ والزَّجر، وفيه مطلبان:**
  - المطلب الأوَّل: الحثُّ على حُسن استعمال الماء، واستدامته.
  - المطلب الثاني: الزَّجر عن استعمال الماء بطريقة خاطئة، والنهي عن تعطيل استدامته.
- **المبحث الثالث: الحثُّ على سقي الماء، وجهود دولة الإمارات في تحقيق الاستدامة المائيَّة، وفيه مطلبان:**
  - المطلب الأوَّل: حثُّ الشريعة على سقي الماء، والبحث عن مصادره.
  - المطلب الثاني: جهود دولة الإمارات في تحقيق الاستدامة المائيَّة.

المبحث الأوَّل: التعريف بالاستدامة المائيَّة، وذِكْر الماء في السنَّة النبويَّة

المطلب الأوَّل: تعريف الاستدامة المائيَّة

الفرع الأوَّل: تعريف الاستدامة (لغةً واصطلاحًا):

أ- الاستدامة لغةً: دامَ يدوم دَوْمًا ودَوامًا ودَيْمومَةً، وأَدامَهُ غيره، ودام الشيء: سكَن. وتأتي بمعنى لزم، وبمعنى بقِيَ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [سورة آل عمران، من الآية 75]. أي: ما بَقيت تُطالبه في إرجاع الحق الماليّ. ودامَ الماءُ يدومُ دَوْمًا أي: يبقى موجودًا إلى ما شاء الله[1]. والمعنى المراد هو البقاء والاستمرار، أي: يبقى الشيء متوفِّرًا، ولا ينضَبْ.

ب- **الاستدامة اصطلاحًا**: الاستدامة مصطلحٌ معاصرٌ ظهَرَ حديثًا لكنَّ مَدلولَه قديم، وكلٌّ يعرِّفه حسب مجالِه الذي ينتمي إليه، فيمكن لأيِّ أحدٍ في مجالٍ من المجالات أن يُضيف مصطلح الاستدامة إلى مجاله فيظهر مركَّبًا جديدًا يُفيد استمرارية هذا المجال، فمثلًا: المجال الاقتصاديّ، حيث إنَّه إذا أضفنا له مصطلح الاستدامة فسيُصبح المصطلح المركَّب هو الاقتصاد المُستدام أو استدامة الاقتصاد، ويعني نموّ الاقتصاد، وازدهاره، وعدم تدهوره، واضمحلاله، وعلى مثل هذا فقِس.

والـدَّوام عند المنطقيِّين هو "ثبوت المحمول للموضوع أو سلبه عنه في جميع الأزمنة"[2].

أي: ارتباط شيءٍ بشيءٍ آخر بحيث تكون العلاقة ثابتةً ومستمرةً بينهما، ولا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر. مثل: لو قلنا إنَّ الماء سائلٌ في درجة الحرارة العاديَّة، فالسيولة حينئذٍ تكون صفةً دائمةً للماء في تلك الحالة، لا يمكن أن تتغاير.

---

1. ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، المحقق/ د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط. ت، (8/86) باب الدال والميم، مادة: دوم. والجوهري، أبو نصر، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المحقق/ أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م، (5/1922)، فصل الدال، مادة: دوم.
2. التهانوي، محمد بن علي الفاروقي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المحقق/ د. علي دحروج، ترجمة: د. عبدالله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م، (1/809).

أمَّا الاستدامة بشكلٍ عامٍّ فقد عُرِّفت على أنَّها: "تلبية حاجات الحاضر دون المساس بقدرات الأجيال المستقبلية على تلبية حاجاتها الخاصة"[1].

ويشتمل هذا التعريف على الهدف الأسمى للاستدامة، وهو المحافظة على الموارد الطبيعيَّة في العصر الحاضر، وفي العصور اللاحقة؛ لتتمكَّن الأجيال القادمة من العثور على الموارد الطبيعيَّة بيُسر وسلاسة، ويمكنهم الانتفاع بها.

الفرع الثاني: تعريف الماء (لغةً واصطلاحًا):

- **الماء لغةً**: أَصله مَوَهٌ، والهَمْزَةُ مُنْقَلِبَةٌ عَن هاء، وتَصْغيرُ الماءَةِ مُوَيْهَةٌ. وسُمِّيت المرآة التي يُنظر فيها الماوِيَّةُ كأَنَّها نُسِبَتْ إِلَى الماءِ لصَفائِها حَتَّى كأَنَّ الماءَ يَجْرِي فِيهَا. ومَوَّهَ المَوْضِعُ أي: صارَ ذَا ماءٍ كثير[2].

- **الماء اصطلاحًا**: هناك تعريفاتٌ للماء باعتباراتٍ مختلفة، فالماء بشكلٍ عامٍّ هو: "جوهرٌ سيَّالٌ يُضادُّ النار برطوبته وبرودته. وقيل :الماء جسمٌ لطيفٌ، بسيطٌ، شفافٌ، يبرّد غلة العطش، به حياة كل نام"[3]. والماء المطلق في اصطلاح الفقهاء: "هو الذي بَقِيَ على أصل خِلقته ولم تُخالطه نجاسة، ولم يغلب عليه شيءٌ طاهرٌ." والمستعمل: "كل ما أزيل به الحدث، أو استعمل في البدن على وجه التقرُّب"[4].

وبعد النظر في التعريفات؛ نخلص إلى أنَّ الماء هو: جوهرٌ سيَّالٌ، شفّافٌ، يَرْوي العطش، ويرفع الحدث، وله استخدامات عدَّة، وبِه حياة كُلّ نامٍ.

الفرع الثالث: تعريف الاستدامة المائيَّة باعتبارها مصطلحًا مركَّبًا:

عرَّفها الدكتور خالد فؤاد في تعريفه للأمن المائيّ، بأنَّها: "الكفاية والضمان عبر الزمان

---

1. منظَّمة الأمم المتَّحدة، مُتاح في 28/1/2025م، على https://www.un.org/ar/122274.
2. ينظر: الجوهري، الصحاح (2251-6/2250)، فصل الميم، مادة: موه.
3. المناوي، زين الدين، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1990م، (ص294)، باب الميم، فصل الألف.
4. الجرجاني، التعريفات، المحقق/ جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، (ص195)، باب الميم.

والمكان، أي يعني تلبية الاحتياجات المائيَّة المختلفة كمًّا ونوعًا مع ضمان استمرار هذه الكفاية دون تأثير من خلال حماية وحسن استخدام المتاح من مياه وتطوير أدوات وأساليب هذا الاستخدام، علاوة على تنمية موارد المياه الحاليَّة، ثمَّ يأتي بعد ذلك البحث عن موارد جديدة سواء كانت تقليديَّة أو غير تقليديَّة"[1]. لكنَّ هذا التعريف أقرب إلى الشرح منه إلى التعريف الجامع المانع.

وبالجمع بين المصطلحيْن: الاستدامة والماء، وجدناها تُفيد: المحافظة على الماء وموارده، وتوفيره، وبقاء صلاحيَّته للاستعمال بالبعد عما يهدِّد أمنه في العصر الحالي، وفي العصور اللاحقة.

المطلب الثاني: الأحاديث النبويَّة في ذِكر الماء، واستدامته

وردَ في السنَّة النبويَّة أحاديث عدَّة حول الماء وحول كيفيَّة تحقيق استدامته، وسيتمُّ إيراد عددٍ منها، وهي:

الحديث الأوَّل: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَغْسِلُ، أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ، بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ"[2].

الحديث الثاني: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ مرَّ بِسَعْدٍ وَهُو يَتَوَضَّأُ، فقالَ: "مَا هذَا السَّرَفُ؟ فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟! قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ"[3].

الحديث الثالث: قوله ﷺ: "مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدمَ أُكُلَاتٌ

1. د. خالد فؤاد بليل، الاستدامة المائيَّة في ضوء السنَّة النبويَّة، مجلَّة كلِّيَّة الدراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنات بدمنهور، مصر، العدد 5، الجزء الثالث عشر، 2020م، (ص163).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/ د. مصطفى البغا، دمشق، دار اليمامة، ط5، 1993م، كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمد (1/84) حديث رقم (198) واللفظ له. ومسلم في صحيحه، المحقق/ محمد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د. ط، 1955م، كتاب الحيض، باب القدْر المستحب من الماء في غسل الجنابة (1/258) حديث رقم (325).
3. أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة، وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه (1/147) حديث رقم (425)، واللفظ له. والإمام أحمد في مسنده، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، (2001م)، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) (11/637) حديث رقم (7065) وقال محققه: إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وحيي بن عبد الله، وباقي رجاله ثقات.

يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ"[1].

الحديث الرابع: قوله ﷺ: "غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ"[2].

الحديث الخامس: قوله ﷺ: "لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ"[3].

الحديث السادس: قوله ﷺ: "اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ"[4].

الحديث السابع: قوله ﷺ: "إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ"[5].

وبعد جمع هذه النصوص واستقرائها؛ تبيَّن أنَّها تدعو إلى العناية بالماء، واستدامته، والمحافظة عليه من خلال بعض الإرشادات والتوجيهات التي وُجِّهت إلينا؛ لضمان توفُّر الماء، وبقائِه نظيفًا وصالحًا للاستخدام في العصر الحالي، وفي العصور اللاحقة. وفي هذا دليلٌ على حرص الشريعة الإسلاميَّة واهتمامها البالغ بالماء، وأنَّها أولَته اهتمامًا كبيرًا، وحرصت كلَّ الحِرص على العنايةِ به، وسلَّطت الضوء على بعض الإجراءات الوقائيَّة التي

---

1. أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع (2/1111) حديث رقم (3349). والترمذي في سننه، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل (4/391) حديث رقم (2537)، واللفظ له وقال: "حديثٌ حسنٌ صحيح".
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء (5/2131) حديث رقم (5300) بلفظ: "وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ". ومسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم (3/1596) حديث رقم (2014)، واللفظ له.
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم (1/94) حديث رقم (236)، واللفظ له. ومسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد (1/235) حديث رقم (82).
4. أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة، وسننها، باب النهي عن الخلاء في قارعة الطريق (1/119) حديث رقم (328). وأبو داود في سننه في كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهي عن البول فيها (1/21) حديث رقم (26)، واللفظ له. وقال محققه: حسنٌ لغيره.
5. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب النهي عن التنفُّس في الإناء (5/2133) حديث رقم (5307)، واللفظ له. ومسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب كراهية التنفّس في نفس الإناء (3/1602) حديث رقم (267) بلفظ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يَتَنَفَّسَ في الإناء".

يمكن تطبيقها على أرض الواقع؛ للمساهمة في تحقيق الاستدامة المائيَّة، مما يدلُّ على أنَّ الشريعة الإسلاميَّة صالحةٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، وأنَّها تتَّسم بالواقعيَّة.

والأحاديث التي تم إيرادها في البحث، وسيتمُّ شرحها تنقسم في مدلولاتها إلى قسميْن: الأوَّل: أحاديث تحثُّ على حسن استعمال الماء، والمحافظة عليه، والاقتصاد فيه. والثاني: أحاديث تزجر وتردع عن استعمال الماء وموارده بطريقةٍ خاطئةٍ، كالإسراف، وتلويث موارده بالفضلات والمخلَّفات.

المبحث الثاني: الاستدامة المائيَّة في السنَّة النبويَّة بين الحثِّ والزَّجر

المطلب الأوَّل: الحثُّ على حُسن استعمال الماء، واستدامته

حثَّت الشريعةُ الإسلاميّةُ على العنايةِ بالماءِ والمحافظةِ عليه وعلى موارِده؛ لتحقيقِ استدامته. وقد تعدَّدت الأحاديث المتعلِّقة بهذا الجانب؛ لذلك سيتمُّ إيرادُ عددٍ منها، مع شرحها، وبيان الإرشادات والتوجيهات النبويَّة فيها.

1. "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَغْسِلُ، أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ، بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ"[1].

جاء هذا الحديث الشريف بيانًا، وتوضيحًا لقدْرِ الماء الذي كان يستعمله النبي ﷺ في تطهُّره، أي: في وُضوئه وغُسله، فكان في الوضوء يستعمل المُدَّ[2] الواحد، وصاعًا إلى خمسة أمدادٍ في غُسله. فربَّما كان النبي ﷺ يقتصر في غسله على الصاع الواحد الذي هو أربعة أمداد، وربَّما زاد عليها مُدًّا، فتصبح خمسة أمداد. وهذا المقدار لا يدُلُّ على أنَّ هذه الكمِّية حدٌّ لا يُجزئ دونها، أو لا يمكن الزيادة عليها؛ بل يمكن للإنسان الزيادة بقدرِ حاجته. فالغاية من ذِكر المقدار هو تنبيه الناس على تلك الفضيلة، وتوجيههم إلى ترك السَّرف[3].

---

1. سبقَ تخريجه (ص310).
2. المُدُّ أصله ملء الراحتيْن مبسوطتيْن طعامًا من معتدل الخِلقة، ويعادل تقريبًا 602 جرامًا. والصاع أربعة أمداد، يعني 2408 جرامًا تقريبًا. ينظر: أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، 1961م، (1/82-86).
3. ينظر: الأصبهاني، أبو القاسم، شرح صحيح البخاري، المحقق/ د. عبد الرحيم العزاوي، دار أسفار، الكويت، ط1، 2021م، (2/211). وابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1971م، (1/305).

وبالنظر إلى حال المجتمعات اليوم، نجدهم يُسيؤون التعامل مع نعمة الماء، بالإسراف، وعدم الاقتصاد، فيقومون بهدر كمّياتٍ كبيرةٍ دون وعيٍ بخطورة هذا التصرُّف، ودون وعيٍ بالعواقب الوخيمة المترتّبة عليه لاحقًا.

وإن طبَّق الناس هذا التوجيهَ النبويَّ؛ لساعد ذلك في تحقيق الغايةِ المنشودةِ وهي المحافظة على الماء لأطول مدَّةٍ ممكنةٍ. وهناك حديثٌ يدعمُ مضمون الحديث السابق، وهو أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ مرَّ بِسَعْدٍ وَهُو يَتَوَضَّأُ، فقالَ: "مَا هذَا السَّرَفُ؟ فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟! قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ"[1].

وإن كان هذا الحديث قد ضعَّفه أكثر العلماء، إلا أنَّه عظيم الفائدة؛ لأنَّه يدعو إلى أمرٍ عظيمٍ، وهو ترشيد استهلاك الماء، والنهي عن الإسراف الذي هو مجاوزة الحدِّ في استعمال الماء[2].

ويكون ذلك الترشيد في جميع جوانب الحياة، وبالأخصّ الجانب البيئيّ، فيُرشد الإنسان استخدام الماء، سواء في حال الشُّحِّ والنُّدرة أو في حال السَّعة والوَفرة. والمعهود أنَّ الانسان يقتصد حال النُّدرة خوف نفاد الماء، أمَّا في حال السَّعة فيطمئن قلبه إلى وجود الماء؛ فيُسرف فيه، ويستعمله بالقدر الزائد عن حاجته؛ وذلك لأنَّ الطبع البشريَّ -يميلُ في الغالب- إلى الهدر عند الشعور بالأمان بتوافر الشيء وكثرته.

والإسراف[3] هدرٌ للماء دون فائدةٍ، فيشكّل عاملاً من عوامل خلل التوازن البيئيّ؛ لأنَّه يؤدّي إلى استنزاف الماء وقلّته. فعلى الإنسان أن يصرِف ما يسدُّ به خَلَّته، دون إسراف أو تبذير. والشريعة الإسلاميَّة كان لها السَّبق في إقرار مبادئ ترشيد الاستهلاك لكلِّ ما في يد الإنسان من نِعَمٍ وثرَوات، حيث أمر الإسلام بالاعتدال والتوسُّط في كلِّ تصرُّفات الإنسان. وقد نهى الشارع الحكيم عن الإسراف كما في الآية: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [سورة الأعراف، من الآية 31][4].

---

1. سبقَ تخريجه (ص310).
2. ينظر: الهَرَري، محمد الأمين البُوَيطي، مرشد ذوي الحجا والقول المكتفى على سنن المصطفى، دار المنهاج، جدَّة، ط1، 2018م، (3/489).
3. صرف الشيء فيما ينبغي، زائدًا على ما ينبغي. الجرجاني، التعريفات (ص24).
4. د. نادي عبد الله محمد، سلوك التعامل مع نعمة الماء في ضوء السنّة المطهَّرة، مجلة محكَّمة، كليّة أصول الدين، القاهرة، المجلَّد 30، العدد2 ،2017م، (ص448).

ولا ينحصر ذلك التوجيه على عدم الإسراف في الوضوء أو الغسل فقط، بل يتعدَّى إلى أمورٍ أخرى، كالشُّرب، كما جاء عن النبيِّ ﷺ: "مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِه"[1]. فاللُّقيمات إشارةٌ إلى الغذاء الضروري الذي لا بدَّ للإنسان أن يأكله؛ ليبقى على قيد الحياة، ويقوى به جسده، فيكون قادرًا على أداء العبادة على أحسن وأتمِّ وجهٍ. وإن كان لا بُدَّ للإنسان التجاوز في ذلك فيجعل أثلاثًا: ثلثٌ يجعله للطعام، وثلثٌ للشراب، وثلثٌ يُبقيه ليتمكَّن من التنفَّس دون إجهادٍ، فيحصل له شيءٌ من الصفاء[2].

أي الأصل أن يأكل الإنسان بالقدر الذي يسُّد به جوعه ورَمَقه، فإن كانت نفْسُه تتوق إلى المزيد، فلا حرج عليه أن يأكل بالقدر الذي بيَّنه النبي ﷺ وهو التقسيم إلى أثلاثٍ: ثلثٌ للطعام، وثلثٌ للشراب، وثلثٌ يُبقيه ليستطيع التنفَّس بأريحيَّة، وبذلك يبقى نشيطًا، ومتمكِّنًا من أداء عباداته. وهذا إرشادٌ منه ﷺ وبيانٌ لفضيلة الاقتصاد في جوانب أخرى، كالطَّعام، والشراب؛ وذلك للحفاظ على صحَّة الإنسان، وبقاء نشاطه، وكي لا يضيقَ نَفَسُه؛ فيؤثِّر في باقي أعضائه، وفي هذه الحالة تحصل له التُّخمة، ويكون الإسراف عائقًا يقف أمامه، ويجعله عاجزًا ومُتكاسِلًا عن أداء عباداته على أتمِّ وجهٍ. فعلى الإنسان ضبط سلوكيَّاته، وتصرُّفاته، وتقييد رغباته، والاقتداء بما جاء به النبي ﷺ.

2. قال ﷺ: "غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ"[3].

جاء الإرشاد النبويُّ بتغطية الإناء خاصَّةً في الليل، وأمَرَ بوضع ساترٍ عليه، حتَّى ولو كان عودًا؛ لِما جاء عن النبي ﷺ: "فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا،

---

1. سبقَ تخريجه (ص310).
2. ينظر: السندي، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، دار الجيل، بيروت، ط2، د. ت، (2/321). والمباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط. ت، (7/44).
3. سبقَ تخريجه (ص311).

وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ، فَلْيَفْعَلْ"[1]، وعدم تركِه مكشوفًا، وبربط فَمِ السِّقاء بالوِكاء[2]؛ وذلك لأنَّ في السَّنةِ ليلةً ينزل فيها الوباء-كما ورد في الحديث الذي سبقه-، ولا يمرُّ بإناءٍ غيرِ مغطًّى، أو سِقاءٍ غير موكَىً؛ إلا نزل به إن كان نزوله في تلك اللَّيلة، واحترازًا من ذلك؛ نُغطّي الأواني؛ كي لا ينزل فيها شيءٌ من هذا الداء[3]. وبالتغطية يضمن الأفراد عدم وقوع شيءٍ فيه يعكِّر صَفوه، كالحشرات التي يستقذرها الناس، ويستنفرها الطبعُ البشريُّ.

إنَّ الأخذَ بهذا الإرشادِ النبويِّ؛ يؤدِّي إلى اطمئنان الأفراد على نظافة الطعام والشراب، وخلوِّه من المستقذرات والملوِّثات التي تعود بالضرر على صحة الإنسان؛ فلا يرمونه خَشية ذلك؛ مما يُساعد في تحقيق استدامة الماء بعدم إهداره ورميه دون الانتفاع به المنفعة المطلوبة.

المطلب الثاني: الزَّجر عن استعمال الماء بطريقة خاطئة، والنهي عن تعطيل استدامته

في مقابَل ما ورد في السنَّة النبويَّة من أحاديثَ تحثُّ على حُسن استعمال الماء، وردت أيضًا أحاديثُ تزجر مستعملي الماء بطريقة خاطئةٍ، وتحذِّرهم من فعل التصرُّفات والسلوكيَّات التي تؤثِّر سلبًا على الماء وموارده، ومن تلك الأحاديث:

1. قال ﷺ: "لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ"[4].

نهى الشارع الحكيم عن تقذير الماء، وتلويث موارده[5] بالمخلَّفات، والقاذورات؛

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب (3/1594) حديث رقم (2012).
2. ما يربط به القِرْبة وغيرها كالوعاء والكِيس والصُرَّة. البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م، (ص239).
3. ينظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت، (21/197). والهَرَري، محمد الأمين، الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار المنهاج ودار طوق النجاة، ط1، 2009م، (21/130).
4. سبقَ تخريجه (ص311).
5. الطرق إلى الماء، وواحدتها موردة. ابن السكيت، كتاب الألفاظ، المحقق/ د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1998م، (ص344).

ليبقى طاهرًا نقيًّا، صالحًا للاستعمال، ويلبّي الحاجات. وقد جاء الحديث بالنهي عن تبوّل الإنسان في الماء الراكد الذي لا يجري، ثم يغتسل منه. ويدخل في النهي التبوُّلُ في إناءٍ ثمَّ صبُّه في الماء، أو التبوُّل بقرب الماء بحيث يجري البوْل إليه؛ حتى لا يصل إلى الماء ويختلط به، ويصبح ملوَّثًا. والحديث فيه دلالة على تحريم الوضوء بالماء النَّجس، وفيه تأديبٌ للنفوس بالتنزُّه عن البول في الماء الذي لا يجري؛ كي لا يوشك الماء القليل على الفساد، ويؤدِّي تغيُّره إلى التضييق على الناس، وعدم استطاعتهم على التطهُّر به، وفيه منعٌ من حقِّهم في الماء. والشريعة الإسلاميَّة جاءت بمنع إلحاق الضرر. وربَّما حملَ الماء بعض أنواع البكتيريا التي تؤدِّي إلى الوعكات الصحيَّة التي قد تدخل الجسم نتيجة لمس الماء، والإنسان مأمورٌ بحفظ نفسه من خلال اجتناب ما يضرُّها. والنهي في بعض المياه للتحريم، وبعضها للكراهة، وذلك حسب حالة الماء إن كان جاريًا أو راكدًا، وحسب كمِّيته إن كان قليلًا أو كثيرًا، على اختلاف الفقهاء في تحديد الكميَّة الأقلِّ من الماء التي تنجس إن سقطت فيها نجاسة، لكن ليس المجال هنا مجالَ بسطها[1].

والأشنع من ذلك، تلويث موارد المياه بالبراز، حيث جاء النهي عنه في الحديث، قال ﷺ: "اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ"[2].

أمر ﷺ بتجنُّب ثلاثة أمورٍ؛ لأنها توجب اللَّعنة على فاعلها، ومنها البراز في الموارد. فيجب تجنُّب التخلِّي والتَّغوُّط في مشاريع المياه، ومجاريها. فإفراغ الفضلات في موارد المياه يؤدِّي إلى تلويث الماء، وانتقال الجراثيم؛ فيحصل الإضرار بالآخرين، وتنعدم قدرتهم على استعمال الماء إن كان قليلًا، وأمَّا إنْ كان كثيرًا، فإنَّ نفوسهم تعافُ استعماله، وكذلك تخوُّفهم من الإصابة بالأمراض جرَّاء انتقال الجراثيم والميكروبات. وفي هذا الحديث مراعاةٌ لمصالح الناس، بالبعد عمَّا يَضرُّهم ويُؤذيهم.

ولا يخفى أنَّ الحديث يشمل أيضًا ضرورة عزل الصرف الصحيِّ عن مشاريع المياه؛ لأنَّها تؤدِّي إلى تلويث هذا المورد بأكمله -غالبًا-، فتنعدم فائدته، ويصبح غير صالحٍ للطهارة والمنافع الأخرى. ولإعادة تدوير هذا الماء الملوَّث فإنَّه سيحتاج إلى تكاليف كبيرةٍ،

---

1. ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، المحقق/ ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 2003م، (1/352-353). والنووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1971م، (3/187-188).
2. سبقَ تخريجه (ص311).

ولن يعود إلى حالته الأوَّليَّة-في الغالب- مهما تكرَّرت عملية التدوير؛ لذلك تتجه الدُّول لتجميع الصرف الصحيّ في أماكن مخصَّصة؛ لضمان عدم إضرار ذلك الصرف بالبيئة، وضمان عدم وصوله إلى الماء الطَّاهر في الأنهار، والبحيرات، والآبار؛ حتى لا يُصبح ملوَّثًا. ولا بدَّ من توعية الأفراد والمجتمعات بضرورة أخذ هذه النُّقطة بعين الاعتبار.

2. قال ﷺ: إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ"[1].

نَهى النبيُّ ﷺ عن التنفُّس في الإناء عند الشُّرب منه. وهذا النَّهي إذا ما كان الإنسان يشرب مع من يَكره نفَسه ويستقذره؛ لأنَّه لا يؤمن أن يقع فيه شيءٌ من ريقه فيعافه غيره، وإن كان مع من يعلم أنَّه لا يستقذِر شيئًا منه؛ فلا بأس بالتَّنفُّس في الإناء[2].

والأولى عدم التَّنفُّس فيه؛ اتباعًا للهدي النبويِّ الشريف، وحفاظًا على صحَّة الإنسان من الأمراض، وحرصًا على بقاء الشراب نظيفًا خاليًا من الشوائب التي تعكِّر صفوه، وليتمكَّن غيره من استعماله بعد ذلك وهو مطمئنٌّ اطمئنانًا تامًّا دون أدنى شكٍّ بنظافته، وحتى لا يرميه خشية أن يكون ملوَّثًا، أو بحجَّة أنَّ فلانًا تنفَّس فيه أو أنَّه وقع فيه شيء من أنفه أو فمه، فبذلك لا تتحقق الاستدامة المائيَّة.

1. سبقَ تخريجه (ص311).
2. ينظر: الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1981م، (20/168-169).

المبحث الثالث: الحثُّ على سقي الماء، وجهود دولة الإمارات في تحقيق الاستدامة

المطلب الأول: حثُّ الشريعة على سقي الماء، والبحث عن مصادره

بعد أن جاءت الشريعة الإسلاميَّة بترسيخ أهميَّة الاستدامة من خلال أسلوبيِّ الحثِّ والزجر؛ جاءت أيضًا بتوجيه العِبادِ إلى فضل سُقيا الماء، والدَّعوة إلى توفيره؛ لِمَا يترتَّب عليه من الأجر العظيم. ومن الأحاديث الدالَّة على فضل سُّقيا الماء، وأنَّها أفضل الصدقات، ما يلي:

1. أَنَّ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "سَقْيُ الْمَاءِ"[1].

والحديث يدلُّ على أنَّ سقيَ الماء أفضل الصدقات التي يمكن للإنسان التصدُّق بها سواءٌ على نفسه، أو على غيره، وهي أكثر أجرًا، وأعمُّ نفعًا؛ لأَّن الإنسان يستخدم الماء في أغلب أمور حياته: في مشربه، ومطعمه، وفي التنظُّف، وإدخاله في الصناعات وغيرها. علاوةً على ذلك، انتفاعُ الحيوانات، والنباتات به.

وتتعدَّد أشكال سُقيا الماء، فقد يكون بـ: حفر الآبار، وشراؤها، أو شراء عبوَّات مياهٍ ووضعها في الأماكن التي يتوافدُ إليها الناس عادةً، أو غيرها. وقد جاء في الحديث أنَّ سقي الماء والتَّصدُّقَ به كان من أفضل الصدقات في عهده ﷺ؛ لقلَّته وصعوبة توفُّره في المدينة. وقيل: إنَّه أفضل على الدَّوام[2].

والقول الثاني وهم القائلون بأنَّ سقي الماء أفضل الصدقات على نحوٍ دائمٍ هو المقصود. والله أعلم. وذلك؛ لأنَّ الماء أساس الحياة، وتقوم الحياة به، ويكثر طلبه، فلا تستقيم الحياة دونه، وفي توفيره تيسيرٌ على الناس؛ فلذلك استحقَّ المتصدِّق بالماء الأجر العظيم. وبتصدُّقه بالماء وسقيه للأشخاص، يكون كأنَّما أحيا أنفُسًا بإذن الله تعالى، قال

---

1. أخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب الأدب، باب فضل صدقة الماء (2/1214) حديث رقم (3684)، واللفظ له. وأبو داود في سننه، في كتاب الزكاة، باب في فضل سقي الماء (3/108) حديث رقم (1679)، بلفظ "أيُّ الصدقةِ أعجبُ إليك؟ قال: الماء". وقال محققه: "حديثٌ صحيحٌ، وإسناد رجاله ثقات".
2. ينظر: السندي، كفاية الحاجة (2/394). والعيني، شرح سنن أبي داود، المحقق/ خالد المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1999م، (6/432).

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة، من الآية 32]

ومن الأحاديث الدالَّة على الأجر العظيم المترتِّب على سقي الماء ما جاء عن عُثْمَانَ (رضي الله عنه) قال: "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ فَحَفَرْتُهَا"[1]. أي أنَّه لمَّا قدِم المهاجرون المدينة لم يكن هناك ماءٌ يُستعذب إلا بئر رومة، وكانت لرجلٍ من بني غِفار، فسأل النبي ﷺ أصحابه وقال لهم: مَن يشتريها ويمنحها للمسلمين، ويكون نصيبه فيها كنصيب أحدهم فله الجنَّة؟، فاشتراها عثمان بن عفَّان (رضي الله عنه) صدقةً عنه، وجعلها وقفًا للمسلمين. وجاء في هذه الرواية أنَّ عثمان (رضي الله عنه) حفر البئر، بينما جاء في رواياتٍ أخرى أنه اشتراها لا أنَّه حفرها، لكن ربَّما اشتراها عثمان (رضي الله عنه) ثمَّ وسَّعها أو طواها، فنُسب حفرُها إليه[2].

يدلُّ هذا الحديث على عظمة سقي الماء؛ لأنَّه يجمع بين النفع المُستدام للبشريَّة، والأجر الجاري، حيث ينال المتصدِّق الأجر العظيم من الله تعالى؛ لما في تصدُّقه من النفع الكبير الذي يعود على البشريَّة، فيُيسِّر ويخفِّف عنهم أعباء البحث عن موارد المياه، ومنابعها. وفي سقي الماء وتوزيعه نشرٌ للخير بين المجتمعات حيث يقتدي الناس بأفعال المتصدِّق، فيتصدَّقون مثله حُبًّا ورغبةً في الخير.

ولمَّا كان التصدُّق بالماء بهذه الأهمِّيَّة البالغة؛ جاءت الشريعة الإسلاميَّة بالحثِّ على المسارعة في إخراج الصَّدقات عمومًا، وسقي الماء خصوصًا.

2. قول النبي ﷺ : "فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ"[3]، و"فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ"[4].

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين (3/1021) حديث رقم (2626).
2. ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري (8/204). والعيني، عمدة القاري (14/72).
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة (الشرب)، باب فضل سقي الماء (2/833) حديث رقم (2234). ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (4/1761) حديث رقم (2244)، واللفظ لهما.
4. أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب فضل صدقة الماء (2/1215) حديث رقم (3686)، واللفظ له. والإمام أحمد في مسنده، حديث سراقة بن مالك بن جعشم (رضي الله عنه) (29/120) حديث رقم (17581)، وقال: حديث صحيح.

جاء الحديث بالحثِّ على الإحسان إلى المخلوقات الحيَّة، ومن الإحسان إليها سقيُها، ففي سقي وإرواء كلِّ حيٍّ من ذوات الأنفس أجرٌ، وهذا على عموم الحديث، وهناك من خصَّص السقيُّ للأنفس التي لا ضرر فيها. وقد اختلف الفقهاء في الحيوانات غير المحترمة التي أُمر الإنسان بقتلها لِمَا تتسبب به من أضرارٍ وإيذاء كالحيَّة، والغراب، والعقرب، والكلب العقور، والحدأة، والفأرة أنَّها كيف تُسقى، وقد أمر الشارع بقتلها؟، فيكمن الجمع بين القوليْن بأنَّه لا يمتنع سقي الحيوان غير المحترم من باب الإحسان، ثمَّ قتله امتثالًا لأمر الشارع. وفي الحديث إشارة إلى أنَّه قد حصل الأجر بسقي الحيوان، فكيف بالأجر المترتِّب على سقي الإنسان عامَّة، والموحِّد خاصَّة![1]، وهذا دليلٌ على أنَّ سقي الماء من أعظم القُربات، وأكثرها أجرًا، لا سيَّما عند اشتداد الحاجة إليه.

المطلب الثاني: جهود دولة الإمارات في تحقيق الاستدامة المائيَّة

لدولة الإمارات العربيَّة جهودٌ جبّارة في السعي والإقدام لتحقيق الاستدامة بشتَّى مجالاتها الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والبيئيَّة. وفي الجانب البيئيّ، سعت الدولة للمحافظة على البيئة من خلال المحافظة على عناصرها، والتي يشكِّلُ الماءُ أهمَّها؛ فأولته اهتمامًا كبيرًا. وما زالت جهود الدولة تتضافر لتحقيق الاستدامة من خلال سَنِّ القوانين، ووضع سياسات واستراتيجيَّات خاصَّة، وإطلاق البرامج والمشاريع داخل الدولة وخارجها.

- **أولًا: القوانين**

- وضعت الدولة القوانين التي تهدف إلى: "حماية البيئة والحفاظ على نوعيَّتها وتوازنها الطبيعيّ، ومكافحة التلوُّث بأشكاله المختلفة، وتجنُّب أي أضرار أو آثارٍ سلبيَّة فوريَّة أو بعيدة المدى نتيجة خطط وبرامج التنمية الاقتصاديَّة أو الزراعيَّة أو الصناعيَّة أو العمرانيَّة أو غيرها من برامج التنمية التي تهدف إلى تحسين مستوى الحياة، وتنمية الموارد الطبيعيَّة والحفاظ على التنوُّع الحيويِّ في إقليم الدولة واستغلاله الاستغلال الأمثل لمصلحة الأجيال الحاضرة والقادمة"[2].

1. ينظر: العيني، عمدة القاري (12/207-208). والسندي، كفاية الحاجة (2/394).
2. حكومة الإمارات العربيَّة المتَّحدة، التشريعات، قانون اتحادي رقم (24) لسنة 1999م في شأن حماية البيئة وتنميتها ، المادة2، الأهداف والأسس العامَّة، التشريع وفقًا لآخر تحديث في 07 مايو 2006م. حالة التشريع: ساري، متاح في 15/9/2024م، على https://uaelegislation.gov.ae/ar/legisla-tions/1146.

ومن تلك القوانين التي نصَّ عليها **القانون الاتحاديّ بشأن حماية البيئة وتنميتها** ما جاء في **المادَّة (18):** "يحظر على الجهات المصرَّح لها باستكشاف أو استخراج أو استغلال حقول النفط ... تصريف أي مادة ملوثةٍ ناتجةٍ عن عمليات الحفر أو الاستكشاف أو اختبار الآبار أو الإنتاج في البيئة المائية...". وكذلك **المادَّة (21):** يحظر على جميع الوسائل البحريَّة أيًّا كانت ... تصريف أو إلقاء الزيت أو المزيج الزيتي في البيئة البحريَّة. **والمادة (32):** "يحظر على الوسائل البحريَّة والمنشآت البحريَّة التي تحددها اللائحة التنفيذية تصريف مياه الصرف الصحي في البيئة البحريَّة، ويجب التخلص منها طبقًا للمعايير والإجراءات التي تحدَّدها اللائحة التنفيذيَّة. كما يحظر على الوسائل البحريَّة إلقاء النفايات في البيئة البحريَّة".

ثمَّ بيَّن القانون الاتحاديّ العقوبات المترتَّبة على مخالفة ما جاء في نصِّ القوانين، منها: ما جاء في **المادَّة (75):** "يعاقب بالحبس مدَّةً لا تقل عن سنة ولا تزيد على سنتين، وبالغرامة التي لا تقلُّ عن عشرة آلاف درهم ولا تزيد على مائتي ألف درهم أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من خالف أحكام المواد (25) و(28) و(32) و(34) من هذا القانون". **والمادَّة (77):** "يعاقب بالحبس مدَّةً لا تقل عن سنة وبالغرامة التي لا تقل عن خمسة آلاف درهم ولا تزيد على مائة ألف درهم كلّ من تسبَّب في تلويث مياه الشرب أو المياه الجوفيَّة".

إنَّ تلك التشريعات والقوانين التي سَنَّتها الدولة تعود إلى مصلحة الفرد والجماعة، ففي وضعها؛ حمايةٌ لهذا الكنز العظيم من التلوُّث والفساد. ولتطبيق تلك القوانين بحذافيرها؛ قامت الدولة بوضع غراماتٍ وعقوباتٍ؛ لردع وزجر كلّ من تُسوِّل له نفسه مخالفة تلك القوانين، أو ارتكاب أي نشاطاتٍ تُؤثِّر سلبًا على البيئة عمومًا، وعلى الماء خصوصًا.

- **ثانيًا: السياسات**

- كرَّستْ دولة الإمارات العربية المتحدة عام 2023م (عام الاستدامة في الإمارات)؛ لتطبيق الاستدامة في شتَّى مجالات الحياة، ولتحقيق حياةٍ معاصرةٍ ومريحةٍ، وحماية مستقبل الأجيال القادمة، وعدم المساس بحقِّهم في بيئةٍ صالحةٍ للحياةِ

الكريمة[1].

- ومن هذه السياسات: سياسة إدارة المياه المُعاد تدويرها بطريقة مُستدامة، التي وُضعت عام 2016؛ للتشجيع على استخدام المياه المُعاد تدويرها، واعتبارها بديلًا مُستدامًا للعديد من الاستخدامات، كالزِّراعة والصناعة[2].

- **ثالثًا: الاستراتيجيَّات**

- استراتيجيَّة (الأمن المائيّ) لدولة الإمارات 2036، والتي وُضعت لضمان استدامة واستمرارية الوصول إلى المياه خلال الظروف الطبيعيَّة وظروف الطوارئ القصوى، وتتمثَّل في خفض إجمالي الطلب على الموارد المائيَّة، وزيادة مؤشِّر إنتاجية المياه، وزيادة نسبة إعادة استخدام المياه المعالجة[3].

- **رابعًا: البرامج والمشاريع**

- إطلاق مشروع (تطوير النفق الاستراتيجيّ للصرف الصحيّ) بدلًا من رميها في مياه البحر؛ للحدِّ من تلوُّث المياه البحريَّة[4].

- (محطَّات تحلية المياه) حيث تمَّ بناء أوَّل محطَّة لتحلية المياه في دولة الإمارات

---

1. جهود تحقيق الاستدامة في دولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة، مدينة الشارقة المستدامة، 2023، متاح في 17/9/2024م، على https://www.sharjahsustainablecity.ae/ar/blog/%D8%AC%D9%87%D9%88%D8%AF-%D8%AA%D8%AD%D9%82%D9%8A%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D9%85%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA/.
2. حماية واستدامة المياه البحريَّة في إمارة أبوظبي2012-2018، اللَّجنة العليا لمراقبة جودة المياه البحريَّة، هيئة البيئة، أبوظبي، (ص65).
3. البوابة الرسميَّة لحكومة دولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة، متاح في17/9/2024م، على https://u.ae/ar-ae/about-the-uae/strategies-initiatives-and-awards/strategies-plans-and-visions/environment-and-energy/the-uae-water-security-strategy-2036 .
4. حماية واستدامة المياه البحريَّة في إمارة أبوظبي، (ص82).

عام 1960م، وفي عام2013م تمَّ إطلاق مشروعٍ لتحلية المياه باستخدام الطاقة المتجدِّدة[1].

- (بناء السدود) التي تُسهم في تخزين المياه بدَلَ أن تذهب سُدىً. ومن الأمثلة على إنشاء السدود داخل الدَّولة: سدُّ وادي البيح الذي يبلغ طوله: 575 متر، وارتفاعه: 18 متر. ويقع في المنطقة الشماليَّة من الدَّولة ويعتبر نوعًا من سدود التغذية التي تهدف إلى الاستفادة من المياه السطحيَّة لوادي البيح؛ لتغذية الطَّبقة الحاملة للمياه الجوفيَّة. وسدُّ وادي غلفا الذي يبلغ طوله: 235 متر، وارتفاعه: 8 متر. ويقع في منطقة مصفوت في المنطقة الزراعيَّة الوسطى من الدَّولة. ويهدف السدُّ إلى تهدئة مياه السيول المنحدرة في وادي غلفا وحجزها في البحيرة؛ لتغذية المياه الجوفيَّة في مناطق مزيرع ومصفوت[2].

- (حفر الآبار)؛ لكيْ تتجدَّد موارد المياه، وتكون متوفِّرة بكمَّيات أكبر، وعلى نطاق أوسع وأشمل.

- (استخدام أساليب جديدة لتنظيم الريِّ)، كالريِّ بالرَّش، ومن مميِّزاته: توفير العمالة، توفير كمِّية الماء، وضمان التوزيع الجيِّد للمياه. والريِّ بالتنقيط، ومن مميِّزاته: زيادة الانتاجيَّة، وتوفير الأيدي العاملة[3].

- (إطلاق مشاريع سُقيا الماء)، وذلك من خلال وضعها في الأماكن التي يتوافد عليها الأشخاص، كالمساجد، والمجالس، والمدارس، وغيرها. وقد فازت مبادرة جمعية الإحسان الخيرية "في صيفنا إحسان"، كأفضل مبادرة ضمن النسخة الخامسة من برنامج "صيفنا سعادة" الذي نفَّذته حكومة عجمان على مستوى الإمارة...، ونفَّذت مجموعة برامج...، من ضمنها "صيفكم بارد" عبر توزيع ثلَّاجات ومكيِّفات؛ للتخفيف من حرِّ الصيف على الأسر المتعفِّفة، و"بالعافية عليكم"

---

1. تحلية مياه البحر باستخدام الطاقة المتجدِّدة، مصدر، أبوظبي- الإمارات، (ص14،15).
2. البوابة الرَّسميَّة لحكومة الإمارات العربيَّة المتَّحدة، متاح في 17/9/2024م، على https://u.ae/ar-ae/information-and-services/environment-and-energy/water-and-energy/water-/dams
3. هيئة أبوظبي للزراعة والسلامة الغذائيَّة، دليل الاستخدام الأمثل لمياه الريِّ، (ص20-14).

و"سقيا الماء"[1].

وغيرها كثيٌر من المشاريع التي تُسهم في تحقيق الاستدامة المائيَّة في الدَّولة. ولم تقتصر دولة الإمارات على تكريس جهودها داخل الدولة فقط، بل تعدَّت وامتدَّت جهودها ومبادراتها إلى إقامة **مشاريع خارجيَّة**، ومنها:

- (بناء السدود) حيث تمَّ تمويل سدِّ مرِوي في السودان بتكلفة 2,4 مليار درهم إماراتي مِن قِبَل صندوق أبوظبي للتنمية، ومجموعة من المموِّلين الدوليِّين. وقدَّم أيضًا صندوق أبوظبي للتنمية إلى المملكة الأردنيَّة منحةً بقيمة 103 ملايين درهم إماراتي؛ لتمويل بناء سدِّ كفرنجة[2].
- (سُقيا الماء وحفر الآبار) فقد أنشأتِ الدَّولةُ العديدَ من الهيئاتِ كهيئة الإحسان الخيريَّة، والجمعيَّات الخيريَّة كجمعيَّة الهلال الأحمر، وجمعيَّة دار البِرِّ، وغيرها كثيٌر، ولله الحمدُ والمِنَّة. والغرض من تلك الجمعيَّات هو حثُّ الناس على التَّصدُّق؛ لإنشاء العديد من المشاريع الخيريَّة في شتَّى بِقاع الأرض، مثل: سُقيا الماء، وحفر الآبار بأنواعها المختلفة، حسب ما يُناسب طبيعة الأرض المراد التنقيب فيها، وغيرها من المشاريع الخيريَّة.

وقد وصل عدد مشاريع المياه الخيريةَّ الخارجيَّة لجمعيَّة دار البرِّ على سبيل المثال خلال عام 2018 إلى 10207 مشروعٍ، وبلغت القيمة الإجماليَّة 33 مليون درهمًا إماراتيًّا. شملت تلك المشاريع عدَّة دول، منها: مصر، وتنزانيا، والنيْجر، والهند، ونيبال، ومالي، والصومال، وغيرها من الدُّول[3].

---

1. الإحسان الخيريَّة تفوز بأفضل مبادرةٍ في صيفنا سعادة، متاح في 8/11/2024م، على https://alihsan.ae/media/media-center-detail/74

2. صندوق أبوظبي للتَّنمية، متاح في 15/9/2024م، على https://www.adfd.ae/ar/success-stories/merowe-dam-sudan، و https://www.adfd.ae/ar/success-stories/kufranja-dam-jordan

3. تقرير إنجازات جمعيَّة دار البرِّ لعام 2018، متاح في 8/11/2024م، على https://daralber.ae/ar/achievements

الخاتمة

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: 43]

الحمد لله الذي أعان ووفَّق لكتابة هذا البحث. عسى المولى ﷻ أن يتقبَّله، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم. وقد توصَّل البحث إلى **نتائج عدَّة**، أهمُّها:

- يُقصدُ بالاستدامة المائيَّة بأنَّها: المحافظة على الماء وموارده، وتوفيره، وبقاء صلاحيَّته للاستعمال بالبعد عما يهدِّد أمنه في العصر الحالي، وفي العصور اللاحقة.

- تضمُّ السنَّة النبويَّة أهمَّ مبادئ الاستدامة المائيَّة، وظهر ذلك جليًّا من خلال الأحاديث التي تمَّ إيرادها في البحث، وهي تدعو إلى الاستدامة المائيّة استخراجًا وتحليةً وحفاظًا وترشيدًا؛ مما يدلُّ على العلاقة الوطيدة بين الاستدامة المائيَّة والشريعة الإسلاميَّة.

- وضَعتِ السنَّةُ النبويَّةُ تدابيرَ وإرشاداتٍ للمحافظة على الماء وموارده، وحثَّت على حسن استعمال الماء والمحافظة عليه، وترشيده، وتوفيره، والبحث عن موارده المتنوِّعة، كحفر الآبار، وشرائِها.

- حذَّرت السنَّة النبويَّة من سوء استخدام الماء، كإسرافه، وتلويثه بالبول والبراز وغيرها من الملوِّثات، واستنزاف موارده، وإضمار منابعه؛ لذلك علينا الأخذ بالتدابير اللازمة من بناء صرفٍ خاصٍّ بالصرف الصحيّ في البيوت؛ لضمان عدم اختلاطه بالماء الطاهر النظيف.

- إمكانيَّة إسقاط الحلول التي جاءت في السنَّة النبويةِ حول الاستدامة المائيَّة على أرض الواقع؛ مما يدلُّ على واقعيَّة السنَّة النبويَّة وصلاحيَّتها لكلِّ زمانٍ، ومكانٍ.

- قامتْ دولة الإمارات بسَنِّ القوانين والتشريعات، ووضع سياسات خاصة؛ مُساهمةً في تحقيق الاستدامة المائيّة، ومنها: إنشاء محطات تحلية، وتطوير النفق الاستراتيجي للصرف الصحيّ، واستخدام أساليب الريّ الحديثة، وغيرها.

- أنشأَت دولة الإمارات العديد من المؤسَّسات والجمعيَّات الخيريَّة؛ لتحثَّ الناس على توفير الماء وتحقيق استدامته، من خلال: مشاريع سُقيا الماء، وحفر الآبار بأنواعها،

وبناء السدود لتجميع مياه الأمطار. وقد وصل عدد مشاريع المياه الخيريَّة الخارجيَّة لجمعية دار البرِّ على سبيل المثال خلال عام 2018 إلى 10207 مشروعٍ، وبلغت القيمة الإجماليَّة 33 مليون درهمًا إماراتيًّا.

التوصيات:

- العمل والأخذ بما جاء في السنَّة النبويَّة من توجيهات وإرشادات؛ وصولًا إلى الاستدامة المائيّة استخراجًا وتحليةً وحفاظًا وترشيدًا.

- التعمُّق في البحث في الأحاديث التي تدعو وتُرشد إلى الاستدامة عمومًا، والاستدامة المائيَّة خصوصًا.

- البحث في نصوص السنَّة النبويَّة عن حلولٍ ومشاريعَ أخرى، والسعيُ في تطبيقها وتنفيذها على أرض الواقع؛ للمساهمة في تحقيق الاستدامة المائيّة في نطاقٍ أوسع.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الاستدامة المائيَّة في ضوء السنَّة النبويَّة، للدكتور خالد فؤاد محمد بليل، مجلَّة كلِّيَّة الدراسات الإسلاميَّة والعربيَّة للبنات بدمنهور، مصر، العدد 5، الجزء الثالث عشر، 2020م.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري (ت1353ه)، دار الكتب العلمية، بيروت، د .ط. ت.

- تحلية مياه البحر باستخدام الطاقة المتجدِّدة، مصدر، أبوظبي، د .ط. ت.

- التعريفات الفقهيَّة، لمحمد عميم الإحسان المجدِّدي البركتي، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م.

- التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني (ت816هـ)، المحقق/ جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.

- التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد بن تاج العارفين الحدادي المناوي (ت1031ه)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1990م.

- الجامع الكبير "سنن الترمذي"، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (279ه)، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م).

- حماية واستدامة المياه البحرية في إمارة أبوظبي 2012-2018، اللَّجنة العليا لمراقبة جودة المياه البحريَّة، هيئة البيئة، أبوظبي، د .ط. ت.

- سلوك التعامل مع نعمة الماء في ضوء السنّة المطهّرة، للدكتور نادي عبد الله محمد، مجلة محكَّمة، القاهرة، كليَّة أصول الدين، المجلد 30، العدد2، 2017م.

- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت273هـ)، المحقق/ محمد عبد الباقي (ت1388هـ)، دار إحياء الكتب العربية، وفيصل عيسى البابي الحلبي. د .ط. ت.

- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، المحقق/ شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م.

- شرح سنن أبي داود، لأبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت855هـ)، المحقق/ خالد المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1999م.

- شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال (ت449هـ)، المحقق/ ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 2003م.

- شرح صحيح البخاري، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني (ت535هـ)، المحقق/ د عبد الرحيم العزاوي، دار أسفار، الكويت، ط1، 2021م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت393هـ)، المحقق/ أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م.

- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق/ د. مصطفى البغا، دار اليمامة، دمشق، ط5، 1993م.

- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت361هـ)، المحقق/ محمد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د. ط، 1955م.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد العيني (ت855هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د .ط. ت.

- فتح الباري بشرح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852هـ)، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1971م.

- كتاب الألفاظ، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت (ت244هـ)، المحقق/ د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، (1998م).

- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن تميم الفراهيدي (ت170هـ)، المحقق/ د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. د .ط. ت.

- كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه «حاشية السندي على سنن ابن ماجه»، لأبي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي التتوي السندي (ت1138هـ)، دار الجيل، بيروت، ط2، د. ت.

- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لشمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني (ت786هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1981م.

- الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي الهَرَري، دار المنهاج ودار طوق النجاة، ط1، 2009م.

- متن اللغة، لأحمد رضا، معجم دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ط، 1961م.

- مرشد ذوي الحجا والقول المكتفى على سنن المصطفى، لمحمد الأمين بن عبد الله الأُرمي الهَرَري، دار المنهاج، جدة، ط1، 2018م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل (ت241هـ)، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1973م.

- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي الفاروقي التهانوي (ت بعد 1158هـ)، المحقق/ د. علي دحروج، ترجمة: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م.

- هيئة أبوظبي للزراعة والسلامة الغذائيّة، دليل الاستخدام الأمثل لمياه الريِّ، د .ط. ت.

المصادر الالكترونيّة

- الإحسان الخيريَّة تفوز بأفضل مبادرةٍ في صيفنا سعادة، متاح في 8/11/2024م، على https://alihsan.ae/media/media-center-detail/74

- البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة، متاح في17/9/2024م، على https://u.ae/ar-ae/about-the-uae/strategies-initiatives-and-awards/strategies-plans-and-visions/environment-and-energy/the-uae-water-security-strategy-2036 .

- تقرير إنجازات جمعيَّة دار البرِّ لعام 2018، متاح في 8/11/2024م، على https:// daralber.ae/ar/achievements

- جهود تحقيق الاستدامة في دولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة، مدينة الشَّارقة المستدامة، 2023، متاح في 17/9/2024م، على-https://www.sharjahsustainablecity.ae/ar/blog/%D8%AC%D9%87%D9%88%D8%AF-%D8%AA%D8%AD%D9%82%D9%8A%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D9%85%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA/.

- حكومة الإمارات العربيَّة المتَّحدة، التشريعات، قانون اتحادي رقم (24) لسنة 1999 في شأن حماية البيئة وتنميتها، المادَّة2، الأهداف والأسس العامة، التشريع وفقًا لآخر تحديث في 07 مايو 2006. حالة التشريع: ساري، متاح في 15/9/2024 م ، على https://uaelegislation.gov.ae/ar/legislations/1146.

- صندوق أبوظبي للتنمية، متاح في 15/9/2024م، على https://www.adfd.ae/ar/success-stories/merowe-dam-sudan، و https://www.adfd.ae/ar/success-stories/kufranja-dam-jordan
- منظَّمة الأمم المتَّحدة، مُتاح في 28/1/2025م، على https://www.un.org/ar/122274.

غرس الأشجار وأثره في تحقيق الاستدامة في ضوء السنة النبوية

أ. عبير حمود المفلحي

طالبة في مرحلة البكالوريوس – كلية الدراسات الإسلامية

جامعة الوصل– دبي

د. شريف عبد العليم

كلية الدراسات الإسلامية – جامعة الوصل– دبي

ملخص

تهدف الدراسة إلى إبراز عناية السنة النبوية بالتشجير وتوسيع المساحات الخضراء، وذلك لما للتشجير من أهمية كبيرة في الحفاظ على البيئة وتحقيق استدامتها.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي، والتحليلي؛ وذلك بجمع النصوص النبوية المتعلقة بالتشجير وتحليليها في ضوء النظرة الشمولية للنصوص النبوية، وربطها بالواقع المعاصر، وكان من أبرز نتائج هذه الدراسة:

1. حازت السنة النبوية قصب السبق في العناية بالبيئة عامة والتشجير خاصة.

2. أكدت الأحاديث النبوية الشريفة على ضرورة عمارة الأرض وتشجيرها، واستثمار مواردها؛ لضمان تحقيق استدامتها لتلبية حاجة الأجيال الحالية والمقبلة.

3. أظهرت الأحاديث النبوية الشريفة أن التشجير عبادة جليلة ينال عليها العبد الأجر والثواب الأخروي.

الكلمات المفتاحية: التشجير - الاستدامة - السنة - الغرس في الإمارات.

Abstract

This study aims to highlight the importance given to afforestation and expanding green spaces in the Prophetic Sunnah, emphasizing the significant role of trees in preserving the environment and achieving sustainability.

The study adopted an inductive and analytical approach by collecting Prophetic narrations related to afforestation and analyzing them in light of a comprehensive understanding of these narrations. Moreover, the study applied modern environmental concepts and linked them to contemporary realities.

The most prominent findings of this study are:

1. The Prophetic Sunnah was the first to emphasize the importance of environmental care, particularly afforestation.
2. The Prophetic narrations stressed the necessity of cultivating the land, planting trees, and utilizing its resources to ensure sustainability and meet the needs of present and future generations.
3. The Prophetic narrations revealed that afforestation is a noble act of worship for which a servant can earn reward in the afterlife.

Keywords: Afforestation, sustainability, Sunnah, planting in the UAE.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدًا يوافي فضله ونِعمه علينا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فقد خلق الله تعالى الإنسان، ومهد له الأرض وفرشها، وهيأ له جميع أسباب العيش فيها، وأوكل إليه مهمة عمارة الكون، وقد شهد العالم في العصور الأخيرة تقدما كبيرا في مختلف المجالات، ونتج عن هذا التقدم زيادة في الأضرار التي انعكس أثرها السلبي في البيئة، مما جعل الحاجة ملحة إلى العناية بالبيئة، والحرص على معالجة الآثار السيئة التي لحقت بها، وكان من جرّاء ذلك أن شهد العالم اهتمامًا متزايدًا بالاستدامة البيئية، وقد جرّ هذا إلى العناية بالتشجير كأحد الركائز المهمة الداعمة لهذا الهدف، وفي ضوء هذه التحديات التي تواجه العالم تأتي السنة النبوية بتوجيهاتها السديدة لتؤكد على أهمية العناية بالتشجير، والحرص على حماية الأشجار؛ فلقد حفلت السنة النبوية بالعديد من النصوص التي تعالج مشكلات البيئة، وتبرز قيمة التشجير ودوره في توفير بيئة صحية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إبراز دور التوجيهات النبوية في دعم التشجير لتحقيق الاستدامة البيئية، وبيان طرق تطبيقها في معالجة المشكلات البيئية المعاصرة.

مشكلة البحث وأسئلته:

تكمن مشكلة الدراسة في بيان كيفية توظيف النصوص النبوية المتعلقة بالتشجير في صياغة رؤية إسلامية شاملة للاستدامة البيئية، وما الطرق المثالية في تطبيق هذه الرؤية في الواقع المعاصر.

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس عدة أسئلة:

1. كيف تُسهم السنة النبوية الشريفة في معالجة المشكلات البيئية؟
2. ما دور التشجير في السنة النبوية؟ وكيف يسهم ذلك في تحقيق الاستدامة؟
3. ما الآثار الإيجابية للتشجير في البيئة؟

4. كيف تسهم المبادرات الإماراتية في التشجير في تحقيق أهداف التنمية المستدامة؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- ❖ بيان دور السنة النبوية المشرفة في معالجة المشكلات البيئية.
- ❖ بيان دور التشجير في تعزيز استدامة البيئة من خلال السنة النبوية الشريفة.
- ❖ بيان الآثار الإيجابية للتشجير في البيئة.
- ❖ إبراز الجهود الرائدة للإمارات العربية المتحدة في مجال التشجير والاستدامة.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي، والتحليلي؛ وذلك بجمع النصوص النبوية المتعلقة بالتشجير وتحليليها في ضوء النظرة الشمولية للنصوص النبوية، وربطها بالواقع المعاصر،

الدراسات السابقة:

1. دراسة (2024، عبد الفتاح فرج محمد مسعد وحازم عيد إبراهيم) بعنوان «رؤية تنموية مقترحة لتفعيل دور التنظيمات الأكاديمية في تحقيق الوعي بالاستدامة البيئية في ضوء معايير الجامعات الخضراء"، بحث منشور في مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية - جامعة الفيوم، 2024م، هدفت الدراسة إلى تفعيل دور المؤسسات الأكاديمية في الجامعات لزيادة الوعي بتغير المناخ والاستدامة البيئية وفقًا لمعايير الجامعات الخضراء. وتوصلت الدراسة إلى أن هناك نقصًا في بعض الأدوار التي تؤديها الجامعات لتحقيق الاستدامة البيئية، وأشارت إلى عدة عوائق، منها أن التمويل محدود، كما وأشارت إلى ضعف التعاون بين الجامعات والقطاع الخاص بشأن القضايا البيئية.
2. دراسة (2017، بكر عبد الله الخرمان) بعنوان "آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية" بحث نشر في كتاب أعمال المؤتمر الدولي الخامس عشر لمركز جيل البحث

العلمي حول آليات حماية البيئة، الذي نظم في طرابلس لبنان يومي 26 و27 ديسمبر 2017م، هدفت الدراسة إلى استنباط المبادئ البيئية المختلفة من الأحاديث النبوية، مثل: مكافحة التلوث، وترشيد استخدام الموارد، والحفاظ على الغطاء النباتي، مع التركيز على أهمية التوازن البيئي. اعتمدت الدراسة على تحليل الأبعاد الأخلاقية والروحية التي تعزز التزام المسلم بالحفاظ على الموارد، وأكدت على أن السنة النبوية تقدم نموذجًا متكاملًا للاستدامة البيئية، وأن هذا النموذج يسهم في معالجة التحديات البيئية المعاصرة، مما يعزز فهمًا عميقًا لدور الدين في حماية البيئة.

3. دراسة (2007د. محمد عبد القادر الفقي، الأمانة العامة لندوة الحديث) بعنوان "ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث الشريف حول: القيم الحضارية في السنة النبوية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي 2007"، تهدف الدراسة إلى بيان دور الإسلام في دعم مفاهيم التنمية المستدامة وحماية البيئة، من خلال الأحاديث النبوية التي تحث على الحفاظ على الموارد الطبيعية، وتدعو إلى عمارة الأرض. تناولت الدراسة عدة جوانب؛ منها: حماية البيئة كقيمة حضارية، وضرورة الاعتدال في استهلاك الموارد لمنع التلوث والهدر، إضافة إلى حماية حقوق الأجيال القادمة في هذه الموارد. وتوصلت الدراسة إلى أن السنة النبوية تتضمن إرشادات شاملة حول التوازن البيئي، وترشيد استخدام الموارد، والمحافظة على البيئة، مما يظهر توافقًا بين القيم الإسلامية وأهداف التنمية المستدامة المعاصرة.

خطة البحث:

خطة البحث تتكون من ثلاثة مباحث ويندرج تحت هذه المباحث عدة مطالب وهي كالآتي:

المبحث الأول: تعريف المصطلحات، وأهمية التشجير.

المبحث الثاني: التشجير ودوره في تحقيق الاستدامة، في ضوء السنة النبوية.

المبحث الثالث: الريادة الإماراتية في تعزيز التشجير.

وأخيرًا: الخاتمة وفيها نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول: تعريف المصطلحات، وأهمية التشجير:

المطلب الأول: تعريف التشجير والاستدامة لغة واصطلاحا:

أولاً: تعريف التشجير لغةً واصطلاحًا:

1. **التشجير** لغةً: الشجرة: كل ما كان على ساق من نبات الأرض، والمَشْجَرُ: مَنْبِت الشَجر. والمَشْجَرَة: أَرض تُنبِت الشَّجَرَ الْكَثِيرَ. والمَشْجَر: مَوْضِعُ الأَشجار وأَرض مَشْجَرَة: كَثِيرَةُ الشَّجَرِ.[1]

2. **التشجير اصطلاحًا:** عرف التشجير اصطلاحًا بعدة تعريفات منها:

عرف بأنه "تحويل مباشر بشري المنشأ لأراضٍ غير مزروعة إلى أحراج من خلال الغرس أو زرع البذور، و/ أو هي تعزيز بشري المنشأ لموارد البذور الطبيعية على أرضٍ كانت تحتوي سابقًا على غابات، لكنها تحوّلت إلى استخدامات أخرى".

وعرف بأنه "عملية إنشاء غابة من الأشجار في منطقة غير مُشجَّرة سابقًا؛ لأجل تحقيق نتائج بيئية وتنموية داخل المدن، بَعد اختيار النباتات المناسبة للبيئة المحلية المُستَهدفه". [2]

إذاً فالتشجير هو تغطية مساحات من الأرض بالأشجار، سواء أكانت مشجرة من قبل أم لا.

ثانيا: تعريف الاستدامة لغةً واصطلاحًا:

1. **الاستدامة لغة:** من دام الشيء يدوم ويدام، وأدامه واستدامه: تأنى في، وقيل:

---

1. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المحقق / مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 8 ، 1426ه ، 2005 م ، فصل الشين، (ص 413)، الكفوي، الكليات، المحقق / عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط. ت، (ص 523).

2. الإمارات العربية المتحدة وزارة التغير المناخي والبيئة، موقع حكومي مصطلح إعادة التشجير، https://www.moccae.gov.ae/ar/home.asp ، تاريخ الاطلاع: 3 نوفمبر 2024 م.

طلب دوامه، واستدمت الأمر إذا تأنيت فيه.[1]

فالمعنى اللغوي للاستدامة يفيد استمرارية الشيء ودوامه دون انقطاع.

2. تعريف الاستدامة اصطلاحًا:

- "ويقصد بها القدرة البيئية على المواصلة في العمل بطريقة صحيحة مع محاولة الوصول إلى أقل تدهور في البيئة المحيطة، ومفهوم الاستدامة بهذا النمط يمكن تحقيقه عند التخطيط لعملية التنمية حتى لا يتم الإلحاق بإضرار رأس المال الطبيعي كحد أدنى"[2].

- "حالة من التوازن والمرونة والترابط تتيح للمجتمع البشري تلبية احتياجاته من دون تجاوز قدرة النظم الإيكولوجية الداعمة له على مواصلة تجديد الخدمات اللازمة لتلبية تلك الاحتياجات، ومن دون القيام بأعمال تسهم في الحدّ من التنوعّ البيولوجي".[3]

- "التطور المستمر للموارد والمحافظة عليها لمقابلة الاحتياجات الحالية دون المساس في فرص وحاجات الأجيال القادمة".[4]

من التعريفات السابقة يظهر لنا أن مصطلح الاستدامة يدور حول إيجاد حلول للمحافظة على البقاء المعيشي؛ وذلك من خلال المحافظة على الموارد

---

1. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 3 ، 1414 هـ، (12 / 212 - 213)، مادة (دوم).
2. جامعة كركوك، الاستدامة البيئية، موقع إلكتروني، جميع الحقوق محفوظة لجامعة كركوك، تصميم وإشراف شعبة الموقع الالكتروني 2024م، hhttps://uokirkuk.edu.iq/sustainability، تاريخ الاطلاع: 3 نوفمبر 2024م.
3. منشورات الأمم المتحدة، معجم مصطلحات الإحصاءات البيئية، السلسلة واو، العدد 67 ، 1997 م. ESCWA الأمم المتحدة موقع حكومي ، https://www.unescwa.org/ar ، تاريخ الاطلاع: 3 نوفمبر 2024 م .
4. https://www.moccae.gov.ae/ar/knowledge ، and ، statistics/biodiversity/terminology.aspx
المصطلحات | المعرفة | وزارة التغير المناخي والبيئة، الامارات العربية المتحدة، تاريخ الاطلاع: 11 نوفمبر 2024 م .

والثروات الطبيعية التي من خلال استخدامها واستثمارها بوجه صحيح تشكل السبب الأساسي للمحافظة على العالم.

المطلب الثاني: أهمية غرس الأشجار:

اهتم الإسلام بالزراعة والتشجير اهتمامًا بالغًا لما له من أهمية كبيرة في حياة الإنسان والحيوان والطيور، فضلا عن كونها ركيزة أساسية من ركائز الاقتصاد لأية دولة من الدول، ولذا نالت الزراعة عامة والأشجار خاصة عناية كبيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، فالأشجار تعد جزءًا حيويًا من البيئة، وأساسًا من أسس استدامتها، لما لها من العديد من الفوائد، ومن أهمها:

❖ **تنقية الهواء:** فالأشجار لها دور مهم في تنقية الهواء؛ إذ تَعمل على امتصاص الغبار والأتربة والغازات السامة كثاني أكسيد الكربون، وأول أكسيد النيتروجين، وغيرهما من الغازات الناتجة عن المصانع والسيارات، وهذا بلا شك من شأنه أن يحسن من جودة الهواء ويقلل من تلوثه. لذا عد الله تعالى الأشجار من جميل نعمه على عباده، قال تعالى:﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [يس: 33-34]. ولذا فإن للأشجار دورا كبيرا في تحقيق بيئة صحية متوازنة.

❖ **التخفيف من حرارة الجو:** فالأشجار تُسهم في تبريد الجو فهي تحجب بظلها ضوء الشمس، كما تعمل على تبريده عن طريق عملية التبخر التي تحدث من خلال أوراقها، وقد أشار القرآن إلى أهمية الشجر في توفير الظل، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ [الفرقان: 45] وقال ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النحل: 48].

❖ **الأشجار مصدر للبهجة والجمال:**

تعد الأشجار مصدرًا للحسن والجمال والبهجة في البيئة، وقد أشار القرآن لذلك في أكثر من آية قال تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: 5]، ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ [ق: 7]، ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ [ق: 10]، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: 60]

فالأشجار تعطي البيئة قيمةً جماليةً رائعةً، وتكسو الأرض حسنًا وجمالاً، وتضفي عليها بهجةً وسعادةً، وتبعث في النفوس الفرح والسرور بألوانها وأشكالها، وتعزز الصحة النفسة، وتقلل القلق والتوتر.

ويعد اللون الأخضر في علم النفس من الألوان المهدئة والمريحة للأعصاب، كما يمنح النفس البشرية الهدوء والإحساس بالانتعاش، ويساعد على تخليص الجسم من الطاقة السلبية وآثار التوتر، ويستخدم عادةً في عيادات الطب النفسي لعلاج الحالات المزمنة من الاضطرابات النفسية والاكتئاب .[1]

والعلماء يستخدمون اللون الأخضر لعلاج الأمراض العصبية والاختلالات الروحية، وهو مؤثر لإزالة التعب، وتقليل ضغط الدم .[2]

❖ **الحفاظ على الماء:** تشير المنظمة الزراعية للأمم المتحدة في دراسة لها، إلى أن التربة الصحية لها دور كبير في تخزين المياه وتنقيتها، مما يسهم في مقاومة الجفاف وتقليل مخاطر الفيضانات. كما أن الأشجار والنباتات تعمل على تعزيز قدرة التربة على احتجاز الماء، مما يساعد في تحسين الإنتاج الزراعي وتأمين الموارد المائية، والتربة الغنية بالمواد العضوية تحتفظ بكميات كبيرة من الماء، وذلك يسهم في استدامة الزراعة.[3]

❖ **الفوائد الاقتصادية:** تسهم الأشجار في توفير الموارد الطبيعية لمختلف المخلوقات، وهي تعد موردًا متجددًا، يدعم الاقتصاد ويزيد من فُرص العَمل. وقد أشار القرآن الكريم إلى الأشجار، وبين أنها مصدر غذاء العديد من المخلوقات قال تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: 33-62]

---

1. https://is.gd/6wVIz3
2. https://conference.uis.edu.my/iconsyal/images/eprosiding/3006.pdf
3. ينظر: المنظمة الزراعية للأمم المتحدة، "التربة والمياه"، 2015 م، https://www.fao.org/fileadmin/user_upload/soils/docs/Fact_sheets/print_IYS_Water_ar.pdf/2015 . تاريخ الاطلاع: 13 نوفمبر 2024 م .

❖ المبحث الثاني: التشجير ودوره في تحقيق الاستدامة، في ضوء السنة النبوية:

إذا كانت الاستدامة البيئية تهدف إلى الاستخدام الأمثل للبيئة للحفاظ علها وعلى مواردها للأجيال الحالية والمقبلة، فإن السنة النبوية المشرفة تحتل المكانة الأولى في العناية بالاستدامة بمختلف أنواعها، وسيكشف هذا المبحث عن دور السنة النبوية في العناية بالأشجار والحرص على استدامتها:

المطلب الأول: التحفيز على التشجير:

1. ربط التشجير بالأجر والثواب الأخروي:

لم يقتصر النبي ﷺ على التوجيه والإرشاد نحو الاهتمام بالتشجير فحسب، بل رفع من مكانة التشجير، وجعله أمرًا تعبديًا ينال عليه العبد الأجر والثواب يوم القيامة، فضلًا عن المنافع الدنيوية الأخرى، فقد أخرج الإمام البخاري بسنده عَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"[1]، وفي الحديث فضل الغرس والزرع والحض على عمارة الأرض[2]

وأخرج الإمام مسلم بسنده عن جابر (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ مُبَشِّرٍ الْأَنْصَارِيَّةِ فِي نَخْلٍ لَهَا. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ؟ أَمُسْلِمٌ أَمْ كَافِرٌ؟" فَقَالَتْ: بَلْ مُسْلِمٌ. فَقَالَ: "لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ".[3]

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق / جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، بيروت، ط 1 ، 1422 ه، كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (3 / 103) حديث رقم (2320) واللفظ له. ومسلم في صحيحه، المحقق / محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1374 هـ، 1955 م، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (5 / 28) حديث رقم (1553)
2. المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، ط 3 ، 1404 هـ، 1984 م، (6 / 336).
3. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (3 / 1188) حديث رقم (8 / 1552).

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن خَلَّادِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ زَرَعَ زَرْعًا، فَأَكَلَ مِنْهُ الطَّيْرُ أَوِ الْعَافِيَةُ، كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ".[1]

فهذه الأحاديث ترغب في تعمير الأرض بالأشجار والزروع التي ينتفع بها الإنسان أو الحيوان، وتبين أن ما أكل من الشجر أو الزرع يعد صدقة للإنسان يستحق الإثابة عليها.[2]

وتبين أيضا أن أجر التشجير يستمر ما دامت الأشجار مأكولا منها ولو مات غارسها أو انتقل ملكه إلى غيره.[3]

قال البدر العيني: "فيه حصول الأجر للغارس والزارع وإن لم يقصدا ذلك، حتى لو غرس وباعه أو زرع وباعه كان له بذلك صدقة لتوسعته على الناس في أقواتهم، كما ورد الأجر للجالب".[4]

ثم إن المتأمل في هذه الأحاديث يجد الربط النبوي بين التشجير ومعاني الإسلام السامية، حيث أشار النبي ﷺ إلى أن الانتفاع بالأشجار يعد صدقة جارية يعود نفعها على صاحبها، واستمرار الأجر للغارس منوط ببقاء هذه الأشجار ينتفع بها الإنسان أو الحيوان أو الطير، وهذا بلا شك يُعد من أكبر المحفزات على العناية بالتشجير والاهتمام به، بل والحرص على اختيار الأشجار المعمرة والمستدامة، لضمان استمرار الأجر والثواب طول مدة بقائها، ولا ينحصر الأجر في زراعة الأشجار المثمرة فحسب، بل يحصل بزراعة المثمر وغير المثمر، وذلك لحصول الانتفاع للحيوان، والطير، والدواب، بل لحصول النفع للإنسان من جهة أخرى غير الأكل، فيقاس على الأكل ما ينتفع به من الأشجار والمزروعات من تنزه، وتجميل للبيئة، أو تمتع برؤيتها، واستظلالا بظلها، أو ما تحققه من منافع أخرى كثيرة كتطييب المناخ، وحفظ للتربة، وصد للغبار والأتربة وتنقية للهواء من التلوث، وكذلك ما

---

1. أخرجه أحمد في مسنده، دار الحديث، القاهرة، ط 1 ، 1416 هـ، (27 / 92) حديث رقم (16558)، والحديث حسنه الهيثمي، والمنذري، والألباني . ينظر : الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، (4 / 67) حديث رقم (6265)، والألباني، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1 ، 1421 ه، 2000 م، (2 / 698) حديث رقم (2599) .
2. ينظر: الخولي، الأدب النبوي، دار المعرفة، بيروت، ط 4 ، 1423 هـ، (ص 36) .
3. ينظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، رقمه/ محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، مصر، ط 1 ، 0913 هـ، كتاب الحرث والمزارعة (5 / 3 ،4) .
4. البدر العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي (12 / 155) .

يستفاد منها في أغراض الصناعة كصناعة الورق، والثقاب، وصناعة الأخشاب المختلفة المتعددة الأغراض.[1]

2. الحث على التشجير ولو لم يكن نفعه محققًا لغارسه في الدنيا:

حث النبي ﷺ على التشجير لا لأنه يعود بالفوائد على الغارس فحسب، إنما حث على التشجير ولو لم يكن نفعه محققًا، فقد أخرج الإمام أحمد بسنده عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَفْعَلْ"[2]. والحديث يحث على الغرس وإن ظهرت الأشراط لما يترتب عليه من الأجر والثواب بعد الموت.

قال الصنعاني: "الحاصل أنه مبالغة وحث على غرس الأشجار وحفر الأنهار لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعلوم عند خالقها، فكما غرس غيرك ما شبعت به فاغرس لمن يجيء بعدك".[3]

والحديث فيه الحث على عمارة الأرض وتشجيرها، حتى ولو لم يعد النفع محققًا لصاحبه في الدنيا.

ولا يخفى على أحد أن الحرص على عمارة الأرض وتشجيرها هو دأب العقلاء أصحاب الرؤية الثاقبة، والبصيرة النافذة، والهمة العالية، فقد رُوي أنَّ رجلًا مرَّ بأبي الدَّرداء وهو يَغرِس جَوزةً، فقال: أتَغرس هذه وأنت شيخٌ كبيرٌ، وهي لا تُطعم إلا في كَذا وكذا عاما، فقال: وما عليَّ أنْ يكون لي أجْرُها، ويأْكل منها غيري.[4]

وذكر أبو الوَفاء البَغدادي: "أنه مَرَّ أَنُوشُروان على شيخٍ يغرِس شجَرَ الزَّيتون، فقال: ليس هذا أَوان غَرْسِك الزَّيتونَ، وهو بطِيء الإثْمار، فقال: غَرَسَ مَنْ قَبْلنا فأكلْنا، ونَغْرِسُ

---

1. ينظر: التميمي، عبد الغني أحمد جبر، فضل الزراعة والعمل في الأرض د . ط. ت ، (ص 24).
2. أخرجه أحمد في مسنده (20 / 296) حديث رقم (12981)، البزار، كشف الأستار عن زوائد البزار، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة 1، د. ت، (2 / 81) حديث رقم (1251). قال الهيثمي: رواه البزار، ورجاله أثبات ثقات. ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (4 / 63).
3. الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغي ، مكتبة دار السلام، الرياض، ط، 1432 ه، 2011 م، (4 / 241).
4. البغوي، شرح السنة، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط 2 ، 1403 ه، (6 / 151).

ليأكلَ مَن بعدَنا".[1]

وهكذا يتضح لنا من خلال ما سبق أهمية المسؤولية الفردية في العناية بالتشجير سعيًا لعمارة البيئة وتحقيق استدامتها.

3. رصد المكافآت التحفيزية على عمارة الأرض وتشجيرها:

إن عمارة الأرض وإصلاحها هي المهمة الكبرى التي أوكلها الله تعالى إلى الإنسان قال تعالى:﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[هود: 61] والمعنى: "أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه من بناء مساكن وحفر أنهار وغرس أشجار وغير ذلك، فالسين للطلب، وإلى هذا ذهب الكيا، واستدل بالآية على أن عمارة الأرض واجبة"[2]. ولما كان ذلك كذلك، حث النبي ﷺ على العناية بالأرض وزراعتها وتشجيرها، فاستخدم لذلك أسلوبًا تحفيزيًا فريدًا، إذ أعلن ﷺ عن تمليك الأرض لمن يتمكن من عمارتها. ففي الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ بِها) قَالَ عُرْوَةُ: قَضَى بِهِ عُمَرُ (رضي الله عنه) فِي خِلَافَتِهِ[3].

وعند الترمذي بسنده عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ.[4]

وعمارة الأرض لفظ عام يدخل فيه كل من يمكن أن يسهم في إحياء الأرض وعمارتها، والتي منها زراعتها وتشجيرها، قال الحافظ ابن حجر: "وإحياء الموات أن يعمد الشخص لأرض فيحييها بالسقي، أو الزرع، أو الغرس، أو البناء".[5]

---

1. القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة 1 ، 1416هـ، (4 / 171) .
2. الألوسي، روح المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 1415 ه، 1994 م، (6 / 286).
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحرث والمزارعة، باب من أحيا أرضا مواتا (3 / 106) حديث رقم (٢٣٣٥).
4. أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الأحكام عن رسول الله ﷺ ، باب ما ذكر في إحياء الأرض الموات (3 / 55) حديث رقم (1379)، وقال الترمذي: "حسن صحيح "، والحديث معلقًا عند البخاري (3 / 106) .
5. ابن حجر، فتح البار ي(5 / 18).

واستخدامه ﷺ لهذا الأسلوب التحفيزي يجسد لنا حرصه ﷺ على عمارة الأرض بالزراعة والتشجير وغيرها، وفيه تقدير للجهود المبذولة في هذا الشأن.

4. الحث على المشاركة الجماعية في غرس:

مما لا شك فيه أن الإسلام حث على التعاون والإسهام في الأعمال الجماعية في شتى المجالات؛ إذ العمل الجماعي والتعاون من أبرز القيم التي حث عليها الإسلام وأمر بها، وهي جوهر أساسي لعمارة الكون، وقد ورد العديد من النصوص التي تحث على التعاون منها: قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: 2]، وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة للعمل الجماعي والمشاركة الفعالة في تعمير الكون، فلم يكتف ﷺ بالتوجيهات والإرشادات القولية، بل عزز ذلك بمشاركته أصحابه في هذا العمل.

فقد أخرج الإمام أحمد بسنده عن بُرَيْدَةَ يَقُولُ: جَاءَ سَلْمَانُ (رضي الله عنه) إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا رُطَبٌ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا هَذَا يَا سَلْمَانُ؟ قَالَ: صَدَقَةٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ، قَالَ: ارْفَعْهَا؛ فَإِنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ فَرَفَعَهَا، وَجَاءَهُ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهِ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا سَلْمَانُ؟ قَالَ: صَدَقَةٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ، قَالَ: ارْفَعْهَا ؛ فَإِنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ . فَرَفَعَهَا . فَجَاءَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَحْمِلُهُ فَقَالَ: مَا هَذَا يَا سَلْمَانُ؟ فَقَالَ: هَدِيَّةٌ لَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: ابْسُطُوا، فَنَظَرَ إِلَى الْخَاتَمِ الَّذِي عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَآمَنَ بِهِ، وَكَانَ لِلْيَهُودِ، فَاشْتَرَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا وَكَذَا دِرْهَمًا، وَعَلَى أَنْ يَغْرِسَ نَخْلًا، فَيَعْمَلَ سَلْمَانُ فِيهَا حَتَّى يُطْعِمَ. قَالَ: فَغَرَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّخْلَ إِلَّا نَخْلَةً وَاحِدَةً غَرَسَهَا عُمَرُ، فَحَمَلَتِ النَّخْلُ مِنْ عَامِهَا، وَلَمْ تَحْمِلِ النَّخْلَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالَ عُمَرُ: أَنَا غَرَسْتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَنَزَعَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ غَرَسَهَا، فَحَمَلَتْ مِنْ عَامِهَا[1].

يتجلى لنا من هذا الحديث بعض الإشارات النبوية المهمة في تحقيق الاستدامة التي منها:

1. أن تعمير البيئة وتشجيرها من أجلِّ الأعمال التي تحتاج إلى تضافر الجهود

---

1. أخرجه أحمد في مسنده (38 / 102) حديث رقم (22997)، والبزار، كشف الأستار عن زوائد البزار (3 / 268 - 269) حديث رقم (2726)، قال الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (9 / 3): "رواه أحمد، والبزار، ورجاله رجال الصحيح".

والتعاون من الجميع للإسهام في تحسين البيئة.

2. أن مشاركة النبي ﷺ في غرس النخيل رسالة تربوية تعزز أهمية المشاركة من الجميع في الأعمال المستدامة، وخاصة القادة.

3. أن حرص النبي ﷺ على المشاركة في تحقيق الاستدامة، يعزز من الشعور بالمسؤولية تجاه الأعمال المستدامة.

4. أن المشاركة المباشرة من القائد في الأعمال المستدامة لها تأثير قوي في النفوس يفوق تأثير التوجيهات والإرشادات القولية.

وقد سلك أصحاب النبي ﷺ منهجه في عمارة الأرض وتشجيرها، فتشاركوا وتآزروا في ذلك، فعن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: سمعت عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول لأبي: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غدا فقال له عمر: أعزم عليك لتغرسنها، فلقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي[1].

المطلب الثاني: الحرص على اختيار زراعة الأشجار المعمرة:

اهتم النبي ﷺ بالأشجار المعمرة المستدامة التي تعود بالنفع على الأجيال الحالية والأجيال المقبلة، وشجع على زراعتها والعناية بها، ومن هذه الأشجار:

أولًا: أشجار النخيل:

تُعد أشجار النخيل من أقدم الأشجار التي عرفتها البشرية، ولها مكانة خاصة عند العديد من الشعوب، وذلك لما تتمتع به من التكيف في مختلف البيئات، والتحمل لحرارة الشمس ولفحتها، فضلا عن تحملها لقلة المياه وملوحتها، إضافة إلى ما تحتويه من الفوائد الجمة التي تعود بالنفع على الفرد والمجتمع، ولأجل هذه الأهمية ظفرت بعناية كبيرة في السنة النبوية، ومن ذلك:

أ- أشجار النخيل تشبه المؤمن:

فقد أخرج الإمام مسلم بسنده عَنِ ابْن عُمَرَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

1. جلال الدين السيوطي، الجامع الكبي، الأزهر الشريف، القاهرة، ط 2 ، 1426 هـ، (16 / 530).

ﷺ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: أَخْبِرُونِي عَنْ شَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَذْكُرُونَ شَجَرًا مِنْ شَجَرِ الْبَوَادِي. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَأُلْقِيَ فِي نَفْسِي أَوْ رَوْعِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَجَعَلْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهَا، فَإِذَا أَسْنَانُ الْقَوْمِ، فَأَهَابُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا سَكَتُوا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هِيَ النَّخْلَةُ[1].

والعلة في اختياره ﷺ للنخلة لتشبيهها بالمسلم؛ يكمن في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لايزال يؤكل منه حتى ييبس وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة، ومن خشبها وورقها وأغصانها فيستعمل جذوعًا وحطبًا وعصيًا ومخاصر وحصرًا وحبالاً وأواني وغير ذلك، ثم آخر شيء منها نواها وينتفع به علفًا للإبل، ثم جمال نباتها وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع كلها وخير وجمال، كما أن المؤمن خير كله من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه ويواظب على صلاته وصيامه وقراءته وذكره والصدقة والصلة وسائر الطاعات، وغير ذلك[2].

والحديث النبوي الشريف، يلفت الأنظار إلى العناية بأشجار النخيل والاهتمام بها، لما لها من فوائد جمة، ومنافع قيمة، فضلًا عن كونها مظهرًا وعنوانًا للاستدامة.

ب- أشجار النخيل علامة للنبي ﷺ على دار هجرته ﷺ:

فقد أخرج الإمام البخاري بسنده عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرٌ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَثَوَابِ الصِّدْقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بِهِ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ"[3].

فاختيار الله تعالى لنبيه ﷺ المدينة دارا لهجرته، ووصفها بأنها أرض بها نخل فيه دلائل عدة منها:

1. التوجيه والإرشاد إلى العناية بأشجار النخل لأهميتها.

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه (1 / 22) حديث رقم (62)، ومسلم في صحيحه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة (4 / 2165) حديث رقم (2811) واللفظ له.
2. ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ط 2 ، 1392 هـ، (17 / 153-156) .
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، بابا إذا رأى بقرًا تنحر (9 / 119) حديث رقم 7035 .

2. الاهتمام بالأشجار المعمرة التي تقدم الفائدة للمجتمع الحاضر والأجيال المقبلة، وتمثل جانبًا أصيلًا في الاستدامة.

3. لفت الأنظار إلى أن إقامة المجتمعات وبنائها يتوقف على التخطيط الدقيق لاختيار البيئة الملائمة التي يتوافر فيها العناصر المستدامة.

ثانيًا: أشجار الزيتون:

ترتبط أشجار الزيتون بالاستدامة ارتباطًا وثيقًا، ولم لا وهي شجرة معمرة، قليلة التعاهد، دائمة الخضرة، لا يسقط ورقها، تعيش إلى أكثر من ألف سنة، وقد باركها الله تعالى في قرآنه فقال: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ [النور: من الآية 35]، وأقسم بها فقال ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١﴾ [التين: 1]، وقال في شأنها ﴿وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ۝٢٠﴾ [المؤمنون: 20].

وقد حظيت أشجار الزيتون باهتمام كبير وعناية فائقة من النبي ﷺ فقد أخرج ابن ماجه بسنده عن عُمَرَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: "ائْتَدِمُوا بالزَّيْتِ، وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَة مُبَارَكَة"[1] "الإدام الذي يكون مع الخبز ويصبغ به، جعل الله في هذه الشجرة المباركة إداما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت".[2]

قوله: "(ائتدموا) أمر للندب والإباحة والإرشاد (بالزيت) هو دهن الزيتون ذكره الله في القرآن، وهو حار رطب يسخن باعتدال وينفع من السموم، ويطلق البطن ويخرج الدود، وفوائده كثيرة (وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة) فتبركوا به أكلا ودهنًا للبدن والشعر، وذلك لأن الله وصفها بالبركة"[3]

---

1. أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، كتاب الأطعمة، باب الزيت (2 / 1103) حديث رقم (3319)، والحاكم في المستدرك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 ، 1411 هـ، وقال صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي (4 / 135) حديث رقم (7142).
2. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية ، 1415 م، (3 / 270) .
3. الصنعاني ، التنوير شرح الجامع الصغير، المحقق/ محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط 1 ، 1432 ه، 2011 م، (1 / 227)

وأخرج الترمذي بسنده عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "كُلُوا الزَّيْتَ وادَّهِنُوا بِهِ فَإنّهُ مِنْ شَجَرةٍ مُبارَكةٍ"[1]

ووجه الاستدلال بهذا الحديث على الترغيب في التشجير، يكمن في الآتي:

1. وصف النبي ﷺ لشجرة الزيتون بأنها مباركة، فيه حث على زراعتها والاعتناء بها.
2. ما تشتمل عليه أشجار الزيتون من المنافع الجمة التي منها الطعام والدهن، وهذا فيه ما فيه من الترغيب على زراعة الأشجار التي تحمل العديد من الفوائد.

والحديث فيه حث على اتخاذ الزيت إدامًا، والإدهان به؛ لكونه من شجرة مباركة، ويكمن وراء العناية النبوية بأشجار الزيتون حكم كثيرة كشف العلم الحديث عن العديد منها، ومن أهمها:

1. أنه مهم لصحة الإنسان لاحتوائه على الدهون الأساسية التي يحتاجها الجسم.
2. يستعمل في علاج أمراض شرايين القلب بخلاف الدهون الحيوانية.
3. يعالج الأمراض الجلدية ويقي الجلد من التأثيرات الضارة الناتجة عن الأشعة فوق البنفسجية.
4. يساعد على إبطاء سرطان الجلد، ويقلل من تساقط الشعر، ومن ظهور الشيب المبكر للشعر.
5. يستخدم في علاج أمراض الكبد، وعسر الهضم والإمساك وفقر الدم.
6. يقلل من نسبة سرطان الثدي، ويعالج سرطان الأمعاء، ويمنع الإصابة بسرطان القولون والمستقيم.
7. ولا تقتصر الفائدة على الزيت فحسب، بل كل ما في أشجار الزيتون يعد مباركًا، فقد ثبت أن أوراق الزيتون تحتوي على مركبات كيماوية كابحة للجراثيم

---

1. أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل الزيت (4 / 285) حديث رقم (1851) وقال : "هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق عن معمر، وكان عبد الرزاق يضطرب في رواية هذا الحديث"، وأخرجه الحاكم من رواية أبي أسيد وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وله شاهد آخر بإسناد صحيح، وأقره الذهبي. ينظر الحاكم، المستدرك على الصحيحين (2 / 432) حديث رقم (3504)، قال الجزري: "إسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح"، المباركفوري، تحفة الأحوذي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (10 / 66) .

والبكتيريا والفيروسات والفطريات والطفليات[1].

المطلب الثالث: حماية الأشجار ومنع التعدي عليها:

أولا: إنشاء المحميات الطبيعية:

يعد نظام المحميات الطبيعية لونًا من ألوان الحفاظ على البيئة والعناية بها واستغلالها الاستغلال الأمثل، ويقصد بالحمى: "ما يحمى الإمام من الموات لمواشي بعينها ويمنع سائر الناس من الرعي فيها"[2]، وقيل: هي "المكان الذي يمنع رعيه ليتوفر فيه الكلأ فترعاه مواش مخصوصة ويمنع غيرها من رعيه"[3].

أهدافه المحميات: للمحميات أهداف عدة منها:

1. حماية البيئة وحفظ توازنها.
2. الإسهام في تحقيق التنمية المستدامة.
3. تنظم الاستعمال الأمثل للبيئة ومنع استنزافها لضمان استدامتها للأجيال المقبلة.
4. حفظ التنوع البيولوجي اللازم لاستمرار الحياة.
5. منع النشاط الإنساني الذي يؤدي إلى استنزاف البيئة أو تدميرها أو العبث بها.[4]

ويعد الإسلام هو أول من وضع نظام المحميات وحددها ووضع الضوابط المناسبة لها، وبهذا يكون قد حاز قصب السبق في هذا الشأن، إذ قد أعلن النبي ﷺ أن مكة والمدينة محميتان، أمّا ما جاء في شأن مكة فقد أخرج الإمام البخاري بسنده عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ: أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ، وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ:

---

1. ينظر: أبو شخيدم، الإعجاز العلمي في عالم النبات، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الخليل، 2016 م، (ص 91 - 93) .
2. الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط 1 ، 1356 ه، (10 / 182) .
3. الشنقيطي، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، إدارة إحياء التراث الإسلامي، ط 1 ، 1403 ه، (6 / 4).
4. ينظر: سحر إسماعيل محمد عبد الهادي، هيكل وقائي مقترح لتحديد وتصنيف المحميات الطبيعية في مصر، كلية التخطيط العمراني، جامعة القاهرة 2018 م، (ص 47) .

ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْغَدِ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ، فسَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَأَبْصَرَتْهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ، إِنَّهُ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ مَكَةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِها دَمًا، وَلَا يَعْضدَ بِهَا شَجَرَةً"[1].

قال ابن بطال: "قال الطبري: معنى قوله عليه السلام: (لا يعضد بها شجرة) يعنى: لا يفسد ولا يقطع، وأصله من عضد الرجل الرجل، إذا أصاب عضده ذلك، عضد فلان فلانا يعضد عضدا، والعضد من السيوف: الممتهن في قطع الشجر. قال الطبري: لا يجوز قطع أغصان شجر مكة التي أنشأها الله فيها مما لا صنع فيه لبنى آدم، إذا لم يجز قطع أغصانها فقطع شجرها بالنهى عن ذلك أولى. وقال ابن المنذر: أجمع العلماء على تحريم قطع شجر الحرم"[2].

أمّا ما جاء في شأن المدينة، فقد أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي سعيد (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: "اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَمًا، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا أَنْ لَا يُهَرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلَفٍ"[3].

وأخرج مسلم أيضًا بسنده عن جابر (رضي الله عنه) قال: قال النبي ﷺ: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ، مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا لَا يُقْطَعُ عِضَاهُهَا، وَلَا يُصَادُ صَيْدُهَا"[4].

وأخرج مسلم بسنده عن عَامِر بْن سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ. أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا. أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا"[5].

ففي هذه الأحاديث بيان لأولى المحميات الطبيعية التي نشأت في الإسلام، وهي

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب (2 / 651) حديث رقم (1735) .
2. ابن بطال، شرح صحيح البخار ي، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط 2 ، 1423 هـ، (4 / 497).
3. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها (4 / 117) حديث رقم (475 / 1374) .
4. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة (4 / 113) حديث رقم (458 / 1362).
5. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل المدينة (2 / 992) حديث رقم (459 / 1363).

مكة والمدينة، وفيها بيان لعنايته ﷺ بالمحميات الطبيعية، إذ يعد النبي ﷺ هو أول من أمر بممارسة المحميات على وجهها الصحيح، وجعل الوازع الديني الكامن داخل كل فرد، هو الرادع من الإخلال بمقتضيات هذه المحميات، ويعد الوازع الديني من أقوى الروادع التي تكبح جماح النفس عن الخروج عن الحدود المطلوبة.

ثانيًا: النهي عن قطع الأشجار إلا لضرورة:

يرتبط حسن البيئة وجمالها وجودتها بما تحويه من ألوان الأشجار المختلفة؛ إذ لا يمكن تصور وجود بيئة صحية صالحة للحياة دون أن تحتوي على ألون الأشجار المختلفة، إذ إن خلو البيئة من الأشجار ينعكس سلبًا عليها وعلى من فيها، ومن أهم هذه الأثار: زيادة التلوث في الهواء، وتفاقم الاحتباس الحراري، وزيادة التصحر، واختفاء الجمال والنضارة في البيئة، ولا نكون مبالغين إن قلنا: بيئة لا أشجار فيها بيئة لا حياة فيها؛ لذا بات الحفاظ على الأشجار أمرًا ضروريًا لضمان بيئة صحية مستدامة، ولأجل هذا منع الشرع الشريف قطع الأشجار أو العبث بها دون مبرر، سواء أكانت الأشجار مثمرة أم غير مثمرة، بل وجَرَّم هذه الفعلة الشنيعة، وعدها لونًا من ألوان الفساد التي جاء النهي عنها في العديد من النصوص:

أمّا من القرآن الكريم: فقوله تعالى ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠﴾ [البقرة: 60]، وقوله ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ﴾ [البقرة: 205] وقوله تعالى ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: 56].

فهذه الآيات عامة تتضمن كل فساد قلّ أو كثر، فيدخل فيها كل فساد يلحق الأشجار وغيرها.

وأمّا النهي عن قطع الأشجار دون مبرر أو العبث بها من السنة النبوية المشرفة، فقد أخرج الإمام ابن ماجه بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ"[1].

وقطع الأشجار دون داعٍ أو العبث بها يؤدي إلى أضرار فادحة بالبيئة والمجتمع،

---

1. أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره (2 / 784) حديث رقم (2341)، وأحمد في المسند (3 / 267) حديث رقم (2867). إسناده فيه جابر وقد اتهم، لكنه توبع تابعه داود بن الحصي. ينظر: ابن حجر، التلخيص الحبي، دار الكتب العلمية ، ط 1 ،1419 هـ، 1989 م، (4 / 476).

بل وبالأجيال المقبلة، وهذا يتنافى مع مقاصد الشريعة في الحفاظ على البيئة والعناية بها والحث على استدامتها.

وأخرج أبو داود بسنده عن عَبْدِ اللهِ بْنِ حُبْشِيٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ".[1]

وأخرج الطبراني، بسنده عَائِشَة (رضي الله عنها) ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ السِّدْرَ يُصَبُّونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ صَبًّا"[2].

والأحاديث فيه النهي عن قطع السدر لما له من فوائد تعود على المجتمع، ويقاس على السدر جميع الأشجار التي يستفيد منها المجتمع، فلا يحل لأحد أن يعتدي على أي نوع من أنواع الشجر دون حاجة إلى ذلك.

قال أبو داود: "يَعْنِي مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلَاةٍ، يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ، عَبَثًا وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ"[3]، فقد بين أبو داود أن الوعيد محمول على من قطع شجر السدر عبثًا وظلمًا، وهو عام في قطع جميع الأشجار.

قال الألوسي: "وفي معناهما عدة أخبار لها عدة طرق، والكل فيما أرى محمول على ما إذا كان القطع عبثا ولو كان السدر في ملكه".[4].

قال الكرماني: "نهى عن قطعه لئلا توحش وليبقى شجرها، فيستأنس بذلك مَنْ

---

1. أخرجه أبو داود في سننه، دار الرسالة العالمية، ط 1 ، 1430 هـ، كتاب الأدب، باب في قطع السدر (4 / 530) حديث رقم (5239)، والنسائي في السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3 ، 1424هـ كتاب السير، قطع السدر (8 / 21) حديث رقم (8576)، وقا ل الهيثمي في مجمع الزوائد (4 / 69): "رجاله ثقات".
2. أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة ، 1415 هـ، (5 / 379) حديث رقم (5615)، والبيهقي في السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3 ، 1424 هـ، كتاب المزارعة، باب ما جاء في قطع السدرة (6 / 231) حديث رقم (11763) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (8 / 115): "رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله كلهم ثقات "، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، (2 / 174): "وإسناده صحيح رجاله ثقات" .
3. أخرجه أبو داود، في سننه، كتاب الأدب ، باب في قطع السدر (4 / 530) حديث رقم (5239) ، (8576)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (4 / 69): "رجاله ثقات".
4. الألوسي، روح المعاني (11 / 302) .

هاجر إليها، ويستظل بها، وهذا غير مختص بالسِّدر، بل عامٌّ في شجر يستظل الناس والبهائم بالجلوس تحته"[1].

ثالثًا- النهي عن قطع الأشجار في الحروب:

وقد بلغت عناية النبي ﷺ بالأشجار أن وضع قواعد وتشريعات للحرب لم تعرفها القوانين الدولية، جاء في هذه القواعد الحفاظ على الأشجار وعدم المساس بها، فقد أخرج عبد الرزاق عن ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي حَبِيبٌ الْوَلِيدُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا بَعَثَ جَيْشًا قَالَ: "انْطَلِقُوا بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُقَاتِلُونَ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، أَبْعَثُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تَغُلُّوا، وَلَا تَجْبُنُوا، وَلَا تُمَثِّلوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَلَا تَحْرِقُوا كَنِيسَةً، وَلَا تَعْقِرُوا نَخْلًا، وَبَعَثَ إِنْسَانًا إِلَى إِنْسَانٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيْهِ بِالْيَمَنِ فَقَالَ: "حَرِّقُوهُ" ثُمَّ قَالَ: لَا تُعَذِّبْ بِعَذابِ اللَّهِ"[2].

وعند البيهقي عن خالد بن زيد (رضي الله عنه)، قَالَ: خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُشَيِّعًا لِأَهْلِ مُؤْتَةَ حَتَّى بَلَغَ ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ، فَوَقَفَ وَوَقَفُوا حَوْلَهُ، فَقَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فَقَاتِلُوا عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ بِالشَّامِ، وَسَتَجِدُونَ فِيهِمْ رِجَالًا فِي الصَّوَامِعِ مُعْتَزِلِينَ مِنَ النَّاسِ فَلَا تَعَرَّضُوا لَهُمْ، وَسَتَجِدُونَ آخَرِينَ لِلشَّيْطَانِ فِي رُءُوسِهِمْ مَفَاحِصُ فَافْلِقُوهَا بِالسُّيُوفِ، وَلَا تَقْتُلُوا امْرَأَةً، وَلَا صَغِيرًا ضَرَعًا، وَلَا كَبِيرًا فَانِيًا، وَلَا تَقْطَعُنَّ شَجَرَةً، وَلَا تَعْقِرُنَّ نَخْلًا، وَلَا تَهْدِمُوا بَيْتًا"[3].

ففي الوقت الذي يحرص الأعداء على إبادة المسلمين وتخريب العمران والقضاء على جميع مظاهر الحياة، تأتي التشريعات الإسلامية بالنهي عن الفساد في الأرض وإلحاق الضرر بها، وقد امتثل الصحب الكرام (رضوان الله عليهم) هذا المنهج النبوي السديد في العناية بالبيئة والحفاظ عليها ليس في وقت السلم فحسب، بل حتى في وقت الحرب، وليس الحفاظ على أشجار المسلمين فحسب، بل والحفاظ على أشجار الأعداء إلا في حالة تستدعي غير ذلك.

فقد أخرج الإمام مالك عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بَعَثَ جُيُوشاً إِلَى الشَّأَمِ ... وفيه قال الصديق (رضي الله عنه) لقائد الجيش: "وَإِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ: لَا تَقْتُلَنَّ

1. الكرماني، شرح المصابيح، إدارة الثقافة الإسلامية، ط 1 ، 1433 ه، 2012 م، (3 / 478).
2. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 2 ، 1403 هـ، (5 / 220). والحديث ضعيف.
3. أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما (9 / 154) حديث رقم (18156)، وقال "وهذا أيضًا منقطع وضعيف" .

امْرَأَةً، وَلَا صَبِيّاً، وَلَا كَبِيراً هَرِماً. وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَراً مُثْمِراً. وَلَا تُخَرِّبَنَ عَامِراً، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً، وَلَا بَعِيراً، إِلَّا لِمَأْكُلَةٍ. وَلَا تَحْرِقَنَّ نَخْلاً، وَلَا تُغَرِّقَنَّهُ. وَلَا تَغْلُلْ. وَلَا تَجْبُنْ"[1].

ولا يظنن أحد أن هذا يتعارض مع ما روي عن ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ، وَهِيَ: الْبُوَيْرَةُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝﴾[الحشر: 5][2].

لأن قطع أشجار الأعداء، أو تحريقها، أو تغريقها، أو تهديم ديارهم ،أو تحريقها لا يصار إليه إلا إذا تعين وسيلة لهزيمتهم والغلبة عليهم[3].

يقول ابن الهمام: "لأن المقصود كبت أعداء الله وكسر شوكتهم، وبذلك يحصل ذلك، فيفعلون ما يمكنهم من التحريق وقطع الأشجار، وإفساد الزرع، لكن هذا إذا لم يغلب على الظن أنهم مأخوذون بغير ذلك، فإن كان الظاهر أنهم مغلوبون وأن الفتح باد كره ذلك؛ لأنه إفساد في غير محل الحاجة وما أبيح إلا لها"[4].

المبحث الثالث: الحاجة إلى التشجير والريادة الإماراتية في العناية بالمساحة الخضراء:

المطلب الأول: الحاجة التشجير في العصر الحديث:

تعد الأشجار عنصرًا مهمًا من عناصر البيئة الطبيعية، فهي تمثل أحد عناصر الطبيعة المتجددة، التي تقوم بحفظ التوازن البيئي، ومعالجة مستويات التلوث، والتلطيف من آثار تغير المناخ؛ إذ شجرة متوسطة تمتلك قدرة على امتصاص 107 كجم يوميًا من ثاني أكسيد الكربون، وإنتاج 120 لتر أكسجين. ولإزالة التأثيرات الملوثة الناتجة عن سيارة واحدة، يلزم زراعة 7 شجرات. وفدان من الأشجار يزيل 206 أطنان ثاني اكسيد الكربون

1. أخرجه مالك في الموطأ، المحقق/ محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، ط 1 ، (1425 هـ، 2004 م)، (3 / 635) حديث رقم (1627) .
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الحشر (6 / 421) حديث رقم (4868) .
3. الدكتور / موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، ط 1 ، 1423 هـ، 2002 م، (7 / 110).
4. ابن الهمام، فتح القدير، شركة مكتبة ومطبعة مصفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 1 ، 1389 هـ، 1970 م، (5 / 447).

من الجو سنويا[1].

ولما بات الضرر الناجم عن الإساءة إلى البيئة فادحًا صارت الحاجة ملحة إلى تضافر الجهود وتعاون الجميع للعناية بالبيئة والحفاظ عليها، وإزاء هذه التحديات التي تواجه البيئية قامت المؤتمرات، وعقدت الاتفاقيات، وأطلقت العديد من المبادرات التي تهدف إلى مواجهة التحديات البيئية، للتقليل من الآثار السلبية التي تعاني منها البشرية، ومن هذه المبادرات:

الامارات خضراء: رسم توضيحي 1

مبادرات التشجير:

- ❖ مبادرة الشرق الأوسط الأخضر، وهدفها زراعة 50 مليار شجرة في جميع أنحاء الشرق الأوسط؛ أي ما يعادل 5 بالمئة من التشجير العالمي، المملكة العربية السعودية.
- ❖ مبادرة غرس الإمارات. الإمارات العربية المتحدة.
- ❖ زراعة 10 مليون شجرة وشجيرة. المملكة الأردنية الهاشمية.
- ❖ الإستراتيجية الوطنية لتغيير المناخ 2050. جمهورية مصر العربية.
- ❖ مبادرة الميثاق الثلاثي لغابات المحيط الأطلسي. البرازيل وباراغواي والأرجنتين.

1. ينظر: جمهورية مصر العربية، وزارة البيئة، حقوق النشر 2024 م وزارة البيئة، موقع حكومي أهمية وأثر التشجير .https://www.eeaa.gov.eg/Topics/87/180/index ، تاريخ الاطلاع: 8 نوفمبر 2024 م .

❖ مبادرة السور الأخضر العظيم للإصلاح والسلام. الاتحاد الإفريقي.

المطلب الثاني- الريادة الإماراتية في العناية بالمساحة الخضراء:

لقد اعتنت القيادة الرشيدة منذ التأسيس وحتى يومنا هذا بتعزيز ثقافة التشجير، وإبراز أهميته في حياة الفرد والمجتمع ومن المقولات الواردة عن القيادة التي تظهر ذلك الاهتمام:

قول المغفور له- بإذن الله- الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان:

"نحن نؤمن أن الزراعة هي الأساس الذي يبني الأمم، وعلينا أن نحمي البيئة من أجل الأجيال القادمة"

وقول المغفور له- بإذن الله- الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم:

"البيئة هي أحد مقومات التنمية المستدامة، وعلينا أن نكون حماة لها"

وقول المغفور له- بإذن الله- الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان:

"نحن نعمل بجد لضمان مستقبل أخضر، لأن البيئة السليمة هي أساس حياة كريمة"

فهذه الرسائل توضح بوجه جَليّ مدى الوعي منذ اللحظة الأولى بأهمية البيئة، والحاجة الملحة للحفاظ عليها، والسعي بكل السبل لاستدامتها، ولم يكتف هؤلاء القادة بهذه الرسائل الهادفة، بل أطلقوا العديد من المبادرات التي تعنى بالبيئة والمحافظة عليها، ومعالجة الآثار السلبية التي تواجهها البيئة.

الشيخ زايد والبيئة: رسم توضيحي 2

1. مبادرات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (رحمه الله):

أ. أطلق الشيخ زايد الكثير من الحملات لزراعة الأشجار في الإمارات، حيث كان يعتقد أن الشجرة تمثل الحياة، وقد أسس مؤسسة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية التي دعمت مشاريع

التشجير[1].

ب. اليوم الوطني للبيئة: في عام 1998، أطلق الشيخ زايد "اليوم الوطني للبيئة" في 4 فبراير، والذي يهدف إلى زيادة الوعي البيئي وتعزيز جهود الحفاظ على البيئة[2].

وكان للشيخ زايد رؤية في زراعة ملايين الأشجار، وكان له دور كبير في إعادة تشجير الصحراء وزيادة المساحات الخضراء[3].

2. مبادرات الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم (رحمه الله):

أ. مبادرات تشجير الطرق: قام بإطلاق العديد من المبادرات لتشجير الطرق العامة والحدائق في دبي، مما أسهم في تعزيز البيئة الخضراء في الإمارة.

ب. تأسيس بلدية دبي: قام بتأسيس بلدية دبي التي اهتمت بالتخطيط الحضري وتحسين المساحات الخضراء، ورفع مستوى الوعي البيئي بين السكان[4].

وقد كان للشيخين الجليلين الشيخ راشد، والشيخ زايد دور كبير في تعزيز الوعي البيئي، وزيادة المساحات الخضراء، مما أسهم في تحسين جودة الحياة وحماية البيئة.

مبادرات المغفور له- بإذن الله- الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان- طيب الله ثراه-:

لقد عمل على مبادرات عدة، ومنها:

---

1. ينظر: الإمارات اليوم، جميع الحقوق محفوظة © 2024م مؤسسة دبي، آخر تحديث للصفحة تم بتاريخ: 3 ديسمبر 2023م /17:57، موقع، https://www.emarata- lyoum.com/local، section/other/2023، 12، 03، 1.1805639، تاريخ الاطلاع: 8 نوفمبر 2024م.

2. ينظر: البيان، دبي الإعلام، جميع الحقوق محفوظة © 2024م دبي للإعلام ص.ب 2710، طريق الشيخ زايد، دبي، الإمارات العربية المتحدة، موقع، https://www.albayan.ae/across، the، uae/2000، 02، 1.1195566، 04، تاريخ الاطلاع: 8 نوفمبر 2024م.

3. ينظر: المرجع السابق، https://www.albayan.ae/supplements/ramadan/creations/2018، 1.3271425، 22، 05، تاريخ الاطلاع: 4 نوفمبر 2024م.

4. ينظر: بلدية دبي حكومة دبي، موقع حكومي، جميع الحقوق محفوظة لبلدية دبي © 2024م، آخر تحديث للصفحة تم بتاريخ: 8 نوفمبر 2024م، https://www.dm.gov.ae/%D8%B9%D9%86،%D8%A %D8%AF%D8%A8%D9%8A/?lang=ar، 8%D9%84%D8%AF%D9%8A%D8%A9، تاريخ الاطلاع: 8 نوفمبر 2024م.

أ. إستراتيجية الإمارات للتنمية الخضراء: أطلق الشيخ خليفة هذه الإستراتيجية في عام 2012، التي تهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة من خلال تعزيز استخدام الطاقة المتجددة وتطوير التكنولوجيا البيئية[1].

ب. مشروع "الحديقة العامة" في أبوظبي: قام بتطوير العديد من الحدائق العامة في أبوظبي، مما يعكس التزامه بتعزيز المساحات الخضراء وتوفير بيئة صحية للمجتمع[2].

إذا كان هذا هو منهج الآباء في العناية بالبيئة والحفاظ عليها، والحرص على توجيه مجتمعاتهم إلى أهمية البيئة والحرص على استدامتها، فكيف سيكون الحال مع الأبناء؟! لقد بذل الأبناء جهودًا مباركة في الحفاظ على البيئة والعناية بها، ولقد سطر الأبناء على جبين التاريخ رسائل من ذهب تعنى بالبيئة، ومن هذه الرسائل:

- يقول صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة - حفظه الله-:

"إن حماية البيئة والحفاظ عليها هو واجب إنساني وأخلاقي، فالأرض هي وطننا جميعاً."

- ويقول الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم إمارة دبي- رعاه الله-:

"التحدي الأكبر في القرن الواحد والعشرين هو تحدي الحفاظ على البيئة، وهذا يتطلب جهوداً جماعية."

ولم يكتف القادة الأبناء بإرسال الرسائل -التي تعنى بالبيئة- لأفراد المجتمع، وإنما قاموا بالعديد من المبادرات التي تهدف إلى العناية بالبيئة والحرص على استدامتها، ومن هذه المبادرات:

1. مبادرة الإمارات خضراء (2023):

---

1. ينظر: حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، 2024م محكومة. الامارات جميع الحقوق محفوظة، الجمعة، 8 نوفمبر 2024م، موقع حكومي، https://u.ae/about، the، uae/economy/green، ، تاريخ الاطلاع: 8 نوفمبر 2024م.
2. ينظر: بلدية مدينة أبوظبي، © 2023م حكومة أبوظبي جميع الحقوق محفوظة، تم تحديث الموقع آخر مرة في 10، 09, 2023م وقت 10:08 ص، موقع حكومي، https://www.dmt.gov.ae/adm/Public، ، تاريخ الاطلاع: 8 نوفمبر 2024م.

تهدف هذه المبادرة إلى تعزيز المساحات الخضراء في الدولة، وزراعة المزيد من الأشجار في المناطق الحضرية والريفية، من خلال تنظيم حملات توعية تشجع المجتمع على المشاركة الفعالة[1].

2. مشروع زراعة الغاف:

يركز على زراعة أشجار الغاف المحلية لتعزيز التنوع البيولوجي وتوفير الموارد البيئية اللازمة، مما يسهم في دعم النظام البيئي[2].

3. إستراتيجية الحياد الكربوني (2021):

تهدف هذه الإستراتيجية إلى تحقيق الحياد الكربوني بحلول عام 2050، من خلال تحسين كفاءة الطاقة، وزيادة استخدام الطاقة المتجددة في جميع المجالات[3].

4. مشروع مجمع محمد بن راشد آل مكتوم للطاقة الشمسية:

يُعد من أكبر مشاريع الطاقة الشمسية على مستوى العالم، وهدفه إنتاج الطاقة المتجددة وتقليل الاعتماد على الوقود الأحفوري[4].

5. برنامج إدارة النفايات: يهدف إلى تعزيز ممارسات إعادة التدوير وتقليل النفايات، من خلال تنظيم حملات توعية ومشاريع لإعادة المواد، مما يسهم في الحفاظ على البيئة[5].

---

1. ينظر: وكالة أنباء الإمارات، وام، موقع حكومي، https://www.wam.ae/ar/article/aq8diz6، تاريخ الاطلاع: 8 نوفمبر 2024م.
2. ينظر: بلدية مدينة أبوظبي، © 2023م حكومة أبوظبي جميع الحقوق محفوظة، تم تحديث الموقع آخر مرة في 01، 09، 2023م، موقع حكومي، https://www.dmt.gov.ae/adm/Media، Centre/ News/.، تاريخ الاطلاع: 8 نوفمبر 2024م.
3. ينظر: (الإمارات العربية المتحدة، وزارة التغير المناخي والبيئة) حقوق الطبع © 2024م جميع الحقوق محفوظة. وزارة التغير المناخي والبيئة، آخر تحديث للصفحة: الإثنين، 6 مايو 2024م، موقع حكومي، https://www.moccae.gov.ae/ar/media، center/news، تاريخ الاطلاع: 8 نوفمبر 2024م.
4. ينظر: هيئة كهرباء ومياه دبي، © 2024م هيئة كهرباء ومياه دبي (ش. م. ع)، جميع الحقوق محفوظة، آخر تحديث 13 فبراير 2024م، موقع حكومي، https://www.dewa.gov.ae/ar، AE/about، us/ strategic، initiatives/mbr، solar، park، تاريخ الاطلاع: 8 نوفمبر 2024م.
5. ينظر: مجموعة عمل الإمارات للبيئة، © 2024م Emirates Environmental Group.، موقع، https:// www.eeg، uae.org/waste، management/?lang=ar، تاريخ الاطلاع: 8 نوفمبر 2024م.

أهمية هذه المبادرات:

تسهم هذه المبادرات في تحقيق أهداف الاستدامة في دولة الإمارات، وتعزز الجهود العالمية لمواجهة التغير المناخي، مما يزيد من الوعي البيئي لدى المجتمع، وهي كذلك موافقة لأهداف الدولة ورؤيتها، كما تدل هذه المبادرات وغيرها على أهمية الاستدامة البيئية، وأنها غاية وهدف لدى المجتمعات.

بعض المبادرات العائدة على كل إمارة:

جدول 1: مبادرات كل إمارة

الإمارة	المشروع	الهدف
أبوظبي	مشروع زراعة الغاف	تعزيز التنوع البيولوجي والحفاظ على الأنواع المحلية.
دبي	مشروع دبي الخضراء	زيادة المساحات الخضراء وتعزيز الزراعة.
الشارقة	مشروع جزيرة النور	تحسين البيئة الطبيعية وتحقيق التوازن البيئي.
عجمان	مشروع التشجير على الكورنيش	تحسين الواجهة البحرية وجعلها أكثر استدامة.
أم القيوين	مشروع الزراعة المحلية	تعزيز الزراعة المستدامة وتقليل الاعتماد على الاستيراد.
رأس الخيمة	مشروع التشجير على الطرق العامة	تحسين البيئة العامة وزيادة المساحات الخضراء.
الفجيرة	مشروع تشجير المناطق الجبلية	تقليل التآكل البيئي والحفاظ على المناظر الطبيعية.

تفعيل دولة الإمارات العربية المتحدة لدور المرأة في هذا المجال:

فقد شغلت العديد من النساء مناصب مهمة في مجال البيئة وأسهمن في العديد من المشاريع المهمة، ونذكر بعض الأسماء:

1. مريم بنت محمد المهيري: بصفتها وزيرة التغير المناخي والبيئة، تقود جهود الإمارات في حماية البيئة عبر سياسات ومشاريع؛ مثل التشجير وزيادة المساحات الخضراء، كما تسهم في مبادرات الاستدامة على المستوى الوطني[1].

1. ينظر: الإمارات العربية المتحدة، وزارة التغير المناخي والبيئة، حقوق الطبع © 2024م جميع الحقوق محفوظة. وزارة التغير المناخي والبيئة، آخر تحديث للصفحة: الإثنين، 6 مايو 2024م، موقع حكومي، https://www.moccae.gov.ae/ar/media، center/news، تاريخ الاطلاع: 8 نوفمبر 2024م.

2. ريم بنت إبراهيم الهاشمي:[1]

أسهمت كوزيرة دولة لشؤون التعاون الدولي في تعزيز الشراكات البيئية عالميًا، إلى جانب دورها في تعزيز الاستدامة في "إكسبو 2020 دبي"، الذي ركز على التشجير والتوعية البيئية.

3. رزان خليفة المبارك:[2]

فهي تعد الأمين العام لهيئة البيئة، وتمثل الإمارات في الجهود العالمية للمحافظة على البيئة. أسهمت في تأسيس مشاريع؛ مثل "الصندوق الدولي لحماية الحبارى" لدعم التنوع البيئي وزيادة الرقعة الخضراء.

تجسد هذه القيادات النسائية التزام الإمارات بتمكين المرأة للإسهام في بناء مستقبل بيئي مستدام. وتقدير الدولة لتلك الجهود المبذولة يدل على السعي لعمل التوازن المناسب والصحيح بين الجنسين.

الخاتمة

أبرزت هذه الدراسة المتواضعة الموسومة بـ(التشجير ودوره في تحقيق الاستدامة في ضوء السنة النبوية) المنهج النبوية في التشجير، وكان من أهم نتائجها:

- ❖ حازت السنة النبوية المشرفة قصب السبق في العناية بالبيئة عامة والتشجير خاصة.
- ❖ تميزت السنة النبوية بمنهج فريد في الاهتمام بالتشجير والعناية به.

---

1. ينظر: وزارة الخارجية، دولة الإمارات العربية المتحدة، © حقوق النشر 2024م وزارة الخارجية، آخر تحديث 22 مايو 2023م /11:55، موقع حكومي، https://www.mofa.gov.ae/the، ministry/the، ministers/uae، minister، of، state، for، international، cooperation/minister، of، state، for، international، cooperation، تاريخ الاطلاع: 10 نوفمبر 2024م.
2. ينظر: هيئة البيئة، أبوظبي، 2012م، مسح التربة في الإمارات الشمالية، الملخص التنفيذي. هيئة البيئة، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، المجلد الثالث. موقع حكومي، https://www.moccae.gov.ae/assets/download، تاريخ الاطلاع: 10 نوفمبر 2024م.

❖ أكدت الدراسة أن العناية بالأشجار بات أمرًا ملحًا لا يمكن تجاهله أو الانشغال عنه.

❖ أكدت الدراسة أن للأشجار أهمية كبيرة في الحفاظ على البيئة وتوازنها.

❖ تعد الأشجار ركيزة أساسية في المجتمعات، يتوجب العناية بها والحفاظ عليه .

❖ أكدت الأحاديث النبوية الشريفة على ضرورة عمارة الأرض وتشجيرها واستثمار مواردها؛ لضمان تحقيق استدامتها لتلبية حاجة الأجيال الحالية والمقبلة.

❖ تعزيز المسؤولية الفردية والجماعية في العناية بالبيئة عامة والأشجار خاصة.

❖ أظهرت الأحاديث النبوية الشريفة أن التشجير عبادة جليلة ينال عليها العبد الأجر والثواب الأخروي.

❖ أكدت الأحاديث النبوية المطهرة على الالتزام بحماية البيئة، والحرص على استغلالها الاستغلال الأمثل.

❖ عدم الإسراف في استهلاك الموارد الطبيعية، مما يتماشى مع الجهود العالمية الحديثة لتحقيق التنمية المستدامة؛ حيث يُعد توجيهًا عمليًا لتبني ممارسات مستدامة في مختلف المجتمعات.

❖ للإمارات العربية المتحدة ممارسات عملية ناجعة تهدف إلى تطوير المشاريع الزراعية المستدامة وزيادة الرقعة الخضراء لمواجهة التحديات البيئية، والعمل على تحقيق الأمن الغذائي.

التوصيات:

- تكاتف الجهود المحلية والعالمية للعمل على العناية بالبيئة عامة والتشجير خاصة.

- تقديم الدعم المالي اللازم لتشجيع المهتمين بالتشجير على الجودة في العمل والإتقان له.

- التوعية الاجتماعية بأهمية التشجير عبر المنابر الإعلامية المختلفة في الدولة.

- تشجيع البحث العلمي في مجال التشجير، لمحاولة الوقوف على المشكلات، وبيان الحلول الناجعة لها.

والحمد لله رب العالمين على نعمه وفضله.

المصادر والمراجع

- الإعجاز العلمي في عالم النبات، أبو شخيدم، محمود محمد ربيع عمران، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الخليل، 2016م.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت1353هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت774هـ)، المحقق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1998م.

- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ، 1989م.

- التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح، المحقق/ د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432هـ، 2011م.

- الجامع الكبير، السيوطي، جلال الدين (ت911هـ)، المحقق/ مختار إبراهيم الهائج، عبد الحميد محمد ندا، حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، القاهرة، ط2، 1426هـ، 2005م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، 1994م.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، محمد ناصر الدين، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1.

- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت273 هـ)، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

- سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت275 ه)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430ه، 2009م.

- السنن الكبرى، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت458هـ)، المحقق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424ه، 2003م.

- شرح السنة، البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت516هـ)، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط2، 1403ه، 1983م.

- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، المحقق/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط2، 1423ه، 2003م.

- صحيح ابن حبان، ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (ت354 ه)، المحقق/ محمد علي سونمز، خالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1433ه، 2012م.

- صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256 ه)، المحقق/ جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1422ه.

- صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، محمد ناصر الدين، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1421ه، 2000م.

- فتح الباري بشرح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي (ت852ه)، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1390ه.

- فتح القدير، ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد السيواسي ثم السكندري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1389ه، 1970م.

- فضل الزراعة والعمل في الأرض، التميمي، عبد الغني أحمد جبر، د. ط. ت.

- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

- المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر الإشبيلي المالكي (ت543 هـ)، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1428ه، 2007م.

- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت405 هـ)، المحقق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411ه، 1990م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، المحقق/ أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416ه، 1995م.

- مسند البزار (البحر الزخار)، البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت292هـ)، المحقق/ عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 2009-1988م.

- مواهب الجليل من أدلة خليل، الشنقيطي، أحمد بن أحمد المختار الجكني، مراجعة: عبد الله إبراهيم الأنصاري، إدارة إحياء التراث الإسلامي، ط1، 1407-1403هـ.

ثانيا: البحوث المنشورة في المجلات العلمية

- آليات تحقيق الاستدامة البيئية في السنة النبوية، بكر عبد الله الخرمان 2017م.

- دور التنظيمات الأكاديمية في تحقيق الوعي بالاستدامة البيئية، عبد الفتاح فرج محمد مسعد وحازم عيد إبراهيم، 2024م.

- ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، محمد عبد القادر الفقي، (الأمانة العامة لندوة الحديث).

ثالثا: المواقع الإلكترونية

- الاستدامة البيئية جامعة كركوك، موقع الكتروني، جميع الحقوق محفوظة لجامعة كركوك، تصميم وإشراف شعبة الموقع الالكتروني © 2024، .https://uokirkuk.edu /iq/sustainability .

- الإمارات العربية المتحدة وزارة التغير المناخي والبيئة، موقع حكومي مصطلح إعادة التشجير، https://www.moccae.gov.ae/ar/home.asp.

- الإمارات اليوم، جميع الحقوق محفوظة © 2024 مؤسسة دبي، آخر تحديث للصفحة تم بتاريخ: 3 ديسمبر 2023 / 17:57، موقع، https://www.emarata-lyoum.com https://www.emaratalyoum.com/local-section/oth-er/2023-12-03-1.1805639.

- بلدية دبي، حكومة دبي، موقع حكومي، جميع الحقوق محفوظة لبلدية دبي © 2024، آخر تحديث للصفحة تم بتاريخ: 8 نوفمبر 2024، https://www.dm.gov.ae/%D8%B9%D9%86-%D8%A8%D9%84%D8%AF%D9%8A-%D8%AF%D8%A8%D9%8A/?lang=ar.

- بلدية مدينة أبوظبي، © 2024 حكومة أبوظبي جميع الحقوق محفوظة، تم تحديث الموقع آخر مرة في 01 - 09 - 2023 وقت 10:08 ص، موقع حكومي، https:// www.dmt.gov.ae/adm/Public-.

- البيان، دبي الإعلام، جميع الحقوق محفوظة © 2024 دبي للإعلام ص.ب 2710، طريق الشيخ زايد، دبي، الإمارات العربية المتحدة، موقع، https://www.albayan.ae/across-the-uae/2000-02-04-1.1195566.

- جمهورية مصر العربية، وزارة البيئة، حقوق النشر © 2024 وزارة البيئة، موقع حكومي أهمية وأثر التشجير. https://www.eeaa.gov.eg/Topics/87/180/index.

- حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، 2024 حكومة. الامارات جميع الحقوق محفوظة، الجمعة، 8 نوفمبر 2024، موقع حكومي، https://u.ae/about-the-uae/green-economy- .

- مبادرتي السعودية الخضراء والشرق الأوسط الأخضر. © 2024 Saudi Green Initiatives/موقع إلكتروني حكومي https://www.greeninitiatives.gov.sa/.

- مجموعة عمل الإمارات للبيئة، © 2024 EMIRATES ENVIRONMENTAL GROUP.، موقع، https://www.eeg-uae.org/waste-management/?lang=ar.

- معجم مصطلحات الإحصاءات البيئية، منشورات الأمم المتحدة، السلسلة واو، العدد 67، 1997م. ESCWA الأمم المتحدة موقع حكومي، https://www.unescwa.org/ar.

- المنظمة الزراعية للأمم المتحدة، "التربة والمياه"، 2015، https://www.fao.org/fileadmin/user_upload/soils-2015/docs/Fact_sheets/print_IYS_Water_ar.pdf.

- الهيئة الاتحادية للبيئة. أضواء على ظاهرة تغير المناخ والجهود الدولية للحد من تأثيرها. file:///C:/Users/HP/Downloads/Media%20file%2011-%20Climate%20Change%20(1).pdf.

- هيئة البيئة - أبوظبي، 2012م، مسح التربة في الإمارات الشمالية - الملخص التنفيذي. هيئة البيئة - أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، المجلد الثالث. موقع حكومي، https://www.moccae.gov.ae/assets/download.

- هيئة البيئة أبوظبي، جميع الحقوق محفوظة © 2022 حكومة أبوظبي/ موقع إلكتروني حكومي https://www.ead.gov.ae/ar-AE.

- هيئة كهرباء ومياه دبي، © 2024 هيئة كهرباء ومياه دبي (ش.م.ع) - جميع الحقوق محفوظة، آخر تحديث 13 فبراير 2024، موقع حكومي، https://www.dewa.gov.

.ae/ar-AE/about-us/strategic-initiatives/mbr-solar-park

- وزارة الخارجية، دولة الإمارات العربية المتحدة، © حقوق النشر 2024 وزارة الخارجية، آخر تحديث 22 مايو 2023/ 11:55، موقع حكومي، https://www.mofa.gov.ae/the-ministry/the-ministers/uae-minister-of-state-for-international-cooperation/minister-of-state-for-international-cooperation.

- وقائع الأمم المتحدة. موقع إلكتروني لإحدى منظمات الأمم المتحدة. https://www.un.org/ar/208249.

- وكالة أنباء الإمـارات- وام، موقع حكومي، https://www.wam.ae/ar/article/aq8diz6-.

آفاق التنمية المستدامة في السنة النبوية للوقف الإسلامي وواقع التفعيل في دولة الإمارات العربية المتحدة

د. ماريه بسام محمد عبد الرحمن

الأستاذ المشارك في الحديث الشريف وعلومه

جامعة الحدود الشماليّة – سابقًا – السعودية

ملخص

جاءت هذه الدّراسة لتحديد الفجوة المعرفيّة في الدّراسات التي تربط بين مفهوم الوقْف الإسلامي وأهداف التّنمية المستدامة في ضوء الهدي النبوي، مع التركّيز على التّجربة الإماراتية، وتأتي أهمية هذا البحث في ضرورة تسليط الضوء على دور الوقف في السنّة النبوية كأداة مهمّة لتحقيق التنمية المستدامة، وإبراز الدّور المحوريّ للإمارات في هذا المجال، ويهدف البحث إلى بيان دور السنّة النّبوية في تحقيق أهداف وأبعاد التنمية المستدامة في جميع الجوانب الاجتماعيّة والاقتصاديّة والبيئيّة للوقف الإسلامي، ودراسة واقع التّفعيل في تجربة أوقاف الإمارات لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، واتبعت الدّراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ من خلال جمع المواضع التي جاءت في باب الوقف من السنة النبوية وتحليل ووصف دلالتها في تحقيق التنمية المستدامة وربطها بالتجربة الإماراتية من خلال الدراسات المعاصرة، وخلصت الدراسة من خلال النّماذج التطبيقية في السنة النبوية وتوجيهاتها إلى أنّ ؛الوقْف الإسلامي يمثل أداة قويّة لتحقيق التنمية المستدامة؛ وأنّه يمتاز باللزوم والديمومة والتنوع وآفاقه الدنيوية والأخروية في تحقيق التنمية، وأن دولة الإمارات العربية تعدّ نموذجًا يحُتذى في تفعيل الهدي النبوي في واقع التنمية المستدامة في هذا الجانب، وأوصت الدّراسة بترجمة بحوث النّدوة للغات المختلفة، ودعوة الباحثين لدراسة تجارب أخرى في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: آفاق، واقع، تفعيل، التّنمية المستدامة، الأوقاف، الإمارات، السنة النبوية.

Abstract

This study came to identify the knowledge gap in studies that link the concept of Islamic Waqf and the goals of sustainable development in light of the prophetic guidance, with a focus on the Emirati experience. The importance of this research lies in the necessity of shedding light on the role of Waqf as an important tool for achieving sustainable development, and the inclusion of the Prophetic Sunnah in this, to activate it in reality in a rational manner to achieve what sustainable development aspires to, and highlight the pivotal role of the Emirates in this field. The research aims to clarify the role of the Prophetic Sunnah in achieving the goals and dimensions of sustainable development in all social, economic and environmental aspects of Islamic Waqf, and to study the reality of activation in the experience of UAE Waqf to achieve the goals of sustainable development. The study followed the descriptive analytical approach by collecting the positions that came in the chapter on Waqf from the Prophetic Sunnah and analyzing and describing their significance in achieving sustainable development and linking them to the Emirati experience through contemporary studies. The study concluded through applied models in the Prophetic Sunnah and its directives that Islamic Waqf represents a tool Strong to achieve sustainable development; and that it is characterized by necessity, continuity, diversity, and its worldly and otherworldly horizons in achieving development, and that the United Arab Emirates is a model to be emulated in activating the prophetic guidance in the reality of sustainable development in this aspect. The study recommended translating the symposium research into different languages, and inviting researchers to study other experiences in this field.

Keywords: Horizons, reality, activation, sustainable development, endowments, Emirates, Sunnah of the Prophet.

مقدّمة

الحمد لله ربِ العالمين، والصّلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمّدًا ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فقد شرَع الإسلام عقْد الوقْف، كوسيلة من وسائل التّنمية الاجتماعيّة والاقتصادية لمساعدة الأفراد، والإنفاق فيما يتعلق بشئون المصلحة العامّة وتحقيق التّنمية المستدامة، لذلك جاءت نصوص السنّة النّبوية حافلةٌ بالتّوجيهات التي تبيّن أهميّة الوقْف وتُشير في دلالتها إلى دوره في تحقيق التّنمية المستدامة في جميع أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والبيئيّة، وسعت الدّول الإسلامية من خلال امتثال نصوص السنّة النبوية إلى تفعيل الوقف الإسلاميّ في جميع الميادين لتحقيق التّنمية المستدامة المرجوّة، وتنظيم أحكامه، ولعلّ أبرز التّجارب في هذا الميدان؛ مؤسسات الوقْف في دولة الإمارات العربية المتّحدة.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدّراسة لإلقاء الضّوء على دور الوقْف الإسلامي في التّنمية المستدامة في ضوء الهدي النبوي، وعرض إحدى النّماذج النّاجحة في هذا الباب وهي:"أوقاف دولة الإمارات العربيّة المتّحدة".

مشكلة البحث: تحديد الفجوة المعرفية في الدّراسات التي تربط بين مفهوم الوقف الإسلامي وأهداف التنمية المستدامة في ضوء الهدي النبوي، مع التركيز على التجربة الإماراتية.

أهمية البحث:

-تسليط الضوء على دور الوقف كأداة لتحقيق التنمية المستدامة؛ خاصّة في ظلّ الظروف الاقتصادية المتقلّبة وضرورة تطبيق التّنمية المستدامة في مجال الوقف في ظلّ الاستنزاف الحادّ لموارد الطبيعة.

-اشتمال السنّة النّبوية على أبعاد التّنمية المستدامة للوقف الإسلامي، والتي من شأنها إذا ما طبّقت في الواقع بشكل رشيد أن تحقّق ما تصبو إليه التّنمية المستدامة.

-إبراز الدور المحوري للإمارات في هذا المجال.

أهداف البحث:

- بيان دور السنّة النّبوية في تحقيق أهداف وأبعاد التنمية المستدامة في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والبيئية للوقف الإسلامي.
- دراسة تجربة أوقاف الإمارات في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

منهج البحث:

تقوم هذه الدّراسة في الأساس على المنهج الوصفيّ التّحليلي؛ وذلك من خلال جمع المواضع التي جاءت في باب الوقف من مصادر السنّة النّبوية، وتحليل ووصف دلالتها في تحقيق التّنمية المستدامة، وربطها بالتّجربة الإماراتية من خلال الدّراسات المعاصرة.

الدَّراسات السَّابقة:

تناولت الدّراسات المعاصرة علاقة الوقف بالتّنمية المستدامة بشكل عامّ دون تخصيصها بالدّراسة الحديثيّة، وفي الجانب الآخر ظهرت دراسات حول السنّة النّبوية والتّنمية المستدامة في جوانب متعدّدة عرّج بعضها على جانب الوقف وعلاقته بالتنمية المستدامة في ضوء الهدي النبوي تعريجًا سريعًا ولم يكن محلّ الدّراسة، وفي جميع الدراسات التي وقفت عليها والتي سيتمّ استعراضها لم أجد دراسة تناولت هذا الموضوع من جهة عرض التّجربة الإماراتية، فمن الدّراسات التي وقفت عليها الباحثة:

-دوْر السنّة النّبوية في تحقيق التّنمية المستدامة، دراسة للباحث عادل راشد الدّماك[1]، بيّن من خلالها دوْر السنّة النّبوية في تحقيق الأهداف السياسيّة والاقتصاديّة والبيئيّة للتنمية المستدامة.

-التّنمية المستدامة في السنّة النّبوية، رسالة ماجستير قدمها فراس بن ساسي[2]، تناول فيها أهميّة وتاريخ التّنمية المستدامة، والتنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة والبيئيّة في السنّة النبوية ومفهوم وخصائص كلاّ منهما، ورَصَد أبرز الدّعائم والآليات التي جاءت بها السنّة النّبوية لتحقيق التّنمية المستدامة في هذه المجالات، مع ذكر العوائق التي تُواجه التّنمية المستدامة وأبرز الحلول وِفْق توجيهات السنّة النّبوية، وعرّج في رسالته بشكلٍ

1. الدماك، عادل، دوْر السنّة النّبوية في تحقيق التّنمية المستدامة، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، 2022م، (ص79-15).
2. ساسي، فراس، التّنمية المستدامة في السنّة النّبوية، رسالة ماجستير، إشراف محمد الزعايري، 2018م.

موجز على بيان دور مؤسسة الوقف كدعامة مهمة في التّنمية المستدامة النبوية.

- التّنمية المستدامة في السنّة النّبوية: "دراسة تأصيليّة، رسالة ماجستير، للباحث بكر عبد الله الخرمان[1]، تناول فيها الأبعاد التنمويّة في السنّة النبّوية، وما تهدف إليه بالاعتماد على مجموعة من العوامل".

- أبْعاد التّنمية المستدامة وعلاقتها ببناء الإنسان في السنة النبوية، دراسة للباحث عبد الرحيم أبو طاهر سعيد[2]، أوْضح من خلالها علاقة أبْعاد الاستدامة ببناء الإنسان في السنة النبّوية من خلال عرض آليات الاستدامة البيئيّة والاجتماعيّة والاقتصادية في السنة النبوية، والتعرف على مدى علاقة هذه الابْعاد في عملية البناء البشريّ.

- من آثار التّنمية المُستدامة في السنّة النبوية، دراسة للباحثيْن؛ وجيه سرحان ورانيا نظمي[3]، تناولا فيها مظاهر التّنمية المستدامة في السنة النبوية في الجوانب البيئية والاجتماعيّة والاقتصاديّة.

- الوقْف الإسلاميّ ودوْره في تحقيق التّنمية المستدامة "عرض التّجربة الجزائريّة في تسيير الأوْقاف"، دراسة للباحثين صالح صالحي، ونوال عمارة[4]، هدفت إلى توضيح المفاهيم المتعلقّة بالوقْف الإسلاميّ والتّنمية المستدامة، وإبراز الدّور الفعّال الذي تقوم به مؤسسات الأوقاف الجزائرية من أجل تحقيق التنمية الشاملة.

- دوْر الوقْف في التّنمية المستدامة، دراسة للباحث عبد الجبار السّبهاني[5]، تناول فيها الطبيعة الاستثماريّة للوقف، وعلاقة الوقف الخيري بالوقف العام وعلاقتهما بالتّنمية المستدامة، وخلُص من خلال دراسته إلى أن الوقْف يقدِّم الكثير على طريق التّنمية

---

1. الخرمان، بكر عبد الله، التّنمية المستدامة في السنّة النّبوية»دراسة تأصيليّة»، رسالة ماجستير، إشراف علي إبراهيم عجين، جامعة آل البيت، 2017م.
2. سعيد، عبد الرّحيم، أبْعاد التّنمية المستدامة وعلاقتها ببناء الإنسان في السنّة النبوية، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 181، 2024م، (ص74-51).
3. وجيه سرحان ورانيا نظمي، آثار التّنمية المُستدامة في السنّة النبوية، دورية الإنسانيات، جامعة دمنهور، العدد 62، ج3، 2024م، (ص276-251).
4. صالح صالحي، ونوال عمارة، الوقْف الإسلاميّ ودوْره في تحقيق التّنمية المستدامة، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية ع1، 2014م، (ص164-151).
5. السّبهاني، عبد الجبّار، الوقْف في التّنمية المستدامة، مجلة الشريعة والقانون، ع44، 2010م، (ص-19 79).

المستدامة، خاصةً فيما يتّصل بالاستثْمار البشري ورأس المال الاجتماعيّ، وإعادة التوزيع.

مخطّط البحث:

يتضمن البحث مقدِّمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

التّمهيد، وفيه:

أوّلا: الوقْف، مفهومه وأهميّته.

ثانيًا: التّنمية المستدامة؛ مفهومها وأهدافها.

ثالثًا: الوقْف وعلاقته بالتّنمية الاقتصاديّة والاجتماعية والبيئية المستدامة.

رابعًا: من أبرز الجهود الّتي بذلتها الإمارات في جانب الوقْف.

المبحث الأول: آفاق التّنمية المستدامة في السنّة النبوية للوقْف الاجتماعي وتفعيله في دولة الإمارات، وفيه عدّة مطالب:

- المطلب الأول: عناية السنّة النّبوية بالوقف لاستدامة تنمية العدالة الاجتماعيّة.

- المطلب الثّاني: الوقْف في دولة الإمارات لتحقيق التّنمية الاجتماعية المستدامة.

المبحث الثاني: آفاق التّنمية المستدامة في السنّة النبوية للوقْف العلمي والصحيّ وتفعيله في دولة الإمارات، وفيه مطلبان:

- المطلب الأوّل: عناية السنّة النّبوية بالوقف لاستدامة تنمية الجانبين العلميّ والصحيّ.

- المطلب الثّاني: الوقف في دولة الإمارات لتحقيق التنمية المستدامة في الجانبين العلمي والصحيّ.

المبحث الثّالث: آفاق التّنمية المستدامة في السنّة النبوية للوقْف البيئي وتفعيله في دولة الإمارات، وفيه مطلبان:

- المطلب الأوّل: عناية السنّة النّبوية بالوقف لاستدامة التّنمية البيئية.

- المطلب الثّاني: الوقف في دولة الإمارات لتحقيق التنمية البيئية المستدامة.

الخاتمة، وفيها أهم النّتائج والتّوصيات.

التّمهيد

أوّلًا: الوقْف، مفهومه وأهميّته

1. تعريف الوقْف:

- الوقْف لغةً: هو الحبْس والتّسبيل، و**يقال:**"وَقَفْت الشَّيْءَ أَقِفه وَقْفًا"[1].

-الوقْف اصطلاحًا: قيل في تعريفه: "هو تحْبيس مالكٌ، مطلق التّصرف مال المُنتفع به، مع بقاء عيْنه، بقطع تصرّف الواقف وغيره في رقبته، بصرف ريْعه إلى جهةِ برّ، تقربًا إلى الله تعالى".[2]

وعرّفه ابن عَرفة بأنه: "إعطاء منْفعة شيءٍ مدّة وُجوده، لازمًا بقاؤه في ملك مُعطيه، ولو تقديرًا"[3].

وكلّ هذه التّعريفات تدور حول : حبْس وتسْبيل العيْن، وصرف ريْعها في أبواب الخير قُربةً لله.

2. أهميّة الوقف:

يُعدّ الوقف بجميع أبوابه امتثال لأمر الله ﷻ بالإنفاق في سبل الخير والبرّ، وتحصيل المزيد من ثواب الصّدقة الجارية؛ كما جاء في الحديث: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَه"[4].

ويدلّ الحديث على أنّ الله قد أعدّ ثوابا عظيما جاريًا مستمرًا يلحق المؤمن في

---

1. يُنظر: الإفريقي، محمد بن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، 1994م، (6/45)، والدّيب، جمال، "أهميّة الوقف الإسلامي في التّنمية الاجتماعية والاقتصادية"، المجلة الجزائرية للعوم القانونية والاقتصادية والسياسية، 2014م، مج3، ع51، (ص113، 140-129).
2. يُنظر: المرداوي، الإنصاف في معرفة الرّاجح من الخلاف، مصر، دار إحياء التراث العربي، ط2، د. ت، (7/3).
3. الحطّاب الرّعيني المالكي، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، ط3، 1992م، (7/18).
4. أخرجه مسلم في صحيحه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، كتاب الهبات، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (3/1255) حديث رقم (1631).

استمرارية أجره لما بعد الممات بسبب الذي قدّمه من العمل الجاري في علمٍ نشره بنفسه أو ساهم في نشره، أو مسجدًا بناه وبيتًا لابن السّبيل شيّده، أو نهرًا أجراه أو صدقةً أخرجها بأي أنواع الإخراج والتي منها الوقف، وفي هذا كلّه عظيم ثواب واستدامة تنموية للأجيال المتعاقبة؛ لذلك عقّبَ الامام النّووي بقوله : "وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظم ثوابه"[1].

وقد أشار الدّيب إلى أن الوقف يعدّ مصدرَ تمويلٍ دائم للمصالح العامّة، ويركّز على التّنمية البشرية والمجتمعية في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والتّعليميّة والصحيّة، ويُسهم في استمراريّة تداول المال، ودعم الإنتاج الخدمي[2]، ولاستمرارية واستدامة هذه الأعمال النافعة للإنسانية بجميع الأبعاد الاقتصادية والبيئية والاجتماعية والإنسانية كان الأجر مستمرًا ودائمًا إلى يوم الدّين.

3. الوقف في السنة النّبوية:

لا شكّ أنّ للوقف في السنّة النّبوية مكانة عظيمة، وقد أكدت السنّة النبوية على أهمية الوقف في مواضع عديدة وعني النبي ﷺ بالوقف قولًا وعملًا من خلال الحثّ عليه[3]، ومن جهة الأوقاف التي وقفها بنفسه ﷺ من الأراضي والبساتين التي أوقفها على مصالح المسلمين[4]، وأخرى مما أوقفه على ذوي القرابة حيث خصهم بأوقاف كثيرة؛ فوقف النبي ﷺ أموال بني النضير "وكان ينُفق على أهله نفقةَ سَنَة، ثم يجعل ما بقي في السّلاح والكُرَاع[5] عُدّة في سبيل الله"[6] [7].

وكذلك الصحابة (رضي الله عنهم)من بعده ساروا على هديه فكان وقف عمر

---

1. النووي، شرح النووي على مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1972ه، (11/85).
2. يُنظر: الديب، أهميّة الوقف الإسلامي (ص129).
3. يأتي في (ص18).
4. يأتي في (ص18).
5. والكُراع: هو الخيل، يُنظر؛ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، المحقق/ مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، د. ط. ت.
6. متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/ محمد بن زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 2001م، كتاب الجهاد، باب المجن ومن يترس صاحبه (4/38) حديث رقم (2904). ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء (3/1376) حديث رقم (1757).
7. آل معدي، محمد بن عبد الله بن راشد، أوقاف النبي ﷺ (دراسة حديثية موضوعية)، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر، غ33، ج1، مصر 2021م، (ص1095).

(رضي الله عنه) أرضه بخيبر[1]، ووقف خالد بن الوليد (رضي الله عنه) أدرعه في سبيل الله، وكأن أكثرهم وقفًا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كبئر رومة التي ما زالت تعرف اليوم بـ (بئر عثمان) في المدينة[2].

وبوّب الإمام البخاري في كتابه الصحيح في مواضع كثيرة بعناوين تحمل اسم الوقف من ذلك؛ "باب إذا وقف جماعةً أرضًا مشاعًا فهو جائز" وذكر فيه جزءًا من حديث وقف مسجد النبي ﷺ[3]، وباب: "وقف الأرض للمسجد"[4].

ثانيًا: التّنمية المُستدامة، مفهومها وأهدافها

1. مفهوم التّنمية المُستدامة:

إنّ المتأمّل في نصوص السنّة النّبويّة يجد أنها لم يَرِدْ فيها عبارة التّنمية المستدامة؛ إلاّ أنها تعدّ مرجعيّة إسلاميّة إطاريّة ثريّة بالإفادات والإشارات المتعلّقة بصميم وجوهر التّنمية المستدامة من خلال جملة التّوجيهات النّبوية في المنظومة التّنموية التي استهدفت شتى القطاعات[5].

يُشير ساسي إلى أنّ التّنميّة عمومًا هي عبارة عن: عمليّة تفاعليّة تهدف إلى توفير أحسن الظروف الممكنة للأفراد في جميع المجالات، بالاستخدام المنضبط للموارد المُتاحة، ويتطرّق ساسي إلى لفظ الاستِدامة ؛وأنّه لا يخرج في الاستعمال اللغويّ عن معنى الاستمرار والمواظبة والسّكون، ليصِل من خلال ذلك إلى تعريف التّنمية المستدامة والتي يرى أنّها من المصطلحات المعاصرة بهذا التركيب، وترجع بجميع تعريفاتها إلى اعتبار التّصورات المستقبليّة للتنميّة كأداة لاستدامة حفظ الإنسان، و يستخْلص تعريفًا لها بقوله: "هي العمل على استثْمار الموجود للوصول إلى أفضل المنشودْ؛ بشرط عدم الإضرار بالأجيال اللاّحقة، وذلك على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والبيئيّ"[6]، وذلك وِفقًا لما جاء في

---

1. يأتي في (ص17).
2. يأتي في (ص24).
3. يُنظر، البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا (4/11).
4. يُنظر: المرجع السابق، كتاب الوصايا (4/12).
5. يُنظر: ساسي، التّنمية المستدامة (المقدّمة: ب).
6. يُنظر: المرجع السّابق (ص5-3).

تعريف منظّمة الأمم المتّحدة، وأنها تعني:"تلبية احتياجات الحاضر، دون المسَاس بقدرة الأجيال المُقْبلة على تلبية احتياجاتها الخاصّة"[1].

أمّا مفهوم التّنمية المستدامة في المنظور الإسلاميّ فإنها تعني: "السّعي للارتقاء بحياة الناس ماديًّا وروحيًا بما يُسعدهم في دنياهم وأُخراهم، وِفق السنن التي وضعها اللّه سبحانه وتعالى، من غير إفساد أو إضرار أو إهدار للموارد، وبما يضْمن حظوظ الأجيال كلها حاضرها ومستقبلها؛ حتّى يتحقق لهم التّكريم اللائق بهم"[2].

2. أهداف التّنمية المُستدامة:

تسعى التّنمية المستدامة عمومًا إلى تحقيق العيْش الكريم للإنسان؛ من خلال الاهتمام بتوفير الموارد الماليّة والاقتصاديّة، وتحقيق العدالة الاجتماعيّة؛ بالقضاء على الفقْر والجوع، وتوفير الصّحة والتّعليم الجيّد، وبيئةٍ صحيّةٍ نظيفة، وحياةٍ كريمةٍ مزدهرة من خلال النّمو الاقتصادي ووِفق مبادئ تعنى بتحديد الأولويّات، وتحقيق الاستفادة القصوى من خلال الاقتصاد في استخدام الموارد وعقد الشراكات، وتحسين الأداء، وجعل الإنسان هو المركز في علمية التّنمية المستدامة، مع تحقيق المساواة[3]،وهذا يعني أن هناك ارتباطٌ كبيرٌ بين ابْعاد التّنمية المستدامة وبين بناء الإنسان[4].

ثالثًا: الوقْف وعلاقته بالتّنمية الاقتصاديّة والاجتماعية والبيئية المستدامة:

يُعدّ الوقْف من أهمّ البرامج الاقتصادية الهادفة إلى تحقيق التنمية المستدامة ودفع عجلة الاقتصاد، في مختلف مناحي الحياة؛ نظرًا لاسْتطالته الزمنية وتوسّع أبعاده التّطبيقية[5] ؛باعتباره موردًا متجددًا بجريانه في الحياة وبعد الممات كمنفعة عامّة مستمرّة للأجيال

1. منظمة الأمم المتّحدة، أهداف التّنمية المستدامة، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م، https://www./un.org/sustainabledevelopment/ar/development-agenda.
2. القادري، إيمان، دور التّشريعات الإسلامية في تحقيق التّنمية المستدامة، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، مج 4، ع7، ص334 (341-327).
3. يُنظر: ساسي، التّنمية المستدامة (ص15-11).
4. يُنظر: سعيد، أبعاد التنمية المستدامة (ص68).
5. يُنظر: ساسي، التّنمية المستدامة (ص32).

الحاضرة والقادمة[1]، ويعمل الوقْف على تعزيز الموازنة العامّة للدّولة من خلال تكفّله بكثيرٍ من النّفقات الّتي تُثْقل كاهل الدّولة، ويُسهم في العمليّة الإنتاجيّة من خلال توفير فرَص العمل، والتّخفيف من عجز الموازنة، وتنشيط التّجارة والبيئة التّحتية، وتخطيط المُدن، وإيجاد مصادر دخلٍ للمحتاجين، وتنمية رأس المال البشريّ؛ وذلك من خلال توزيع الدّخل، وتحسين البُنية التّحتية واستغلال الموارد الطبيعية[2]، وللوقف أثره في عملية التّنمية الاجتماعية من خلال تركيزه على تحقيق الاستقرار الاجتماعيّ؛ بثّث روح التّراحم والانتماء، وحمايته من الأمراض الاجتماعيّة كالأنانية الماديّة وما ينتج عنها من الصّراع الطّبقي، كما يُسهم في توفير المؤسسات التّعليميّة والخَدميّة الرّاعية للفئات الأكثر احتياجًا[3].

رابعًا: من أبرز الجهود الّتي بذلتها الإمارات في جانب الوقْف:

يعدّ الوقف في الإمارات ركيزةً أساسيّة للتنميّة المستدامة؛ إذ تُولي دولة الإمارات العربيّة المتحدة اهتمامًا كبيرًا لمفهوم الوقف وتفعيله في خدمة أهداف التّنمية المستدامة، وقد أدرجت هذا المفهوم ضمن استراتيجياتها التّنموية الشّاملة، وتعتبر الإمارات رائدة في المنطقة في مجال تطوير قطاع الأوقاف وتوجيهه نحو تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وتعزيز روافده من خلال الأطر الشّرعية وإصدار قوانين اتحاديه ومحليه تنظمه وتدعمه، أو عبر إطلاق المشروعات والمبادرات[4]، ويتّضح ذلك من خلال الجهود التي بذلتها دولة الإمارات في جانب الوقف من خلال:

1. إصدار القانون الاتحادي رقم 5 لسنة 2018 بشأن الوقف، لمواكبة المتغيرّات العالمية، وتفعيل مساهمته في عملية التنمية بالأساليب المبتكرة.[5]
2. تأسيس هيئات ومؤسسات تتولى إدارة واستثمار الوقف، ونشر الوعي بأهميته وفق أساليب معاصرة تدعو إلى تجسيد مبادئ التكافل الاجتماعي،

---

1. الخرمان، التنمية المستدامة (ص33).
2. يُنظر: صالح ونوال، الوقف الإسلامي (ص158-157).
3. يُنظر: المرجع السّابق (ص158).
4. منصة أوقافي، الوقف المستدام في الإمارات العربية المتحدة، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م، https://awqafi.ae/uae.php.
5. يُنظر: المرجع السّابق https://awqafi.ae/uae.php.

ومن هذه المؤسسات الوقفية[1]:

- مؤسسة الأوقاف وإدارة أموال القصّر في دبي: مؤسسة حكومية تعمل على تطوير قطاع الأوقاف في دبي، وتشجيع إنشاء الأوقاف الجديدة وإدارة الأوقاف القائمة، وإنشاء مشروعات الوقف حيث يتم تحويل الأرباح لدعم المشروع الذي يرغب الواقف المساهمة به لتحفيز المشاركة المجتمعية[2]، وتعدّ إحصائيات المساهمين والدّاعمين في (أوقاف دبي) مؤشرا كبيرًا على قياس الدّور الكبير الذي تقوم به حيث بلغ عدد المؤسسات الوقفية لعام 2024م ما يعادل ثمان وعشرون مؤسسة وقفية بقيمة (2.7) مليار درهم[3].

- الهيئة العامة للشؤون الإسلاميّة والأوقاف: الجهة الحكومية المسؤولة عن تنظيم شؤون الأوقاف في الإمارات، وتقديم الدعم للمشاريع الوقفية، وتسعى على تحقيق أهداف التنمية المستدامة من خلال الخدمات والمبادرات العديدة[4].

3. إنشاء مبادرات ومؤسسات خاصّة مثل[5]:

- مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للأعمال الخيرية والإنسانية: تدعم المؤسسة العديد من المشاريع الخيرية والإنسانية، بما في ذلك مشاريع الوقف، حيث أعلن المكتب الإعلامي لحكومة دبي النتائج السنوية لأعمال مؤسسة مبادرات محمد بن راشد آل مكتوم العالمية للعام 2021م؛ (1,1 مليار درهم) حجم إنفاق المبادرات،

---

1. يُنظر: المرجع السّابق https://awqafi.ae/uae.php.
2. صكوك الوقف، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م، sukukalwaqf.ae.
3. مؤسسة الأوقاف وإدارة أموال القصّر، استُرجع بتاريخ 25/1/2025م، https://www.facebook.com/story.php/?story_fbid=1040749781390187&id=100063655238619.
4. الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة، التّنمية المستدامة، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م https://www.awqaf.gov.ae/sustainability.
5. يُنظر: المرجع السّابق https://awqafi.ae/uae.php.

و(91 مليون مستفيد في 97 دولة حول العالم).[1]

- مؤسسة خليفة بن زايد آل نهيان للأعمال الإنسانية: تساهم المؤسسة في دعم المشاريع الإنسانية والتنموية في مختلف دول العالم.

- مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية: تدعم المؤسسة العديد من المشاريع الخيرية والإنسانية، بما في ذلك مشاريع الوقف في مجالات التعليم والصحة والتنمية.

- مؤسسات عائلية: هناك العديد من العائلات الإماراتية التي أسست أوقافًا خاصة بأُطر شرعيّةٍ لدعم مشاريع مختلفة، مثل التّعليم والصحة والبحث العلمي والشركات العائلية؛ ويجري تنظيمها وفق آليّة معينة مع ضمان استثمارها، وبلغت تلك الأوقاف ما يعادل تسعة وتسعون وقفًا ذريًّا، بلغت قيمته ما يعادل(2،8) مليار درهم؛ تشكّل صمام أمان يضمن مستقبل الأبناء وذريتهم من بعدهم[2].

- مبادرة صكوك الوقف؛ وهي المبادرة الأولى من نوعها في الشرق الأوسط، تعمل عليها هيئة الأوقاف وشؤون القصر، ومركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الأوقاف والهبات، من خلال هذه المبادرة، يمُكن وقف المساهمات في حساب ادخاري وتحويل الأرباح لدعم الأوقاف[3].

- مبادرة الوقف المبتكر: صمّمه مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف؛ بهدف إتاحة المساهمة في الوقف لجميع الفئات والمؤسسات، وإبراز الوقف كأداة تنموية، ترتكز على محورين الأصول الموقوفة والمصارف التي يعود إليها ريع الوقف، وطرح خيارات متعدّدة للمشاركة فيه بعد الاقتصار على الطّرق التّقليدية،

---

1. المكتب الإعلامي لحكومة دبي، محمد بن راشد يعلن النتائج السنوية لأعمال مؤسسة مبادرات محمد بن راشد آل مكتوم العالمية للعام 2021م، https://www.mediaoffice.ae/ar/news/2022/04/28-april/mbr-gloabal-iniatives

2. المكتب الإعلامي لحكومة دبي الثلاثاء 2 يوليو 2024، مركز دبي للشركات العائلية يناقش استخدامات الوقف والمؤسسات وصناديق العُهد في الشركات العائلية)،/https://mediaoffice.ae/ar/news/2024/july/02-07/dubai-centre-for-family-businesses-discusses)

3. موقع الصّكوك الوطنية، صكوك الوقف، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م، https://www.national-bonds.ae/ar/product-details?item=1316849b-ca2f-6f76-bc2c-ff1e005d5b89.

ومن الطّرق المبتكرة لتنمية الوقف ورصد ريعها؛ إعلانات صحفيّة وقفيّة، طاولات مطعم وقفيّة، استاد وقفي، سيارات أجرة وقفيّة، غرف مستشفيات وقفيّة، غُرف فنادق وقفية، أسهم وخدمات وبوابات ترفيهية وشاشات إعلانية و مواقف وقفية، ورفوف بيع وأجهزة وقفيه مثل الأجهزة الطّبية؛ وصرف ريع الوقف للمخصّصات السابقة في الأبحاث الطبية، والابتكار، ودعم المعرفة ومشاريع الشّباب والتدريب وجميع المجالات التّنموية[1].

4. إطلاق منظّمة عالمية للأوقاف الأولى من نوعها على مستوى المنطقة والعالم؛ تضمّ في عضويتها؛ مؤسسة الأوقاف وشؤون القصّر بدبي، ومركز محمد بن راشد العالميّ لاستشارات الوقْف والهبة، ومركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلاميّ، ودائرة الأوقاف بالشارقة، ومؤسسة الأوقاف الوطنيّة بجنوب أفريقيا، ومؤسسة الأوْقاف الوطنية بكندا، والأوقاف النّيوزيلندية، والأوقاف الأمريكيّة، والأوقاف الأسترالية، والمجمع الفقهي الأوروبيّ المستقلّ للدّراسات الماليّة الإسلامية، وأوقاف الرّاجحي.[2].

5. إنشاء الصناديق الوقفية(مصارف)؛ وهي وعاء تجتمع فيه أموال موقوفة تستخدم لشراء عقارات وممتلكات وأسهم وأصول متنوعة تدار على صفة محفظة استثمارية؛ فقد صدر المرسوم الأميري رقم 2 لسنة 1996م، من صاحب السمو الشيخ القاسمي حاكم الشارقة في تأسيس الأمانة العامة للأوقاف في الشارقة لإنشاء صناديق الوقف لتنمية المجتمع، وتخفيف العبء عن المحتاجين وفق الثوابت الشرعية ومعطيات الحاضر، ومتطلبات المستقبل، مثل مصرف رعاية وصيانة المساجد الوقفي، ومصرف خدمة القرآن الكريم والعلوم الدينية الوقفي، ومصرف سد حاجات الأسر الفقيرة الوقفي، ومصرف رعاية المسلمين الجدد الوقفي، ومصرف دار العجزة الوقفي، ومصرف خدمة الحجاج الوقفي، ومصرف الاستثمار الوقفي لتنمية لأصول الوقفية، ومصرف رعاية الفئات الخاصة، ومصرف خدمة البيئة[3].

---

1. مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة 2024 م، الوقف المبتكر، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م،https://mbrgcec.ae/ar/innovative-endowment.
2. يُنظر: المرجع السّابق، https://awqafi.ae/uae.php.
3. يُنظر: الزّحيلي، محمد، الصناديق الوقفية المعاصرة، تكييفها، أشكالها، حكمها،https://msky.ws/wp-content/uploads/2018/04.pdf

ولأهميّة الوقْف في تحقيق التّنمية المستدامة؛ أوْلت السنّة النّبوية المشّرفة هذا الأمر اهتمامًا كبيرًا بصفتها مصدرًا أصيلًا صالحًا لكلّ زمانٍ ومكان، وأسهمت في تطبيق آليات التنمية المستدامة في الوقْف الإسلامي؛ لتحقيق التّقدم والازدهار الحضاري، والحياة الآمنة للإنسانيّة، وظهر تفعيل الوقف في التنمية المستدامة في أبهى صوره في العديد من الدّول المتطوّرة كالإمارات العربية المتّحدة؛ وهذا ما سيناقشه المبحث الآتي في ضوء تجليات السنّة النبوية.

المبحث الأول: آفاق التّنمية المستدامة في السنّة النبوية للوقْف الاجتماعي وتفعيله في دولة الإمارات

المطلب الأول: عناية السنّة النّبوية بالوقف لاستدامة تنمية العدالة الاجتماعيّة

اعتنت السنّة النّبوية بتحقيق التّنمية المُستدامة لتحقيق العدالة الاجتماعيّة وشمولها لجميع الطّبقات في المجتمع؛ للقضاء على مظاهر الفقر والبطالة، والإسهام في تقليل الفجوات الاجتماعية، والعمل على إعادة توزيع الثّروة باعتماد آليات في الوقْف الإسلاميّ تضمن الاستمرارية والاستدامة لتحقيق الهدف[1]، ومن الآليّات التي وضعتها السنّة النّبوية لاستدامة تنمية العدالة الاجتماعيّة من خلال الوقف:

- الدّعوة إلى دعم الفقراء والمساكين والأيتام والفئات المحتاجة؛ بتخصيص الأوقاف لرعايتهم؛ فقد جاء في الحديث النّبوي: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَان انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالحٌ يَدْعُو لَهُ" [2]؛ فالوقف الإسلامي صورةً من صُور الصّدقة الجارية التي تعدّ مصدر تمويل دائم لتحقيق التّكافل والاستقرار المجتمعيّ[3].

- الدّعوة إلى كفالة اليتيم، وتشمل كفالته الوقف على دور الأيتام التي تعمل على إيوائهم أو تسبيل منفعة تلك الأموال لمنفعتهم، يقول النّبي ﷺ: "أنا وَكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كَهاتين، وأشارَ بأصبُعَيْهِ يعني : السَّبَّابةَ والوسطى"[4].

- الدّعوة إلى سدّ حاجة الفقراء وأهل العوز، للقضاء على الفقر والجوع والبطالة، ومن ذلك ما جاء في الحديث النبوي: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلاَّ كانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْه لَه صدقةً، وَلاَ يرْزؤه أَحَدٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةً"[5].

---

1. يُنظر: ساسي، التّنمية المستدامة (ص9).
2. سبق تخريجه ص383
3. يُنظر: الديب، أهميّة الوقف الإسلامي (ص129).
4. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما (8/9) حديث رقم (6005).
5. متّفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس (3/103) حديث رقم (2320)، ومسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب المساقاة والمعاملة بجزء من الزرع والثمر، باب فضل الغرس (3/1188) حديث رقم (1552).

وجاء في السنة النبوية: "أَنْ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ (رضي الله عنه) أصابَ أرْضًا بخَيْبَرَ، فأتَى النبيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فيها، فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي أَصَبْتُ أرْضًا بخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مالًا قَطُّ أنْفَسَ عِندِي منه، فَما تَأْمُرُ بهِ؟ قالَ: إنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أصْلَها، وتَصَدَّقْتَ بها قالَ: فَتَصَدَّق بها عُمَرُ، أنَّه لا يُباعُ ولا يُوهَبُ ولا يُورَثُ، وتَصَدَّقَ بها في الفُقَراءِ، وفي القُرْبى وفي الرِّقابِ، وفي سَبيلِ اللَّهِ، وابْنِ السَّبِيلِ، والضَّيْفِ لا جُناحَ علَى مَن ولِيَها أنْ يَأْكُلَ مِنْها بالمَعروفِ، ويُطْعِمَ غيرَ مُتَمَوِّلٍ"[1].

وفي الحديث تجليةٌ لصورة الوقف والتمكين من الاستفادة من منافعها[2]؛ إذ يُسهم الوقف في المجال الزّراعي عن طريق وقف الأراضي الزراعية على الأفراد والمؤسسات بقصد توفير الأمن الغذائي وضمان الرزق للأجيال الحاضرة واللاحقة وتجديد الموارد وتنوّعها، ويرُصد ريعُّها للصرف على الخدمات والمحتاجين، والذي بدروه يحمل عن الدّولة جزءٌ من الأتعاب الماليّة بتوفير هذه الاحتياجات، ومن خلال توفير مصدر رزق للعاملين فيها[3].

والمتأمل في فقه الوقف في الأحاديث الواردة؛ يرى أنّه تمَ تسبيلها على فئة عريضةٍ من طبقات المجتمع: "للفقراءِ وفي القُربى وفي الرِّقابِ وفي سبيلِ اللَّهِ وابنِ السَّبيلِ والضَّيفِ" كما ورد في وقف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وغيره من الصحابة الكرام، يُدرك أنّ الوقف يصبّ في مقصد عظيم هو التّنمية المستدامة، يقول رفيع: "فالبحث الاجتهاديّ في تدبير الأوقاف الإسلاميّة، هو المسؤول النظريّ عن توجيه نظام الوقف الإسلاميّ لخدمة هذا المقصد العظيم؛ ألا وهو حفظ حياة الإنسان ونشاطه وقدرته على الإعمار.... والوقف أقوى أموال الصّدقات القادرة على سد الخُلّة الاجتماعيّة وتلبية مختلف الحاجيات الإنسانيّة، بما تمتاز به من استقلاليّة وديمومة، خصوصًا وأنّ القصد من تلبية حاجيات الإنسان ليس الحفاظ على الإنسان حيًّا، بل الحفاظ عليه حّيا فاعلًا"[4].

أوْلت السنّة النّبوية عنايتها بالوقف لاستدامة تنمية الأمن الإنسانيّ؛ ومن ذلك:

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف (3/198) حديث رقم (2737)، ومسلم في صحيحه، كتاب الهبات، باب الوقف (3/1255) حديث رقم (1632).
2. يُنظر: ساسي، التّنمية المستدامة (ص31).
3. يُنظر: المرجع السّابق (ص33).
4. رفيع، محماد، المقاصد الشرعيّة للوقف الإسلامي تأصيلًا وتطبيقًا، المركز العلمي للنّظر المقاصدي، استُرجع بتاريخ 15/11/2024، https://makasid.com/wakf/

- الوقْف على تمويل بناء الربّط وتجهيزها استجابة لأمر الله تعالى؛ جهادًا بالمال وإعداد القوّة رعايةً للأمن الإنساني، وفي هذا السّياق: "أَمَرَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بالصَّدَقَةِ، فقِيلَ: مَنَعَ ابنُ جَمِيلٍ، وخَالِدُ بنُ الوَلِيدِ، وعَبَّاسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ما يَنْقِمُ ابنُ جَمِيلٍ إلَّا أنَّه كانَ فقِيرًا، فأغْنَاهُ اللَّهُ ورَسولُهُ! وأَمَّا خَالِدٌ فإنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا؛ قَدِ احْتَبَسَ أدْرَاعَهُ وأَعْتُدَهُ في سَبيلِ اللَّهِ"[1].

- ورغب النّبي ﷺ في ربط الخيل وفي احتباسها في سبيل الله تحقيقا للغرض ذاته؛ "من احتبسَ فرسًا في سبيلِ اللَّهِ إيمانًا باللَّهِ، وتصديقًا لوعدِ اللَّهِ كانَ شِبعُهُ وريُّهُ وبولُهُ ورَوثُهُ حسناتٍ في ميزانِهِ"[2].

وفي رواية: "ما تَرَكَ النبيُّ ﷺ إلَّا سِلَاحَهُ وبَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ، وأَرْضًا تَرَكَهَا صَدَقَةً"[3]؛ فلفظ (صدقة) تعني ؛ الوقفْ على التّخصيص، لأنَ رسول الله ﷺ لا يُورث؛ فما تركه صدقة يأخذ صفة الديمومة والجَريان، أي أنَ ما تركه يحُبس لصالح المسلمين عامّة[4].

المطلب الثّاني: الوقف في دولة الإمارات لتحقيق التنمية الاجتماعية المستدامة

ابتكرت الإمارات العربية المتحدة وسائل عديدة لآليّات الوقف وتطويره؛ من ذلك:

1. الصّكوك الوقفيّة[5] التي لها دورٌ كبيرٌ في دعم البُعد الاجتماعي للتّنمية

---

1. متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزّكاة، باب قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾[لتوبة: 60] (2/122) حديث رقم (1468)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها (2/676) حديث رقم (983).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسّير، باب من احتبس فرسًا في سبيل الله (4/28) حديث رقم (2853).
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ وصية الرجل مكتوبة عنده (4/2) حديث رقم (2739).
4. يُنظر: صبري، عكرمة سعيد، الوقف الاسلامي بين النّظرية والتّطبيق، دار النفائس، الأردن، ط2، 2011م، (ص93).
5. مفهومها: "هي أوراق ماليّة متساوية القيمة عند إصدارها. تكون قابلة للتداول في السّوق الثّانوية، وتصدر بهدف إنشاء أصل وقفي واستغلاله وتعظيم ريعه". حشيش، أميرة، الصكوك الوقفية كأداة لتعزيز الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للتنمية المستدامة عرض تجارب دولية مع الإسقاط على الجزائر اميرة حشيش وشعيب يونس، مجلة التمويل والاستثمار والتنمية المستدامة، مج 7،ع 2، 2022م، (ص467، 486-470).

المستدامة من خلال رعاية الفقراء والرّعاية الاجتماعية، والتّقليل من البطالة بمساعدة الطّبقات الهشّة والمعدومة بمبالغ مالية لإنشاء مشاريع صغيرة، وتقدّم الصّكوك الوقفيّة موردًا تمويليًا يَسهم في إيجاد بديل مناسب طويل المدى لتمويل مختلف أوجه التّكافل الاقتصاديّ، ودعم الاستدامة الماليّة للدولة وتنمية الادّخار، وتوظيفها في مشاريع استثماريّة، كما تُؤدّي دورًا محوريًا في ترقية الحركة الماليّة بما ينُعش الاقتصاد، وتوفير الحاجات الأساسيّة للأفراد في المجتمع، وإعادة توزيع الدّخل القوميّ، وبناء الثروة الإنتاجيّة، وتنمية القطاعات الاقتصاديّة المختلفة[1]، حيث أطلقت دبي صكوك الوقف الخيرية في بداية انطلاقها لعام 2022م بقيمة(100 مليون درهم)[2].

2. وقف المليار وجبة: مبادرة وقفيّة أطلقها صاحب السّمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، تهدف إلى مكافحة الجوع في العديد من دول العالم[3]، حيث بلغت احصائيات المشروع؛ ما يعادل (180) ألف مساهم في هذا المشروع بقيمة (مليار و75 مليون درهم حصيلة الحملة خلال 4 أسابيع)[4].

3. القضاء التّام على الفقر والجوع، من خلال إنشاء أوقاف الأيتام والفقراء، وأوقاف الرعاية الاجتماعية وخدمة المجتمع[5]؛ حيث بلغت احصائيات أوقاف دبي لسنة 2023م (80 مليون درهم)[6]، عمّت جميع قطاعات المجتمع.

---

1. يُنظر: المرجع السّابق (ص475-474)، وموقع الصّكوك الوطنية، صكوك الوقف، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م، https://www.nationalbonds.ae/ar/product-details?item=1316849b-ca2f-6f76-bc2c-ff1e005d5b89.

2. المكتب الإعلامي لحكومة دبي، دبي تطلق صكوك الوقف الخيرية، استُرجع بتاريخ 25/1/2025م. https://www.mediaoffice.ae/ar/news/2022/April/12-04/dubai-sukok

3. مبادرات محمد بن راشد آل مكتوم العالميّة، وقف المليار وجبة، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م، https://www.1billionmeals.ae/

4. وكالة أنباء الإمارات وام، 180 ألف مساهم في وقف الميار وجبة، https://www.wam.ae/ar/article/hszrgwdb-180-

5. الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة، التّنمية المستدامة، استُرجع بتاريخ15/11/2024م،https://www.awqaf.gov.ae/sustainability

6. وكالة أنباء الإمارات وام، 80 مليون درهم إنفاق(أوقاف دبي) في 2023م، استُرجع بتاريخ 25/1/2025م،

المبحث الثاني: آفاق التّنمية المستدامة في السنّة النبوية للوقْف العلمي والصحيّ وتفعيله في دولة الإمارات

تعد السنّة النبّوية مصدرًا غنيًا للمبادئ والقيم التي تشجّع على التّنمية المستدامة لبناء الإنسان في جانب الوقْف والتّطبيق على أرض الواقع من خلال الدّعوة إلى بناء المساجد ووقف الأراضي والأبنية وريْعها على منفعة المسلمين العامّة، لإنشاء الأوقاف كبناء المستشفيات وغيرها مما يدعم بناء الإنسان في جميع الجوانب والتي من أهمها الجانب العلميّ والصحيّ لرفع مستوى الوعي، وتحسين جودة الحياة واستمراريّة الموارد، ويظهر ذلك فيما يلي:

المطلب الأوّل: عناية السنّة النّبوية بالوقف لاستدامة تنمية الجانبين العلمي والصحيّ

أوّلًا: عناية السنّة النّبوية بالوقف لاستدامة تنمية بناء الإنسان في الجانب العلميّ

للوقْف الإسلامي أثرٌ كبيرٌ في التنمية العلميّة من خلال استثمار الأوقاف في التعليم، والبحث العلمي، وبناء الجامعات والمدارس المتخصّصة[1].

يتجلى لنا عناية السنّة بالوقف لتحقيق استدامة تنمية بناء الإنسان في الجانب العلمي من خلال:

- الدّعوة إلى طلب العلم ونشره: "من سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللّهُ لَهُ طريقًا إلى الجنَّةِ"[2]، وإذ يعد الإنفاق على العلم وطلبته، وجهًا من وجوه البرّ، وله أثرٌ بارزٌ في التنمية المستدامة لبناء الإنسان في الجانب العقلي والعلميّ؛ دأبت المؤسسات الوقفية كأداة قويّة لتحقيق التنمية المستدامة على دعم التّعليم من خلال المساهمة في بناء المدارس والجامعات والمكتبات ودعم البحث العلميّ وتوفير المنح الدراسية، مما

---

https://www.wam.ae/ar/article/b3466v3-

1. الجميلي، سعدي خلف، الوقف الإسلاميّ وأثره في التّنمية العلميّة، دراسة مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدوليّ الرّابع؛ كلية الشّريعة في جامعة آل البيت في المملكة الاردنية الهاشمية، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م.https://www.google.com/search?q=

2. أخرجه التّرمذي في سننه، المحقق/ إبراهيم عطوة، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م، أبواب العلم، باب فضل طلب العلم (5/28) حديث رقم (2646) وقال: "حديث حسن".

يشجع على التعليم المستمر والبحث العلمي، للمساهمة في بناء مجتمعات إنسانية أكثر وعيًا في جانب العلم والمعرفة.

-التّشجيع على التّبرع ووقف المساجد وتوفير دخل مستمر لصيانتها وتطويرها والإنفاق على القائمين عليها، حيث تعدّ منارةً فكريّة وعلمية وثقافية إضافة لدورها الرّوحي في بناء التّنمية المستدامة للإنسان؛ جاء في الحديث الشريف عن عُثْمانَ بنَ عَفَّانَ (رضي اللّه عنه) "عِنْدَ قوْلِ النَّاسِ فيه حِينَ بَنَى مَسْجِدَ الرَّسُولِ ﷺ: إنَّكُمْ أكْثَرْتُمْ، وإنِّي سَمعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: مَن بَنَى مَسْجِدًا ... يَبْتَغِي به وجْهَ اللَّهِ - بَنَى اللَّهُ له مِثْلَهُ في الجَنَّةِ."[1]

ثانيًا: عناية السنّة النّبوية بالوقف لاستدامة تنمية بناء الإنسان في الجانب الصحيّ

جاءت النّصوص النّبوية تدعو إلى العناية بالصحّة الإنسانية، فقد قال النبي ﷺ "المؤمنُ القَوِيُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كلٍّ خيرٌ"[2]، لذلك تعدّ العناية بتنمية الإنسانية وتحقيق استدامة الرّعاية الصحية وجهًا من وجوه البرّ الذي يمكن تطبيقه من خلال إنشاء ودعم المؤسسات الوقفية الصحيّة كالعيادات والمستشفيات بتوفير الأجهزة الطبيّة، ودعم الأبحاث للوقاية من الأمراض وعلاجها، وتوفير جميع الخدمات الطبيّة للمحتاجين.

المطلب الثاني: الوقف في دولة الإمارات لتحقيق التنمية المستدامة في الجانبين العلمي والصحيّ

أوّلًا: أوقاف الإمارات في تحقيق الاستدامة التنمويّة في الجانب العلميّ

ساهمت أوقاف الإمارات في التنمية المستدامة العلميّة من خلال:

- الوقف على التّعليم: بدعم إنشاء الجامعات والمؤسسات التعليميّة، وتقديم المنح الدراسية للطلبة المتفوقين، وتطوير المناهج الدراسية لتعزيز القيم الإسلامية والوطنيّة، وتعدّ منح مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة بالتّعاون مع الشركاء الاستراتيجيين كمجموعة وصل لإدارة الأصول التّابعة لمؤسسة دبي العقارية لدعم أربعً

1. متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب من بنى مسجدا (1/97) حديث رقم (450)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصّلاة، باب فضل بناء المساجد (1/378) حديث رقم (533).
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوّة (4/2052) حديث رقم (2664).

وعشرون مدرسة حكومية ومؤسسات تعليمية تمثلت دعم صندوق الطّلبة لتوفير أجهزة الحاسوب والمواصلات وأجهزة الطعام لذوي الدخل المحدود، وأعمال الصيانة والمظلات وتوفير التّجهيزات الخاصة بالمدارس ومختبرات التعلم الذكي[1]، وكمؤشر قوي للدلالة على ذلك أنجزت أوقاف الإمارات وقفًا علميًا بـ(2.25 مليون درهم)، ضمن مشروع "وقف أتعلم" في منطقة الراشدية بدبي وتخصيص ريعه لصالح تعليم أبناء المحتاجين[2].

وتعمل مؤسسة الأوقاف وشؤون القصر في دبي على تقديم المنح الدّراسية للقصّر وفئة محدودي الدّخل، وتكريم المتفوقين منهم، وتوفير اللوازم الدّراسية[3]، ومن مؤشرات ذلك ما خصصته مؤسسة الأوقاف وإدارة أموال القصر للمنح التعليمية بما يعادل (750 ألف درهم) لدعم 650 طالب وطالبة في جامعة زايد وكليات التقنية[4].

-الوقف على البحث العلمي: بدعم المشاريع البحثية في مجالات الطاقة المتجددة، والبيئة، والطب، والتكنولوجيا، ومن الأمثلة على ذلك قيام مؤسسة دبي القابضة بتخصيص مبلغ خمسون مليون درهم سنويا من إيراداتها لصالح الابتكار وبحوث المستقبل، وخصّصت محاكم دبي نسبة من إيجار المحلات التّجارية في مقرها لصلاح رسوم الجامعات لغير القادرين على سدادها[5].

- وقف لبناء المدارس: العديد من الأوقاف تخصص أموالها لبناء المدارس وتوفير التعليم للأطفال في المناطق المحرومة.

- أوقاف بناء المساجد، والمشاريع التي يُرصد ريعها لرعاية شؤونها؛ مثل مشروع أوقاف دبي في تشييد مركز التسوّق الوقفي لرعاية شؤون مساجد الإمارة[6].

---

1. يُنظر: الجابري، زهرة، والعيساوي، إسماعيل، الوقف التّعليمي في إمارة دبي (دراسة تحليلية)، مجلة البحوث الإسلامية والدّراسات الإسلامية، مج12، ع1، 2020م، (ص123، 156-144).
2. وكالة أنباء الإمارات وام، "أوقاف دبي تنجز وقفا تعليميا"، استُرجع بتاريخ 25/1/2015م، https:// -www.wam.ae/ar/article/hszrefqf
3. ينظر: الجابري والعيساوي، إسماعيل، الوقف التّعليمي (ص146).
4. صحيفة الخليج، أوقاف دبي، استُرجع بتاريخ 25/1/2025م، https://www.alkhaleej.ae/2024-06-09/
5. يُنظر: المرجع السابق (ص148).
6. وكالة أنباء الإمارات وام، أوقاف الإمارات تشيد مركز تسوق وقفي صديقًا للبيئة لرعاية شؤون المساجد. https://www.wam.ae/ar/article/b4fsvct

- إنشاء المراكز الوقفيّة الاستشارية للوقف والهبة؛ مثل مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة، لتحقيق أفضل الممارسات العالمية للأوقاف والهبات، وإطلاق مبادرة الوقف المبتكر كنموذج حديث يشكل أداة تنموية للمجتمع، والذي خصص من خلاله مشاريع متعددة منها؛ وقف كلية الدّراسات الإسلامية والعربية للتّعليم المجانيّ ودعم الطلبة المحتاجين بمخصّصات ماليّة حيث بلغ عدد الخريجين منها أكثر من (10870) طالب وطالبة من مختلف دول مجلس التعاون، ووقف كلية محمد بن رشاد للإعلام، ووقف آفاق الإسلامية للتمويل، ووقف إذاعة القرآن الكريم، ومؤسسة الغرير للتّعليم لدعم التّعليم في العالم العربي[1].

ثانيًا: أوقاف الإمارات في تحقيق الاستدامة التنمويّة في الجانب الصحيّ

تُسهم أوقاف الإمارات في الاستدامة التّنموية للجانب الصحيّ من خلال إنشاء أوقاف الرّعاية الصحية؛ بإنشاء المستشفيات والمراكز الصحيّة، وتوفير الرعاية الصحية للمحتاجين، ودعم البحوث الطبية، لتحقيق الصحّة الجيدة والرّفاه، وتوفير المياه النّظيفة من خلال مشاريع سقيا الماء[2].

وقدّمت دائرة الصحّة في أبو ظبي بالتّعاون مع هيئة الأوقاف وإدارة أموال القصّر العديد من المبادرات للرّعاية الصحيّة؛ أهمّها وقف الرعاية الصحيّة في أبو ظبي تحت رعاية سمو الشيخ خالد بن محمد بن زايد آل نهيان بقيمة مليار درهم، وسيعمل الوقف على استثمار الأموال التي يتم جمعها لسدّ الفجوة المالية من خلال أرباح الوقف وعوائده، وتوظيفها في برامج الرعاية الصحية الأساسية والعلاجات، وينصبّ التركيز الأساسي لهذه المبادرة على إنشاء إطار جديد للأدوات المالية المستدامة بما يضمن التدفق الدائم لها نحو الحاجات الصحية ذات الأولويّة[3].

---

1. يُنظر: الجابري والعيساوي، الوقف التّعليمي في إمارة دبي (ص146-141، 151).
2. الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة، التنمية المستدامة، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م، https://www.awqaf.gov.ae/sustainability.
3. مكتب أبو ظبي الإعلامي، https://www.mediaoffice.abudhabi/ar/health/department-of-health-abu-dhabi-and-endowments-and-minors-funds-management-authority-launch-aed1bn-healthcare-endowment-fund/

المبحث الثّالث: آفاق التّنمية المستدامة في السنّة النبوية للوقْف البيئي وتفعيله في دولة الإمارات

المطلب الأوّل: عناية السنّة النّبوية بالوقف لاستدامة التّنمية البيئية

أوْلت السنّة النّبويّة عنايةً كبيرة بالبيئة، وذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى أودع فيها الثروات والموارد من أجل عمارة الأرض والكون، ونظرًا لما يعترض البيئة من مخاطر تغيّر المناخ، والممارسات غير السّليمة، جاءت توجيهات السنّة النّبوية تسعى إلى تحقيق التنمية المستدامة لاستمرارية الاستفادة من البيئة وحفظها للأجيال القادمة[1]، ومن تلك التّوجيهات إقرار الوقف والصدقات على المشاريع المائيّة لاستمرارية ديمومة الماء:

جاء في الحديث النّبوي عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال: "أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ، وَلاَ أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ؟" فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ؟" فَجَهَّزْتُهمْ"[2].

يظهر في الحديث، دور السنّة النبوية في الدّعوة إلى مراعاة نُظم البيئة ووضع الحلول التي تضمن الحفاظ على ثرواتها، واستغلالها على الوجه الصحيح[3]، وكذلك التّطبيق لها من خلال الدّعوة إلى الوقف على المشاريع البيئيّة لضمان ديمومتها واستمرارها لتحقيق الأمن الغذائي، والحفاظ على التّربة؛ ففي هذا الحديث فتح باب للمسارعة والتنافس في البذل والعطاء وتسبيل المنفعة وحبسها لديمومة واستمرارية الأمن المائي وتوفير الماء الصّالح للشرب من خلال دعم مشاريع الريّ، إنّ هذا التّرغيب يفتح بابا للتنافس والمسارعة للبذل والعطاء في توفير الماء الصالح للشرب لكل من يحتاجه.

ووجّهت السنّة النّبوية إلى تخصيص أوقافٍ لتوفير المياه للشّرب والزّراعة، مما يساهم في الحفاظ على هذا المورد الطبيعيّ، وذلك من خلال حثّ النبي ﷺ على حفر الآبار وتوفير المياه للناس والحيوان؛ ففي في الحديث: "أن أبو طلحةَ أكثَرَ أنصاريٍّ مالًا وكان أحَبَّ أموالِه إليه بَيْرَحاءُ ... فقال: يا رسولَ اللهِ ... وإنَّ أحبَّ مالي إليَّ بَيرَحاءُ فإنَّها صدقةٌ للهِ

1. الدماك، دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة (ص64-63).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب إذا وقف بئرا أو أرضا واشترط لنفسه (4/13) حديث رقم (2778).
3. يُنظر: ساسي، التنمية المستدامة (ص9).

أرجو بِرَّها وذُخْرَها عندَ اللّهِ فضَعْها حيث شِئْتَ فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: (بَخٍ ذاك مالٌ رابحٌ بَخٍ ذاك مالٌ رابحٌ وقد سمِعْتُ ما قُلْتَ فيها وإنِّي أرى أن تجعَلَها في الأقربينَ) فقال أبو طلحةَ: أفعَلُ يا رسولَ اللّهِ فقسَمها أبو طلحةَ في أقاربِه وبني عمِّه"[1]، ويعدّ العلماء حديث بيرحاء أصلا في فضل الوقف وأهميّته الدّينية والدنيويّة[2].

ولضمان استمراريّة كفاية الماء وديمومته للحفاظ على للأمن المائي، حثّ النّبي ﷺ على تسبيل منفعة البئر، ليحقق ضمان تلبية الحاجة المائية بشكل مستمرّ لجميع الفئات: "ثُمَّ قَالَ أُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُومَةَ لَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ مِنْهَا أَحَد إِلاَّ بِثَمَنٍ فَابْتَعتُهَا فَجَعَلْتُهَا لِلْغَنِيِّ وَالفَقِيرِ وابْنِ السَّبِيلِ؟ ..."[3].

المطلب الثاني: الوقف في دولة الإمارات لتحقيق التنمية البيئية المستدامة

تعدّ أوقاف الإمارات في التنمية المستدامة للحفاظ على البيئة من النماذج المتميزة في الدّول المسلمة التي تبنّت مبدأ الماء للجميع؛ وذلك من خلال هيئة سُقيا الماء التي تعدّ من أبرز صور الوقف البيئية وتحقيقها للتّنمية المستدامة؛ ففي رمضان عام 2014م، أطلق الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، مبادرة: "سُقيا الإمارات"؛ بهدف توفير المياه النظيفة لخمسة ملايين شخص حول العالم، وتمّ جمع (180 مليون درهم) في فترة لا تتجاوز بضعة أيام، تكفي توفير مياه شرب نقيّة لأكثر من سبعة ملايين شخص حول العالم، وعلى أثر هذه الحملة أصدر الشيخ محمد بن راشد قانونا بإنشاء مؤسسة سُقيا الإمارات في شهر مارس، عام 2015م، لتستمرّ السّقيا في المساجد، وخِيم الإفطار، وجميع أنحاء الدّولة، والمشاركة في معالجة أزمة المياه العالميّة[4]، والتي هدفت إلى الحفاظ على الأمن المائيّ بأساليب متعددة، وتوصيلها لأكثر من ثلاثة عشر مليون شخص في ست وثلاثين دولة، وتقوم تلك المشروعات على التّبرعات التي تصل الهيئة من المُحسنين

---

1. متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب (2/119) حديث رقم (1461)، وكتاب الوكالة، باب إذا قال الرجل لوكيله: ضعْه حيث أراك (3/102) حديث رقم (2318)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة (2/693) حديث رقم (998).
2. يُنظر: ساسي، التّنمية المستدامة (ص32).
3. أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب المناقب، باب في مناقب عثمان (رضي اللّه عنه) (5/625) حديث رقم (3699) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عُثْمَانَ".
4. يُنظر: سُقيا الإمارات.https://www.suqia.ae/ar-AE/donate

قُربةً لله تعالى[1].

وأخيرًا:

- قدّمت السنّة النّبوية الكثير من الأمثلة التّطبيقية على مفهوم الوقْف، ودوره في تحقيق التّنمية المستدامة؛ هذه الأمثلة تؤكّد أنّ الوقْف ليس مجرد عمل خيريّ؛ بل هو استثمار في المستقبل، يُساهم في بناء مجتمعات متوازنة ومستدامة؛ ويُشير السّبهاني إلى أنّ كثيرا من المؤسسات الاجتماعيّة نشأت بمبادرات خيريّة فرديّة تعكِس الحسّ الرفيق للمسلم باحتياجات مجتمعه[2].

- أوْلت الدّول الإسلاميّة استمدادًا من قيم السنّة النبوية عنايتها بالوقْف الإسلامي لأهمية دورها في تحقيق التّنمية المستدامة، ولا شكّ أنّ ما سبق ذكره من عناية السنّة النّبويّة بالوقف لاستدامة التّنمية في جميع أبعادها جزءًا لا يتجزأ من التنمية المستدامة الاقتصادية التي هي عصبُ الحياة؛ إذ أن بناء الإنسان معرفيّا وصحيا، يعدّ من الاقتصاد المعرفي الذي يُسهم في العمل على تطوير وتشغيل المنشئات العلميّة والصحية ورفع مستوى الاقتصاد المعيشي والمجتمعيّ؛ كذلك مساهمة الوقف الإسلامي بتحقيق التّنمية المستدامة لتحقيق الأمن الغذائي والمائي والذي يوفرّ على الدّولة نفقات كثيرة في هذا الجانب.

- ولا يتحققّ ذلك إلا من خلال التّطوير وعقد الشّراكات، وتداول المال الحلال بالطُّرق المشروعة بين النّاس، وعدم جعلها حِكرًا على أحد[3].

---

1. يُنظر: المرجع السّابق،https://www.suqia.ae/ar-AE/donate.
2. يُنظر: السّبهاني، دور الوقف في التّنمية المستدامة (ص47).
3. يُنظر: الدماك، دور السنّة النّبوية (ص46-43).

الخاتمة

وفيها أهم النّتائج وأبرز التّوصيات

النّتائج

بعد حمد الله تعالى وتوفيقه، والصّلاة والسّلام على صفوة خلقه وخاتم رسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد، فبعد هذا التّطواف لا يسعني إلاّ أن أسجّل النّتائج الآتية:

- الوقْف الإسلامي، باعتباره مؤسسة عريقة، يمثل أداة قويّة لتحقيق التنمية المستدامة؛ من خلال استلهام الهدي النبويّ وتطوير آليات عمل الوقف، ويمكن للمجتمعات الإسلاميّة أن تساهم بشكل فعال في بناء مستقبل مستدام للجميع.

- النماذج التطبيقية من السنة النبوية تؤكد أن الوقف الإسلامي يمثل أداة قوية لتحقيق التنمية المستدامة. من خلال الاستفادة من هذه النماذج وتطويرها، يمكن للمجتمعات الإسلامية أن تبني مستقبلًا مزدهرًا قائمًا على العدل والمساواة والتنمية المستدامة.

- يمتاز الوقف الإسلامي في السنّة النبويّة بعدّة خصائص من حيث اللّزوم، والديمومة، والتنوع، وآفاقه الدنيوية في تحقيق العدالة الاجتماعية والحفاظ على البيئة والتنمية المستدامة، وآفاقه الأخروية في والأجر المترتب عليه والذي يستمر باستمرار الوقف، وغير ذلك من الأحكام المرتبطة به، مما يساعد على تحقيق التّنمية المستدامة.

- الوقف الإسلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة يمثل نموذجًا يحُتذى به في المنطقة، حيث يساهم بشكل فعال في تحقيق أهداف التنمية المستدامة. من خلال الاستفادة من الإمكانات الكبيرة التي يوفرها الوقف على المستوى العالمي؛ حيث بلغت إحصائيات المساهمين والداعمين في (أوقاف دبي) -حتى عام 2024م- ما يعادل ثمان وعشرون مؤسسة وقفية بقيمة (2.7) مليار درهم، وكانت النتائج السنوية لأعمال مؤسسة مبادرات محمد بن راشد آل مكتوم العالمية للعام 2021م؛ ما يعادل (1،1 مليار درهم) لحجم إنفاق المبادرات، و(91 مليون مستفيد في 97 دولة حول العالم). وبلغت أوقاف المؤسسات العائلية ما يعادل تسعة وتسعون وقفًا ذريًّا، بقيمة (2،8) مليار درهم.

- ابتكرت الإمارات العربية المتحدة وسائل عديدة لآليّات الوقف وتطويره لتحقيق

التنمية الاجتماعية المستدامة من خلال؛ الصّكوك الوقفيّة الخيرية لتقديم موردًا تمويليًا طويل المدى لتمويل مختلف أوجه التّكافل الاقتصاديّ حيث بلغت قيمتها في بداية انطلاقها لعام 2022م بقيمة(100 مليون درهم)، ووقف المليار وجبة وبلغت إحصائيات المشروع ما يعادل(180) ألف مساهم بقيمة (مليار و75 مليون درهم كحصيلة للحملة خلال أربعة أسابيع).

- ساهمت أوقاف الإمارات في التنمية المستدامة العلميّة من خلال الوقف على التعليم، ومن ذلك ما أنجزته أوقاف الإمارات التعليمية بقيمة (2.25 مليون درهم)، ضمن مشروع "وقف أتعلم" في منطقة الراشدية بدبي وتخصيص ريعه لصالح تعليم أبناء المحتاجين، وما خصصته مؤسسة الأوقاف وإدارة أموال القصر للمنح التعليمية بقيمة (750 ألف درهم) لدعم 650 طالب وطالبة في جامعة زايد وكليات التقنية، والوقف على البحث العلمي ومثاله قيام مؤسسة دبي القابضة بتخصيص مبلغ خمسون مليون درهم سنويًا من إيراداتها لصالح الابتكار.

- تُسهم اوقاف الإمارات في الاستدامة التّنموية للجانب الصحيّ من خلال إنشاء أوقاف الرّعاية الصحية؛ ومن ذلك وقف الرّعاية الصحيّة بقيمة مليار درهم.

- تعدّ أوقاف الإمارات في التنمية المستدامة للحفاظ على البيئة من النماذج المتميزة في الدّول المسلمة التي تبنّت مبدأ الماء للجميع؛ ؛ ففي رمضان عام 2015م، أصدر الشيخ محمد بن راشد قانونا بإنشاء مؤسسة سُقيا الإمارات لأكثر من ثلاثة عشر مليون شخص في ست وثلاثين دولة.

- التّنوع في مشاريع الوقف لتلبية احتياجات المجتمع المتعددة في الجوانب الاجتماعية والبيئية والإنسانية والاقتصادية، وكذلك الاستدامة، والشّراكة بين جميع القطاعات على صعيد الأفراد والمجتمعات، وهذا متوافق مع السنة النبوية في تحقيق أفق التنمية المستدامة في جانب الوقف الإسلامي.

التّوصيات:

- تعميم مثل هذه الدّراسات على المؤسسات الوقفية، والجهات ذات العلاقة.
- دعوة الباحثين لدراسة نماذج أخرى ناجحة في جانب تفعيل الهدي النبوي لتحقيق التنمية المستدامة في جانب الوقف الإسلامي؛ مثل وقف الراجحي

وغيرها من أوقاف المملكة العربية السعودية.

- ترجمة بحوث النّدوة إلى اللغات المختلفة لتبادل الخبرات بين الدّول الإسلامية في جانب تطوير الوقف لتحقيق التنمية المستدامة وفق الأطر الشرعية النبوية.

المصادر والمراجع

- أبْعاد التّنمية المستدامة وعلاقتها ببناء الإنسان في السنّة النبوية، سعيد، عبد الرّحيم أبو طاهر، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 181، 1972م، (ص74-51).
- آثار التّنمية المُستدامة في السنّة النبوية، دورية الإنسانيات، وجيه سرحان ورانيا نظمي، جامعة دمنهور، العدد 62، ج3، 2024م. (ص276-251).
- الإنصاف في معرفة الرّاجح من الخلاف، المرداوي، علي بن سليمان، دار إحياء التراث العربي، مصر، ط2، د. ت.
- أهميّة الوقف الإسلامي في التّنمية الاجتماعية والاقتصادية، الدّيب، جمال، المجلة الجزائرية للعوم القانونية والاقتصادية والسياسية، 2014م، مج3، ع51، (ص-113 140).
- أوقاف النبي ﷺ (دراسة حديثية موضوعية)، آل معدي، محمد بن عبد الله بن راشد، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر، ع33، ج1، مصر 2021م، (ص1152-1091).
- التّنمية المستدامة في السنّة النّبوية، ساسي، فراس، رسالة ماجستير، إشراف محمد الزعايري، 2018م.
- التّنمية المستدامة في السنّة النّبوية "دراسة تأصيليّة"، الخرمان، بكر عبد الله، رسالة ماجستير، إعداد بكر عبدالله الخرمان، إشراف علي إبراهيم عجين، جامعة آل البيت، 2017م.
- الجامع المسند الصحيح، البخاري، محمد بن إسماعيل، المحقق/ محمد بن زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 2001م.
- دور التّشريعات الإسلامية في تحقيق التّنمية المستدامة، القادري، إيمان، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، مج 4، ع7، (ص341-327).
- دوْر السنّة النّبوية في تحقيق التّنمية المستدامة، الدماك، عادل راشد، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، 2022م، (ص79-15).
- سنن التّرمذي، التّرمذي، محمد بن عيسى، المحقق/ إبراهيم عطوة، شركة ومطبعة

مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م.

- شرح النووي على مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، النووي، يحيى بن شرف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1972م.
- الصكوك الوقفية كأداة لتعزيز الأبعاد الاقتصادي والاجتماعية للتنمية المستدامة عرض تجارب دولية مع الإسقاط على الجزائر، اميرة حشيش وشعيب يونس، مجلة التمويل والاستثمار والتنمية المستدامة، مج 7، ع 2، 2022م (467ص486-).
- كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، المحقق/ مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، د. ط. ت.
- لسان العرب، الإفريقي، محمد بن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م.
- المسند الصحيح المختصر، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت.
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الحطّاب الرّعيني المالكي، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، دار الفكر، ط3، 1992م.
- الوقف الاسلامي بين النّظرية والتّطبيق، صبري، عكرمة سعيد، دار النفائس، الأردن، ط2، 2011م.
- الوقْف الإسلاميّ ودوْره في تحقيق التّنمية المستدامة، عرض التّجربة الجزائريّة في تسيير الأوْقاف، صالح صالحي، ونوال عمارة، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية ع1، 2014م، (164-151).
- الوقف التّعليمي في إمارة دبي (دراسة تحليلية)، الجابري، زهرة، والعيساوي، إسماعيل، مجلة البحوث الإسلامية والدّراسات الإسلامية، مج12، ع1، 2020م، (156-123).
- الوقْف في التّنمية المستدامة، السّبهاني، عبد الجبّار، مجلة الشريعة والقانون، ع44، 2010م (79-19).

المواقع الالكترونية:

- سُقيا الإمارات.https://www.suqia.ae/ar-AE/donate

- صحيفة الخليج، أوقاف دبي، استُرجع بتاريخ 25/1/2025م، https://www.alkhaleej.ae/2024-06

- صكوك الوقف، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م، sukukalwaqf.ae.

- الصّكوك الوطنية، صكوك الوقف، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م، https://www.nationalbonds.ae/ar/product-details?item=1316849b-ca2f-6f76-bc2c-

- الصناديق الوقفية المعاصرة، تكييفها، أشكالها، حكمها، الزّحيلي، محمد،، https://msky.ws/wp-content/uploads/2018/04.pdfff1e005d5b89.

- مبادرات محمد بن راشد آل مكتوم العالميّة، وقف المليار وجبة، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م، https://www.1billionmeals.ae/

- مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة 2024، الوقف المبتكر، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م،https://mbrgcec.ae/ar/innovative-endowment.

- المقاصد الشرعيّة للوقف الإسلامي تأصيلًا وتطبيقًا، رفيع، محماد، ، المركز العلمي للنّظر المقاصدي، استُرجع بتاريخ 415/11/202، https://makasid.com/wakf/

- مكتب أبو ظبي الإعلامي، https://www.mediaoffice.abudhabi/ar/health/department-of-health-abu-dhabi-and-endowments-and-minors-funds-management-authority-launch-aed1bn-healthcare-endowment-fund/

- المكتب الإعلامي لحكومة دبي الثلاثاء 2 يوليو 2024، مركز دبي للشركات العائلية يناقش استخدامات الوقف والمؤسسات وصناديق العُهد في الشركات العائلية)، https://mediaoffice.ae/ar/news/2024/july/02-07/dubai-centre-for-family-businesses-discusses).

- المكتب الإعلامي لحكومة دبي، محمد بن راشد يعلن النتائج السنوية لأعمال مؤسسة مبادرات محمد بن راشد آل مكتوم العالمية للعام 2021م، https://www.mediaoffice.ae/ar/news/2022/april/28-04/mbr-gloabal-iniatives-

- منصة أوقافي، الوقف المستدام في الإمارات العربية المتحدة، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م، https://awqafi.ae/uae.php.

- منظمة الأمم المتّحدة، أهداف التّنمية المستدامة، استُرجع بتاريخ15/11/2024م، https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/development-agenda/.
- مؤسسة الأوقاف وإدارة أموال القصّر، استُرجع بتاريخ 25/1/2025م، https://www.facebook.com/story.php/?story_fbid=10407497813901878&id=100063655238619
- الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة، التّنمية المستدامة، استُرجع بتاريخ 15/ 11/2024م. https://www.awqaf.gov.ae/sustainability
- الوقف الإسلاميّ وأثره في التّنمية العلميّة، الجميلي، سعدي خلف، دراسة مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدوليّ الرّابع؛ بعنوان، (الوقف على البحث العلمي وأثره في الشهود الحضاري)، كلية الشّريعة في جامعة آل البيت في المملكة الاردنية الهاشمية، بالتعاون مع المنتدى العالمي للوسطيّة، وديوان الوقْف السنيّ في العراق، استُرجع بتاريخ 15/11/2024م. https://www.google.com/search?q=
- وكالة أنباء الإمارات وام، أوقاف الإمارات تشيد مركز تسوق وقفي صديقًا للبيئة لرعاية شؤون المساجد. https://www.wam.ae/ar/article/b4fsvct
- وكالة أنباء الإمارات وام، 180 ألف مساهم في وقف الميار وجبة، https://www.wam.ae/ar/article/hszrgwdb-180-
- وكالة أنباء الإمارات وام، 80 مليون درهم إنفاق(أوقاف دبي) في 2023م، استُرجع بتاريخ 25/1/2025م، https://www.wam.ae/ar/article/b3466v3-
- وكالة أنباء الإمارات وام، " أوقاف دبي تنجز وقفا تعليميا"، استُرجع بتاريخ 25/1/2015م، https://www.wam.ae/ar/article/hszrefqf-

التنمية المستدامة أثناء الحروب في السنة النبوية

د. سلسبيل نصيرة

الجزائر

ملخص

لم تكن الحروب في حياة رسول الله ﷺ حدثا عابرا، بل جسدت محطات مهمة، وأسهمت في إعداد شخصية مسلمة قوية قادرة على تحمل التحديات مستقبلا، وذلك بما سنه رسول الله ﷺ من أحكام رسمت ملامحا عامة، وخطوطا عريضة لتنمية المجتمع المسلم بعد الحروب، تحسن الأوضاع وتضمن استمرار تشييد الحضارة لأجيال كثيرة؛ لذلك جاءت هذه الورقة البحثية لاستخلاص مرتكزات التنمية من أحكام الجهاد في الأحاديث النبوية، وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، أهمها: أن التنمية عملية منظمة يلزم الإعداد السابق لها نفسيا وماديا، ولضمان السير المنظم وجب على كل فرد الالتزام بالأدوار واحترام الرتب، مع ضرورة الالتفات إلى تشجيع مبادرات العاملين وحفظ جهودهم.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية- التنمية- المستدامة- الحروب.

Abstract

The wars in the life of the Messenger of Alla **- God's blessings and peace be upon him**- were not a transient event, but embodied important milestones, and contributed to the preparation of a strong Muslim personality capable of withstanding future challenges, through the provisions of the Messenger of Allah **- God's blessings and peace be upon him-** which drew general features and broad outlines for the development of the Muslim community after wars, improving the situation and ensuring the continuation of civilization for many generations; Therefore, this research paper came to extract the pillars of development from the provisions of jihad in the prophetic hadiths, and the research reached a set of results, most importantly: Development is an organized process that requires prior psychological and material preparation, and to ensure orderly progress, everyone must adhere to roles and respect ranks, with the need to pay attention to encouraging the initiatives of workers and preserving their efforts.

Keywords: Sunnah, development, sustainable development, wars.

مقدمة

يمتاز التشريع الإسلامي بالشمولية، إذ يقوم على تشييد بناء متكامل يُؤمّن للإنسان التوازن في جميع جوانب الحياة، ابتداء من تنشئة شخصية إسلامية قوية لدى الفرد بوصفه لبنة أساسية في المجتمع، وصولا إلى تطوير الجوانب الاجتماعية والاقتصادية التي تحكم علاقاته مع محيطه الخارجي.

اهتم الإسلام بالمحافظة على المجتمعات وتطويرها، لأن جمودها يؤدي إلى التلاشي التدريجي، فكل ما لا يتطور إلى الأفضل فسيتراجع إلى الأسوأ. ولأن المجتمع يمر بتقلبات وتعصف به ظروف عصيبة؛ منها حالات الخلاف والمواجهات العسكرية، وما ينجر عنها من اضطرابات في المجالات المختلفة، تؤثر بشكل مباشر في المستوى الشخصي والأسري والمجتمعي.

لذلك على الأمة الإسلامية عموما ومتولي شؤونها خصوصا الحرص على استمرارية الأمة ونمائها لتواكب التطور العالمي تحت كل الظروف، مع المحافظة على الشخصية الإسلامية المميزة؛ فالتطور لا ينافي الثبات على القيم والمبادئ.

ولتوفير النقلة النوعية في المستويات المعيشية مع المحافظة على الهوية الإسلامية يجب أن تكون ركيزتنا الأولى التي نستمد منها خططنا وسبل التقدم، مستمدة من مصادرنا التشريعية التي من أبرزها القرآن الكريم والسنة النبوية، فنستشف منها خطوات رسم خطط تنموية مستدامة، تحقق الأهداف الدنيوية المرجوة التي لا تخالف ديننا، وانطلاقا من هذا جاءت إشكالية بحثنا المتمثلة في:

كيف يمكن الاستفادة من الأحكام والتشريعات المتعلقة بالحروب في السنة النبوية في دفع عجلة التنمية؟

1. **أهمية البحث:**

أ- يعتمد على ثاني مصادر التشريع الإسلامي وهو السنة النبوية.

ب- يلقي الضوء على حالة استثنائية في حياة البشرية، والمتمثلة في حالة الحرب.

ج- يعلم كيفية الاستفادة من كل الظروف المحيطة للتطور نحو الأفضل.

2. أسباب اختيار البحث:

أ- أسباب ذاتية: من الأسباب الذاتية التي دفعتني لاختيار الموضوع: هي حالة الأمة المسلمة وما تعيشه من حروب مستمرة واضطهاد دائم، مما أثر بشكل سلبي في حركة التنمية فيها، وجعلها دائما من الدول المتخلفة أو القابعة في درجة أفضل من ذلك بقليل، وهي درجة السائرين في طريق النمو.

ب- أسباب موضوعية: من الأسباب الموضوعية أن الموضوع يخدم أهداف المؤتمر، ويعالج محاوره.

3. أهداف البحث:

أ- إبراز مكانة الهدي النبوي في جميع الأوضاع، وبالأخص في حالة الحروب.

ب- التعرف على كيفية الاستفادة من الأحكام النبوية أثناء الحرب في دفع عجلة التنمية.

ج- إسقاط حالة الحرب ومصاعبها على حالة التنمية ومعوقاتها.

د- استشفاء أثر مواقف النبي ﷺ في بناء شخصية تنموية للأفراد.

4. الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي في حدود اطلاعي لم أقف على دراسة علمية لها صلة وثيقة ومباشرة بموضوع ورقتي البحثية، التنمية المستدامة أثناء الحروب في السنة النبوية.

5. منهج البحث:

- **المنهج الاستقرائي:**

وبالضبط الاستقراء الناقص الذي يعتمد على اختيار العيّنات؛ حيث سمح هذا المنهج بجمع عدد من الأحاديث التي موضوعها الأساسي أحكام الحرب ومجرياته.

- **المنهج التحليلي:**

بعد جمع الأحاديث واستقرائها، عملت على تحليل محتوى بعض منها، ورصد السمات المشتركة بين الأحاديث التي كان محورها الحرب، بالإضافة إلى إسقاط أوضاع الحرب على أوضاع التنمية ومقتضياتها في الواقع.

6. خطة البحث:

قُسم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

احتوت المقدمة على عناصرها الأساسية وفق ما تقتضيه المنهجية العلمية وطبيعة البحث.

المبحث الأول: ملامح التنمية في الأحاديث النبوية المتعلقة بمرحلة قبل الحرب.

المبحث الثاني: ملامح التنمية في الأحاديث النبوية المتعلقة بمرحلة أثناء الحرب.

المبحث الثالث: ملامح التنمية في الأحاديث النبوية المتعلقة بمرحلة ما بعد الحرب.

تمهيد:

قبل البدء في تحليل الأحاديث النبوية التي عنت بالحروب وأحكامه نعرج أولا على تعريف لبعض المصطلحات.

❖ **[حرب]:** نقيض السلم، ورجل محرب: شجاع. وفلان حرب فلان أي يحاربه، ودار الحرب: بلاد المشركين الذين لا صلح بينهم وبين المسلمين، وحربته تحريبا أي حرشته على إنسان فأولع به وبعداوته[1].

أما اصطلاحا فالحرب هي: صراع مسلح عنيف مفتوح ومعلن بين وحدتين سياسيتين ممثلتين في دولتين أو حلفي دول أو بين عصبتين في الدولة الواحدة أو الأمة،

1. ينظر: الخليل الفراهيدي، العين، المحقق/مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ن، (3/213). محمد الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، المحقق/محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي لبنان، ط1، 2001م، (5/16).

ولكل منها مصالح متعارضة مع مصالح الطرف الآخر[1].

❖ **[التنمية المستدامة]:** عملية معقدة واعية على المدى البعيد شاملة ومتكاملة في أبعادها الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية، الثقافية، البيئية، والتكنولوجية، ثم تطور مفهومها ليشمل تحسين شروط وجود المجتمعات البشرية مع البقاء في حدود قدرة تحمل أعباء الأنظمة البيئية[2].

إن التنمية في التأصيل الإسلامي تنطلق من الإنسان بوصفه أساس كل عمل تنموي تقوم به المؤسسات والحكومات[3]، لذلك فإن ورقتنا البحثية ستركز على بناء الإنسان وما يتبعه من اتزان على المستوى الاجتماعي، وسنرصد مؤشرات التنمية في الحروب وفق ثلاث مراحل، تفصيلها في المباحث الآتية:

المبحث الأول: ملامح التنمية في الأحاديث النبوية المتعلقة بمرحلة قبل الحرب

إن التنمية ليست وليدة اللحظات الأخيرة ولا نتيجة فجائية لظروف عرضية، وإنما هي استعداد سابق، وإعداد محكم، وتخطيط منضبط. لذلك كان التحضير للتنمية أحد مرجحات نتائجها. وكذلك نتائج الحرب ترتبط بعلاقة طردية مع التجهيزات القبلية، فمتى كان الإعداد بقوة كانت النتائج إلى الفوز أقرب، والعكس صحيح. ولم تخف هذه النقطة المهمة والفيصلية في ساحة المعركة على رسول الله ﷺ ؛ فقد حرص ﷺ على الإعداد الجيد للمجاهدين على المستويين النفسي والمادي.

الإعداد النفسي:

يعد الإعداد النفسي السابق للعاملين على التنمية بمختلف مستوياته من الأمور المفصلية التي يغفل عنها الكثير، فوجود نظام فعال ومتوازن للتجهيز العمال يؤثر إيجابيا -بلا ريب- في المردود الإنتاجي بصفة عامة.

---

1. فتح التريكي، الفلاسفة والحرب، تر: زهير المدنيني، دار الروافر الثقافية ناشرون، لبنان، ط1، 2015م، (20).
2. ينظر: مراد ناصر مجلة تواصل، التنمية المستدامة تحدياتها في الجزائر، مجلة التواصل، عدد26، جوان 2010م، عنابة الجزائر، (133-132).
3. منظمة العمل العربية، التنمية الاجتماعية وعلاقتها بالتنمية البشرية، مجلة العمل العربية، العدد 58، الجزائر، (23).

وفي الحروب فإن الإعداد النفسي الجيد للمجاهد قبل الخروج للحرب من موجبات النصر، فكلما كانت معنوياته مرتفعة كان إقدامه أكبر، وكلما كان هدفه أسمى كان معدل قتاله ببسالة أعلى. ومن الطرق التي استعملها رسول الله ﷺ في إعداد صحابته- رضي الله عنهم- للجهاد، ما يأتي:

1. **تصحيح النية:** حرص النبي ﷺ، على تصحيح نية أصحابه لتكون نيتهم من الجهاد خالصة لله تعالى، فقد أخرج البخاري عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ أَبِي مُوسَى (رضي الله عنه) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ قَاتَلَ حَتَّى تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ أَعْلَى، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[1]. وحكم رسول الله ﷺ أن لمن يجاهد بأجر فإنه ليس له من أجر الجهاد شيء، وشاهده قصة يَعْلَى بْنَ مُنْيَةَ وهو شَيْخٍ كَبِير الْتَمَسْتُ أَجِيرًا يَكْفِيه الجهاد فقال له الأجير: سَمِّ لِي شَيْئًا كَانَ السَّهْمُ أَوْ لَمْ يَكُنْ، فَسَمَّى لَهُ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ، فَلَمَّا حَضَرَتْ غَنِيمَتُهُ أَرَدْتُ أَنْ أُجْرِيَ لَهُ سَهْمَهُ، فَذَكَرْتُ الدَّنَانِيرَ، فَجِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرْتُ لَهُ أَمْرَهُ، فَقَالَ: "مَا أَجِدُ لَهُ فِي غَزْوَتِهِ هَذِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا دَنَانِيرَهُ الَّتِي سَمَّى"[2].

ومنه فعلى القائمين على التنمية سواء على مستوى التخطيط، أو على مستوى التنفيذ أن تكون أعمالهم خالصة لوجهه الكريم، مبطنين نية إتقان العمل، وتحسين أوضاع المسلمين، وكذا تقوية شوكة المسلمين على المستوى الإقليمي والعالمي، فيتوقد في داخلهم شغف للعمل، وحماس لإدراك الغايات.

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 2002م، كتاب الجهاد، بَاب مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا (4/20) حديث رقم (2810)، ومسلم في صحيحه، المحقق/محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د.ط، كتاب الإمارة، بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (3/1512) حديث رقم (1904).
2. أخرجه أبو داود في سننه، المحقق/محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، د. ت، كِتَاب الْجِهَادِ،بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَغْزُو بِأَجْرِ الْخِدْمَةِ (3/17) حديث رقم (2527)، والحاكم في المستدرك، المحقق/ أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، مصر، 1997م، كتاب الجهاد (2/123) حديث رقم (2530) كلاهما عن عبد الله بن الديلمي عن يعلى بن منية، وعند الحاكم عبد الله بن أمية. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: "على شرط البخاري ومسلم". ينظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (2/123). وقال الألباني: إسناده صحيح" ينظر: صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف، السعودية، ط1، 1999م، (2/104).

2. تحفيز العاملين بالمكافآة:

تعد المكافآة المالية اليوم هي الحافز المثير الأول الذي يحرك الأفراد للعمل والإنتاج كمًا وكيفًا. وقد اعتمد رسول الله ﷺ في إعداد المجاهدين قبل الخروج للغزو تعداد الأجور، والتذكير الدائم بفضل الجهاد في سبيل الله فعلى غرار الآيات الكثيرة التي تشجع على الجهاد، فقد ورد في الأحاديث النبوية العديد من الأحاديث التي ترسم للمجاهد الأجر الذي يترتب على إقباله لإعلاء كلمة الله، ومن هذه الأجور:

أ- دخول الجنة:

ما رواه أَبو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ (رضي الله عنه)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ ﷻ: رَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، ...الحديث"[1].

ب- نماء العمل بعد الموت:

أي أن أجر الشهيد لا ينقطع باستشهاده بل هو في زيادة متواصلة، ومن ذلك ما رواه فَضَالَة بْن عُبَيْدٍ (رضي الله عنه)، عن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "كُلُّ الْمَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَّانِ الْقَبْرِ"[2].

---

1. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابُ فَضْلِ الْغَزْوِ فِي الْبَحْرِ (3/7) حديث رقم (2494)، حكم عليه الألباني بالصحة في كتابه صحيح سنن أبي داود، (2/94). والحاكم في المستدرك، كتاب الجهاد (2/83) حديث رقم (2400) كلاهما من حديث أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه). قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: "صحيح". ينظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (2/83). وقال الألباني: إسناده صحيح" ينظر: صحيح سنن أبي داود (7/254).
2. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي فَضْلِ الرِّبَاطِ (3/9) حديث رقم (2500). حكم عليه الألباني بالصحة في كتابه صحيح سنن أبي داود، (2/95). والحاكم في المستدرك، كتاب الجهاد (2/88) حديث رقم (2417). كلاهما من حديث فضالة بن عبيد. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح شرط مسلم ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: "على شرط مسلم". ينظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (2/88). وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، (7/260): "إسناده صحيح". وأخرجه أحمد في مسنده، المحقق/ أحمد محمد شاكر، دار الحديث، مصر، ط1، 1995م (6/20) حديث رقم (24000) من رواية رشدين عن ابن هانئ. قال شعيب الأرنؤوط "حديث صحيح، وهذا الإسناد ضعيف لضعف رشدين".

ج- شفاعة الشهيد:

من الأخبار الصحيحة في أجر الشهيد، انتفاع أهله بشفاعته، فعن الْوَلِيدُ بْنُ رَبَاحٍ الذِّمَارِيُّ، حَدَّثَنِي عَمِّي نِمْرَانُ بْنُ عُتْبَةَ الذِّمَارِيُّ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ أَيْتَامٌ، فَقَالَتْ: أَبْشِرُوا، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ"[1].

3. تقبل النتائج:

قد تشكل تجارب التنمية السابقة الفاشلة عائقًا خفيًّا في نفوس الأفراد، لأنها تولد إحباطا معنويا، ونظرة سلبية للعمل والتقدم، لذلك فمن الأهمية بناء نفسية القائمين على التنمية.

من أهم الطرق الفعالة في بناء نفسية المقاتل قبل الحرب هو إعداده لتقبل نتائج الحرب أيّا كانت نتائجها مبشرة أو محزنة، لذلك نبه رسول الله ﷺ صحابته إلى إمكانية الخسارة، فقال ﷺ: "مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُصِيبُونَ غَنِيمَةً إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ، فَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ"[2]. وعن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "عَجِبَ رَبُّنَا ﷻ مِنْ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَانْهَزَمَ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّى أُهَرِيقَ

1. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي الشَّهِيدِ يُشَفَّعُ (2/322) حديث رقم (2524)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، المحقق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 2003م، كتاب الجهاد، باب الشهيد يشفع (9/164) حديث رقم (18997)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط2، 1993م، ذكر البيان بأن الشهيد في القيامة يشفع في سبعين من أهل بيته (10/517) حديث رقم (4660)، جميعهم عن الْوَلِيد بْن رَبَاحٍ الذِّمَارِيّ، عن عمه نِمْرَان بْن عُتْبَة الذِّمَارِيّ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ. وجميعهم قالوا: الوليد بن رباحٍ، وقال أبو داود: "صَوَابُهُ رَبَاحُ بْنُ الْوَلِيدِ" ينظر: سنن أبي داود (3/15)، قال الألباني: "حديث صحيح، وصححه ابن حبان، وصححه الترمذي من حديث المقدام" ينظر: صحيح سنن أبي داود (7/281).
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب بيان قدر ثواب من غزا فغنم، ومن لم يغنم (3/1514) حديث رقم (153).

دَمُهُ"[1].

وعلى القائمين على العملية التنموية الاستعداد لجميع الاحتمالات، فلا يحبطهم فشل إحدى خطط التنمية، ولا تعثر إحدى مساقاتها. ويجب أن يكونوا على جاهزية تامة للتمحور مع الوقائع، وتجاوز التحديات الميدانية. وعليهم أنْ يعلموا أنَّ التنمية رحلة طويلة تحتاج أزمنة مديدة، وتحقيقها إنّما هو مجموع تحقيق أهداف صغرى وثانية، تجتمع لتكون الصورة النهائية للغاية المرجوة من التنمية.

4. تأمين أهل الموظف:

ويقصد به أنْ يكون الموظف مطمئنا على أهله، وفي السنة النبوية كان التأمين على الأهل في الحروب وفق مستويين هما:

أ- تأمين نفسي:

ونقصد به طمأنة المجاهد على الصحة النفسية لأهله إثر ذهابه إلى الحرب، ومن هذا أمر رسول الله ﷺ المحاربين باستئذان الأبوين للجهاد، فإن أذنا عن طيب نفس فلك الجهاد، فإن كان جهادك سيلحق بهما أذى نفسي فلا جهاد لك في غيرهما، وورد عدد من الأحاديث الصحيحة في هذا الموضوع؛ نذكر منها: ما رُوي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَجُلًا هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ فَقَالَ: "هَلْ لَكَ أَحَدٌ بِالْيَمَنِ؟"، قَالَ: أَبَوَايَ، قَالَ: "أَذِنَا لَكَ؟" قَالَ: "لَا"، قَالَ: "ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَاسْتَأْذِنْهُمَا، فَإِنْ أَذِنَا لَكَ فَجَاهِدْ، وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا"[2].

---

1. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَشْرِي نَفْسَهُ (3/19) حديث رقم (2536)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجهاد، باب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تعالى ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ (9/46) حديث رقم (18388)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار عما يستحب للمرء الاجتهاد في لزوم التهجد في سواد الليل والثبات عند إقامة كلمة الله العليا (6/297) حديث رقم (2557)، وأحمد في مسنده (4/95-96) حديث رقم (3949)، جميعهم من حديث ابن مسعود. صحح إسناده شعيب الأرنؤوط، ينظر: مسند أحمد (هامش) (4/95-96)، وسنن أبي داود (هامش) (4/198).

2. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَغْزُو، وَأَبَوَاهُ كَارِهَانِ (3/17) حديث رقم (2530). حكم عليه الألباني بالصحة في كتابه صحيح سنن أبي داود (2/105)، وقال الحاكم في المستدرك: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"(4/169).

ب- تأمين مادي:

ليقبل المجاهد على الجهاد دون عناء التفكير في حال أهله من بعده، فينشغل تفكيره عن الجهاد فيؤثر في أدائه في أثناء الحرب، لذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ إِلَّا نُصِبَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا قَدْ خَلَفَكَ فِي أَهْلِكَ، فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ"، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "مَا ظَنُّكُمْ"[1]. فحرمة نساء المجاهدين كحرمة الأمهات، ويدخل في ذلك الإحسان إلى أطفالهم ورعاية شؤونهم، قال ابن رسلان: "فكما يحرم على القاعدين التعرض لأمهاتهم بالريبة من لمس ونظر محرمين، كذلك يحرم التعرض لنساء المجاهدين بالتعرض لريبة وغيرها، وكما يجب عليهم بر أمهاتهم والإحسان إليهن وقضاء حوائجهن التي لا تترتب عليها مفسدة، لكن لا يعطون حكمهن الأمهات في الخلوة بهن، وكذا حكم أولاد المجاهدين في حقوقهم كحكم أولادهم في البر والإحسان إليهم"[2].

ومنه نستنتج: ضرورة توفير الدعم اليومي للعامل في أهله ومن يقوم عليهم، فالعامل المنشغل بالتفكير في توفير أساسيات بيته، لن يكون عاملا بالكفاءة التامة.

إن اطمئنان العامل على أهله نفسيًّا وماديًّا يجعله يرتبط بمؤسسته ارتباطًا مصلحيًّا، يؤدي إلى تفانيه وتفرغه لعمله، فيفجر طاقاته، ويستغل كافة إمكاناته، ويوظف مهاراته لتحقيق التنمية، وتوفير المناخ الدائم لاستدامتها.

الإعداد المادي:

نقصد بالإعداد المادي في الحرب تجهيز العتاد والعدة، وتدريب الجنود ليكونوا ذوي كفاءة عالية في أثناء خوض المعركة، وهذا الأمر من مرجحات الحرب، فمتى كان الاستعداد في أعلى مستوياته كانت مواجهة العدو أكثر قوة وثَباتا، لذلك قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: 60]، قال رسول الله ﷺ في تأويلها وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: "أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب حرمة نساء المجاهدين، وإثم من خانهم فيهن (3/1508) حديث رقم (139).
2. شهاب الدين ابن رسلان المقدسي، شرح سنن أبي داود، المحقق/ عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، مصر، ط1، 2016م، (11/56).

إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ"[1].

وأمر رسول الله ﷺ في أحد المواضع عدم الاستهانة بالاستعانة بأي أحد، فقد أخرج البخاري عن مصعب بن سعد، قال: رأى سعد (رضي الله عنه)، أن له فضلا على من دونه، فقال النبي ﷺ: "هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ"[2]، وأخرج أبو داود وترجم له: "بَابٌ فِي الِانْتِصَارِ بِرُذُلِ الْخَيْلِ وَالضَّعَفَةِ، أي أمرهم بالتجهز بكل ما أمكنهم، ولو باستخدام رُذل الخيل والضَّعفة"[3].

ونستفيد من الأحاديث النبوية في الإعداد المادي قبل الحرب، أن التنمية معركة تطوير وجب الإعداد الجيد لها، والتجهيز الأمثل لها، ولا يجب أن نستهين بجهد أي كان في دفع عجلة التنمية إلى الأمام.

المبحث الثاني: ملامح التنمية في الأحاديث النبوية المتعلقة بمرحلة أثناء الحرب

يواجه الأفراد والدول خلال الحروب ضغوطا هائلة، تفرز هذه المرحلة الصعبة آليات مرنة لتطوير الإنسان لجعله أكثر مواكبة وصلاحية للقيام على الحركة التنموية، كما تمكنه من مواجهة التحديات التي قد تصادفهم في طريق التنمية.

1. سر استدامة التنمية تعليقها بالله:

إن التعلق بالله سبحانه وتعالى في الدين الإسلامي لا يقتصر على علاقة الفرد بربه فقط بل يتعداه إلى كل معاملاته الدنيوية بشتى أوصافها، فالدين له وزن ثقيل في معادلات التنمية، وله آثار جلية. وقد كنا تحدثنا في المبحث السابق عن أهمية الإعداد النفسي للمجاهد في سبيل الله، وأن أهم ما يتسلح به المقاتل المسلم إيمانه القويم وعقيدته الراسخة بمعية الله ونصرته لهم، فكان من المهم أن يستمر هذا الدعم أثناء الحرب.

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه (3/1522) حديث رقم (167).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، بَابُ مَنِ اسْتَعَانَ بِالضُّعَفَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي الحَرْبِ (4/36) حديث رقم (2896).
3. أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، بَابٌ فِي الِانْتِصَارِ بِرُذُلِ الْخَيْلِ وَالضَّعَفَةِ (3/32) حديث رقم (2594).

أمر رسول الله ﷺ جيوش المسلمين بالدعاء حيث ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا غزا قال: "اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ"[1].

وهذا إشعار للجنود بمعية الله ونصرته أثناء الحرب فترتفع معنوياتهم وتثبت أقدامهم في المعركة، ويتجدد الأمل في قلوبهم.

إنَّ الهدف الأساسي الذي ترمي التنمية لتحقيقه هو تعمير الأرض وجعلها ملائمة للعيش لأجيال طويلة، وهذا الهدف عينه الذي خلق الله سبحانه وتعالى من أجله الإنسان؛ وهو أن يكون خليفة الله في أرضه بإعمارها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] ، لذلك فإن التنمية وفق التعاليم الإسلامية ستحقق الهدف المرجو بأقصر الطرق وأيسرها وأمنها.

إن اتحاد الغايات يؤثر في نفس المسلم من وجهين:

ـ إخلاص النية لله في العمل؛ فعلى المسلم أن يعتقد في عمله أنه مُقدم لوجه الله خالصا؛ فلا يعمل لأجل أن يُرائي الناس، ولا من أجل مكافآت مادية فقط، بل يرى أن العمل مسؤوليته التي يجب أن يؤديها على أكمل وجه وأتقنه.

ـ إنَّ تعلق القلوب بالله وإيمانها القوي به، تجعلها تُعْرض عن المناهج والأساليب المحرمة –الربا، الغش، الاحتكار، الاختلاس-، وتدفع لابتكار أساليب أخرى جديدة تتبنى النظرة الإسلامية في التنمية الشاملة.

2. طاعة ولي الأمر في المعروف:

يعد وجود ولي الأمر الذي يرجع إليه ويلتزم بحكمه من مسلمات السياسة الراشدة في حالة السلم، ويزداد الحاجة لولي الأمر أكثر في حالة الحرب، فحالة الفزع التي تتلبس القلوب والترقب الملازم للنفوس، قد يحيك في فكر كل جندي رأي يراه أنسب فيتشتت رأي المسلمين ويتفرق رأيهم، لذاك أوجب رسول الله ﷺ طاعة ولي الأمر في الحرب، ويظهر

---

1. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابُ فِي دعاء المشركين (3/42) حديث رقم (2632)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، المحقق/ حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2001م، كتاب الجهاد، الدُّعَاءُ عِنْدَ اللِّقَاءِ (8/29) حديث رقم (8576) قال الألباني: "إسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه ابن حبان وأبو عوانة، وحسنه الترمذي"، صحيح سنن أبي داود، الألباني، (7/383).

ذلك في قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ"[1]، وفي الحديث أمر صريح بوجوب السمع والطاعة لولي الأمر فيما أحب المسلم ووافق هواه، أو فيما تكرهه نفس المسلم ويشق عليها[2]؛ ولكن النبي ﷺ وضع شرطا مهما وهو أن الطاعة لا تكون على إطلاقها بل في حالة أمره بالمعروف ولا تحل مخالفتُه؛ فإن أمر بمعصية أو بمحرم فطاعته تنتقل من حكم الوجوب إلى حكم المحرم، فتحرم طاعة ولي الأمر إن أمر بمعصية أو منكر، لذلك لام رسول الله ﷺ الصحابة الذين بعثهم في إحدى السرايا فقال: "أَعَجَزْتُمْ إِذْ بَعَثْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ فَلَمْ يَمْضِ لِأَمْرِي، أَنْ تَجْعَلُوا مَكَانَهُ مَنْ يَمْضِي لِأَمْرِي؟"[3]، هو استفهام بغرض الاستنكار، عتب رسول الله ﷺ لزومهم طاعة من ولي أمرهم مع كونه لم يلتزم بأمر رسول الله ﷺ. من الجهل المؤدي إلى الكفر أن يعتقد الناس أن طاعة من وليّ عليهم واجبة في كل شيء؛ فإن انقيادهم لرأيه إقرار منهم لتقديم أمره على أمر الله ورسوله، وهذا عين الكفر. وفي هذه الحالة أرشد النبي ﷺ أنه ينبغي للناس أن يعزلوه ويقيموا آخر مكانه[4]، فإن أطاعوه استحقوا العقاب[5]؛ لقوله ﷺ: "لَوْ دَخَلُوهَا أَوْ دَخَلُوا فِيهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا" لنفر فروا من ولي أمرهم الذي ولاه عليهم رسول الله ﷺ وأمرهم بالسماع له وطاعته، فلما مضوا أجج نارا وأمرهم أن يقتحموا فيها، فأبى قوم أن يدخلوها وقالوا: إنما فررنا من النار، وأراد قوم أن

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (9/63) حديث رقم (7144)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (3/1469) حديث رقم (1839).
2. ينظر: خليل أحمد السهارنفوري، بذل المجهود في حل سنن أبي داود، اعتني به وعلق عليه: تقي الدين الندوي، مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند، ط1، 2007م، (9/220). ابن رسلان، شرح سنن أبي داود (11/372).
3. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي الطاعة (3/41) حديث رقم (2627)، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الجهاد (2/114) حديث رقم (2539)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ صَاحِبَ السَّرِيَّةِ إِذَا خَالَفَ الْإِمَامَ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ كَانَ عَلَى الْقَوْمِ أَنْ يَعْزِلُوهُ وَيُوَلُّوا غَيْرَهُ (11/44) حديث رقم (4740)، قالَ الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه": قال الذهبي: "على شرط مسلم"، ينظر: المستدرك على الصحيحين (2/125). وقال الألباني: "إسناده حسن، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي". ينظر: صحيح سنن أبي داود (7/377).
4. أبو الحسن السندي، فتح الودود في شرح سنن أبي داود، المحقق/محمد زكي الخولي، مكتبة لينة، مصر، ط1، 2010م، (97-3/95).
5. ينظر: أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المحقق/ محيي الدين ديب ميستو وآخرون، دار ابن كثير، لبنان، ط1، 1996م، (12/90).

يدخلوها، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: "لو دخلوها أو دخلوا فيها لم يزالوا فيها"، عقابا لهم لطاعته في معصية أن يبقوا في النار إلى يوم القيامة[1]، ومثال الأمر بالمعصية: أخذ مال بغير حق أو قتل أو ضرب بغير حق ؛ فلا يطاع في ذلك، ولا ينقذ أمره ، ولو أفضى ذلك إلى ضرب ظهر المأمور وأخذ ماله؛ إذ ليس دم أحدهما وماله، بأولى من الآخر، وكلاهما يحرم شرعًا؛ إذ هما مسلمان، ولا يجوز الإقدام على واحد منهما، لا للآمر، ولا للمأمور[2].

إن ساحة الحرب مظنة لطغيان الانفعالات، واكتساح الجانب العاطفي على الجانب العقلي، لذلك أمر رسول الله ﷺ بتعيين ولي أمر لجمع كلمة المسلمين؛ فإن خُولِف كان ذلك مدخلا لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم[3]. إن أوامر ولي الأمر غالبا ما تكون أكثر رشدا وثباتا من المقاتلين، ومن ثم تحقيق الأهداف الحربية المسطرة دون الحياد عنها، مع ضمان المحافظة على الموارد البشرية والمادية أثناء الحرب، والتي تمثل الوقود والدعامة الأساسية للتنمية بعد الحرب.

إن الانقياد لأوامر المدير رغم المشاعر التي يفيض بها وجدان الموظف، وتزاحم الأفكار داخل عقله، يجعله إنسانا أكثر عقلانية وحكمة، وتربي فيه ضبط النفس، واحترام الأعلى رتبة منه، والوقوف عند الحدود، والتطبيق الصارم للقوانين، وهذا ما سينعكس إيجابا على حياته الاجتماعية الخاصة والعامة، كما سيكون لها الأثر الأكبر في تنظيم الجماعات، والارتقاء بالمجتمع من المستوى الفوضوي الاعتباطي، إلى مجتمع راق في سلوكياته، منضبط في أخلاقه، ومنظم في قراراته.

إنَّ الأداء الجيد للمؤسسات المشاركة في التنمية وجودة الإنتاج، من جودة العلاقات في حياة العمل بين الرئيس والمرؤوس.

3. إتاحة المجال للأفكار (حسن التخطيط وبراعة التنفيذ):

إنَّ التنمية لا تقوم على التخمين، ولا على الإقدام المتهور، ولا على إسقاط تجارب

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام (9/88) حديث رقم (7257).
2. ينظر: أحمد القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (12/89).
3. ينظر: ابن رسلان، شرح سنن أبي داود (11/372).

سابقة. وكذلك الحروب فلكل حرب ميدانها المستقل وظروفها الخاصة، وأحوالها المغايرة لغيرها من الحروب، لذلك أتاح النبي ﷺ للمسلمين أن يطلقوا العنان لأفكارهم الحربية في ساحة المعركة، وأن يستخدموا كل الأساليب الممكنة للفوز على العدو، والخروج بأقل الأضرار البشرية، ولكسب مغانم كثيرة، ومن حسن التخطيط أثناء الحرب تنويع الأساليب بين مواجهة مباشرة وغير مباشرة:

أ- الجوسسة:

ورد عن النبي ﷺ أنه أرسل بعض الصحابة ليترصدوا العدو وينقلوا أخبارهم للمسلمين؛ جاء في الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن النبي ﷺ قال: "بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشَرَةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ"[1].

فمن المهام التي قد تسهم في صنع فارق في نتائج الحرب، هي الدراسة السابقة لحركات وسكنات العدو، ورصد مخططاته عن كثب، كما أن المعرفة السابقة بقوة عتاده وجنده ومدى جاهزيتهم، تساعد على رسم الخطط وطرق المواجهة المناسبة التي تعين على الفوز بالحرب بأقل خسائر بشرية ومادية من طرف المسلمين مع تحقيق أكبر المغانم.

ب- الكمائن:

من الأساليب الناجعة في الحروب هي نصب الكمائن، وقد استعملها رسول الله ﷺ في غزواته؛ ومن أشهر الكمائن في السيرة النبوية كانت في غزوة أحد، والخيبة التي لحقت جيش المسلمين لمخالفة أمر رسول الله ﷺ؛ فقد حدث أَبُو إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يُحَدِّثُ، قَالَ: جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الرُّمَاةِ يَوْمَ أُحُدٍ وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ، وَقَالَ: "إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطِفُنَا الطَّيْرُ، فَلَا تَبْرَحُوا مكانكم هذا حَتَّى أُرْسِلَ لَكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ... الحديث"[2].

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ المَغَازِي، باب غزوة خيبر (5/78) حديث رقم (3989).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كِتابُ الجهاد والسير، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ فِي الْحَرْبِ وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ وَقَالَ الله تَعَالَى ﴿وَلَا تَنَزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ﴾ [الانفال: 46] قَالَ قَتَادَةُ الرِّيحُ الْحَرْبُ (4/65) حديث رقم (3039).

فالنبي ﷺ أمر فرقة من جيشه بالتواري في الجبل مختفين عن أعين المشركين ولا يشاركوا في الحرب حتى يؤمرهم، وقال لهم: "احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا"[1].

وفي الجهة المقابلة؛ فإن العدو أيضا يجتهد لنصب الكمائن للمسلمين؛ لذلك قال أبو رسلان: "ويستحب للأمير أن يتبع مكامن العدو الذي كمنوا فيها"[2].

ج- المكيدة والخداع:

أباح الرسول ﷺ للصحابة المجاهدين في سبيل الله استعمال المكيدة والخداع في الحرب وعدها ﷺ من الأساليب المشروعة في الحرب، فقد ورد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَّى غَيْرَهَا وَكَانَ يَقُولُ: "الْحَرْبُ خَدْعَةٌ"[3].

وفيه أنه يستحب لأمير الجيش إذا أراد غزوة أن يستعمل كل الطرق المتاحة مثل التورية حتى يخدع الكفار بما يشاهدونه ويعاينونه؛ فأصل الخدع إظهار أمر وإضمار خلافه. وعليه فالمسلمون يأتون بالحيل التي تجعل العدو لا يعرف أي معلومات عن أحوال المسلمين وعتادهم وقوتهم، فلا يتهيأ العدو ولا يستعد للقاء، فيترتب على ذلك ضعفه وهزيمته على يد المسلمين[4].

وقد اتفق العلماء على جواز الخداع في الحرب بجميع الطرق الممكنة التي تضمن الانتصار على العدو، رغم أنَّ فعل الخداع من المحظورات في أوقات السلم، قال الخطّابي: معناه إباحة الخداع في الحرب، وإن كان محظورًا في غيرها من الأمور[5]، وترسم السنة

---

1. السهارنفوري، بذل المجهود في حل سنن أبي داود، اعتني به وعلق عليه: تقي الدين الندوي، ط1، 2007م، (9/277).
2. ابن رسلان، شرح سنن أبي داود (11/461).
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: الحَرْبُ خَدْعَةٌ (4/64) حديث رقم (3030).
4. ينظر: عبد المحسن العباد، شرح سنن أبي داود، موقع إلكتروني: https://archive.org/details/charh-sonan-abi-daoud-3abbad، تاريخ الدخول: 27-01-2025م، (311/28). ابن رسلان، شرح سنن أبي داود، (11/393).
5. أبو سليمان حمد الخطابي، معالم السنن، المطبعة العلمية، سوريا، ط1، 1932م، (2/665).

النبوية الحدود للخداع في الحرب فلا تشمل نقض عهد أو أمان؛ فإن ذلك مما لا يحل فيه الخداع [1].

د- الإغارة:

من الأساليب التي استعملها النبي ﷺ في غزواته أسلوب الإغارة؛ فقد أَخْبَرَ ابْنُ عَوْنٍ، قَالَ: "كَتَبْتُ إِلَى نَافِعٍ فَكَتَبَ إِلَيَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَغَارَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ حَدَّثَنِي بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ"[2]، ففي الحديث خبر عن إغارة رسول الله ﷺ على عدوه وهم غافلون ، فكان سببا من أسباب النصر.

وهذه بعض الملامح من السيرة النبوية التي تدل على أن إحكام التخطيط، وإتقان التنفيذ من أسباب تحقيق النصر، ومما يمكن استنباطه من هذا البند في واقع التنمية المستدامة:

- ✓ ضرورة تنويع الطرق التنموية المعتمدة، من أجل تحصيل جميع الأسباب التي تسهم في إنجاح العملية التنموية، وتسرع من تحقيق مخرجاتها الملموسة.

- ✓ التيقن أن لكل بلد ظروفه الخاصة التي تسوده، وسمات شخصية خاصة لشعبه، وأن لتاريخه الطويل ظلالا على واقعه المعاصر، وأن له موارد متنوعة قد لا يمتلكها غيره يمكن أن تسهم في إقلاع تنموي، وعليه تسقط فكرة إسقاط تجارب التنمية في الدول الأخرى أو في المجتمعات المجاورة، فتجارب الآخرين وخبراتهم هي للاستئناس لا للاستخدام الحرفي. والوقوف على هذه الحقيقة يجعل من الفكر التنموي لدى القائمين على التخطيط والتنفيذ أكثر ارتباطا بواقعهم، وأفضل استيعابا لمتغيرات مجتمعهم، وأحسن في توظيف الموارد المتاحة، وهذا هو الركيزة الأساسية في أي عملية تنمية، إذ

---

1. ينظر: ابن رسلان، شرح سنن أبي داود (11/392).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ العتق، بَابٌ مَنْ مَلَكَ مِنْ الْعَرَب رَقِيقًا فَوَهَبَ وَبَاعَ وَجَامَعَ وَفَدَى وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقٗا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ [النحل: 75] (3/148) حديث رقم (2541)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام من غير تقدم الإعلام بالإغارة (3/1356) حديث رقم (1730).

بتحققها يتحقق الأداء الأمثل الذي يؤدي إلى نتائج ميدانية وأكثر واقعية، لذلك قال عبد المالك بوضياف: "إن العامل الأساسي لنجاح السياسات التنموية هو تحديد شكل وطبيعة المتغيرات الخارجية والتفاعل معها والاستفادة منها"[1].

✓ لكل عملية إصلاح أعداء يتربصون بها شرا، وينتظرون فشلها، ويسعون جاهدين لعرقلتها، فوجب الحذر من هذه الفئة من الناس، ولزم الانتباه لهذه النقطة بوصفها من أهم المعوقات التي يجب محاربتها، وأن يكون المخطط والمنفذ على دراية سابقة لكيفية التعامل مع المشكلات المنجرة عن أعمالهم وكيفية تجاوزها، للمضي قُدُما في طريق التنمية.

✓ التنمية تخلق نوعا من المنافسة الشرسة في مجالات عالمية عديدة، لذلك فإن المخطط للعملية التنموية يجب أن يكون على دراية تامة بالأساليب التي تساعده على التنافس، وبالخدع المشروعة كافة، أو ما يسمى بالثغرات القانونية للبقاء في الساحة العالمية وإدارة جميع الأزمات الخارجية دون المساس بتقدم التنمية الداخلية.

4. تكاتف الجهود وجمعها:

من الحكمة أن يجتمع المجاهدون تحت لواء واحد في حال الحروب وما يرافقها من اضطراب وترقب، لضمان تحقيق النصر، ومستند ذلك أمر رسول الله ﷺ جنود المسلمين بأن لا يتفرقوا، وأن ينزلوا في مكان واحد، فقال: "إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية، إنما ذلكم من الشيطان"، قال الراوي: فلم ينزل بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض، حتى يقال: لو بسط عليهم ثوب لعمهم[2]. وإنما أمروا بالتجمع:

✓ لأن بتفرق أماكنهم تتفرق قلوبكم، وفي الافتراق هلكة والاجتماع نجاة ورحمة،

---

1. ينظر: عبد المالك بوضياف، تنافسية الاقتصاديات العربية ودور التكامل الاقتصادي الاقليمي في التنمية، مجلة تواصل، عدد26، جوان 2010م، عنابة الجزائر (111).
2. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابُ مَا يُؤْمَرُ مِنَ انْضِمَام الْعَسْكَرِ وَسَعَتِهِ (3/41) حديث رقم (2628)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الجهاد، النَّهْيُ عَنِ التفرق فِي الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ (6/133) حديث رقم (8805)، وابن حبان في صحيحه، باب المسافر (6/408) حديث رقم (2690) وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط، ينظر: سنن أبي داود (هامش) (4/267). قال الألباني: إسناده صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي". ينظر: صحيح أبي داود (7/378).

وبين رسول الله ﷺ عليهم أن الشيطان هو الذي يدعوهم إلى ذلك ليتخلل بينهم[1].

✓ ولما يخاف من وجود الأعداء وهم متفرقون فيأخذهم على غفلة، وكأن قرب بعضهم سبب لانتفاع بعضهم ببعض، وتعاونهم على ما فيه نفعهم ودفع الضر عنهم[2].

ومما سبق تبرز أهمية تضافر الجهد من أجل تحقيق التنمية، فبتكاتف الجهود تظهر سمة روح الفريق التي تسهم في ربط روح التعاون والأخوة بين أفراد الفريق، مما يجعلها أكثر فاعلية وإنتاجية في ميدان العمل، كما يسد النشاط الجماعي الثغرات التي قد تقع من أحد أفراد الفريق؛ مثل خطأ أو تكاسل وغير ذلك من السلوكيات العمدية وغير العمدية، التي قد تصدر من أحدهم، وهذا الأسلوب في العمل يرفع من الطاقة الإنتاجية الجماعية ويجعل مهامها أكثر سلاسة، ويظهر عليها الإبداع والتجديد.

ومن جهة أخرى يكسر العمل الجماعي في النفوس حب الظهور على حساب الآخرين، وكذا احترام جهود العمل الجماعي؛ فلا ينسب العمل لأحد بعينه دون غيره من أفراد الفريق.

إن العمل ضمن فريق يحتاج إلى معرفة أسس العمل الجماعي وأطره الأخلاقية والمهاراتية، مثل: حسن الإصغاء، الحوار، الإقناع...وهذا ما ينمي الشخصية الذاتية للعامل، ويجعله أكثر تعايشا، ليس فقط مع فريق عمله بل مع المجتمع الخارجي، فهذه المهارات المكتسبة تسمح له بالتكيف مع كل الظروف التي قد تواجهه في حياته الاجتماعية اليومية، فيكون قادرا على تجاوز المشكلات وابتكار الحلول الفعالة.

5. وحشية النفس البشرية عائق في طريق التنمية:

تعد الاضطرابات السلوكية التي تحدث في أثناء عملية التنمية عائقا خطيرا، قد يحيد بها عن المسار الكلي المرسوم، ذلك لأن هذه السلوكيات لا يمكن ضبطها ولا حصرها فهي ممارسات بشرية نتيجة مشاعر خفية داخلية، مثل: الغضب، الانتقام، الطمع ...

---

1. ينظر: ابن رسلان، شرح سنن أبي داود (11/377).
2. محمد بن إسماعيل الكحلاني، التحبير لإيضاح معاني التيسير، المحقق/ مَحَمَّد صُبْحي أبو مصعب، مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض، المملكة الْعَرَبيَّة السعودية، ط1، 2012م، (4/672).

ومن أبرز المواقف التي تظهر فيها هذه المشاعر هي الحروب؛ فهي ساحة قتال بين خصمين يسعى كل منهما لتحقيق غاياته التي تتعارض مع غايات الخصم، ومن جهة أخرى فإن ساحة المعركة هي ميدان مفتوح للقتل والأسر وغير ذلك من الأمور التي تخضع الطرف الآخر. لذلك فإن الصورة المشكلة سلفًا في أذهان الجنود التي دفعتهم لخوض الحرب، وما يشاهدونه في أثناء احتدام الحرب من مشاهد دموية ضد إخوانهم، قد تنمي في داخلهم شعور الانتقام وإشفاء الغليل في العدو بكل ما أتيح لهم من سبل، وهذا ما قد يخرجه عن إنسانيته، ويغيّب عنه الشيطان في لحظة غضبه حقيقة أنه مجاهد في سبيل الله، وأن الهدف الأول من جهاده أن يكون خالصا لله؛ لذلك وسدا للذرائع، وحفاظا على الجنود المسلمين من الخروج من الإنسانية إلى الوحشية، وحرصا على التزام المسلم بأخلاق الإسلام في جميع حالاته وتحت كل الظروف، ضبط رسول الله ﷺ أنفس الصحابة وقوم سلوكياتهم فنهى عن الآتي:

■ التمثيل: فرُوي عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزوا وَلاَ تَغْدِرُوا، وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تُمَثِّلُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا"[1]. وعَنِ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ فَقَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ وَيَنْهَانَا عَنِ المُثْلَةِ"[2]. والمثلة: هي تعذيب المقتول بقطع أعضائه وتشويه خلقه قبل أن يقتل أو بعده، بأن يجدع أنفه أو أذنه أو تفقأ عينه، ونحو ذلك[3].

■ الحرق: كما نهى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عن الحرق في قوله: "إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا فَاقْتُلُوهُ وَلَا تُحْرِقُوهُ، فإنه لاَ يُعَذِّبُ بالنَّار إلاّ رَبُّ النَّارِ"[4]. وعاتب رسول الله ﷺ أصحابه (رضي الله عنهم)عندما

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (3/1357) حديث رقم (1731).
2. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنِ المُثْلَةِ (3/53) حديث رقم (2667)، وابن حبان في صحيحه، باب المسافر (10/324) حديث رقم (4473). قال شعيب الأرنؤوط إسناده حسن، ينظر: "سنن أبي داود (هامش) (4/301). قال الألباني: حديث صحيح، وصححه ابن الجارود وابن حبان، وقوى إسناده الحافظ ابن حجر". ينظر: صحيح أبي داود (7/419).
3. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، بعناية: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، لبنان ط1، 2012م، (2/675).
4. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ حَرْقِ الْعَدُوِّ بِالنَّارِ (3/54) حديث رقم (2673). حكم عليه الألباني بالصحة في كتابه صحيح سنن أبي داود (2/145).

رَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: "مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟" قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: "إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ"[1]، قال ابن بطال: ليس النهي عن التحريق بالنار على معنى التحريم، وإنما هو سبيل التواضع لله ﷻ فلا يتشبه بغضبه في تعذيب الخلق[2].

إن القائم على عملية التنمية إنسان تعتريه أهواء النفس البشرية، وتتحكم فيه الانفعالات النفسية، التي من شأنها تعطيل عملية التنمية أو أن تحيد بها عن وجهتها الأساسية، ومن ذلك: الرشوة، تمكين الأقارب من المناصب، استعمال السلطة في الاستحواذ على ما ليس حق، استخدام العمل في تصفية حسابات شخصية.. وإلى غير ذلك من الأمثلة التي تشوه العملية التنموية، لذلك فمن الضروري ترويض النفس على ردع الوحشية الكامنة في داخلها، إما عن طريق التنشئة السليمة الدينية التي تكون فردا متشبعا بقيمه الإسلامية رافضا الانصياع لأهوائه، وهذا يحتاج إلى بعد نظر وإلى دقة في اختيار المناهج التعليمة لتنشئة جيل قادر على تحقيق قفزة تنموية، وفي المقابل يمكن أيضا ردع النفس عن طريق وضع قوانين صارمة مع رقابة مستمرة.

فالتنمية في المجتمع تكون عن طريق خلق ضمير إنساني اجتماعي قائم على القيم السلوكية والأخلاقية التي دعا الإسلام إلى تركيزها في النفوس؛ فهي المنطلق الفعّال للنهوض بالمجتمع المسلم، وتدفعه لتحقيق التنمية الشاملة وفق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية التي حددها الإسلام[3].

6. وضوح أهداف التنمية:

إنَّ تحديد أهداف التنمية ليس عملية عشوائية، بل تتم بعد رصد الواقع وجمع الحقائق، واستخلاص البيانات وتحليلها، ودراسة العوائق والتحديات المتوقعة، والتخطيط

---

1. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ حَرْقِ الْعَدُوِّ بِالنَّارِ (3/54) حديث رقم (2673)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الجهاد، باب الْمَنْعِ مِنْ إِحْرَاقِ الْمُشْرِكِينَ بِالنَّارِ بَعْدَ الإِسَارِ (9/71) حديث رقم (18526)، وأحمد في مسنده (25/421) حديث رقم (16034). قال شعيب الأرنؤوط حديث صحيح، ينظر: سنن أبي داود (هامش) (4/308). حكم عليه الألباني بالصحة في كتابه صحيح سنن أبي داود (2/145).
2. ابن رسلان، شرح سنن أبي داود (11/487).
3. ينظر: محسن عبد الحميد، الإسلام ودور الانسان في التنمية، مجلة الأمة، العدد 34، 1983م، غزة، (ص46).

الحسن لاستثمار المواد المتوافرة، كل هذا يسهم في وضع أهداف تنموية واضحة، واقعية، قابلة للتنفيذ، وسهلة التقييم والقياس.

من أخلاقيات الحروب الإسلامية تمييز الأهداف العامة والخاصة؛ ونقصد بالأهداف العامة هي تلك الرؤية العامة للحرب ومجرياتها وغاياتها، ومن الأهداف التي صرح بها رسول الله ﷺ في أحاديثه، هذه النظرة الشاملة للحرب تعطي صورة واضحة لعلاقة القائد والجندي، وأهمية التخطيط الجيد، وتصور الإستراتيجيات التي يجب اتباعها. كما أنها تحدد الأهداف الجزئية للحرب، التي من أهمها ما أوجبته السنة النبوية من ضرورة الحفاظ على حياة المدنيين، ولم تُجز للمجاهدين في سبيل الله إيذاءهم أو التعرض لهم؛ فليس كل من هو تابع للعدو دينيا أو جغرافيا أو معيشيا هدفا سائغا في أثناء الحرب، وقد أنكر النبي ﷺ على صحابته قتل النساء والصبيان؛ فعن نَافِع، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، "أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَقْتُولَةً، فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ"[1].

وورد أن النبي ﷺ غضب جدا عندما رأى امرأة مقتولة، ونهى عن قتل العبيد إذا لم يقاتلوا، فروي عن رَبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلًا، فَقَالَ: "انْظُرْ عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ؟" فَجَاءَ فَقَالَ: عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ. فَقَالَ: "كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ" قَالَ: وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ رَجُلًا. فَقَالَ: "قُلْ لِخَالِدٍ لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا"[2].

ولهذا وجه رسول الله ﷺ أصحابه في ساحة الحرب لتخير الأهداف، وألا يجعلوا حماسهم للحرب سببا لقتل كل من يصادف، محاربا كان أو مدنيا، بل عليهم أن يرجحوا عقولهم في أصعب الأوقات، وأشد الساعات التي قد تمر على مؤمن، فيزن بعقله من يُقتل من غيره. وفي المقابل لا يجعلهم يتغافلون على المتخفين من جند العدو في الزي المدني، وقد نبه رسول الله ﷺ على هذا الأمر؛ فأمر بقتل المرأة المقاتلة والشيخ الفاني الذي

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ قَتْلِ النِّسَاءِ فِي الحَرْبِ (4/61) حديث رقم (3014).
2. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي قَتْلِ النِّسَاءِ (3/53) حديث رقم (2669)، وابن ماجه في سننه، كِتَابُ الجِهَادِ، بَابُ الْغَارَةِ، وَالْبَيَاتِ، وَقَتْلِ النِّسَاءِ، وَالصِّبْيَانِ (2/948) حديث رقم (2842). وابن حبان في صحيحه، ذِكْرُ خَبَرٍ ثَانٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ يُقْتَلُونَ إِذَا قَاتَلُوا (11/112) حديث رقم (4791). قال الألباني: وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات"، ينظر: السلسلة الصحيحة (2/200).

يعين برأيه، قال ابن رسلان: أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا، فإن قاتلوا، فقال جماهير العلماء: يقتلون[1].

ويكمن أثر الأهداف المرسومة بإحكام في التنمية في:

- منع التشتت أثناء السير في طريق التنمية إلى أهداف ثانوية، وتوحد الجهود حول هدف واحد مما يساعد على التحرك بقوة نحوه.

- المساعدة على التعبئة الاجتماعية؛ وذلك بجعل القاعدة الشعبية تتبنى أهداف التنمية وتعمل عليها، فالأهداف الواضحة تقوي نفوس المنتسبين إليها للعمل بإتقان وإخلاص في سبيل تحقيق الأهداف المأمولة في أقرب الآجال والتمتع بثمارها.

- رصد التقدم على مسار التنمية بدقة، ومن ثم تسهيل التدخل السريع عند وقوع أي خلل أو مشكلة تعرقل سير عجلة التنمية.

7. حفظ النفس هدف رئيسي للتنمية:

إنَّ نجاح عملية التنمية منوط بكفاءة المسؤولين في الاستغلال الأمثل والرشيد للموارد البشرية والمحافظة عليها؛ إذْ تعد النفس البشرية المرتكز الرئيسي لأية تنمية على اعتبار أنَّ غاياتها النبيلة الرقي بالبشرية إلى مستويات عليا، وفي الوقت ذاته هي الداعم الأساسي لتحقيق الهدف المنشود، فالإمكانات المادية لا قيمة لها دون العنصر البشري، ومن الفطنة الاستثمار فيها، وبذل الجهد في تطويره.

وفي السيرة النبوية تعد قاعدة (حفظ النفس مقدم على حفظ المال) من القواعد المهمة التي يجب على المجاهد أخذها جيدا بعين الاعتبار في أثناء الحرب، ويتمثل ذلك فيما يأتي:

أ- نهى النبي ﷺ بشدة وحذر بصرامة عن الغلول، إلا أنه أباح للمجاهد الأكل والشرب في أرض العدو إذا خشي على نفسه الهلاك، ومما جاء في هذا الباب عَنِ ابْنِ عُمَرَ

1. ابن رسلان، شرح سنن أبي داود (11/476). ينظر: السهارنفوري، بذل المجهود في حل سنن أبي داود (12/411).

(رضي الله عنه)، قَالَ: "كُنَّا نُصِيبُ فِي مَغَازِينَا العَسَلَ وَالعِنَبَ، فَنَأْكُلُهُ وَلاَ نَرْفَعُهُ"[1]، وعن عبد الله بن مغفل قال: "أصبت جرابا من شحم يوم خيبر قال فالتزمته فقلت: لا أعطي اليوم أحدا من هذا شيئا. قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ متبسما"[2]. والحديثان إنما دلا على إباحة الطعام في حالة توافره، فإذا عانى الجيش قلة الطعام نهى رسول الله ﷺ عن النهب، ودليله ما ورد عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ النَّاسَ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَجَهْدٌ، وَأَصَابُوا غَنَمًا فَانْتَهَبُوهَا، فَإِنَّ قُدُورَنَا لَتَغْلِي إِذْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي عَلَى قَوْسِهِ، فَأَكْفَأَ قُدُورَنَا بِقَوْسِهِ، ثُمَّ جَعَلَ يُرَمِّلُ اللَّحْمَ بِالتُّرَابِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ النُّهْبَةَ لَيْسَتْ بِأَحَلَّ مِنَ الْمَيْتَةِ" أَوْ "إِنَّ الْمَيْتَةَ لَيْسَتْ بِأَحَلَّ مِنَ النُّهْبَةِ"[3]، ويعضده ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: قُلْتُ: "هَلْ كُنْتُمْ تُخَمِّسُونَ - يَعْنِي الطَّعَامَ - فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟" فَقَالَ: "أَصَبْنَا طَعَامًا يَوْمَ خَيْبَرَ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ فَيَأْخُذُ مِنْهُ مِقْدَارَ مَا يَكْفِيهِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ":[4].

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ،بَابُ مَا يُصِيبُ مِنَ الطَّعَامِ فِي أَرْضِ الحَرْبِ (4/95) حديث رقم (3154).
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، باب جواز الأكل من طعام الغنيمة في دار الحرب (3/1393) حديث رقم (1772).
3. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنِ النُّهْبَى إِذَا كَانَ فِي الطَّعَامِ قِلَّةٌ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ (3/66) حديث رقم (2705)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب النَّهْيِ عَنْ نَهْبِ الطَّعَامِ (9/61) حديث رقم (18469)، قال الألباني: "أخرجه أبو داود واسناده صحيح . وله شاهد عن أم حبيبة بنت العرباض قالت: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ حرم يوم خيبر كل ذي مخلب من الطير ولحوم الحمر الأهلية والخليسة والمجثمة وأن توطأ السبايا حتى يضعن ما في بطونهن". ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين، الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، د. ت، (4/236). وقال شعيب الأرنؤوط "حديث صحيح، وهذا إسناد قوي من أجل عاصم بن كليب - وهو ابن شهاب - وأبيه، فهما صدوقان لا بأس بهما، لكن روي الحديث من وجه آخر عن رافع بن خديج وهو أنصاري، فلعله هو، والله أعلم. أبو الأحوص: هو سلاّم بن سُليم". ينظر: سنن أبي داود تحقيق الأرنؤوط (4/340).
4. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنِ النُّهْبَى إِذَا كَانَ فِي الطَّعَامِ قِلَّةٌ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ (3/66) حديث رقم (2704)، وحكم عليه الألباني بالصحة في كتابه صحيح سنن أبي داود (2/156). وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب السير، باب النَّهْيِ عَنْ نَهْبِ الطَّعَامِ (9/61) حديث رقم (18469)، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري فقد احتج بمحمد وعبد الله ابني أبي المجالد جميعا ولم يخرجاه" ينظر: المستدرك الطبعة الهندية (2/126) حديث رقم (2578)، قال الحافظ ابن حجر: "أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ الْجَارُودِ، وَالْحَاكِمُ"، ينظر: ابن حجر العسقلاني، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، المحقق/سمير بن أمين الزهري، دار الفلق، السعودية، ط7، 2004م، (514).

إنما دل فعل رسول الله ﷺ في الحديثين الأولين من عدم جعل الطعام مما لا خمس فيه؛ لأن به حفظ الأنفس وتقوية الأبدان، دون إلحاق الضرر بالغير. أما في الحديثين الأخيرين فلما كان هلاك الأنفس لما أصابهم من جوع شديد يهدد حياتهم، نهى عن نهب الطعام، وأمر به وقسمه على المجاهدين ﷺ.

ب- ومن حفظ الأنفس نهيه ﷺ عن تمني لقاء العدو؛ عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله، يعني ابن معمر وكان كاتبا له، قال: كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية، أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو قال: "أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ" ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ"[1].

أمر رسول الله ﷺ أصحابه بعدم تمني لقاء العدو لأنه قد تكون حالهم عند تمني لقاء العدو غير طيبة، وذلك بأن يحصل منهم ما لا ينبغي من استخفاف بالعدو أو إعجاب بالنفس، مما ينجر عليه عدم الصبر، أو الفرار، أو الخذلان وعدم التوفيق من الله سبحانه وتعالى[2].

وينطوي هذا النهي على حرص على الحفاظ على الأنفس؛ فجاء النهي عن تمني لقاء العدو في حالة الشك في غلبته عليكم، أو يخاف منه استباحة الحريم، ويذهب بالأنفس والأموال[3].

وفي الحديث دلالة على أهمية العنصر البشري، وضرورة الحفاظ عليه، وعدم الزج به إلى مهالك محتومة، فإن الحرب وإن كانت ذات مكاسب عديدة على المستوى الديني والمالي، إلا أن الحفاظ على الأنفس من القتل ضروري؛ خاصة إذا علم أو تأكد عدم قدرتهم على القتال، لأن في ذلك سوقا لهم إلى حتفهم، وعليه فإن الحرب قرار حكيم ينبع عن دراسة لحالة الجنود ومدى جاهزيتهم، وما يتبعه من جاهزية العتاد، ودراسة لأحوال العدو

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ (4/63) حديث رقم (3024).
2. ينظر: ابن رسلان، شرح سنن أبي داود (11/381)، عبد المحسن العباد، شرح سنن أبي داود (311/15).
3. ابن رسلان، شرح سنن أبي داود (11/381).

والظروف الملابسة للحرب المتوقعة، وليست ردود فعل أو قرارات حماسية قد تؤدي إلى نتائج لا يحمد عقباها، خاصة إذا كان هذا النوع من الحروب متكررا، فإنه سيؤثر حتما في نفسية الجنود مما يؤدي إلى انسحابهم المتوالي من صفوف الجهاد، وتحطم نفسيتهم لتكرر الهزائم، وانخفاض عزيمتهم، كما ينجر عنه فقدان الثقة في ولي الأمر وقرارته الاعتباطية.

أشار النبي ﷺ في النصف الثاني من الحديث أنه إذا تحتم لقاؤهم فقد بشر رسول الله ﷺ المجاهد الذي يصير تحت ظلال سيوف الأعداء، فإذا وقع عليه ومات فهو شهيد، والجنة مأواه ومصيره[1]، في حين يرى الخطّابي أن في قول الرسول ﷺ دعوة لإقبال المجاهد وعدم إدباره إلى أن يقع بين يدي غريمه، حيث قال: "معنى ظلال السيوف الدنوّ من القرن حتى يعلوه ظلّ سيفه لا يولّي عنه ولا يفرّ منه، وكلّ شيء دنا منك فقد أظلّك"[2]، إذن العبارة فيها إشادة بالمقاتلين الصابرين الثابتين عند اللقاء تبعا لقوله: (فإذا لقيتموهم فاصبروا) إلى أن يرتقوا شهداء[3]، فإن قيل لما خص السيوف دون غيرها؟ إنما ذلك لأن غالب ما يقاتل به السيوف[4].

ويستنتج من هذا البند مجموعة من الأسس المهمة منها:

- ✓ يعد الحفاظ على الأنفس البشرية أول وأسمى أهداف التنمية؛ لأنها الوقود لاستمرار التنمية مستقبلا عن طريق حسن تسيير الطاقات البشرية.

- ✓ أن يتمتع القائد لعملية التنمية بالحكمة والرؤية الاستشرافية المستقبلية لخطوات التنمية، هذه الصفات توفر دوام الثقة المتبادلة بين المتولي لعملية التنمية والمستهدفين منها، مما يضمن عدم أي انتكاسات في الطريق نحو تحقيق التنمية الشاملة المرجوة.

- ✓ من أكثر المعوقات النفسية لعجلة التنمية هي حماسة البدايات، والتوق إلى تحقيق النتائج في أسرع وقت، دون مراعاة الظروف الواقعية، أو دراسة للتحديات التي

---

1. ينظر: عبد المحسن العباد، شرح سنن أبي داود (311/15). أبو الحسن السندي، فتح الودود في شرح سنن أبي داود (3/98).
2. أبو سليمان حمد الخطابي، معالم السنن (2/267)
3. ينظر: عبد المحسن العباد، شرح سنن أبي داود (311/15).
4. ابن رسلان، شرح سنن أبي داود (11/382).

تقف عقبة أمام التنمية.

✓ ضرورة التشجيع الدائم للقائمين على التنمية وتهيئتهم لتحمل الضغوطات، والتصدي لجميع التحديات بكل شجاعة وبسالة، وأن يعلموا أن التنمية طريق طويل تشوبه الكثير من العوائق، فعليهم التحلي بالبسالة والصمود للوصول بالأمة إلى أرقى حال، وأن يستحضروا في كل محطة أنه نوع من الجهاد الذين يجزون عليه خير الجزاء.

✓ من الحكمة في تسيير مراحل التنمية التكيف مع تغير الأحوال، فلكل مرحلة أحكامها الخاصة، فإن تعميم الخطط في كل مكان وزمان عبث مهلك.

المبحث الثالث: ملامح التنمية في الأحاديث النبوية المتعلقة بمرحلة ما بعد الحرب

راعى التشريع الإسلامي وجود حالة من الانتكاسة بعد الحروب تمس مجالات مختلفة، لذلك فقد شرعت العديد من الأحكام التي تضمن المجتمع ديمومة التقدم بعد الحرب تتمة لمشروعها المتكامل في تحقيق التنمية المستدامة خلال الحروب. ومن بين مقومات التنمية الاجتماعية التي يمكن الاستناد إليها في الانتقال بالمجتمع من مرحلة إلى مرحلة مغايرة، ما يأتي:

1. وجوب الالتزام بالأدوار واحترام الرتب:

إنَّ أول الأسس التي تبنى عليها التنمية الاجتماعية هي الالتزام بالأدوار واحترام الرتب، بحيث يعرف المسؤول ما عليه من مسؤوليات، ويقف المرؤوس عند حدود دوره، فلا يتعالى على المسؤول عليه.

وقد دعمت السنة النبوية الشريفة مبدأ صلاحيات ولي الأمر في الحرب، وأتاحت له مساحة حرة لتقدير الأوضاع وإبداء رأيه بما يراه مناسبا مع أوضاع الحرب، فلكل حرب ظروف مغايرة وأحوال متجددة، ونوازل مستجدة، تستلزم وليا فطنا ذا بأس.

ويظهر هذا المبدأ في تعامل الشريعة الإسلامية مع أحد أهم مخرجات الحروب الإسلامية؛ وهو وقوع أسرى من صفوف العدو في قبضة المسلمين. وقد بيّن التشريع الإسلامي الجانب الإنساني في التعامل مع الأسير العدو، فحفظ لهم حقوقا مادية ومعنوية، وسطر أهدافا واضحة لعملية الأسر، ويترتب وفقها إجراءات التعامل مع الأسير بين عفو ومنٍ، أو فداء أو قتل أو استرقاق.

أ- ويظهر مبدأ احترام الرتب في إتاحة كامل الحرية للإمام في الاختيار بين الإجراءات بما يتناسب مع ما يرى فيه المصلحة من هذه الأمور فيفعله، مع ضرورة احترامه وإنْ أخطأ في تقديره، فيما روى عَوْف بْن مَالِكٍ، قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلَبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِخَالِدٍ: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟" قَالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "ادْفَعْهُ إِلَيْهِ"، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاسْتُغْضِبَ، فَقَالَ: "لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدَرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدَرُهُ عَلَيْهِمْ""[1].

ب- وضع حدود لولي الأمر: الإسلام لم يترك كامل الحرية لولي الأمر ليفعل ما يشاء فيما يشاء بل رسم بعض الحدود ليحد من غلو النفس البشرية ويضبطها بما يحفظ حقوق الآخرين، ويراعي احتياجاتهم النفسية، لتسود روح العدل بين طبقات المجتمع، وتندمج ببعضها وفق ما تقتضيه الأخلاق الإسلامية، والتي من بينها الرحمة وحفظ الحقوق، وهذا من شأنه أن يخلق جوا من الرضى بين الرئيس والمرؤوس لعدم تضارب المصالح.

ومما ورد في هذا السياق أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَعِي مَنْ تَرَوْنَ، وَأَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا الْمَالَ". فَقَالُوا: نَخْتَارُ سَبْيَنَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ جَاءُوا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ". فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ". فَرَجَعَ النَّاسُ وَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ، فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا.[2]

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الْجِهَادِ والسير، بَاب استحقاق القاتل سلب القتيل (3/1373) حديث رقم (1753).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة: 25]- إِلَى قَوْلِهِ - ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: 173] (5/153) حديث رقم (4318).

وانطلاقا مما سبق يجب أنْ تكون العلاقة في عملية التنمية بين المدير المختار والموظفين مبنية على الاحترام المتبادل للرتب واحترام الأدوار المخولة لكل منهم. ومن مظاهر الاحترام؛ أنْ ينقاد الموظف لتعليمات المسيِّر، وأنْ يعمل على تطبيق إرشاداته احتراما لمركزه واعتبارا لنظرته الشمولية لأهداف التنمية الشاملة، التي يبني وفقها المدير الخطوات العملية التي يكلف بها الموظفين.

فلو فرضنا فتح المجال لتدخل الموظف في الاعتراض على كل قرار يتلقاه من الجهة الأعلى منه، فإن ذلك سيخلق اضطرابا في العمل، وسيجعل الجو العام للعمل مشحونا، يتطور فيما بعد إلى منازعات قد تؤثر سلبيا في سير عملية التنمية أو تأخرها، وفي الجهة المقابلة فإن القرارات التعسفية التي لا تتمشى مع ظروف الموظف وامكانياته، مع عدم السماح له بالتعبير عن رأيه، سيؤدي إلى النتائج نفسها.

لذلك فإنَّ المدير الواعي هو الذي يجعل موظفيه يشعرون بالراحة والرضى أثناء عملهم، فيحفزهم على تقديم الأفضل، ويكون ذلك بالمرونة التي يقدمها المدير بتقمصه لشخصيات مختلفة (صارم، شوري، متساهل) وفق المواقف التي تواجهه في أثناء تسيير شؤون القطاع المسؤول عنه.

2. لا مكان للخونة في عجلة التنمية:

إنَّ التنمية المستدامة هي عملية متكاملة تحتاج إلى تضافر الجهود وتفاني في العمل من أجل تحقيق رؤى مستقبلية تكفل للمجتمع بأكمله نقلة نوعية على الأصعدة كافة، وأية ثغرة في إحدى درجات سلم التنمية قد تؤدي إلى خلل في النتائج المسطرة أو الفشل المحتوم للمشروع كافة؛ لذلك من أهم ما تؤسس عليه التنمية المستدامة اختيار الأفراد الأكفاء الذين يحملون هم الأمة، ويتطلعون لرؤيتها في أفضل حال، ولا يمكن أن يلهيهم عن أهدافهم المنوطة أي أغراض ثانوية أو استمالات خارجية.

ولذلك فقد حرص النبي ﷺ على اختيار الأفراد، واستبعاد كل من لا يتوافق مع روح الخطة المسطرة ولا يتبناها عقديا راسخا في أعماقه، ومما يشهد لذلك ما روته عَائِشَة (رضي الله عنها)، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِبَلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ، وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟" قَالَ: لَا، قَالَ: "فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ"، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى

إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: "فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ"، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: "تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟" قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّٰه ﷺ: "فَانْطَلِقْ"[1]. التنمية تحتاج إلى رؤى موحدة ومنطلقات مؤسِسة مشتركة، فإن اختلفت في نفوس القائمين عليها اضطربت الرؤية وتشوش الهدف.

ومما يدخل تحت بند حسن انتقاء الأفراد في عجلة التنمية في المجتمعات ألا نتيح المجال للخونة، فإنَّ أمانهم هلاك، والركون إليهم هوان، فالنبي ﷺ أَمَّنَ النَّاسَ في فتح مكة إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ ومنهم ابْنُ أَبِي سَرْحٍ، اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: "أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟" فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا فِي نَفْسِكَ أَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ. قَالَ: "إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ" قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "كَانَ عَبْدُ اللَّهِ أَخَا عُثْمَانَ مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَكَانَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ أَخَا عُثْمَانَ لِأُمِّهِ، وَضَرَبَهُ عُثْمَانُ الْحَدَّ إِذْ شَرِبَ الْخَمْرَ"[2].

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَاب الْجِهَادِ والسير، بَاب كراهة الاستعانة في الغزو بالكافر (3/1449) حديث رقم (1817).

2. أخرجه أبو داود في سننه، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابُ قَتْلِ الْأَسِيرِ وَلَا يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ (3/59) حديث رقم (2683). والنسائي في السنن الكبرى، كتاب تحريم الدم، باب الْحُكْمُ فِي الْمُرْتَدِّ (3/443) حديث رقم (3516)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب المرتد، باب مَنْ قَالَ فِي الْمُرْتَدِّ يُسْتَتَابُ مَكَانَهُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ (8/204) حديث رقم (17333)، والحاكم في المستدرك - الطبعة الهندية (3/45) حديث رقم (4360) قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ينظر: المستدرك (3/45). وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسن. السُّدي - وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة - وأسباط بن نصر وأحمد بن المفضل حديثهم حسن لا يرتقي إلى الصحة". ينظر: سنن أبي داود تحقيق الأرنؤوط (4/319). قال الألباني: "وقال الحاكم : "صحيح على شرط مسلم". و وافقه الذهبي، وهو كما قالا، إلا أن أسباط بن نصر و أحمد بن المفضل قد تكلم فيهما بعض الأئمة من جهة حفظهما، لكن الحديث له شاهد يتقوى به، يرويه نافع أبو غالب عن أنس قال: "غزوت مع النبي ﷺ حنينا فخرج المشركون، فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا، وفي القوم رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا، فهزمهم الله، وجعل يجاء بهم فيبايعونه على الإسلام، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ : إن علي نذرا إن جاء الله بالرجل الذي كان منذ اليوم يحطمنا لأضربن عنقه، فسكت رسول الله ﷺ، وجيء بالرجل، فلما رأى رسول الله قال : يا رسول الله تبت إلى الله ...الحديث". أخرجه أبو داود (3194) وأحمد (3/151) بسند حسن، فالحديث بهذا الشاهد صحيح إن شاء الله تعالى" . ينظر: السلسلة الصحيحة (4/222).

وإنَّما فعل النبي ﷺ ما فعل مع عبد الله بن أبي سرح لأنه كان من كتاب الوحي، كان يكتب الوحي للرسول ﷺ، ثم إنه ارتد ثم عاد إلى الإسلام، فعامله النبي ﷺ هذه المعاملة لكونه كان من كتاب الوحي ومع ذلك حصل منه ما حصل؛ إذ كان في الأصل أن كتابة الوحي وائتمان النبي ﷺ له على الوحي داعيان لبعده من أنْ يقع في مثل هذا الذي وقع فيه، فمن أجل ذلك عامله النبي ﷺ هذه المعاملة[1].

3. أثر حفظ الجهود بالمجازاة في عملية التنمية:

تقوم مؤسسات التنمية على جهود جماعية؛ أي يشترك فيها جمع من الأفراد من أجل تحقيق هدف ثانوي يضفي لمسة لمشروع التنمية، أو جهود فردية؛ أي أن أحد الأفراد في الكينونة التنموية يقوم بجهد مضاعف من أجل تحقيق هدف ما له قيمة ووزن في عجلة التنمية.

وقد عززت التشريعات الإسلامية في مرحلة ما بعد الحرب مبدأ حفظ الجهود، وذلك عن طريق مكافأة المجاهدين في سبيل الله بعد الحرب وفق ما بذلوه في الحرب من بسالة وشجاعة في القتال، وما جادوا به من أنفس وأموال، ومثال مظاهر حفظ الجهود بعد الحرب في السنة النبوية ما يأتي:

أ- السهم للخيل: كان النبي ﷺ يعمد إلى الغنائم بعد نهاية الحرب ليقسمها على المجاهدين في سبيل الله، فكان يحفظ جهد من شارك بخيله فيجعله له سهما خاصا به، تحفيزا للفارس على جهده، فقد أورد أبو داوود تحت: بَابٌ فِي سُهْمَانِ الْخَيْلِ؛ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَعَلَ لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ وَلِصَاحِبِهِ سَهْمًا"[2].

ويظهر الحديث أن رسول الله ﷺ، قد أثاب من جاهد بخيله وكافأه مرتين مرة لجهاده بنفسه وأخرى لجهاده بخيله، فمن المناسب أن يكون سهمه أكثر من سهم الراجل لأن مؤن الفارس أكثر، وغناؤه أعظم [3].

---

1. عبد المحسن العباد، شرح سنن أبي داود (18/317).
2. أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ سِهَامِ الفَرَسِ (4/30) حديث رقم (2863).
3. ينظر: ابن رسلان، شرح سنن أبي داود (11/665).

وكذا حفظ رسول الله ﷺ جهد الخيل وفارسها لما يترتب على استخدامها من قوة البلاء في الكر والفر والتمكن من الوصول إلى الأعداء والنكاية بهم، ومن جهة أخرى حفظ جهد مالكها فهي تحتاج إلى خدمة وعلف وغير ذلك[1].

ب- السلب: يعد السلب[2] أيضا أحد مظاهر الجهود التي حفظها رسول الله ﷺ في الحرب. فمن الأحكام المشروعة بعد الحرب لحفظ جهد المحارب الشجاع الباسل الذي قاتل بشراسة في ساحة المعركة، أن يكون ما ظفر به من غريمه له خالصا، فلا يدخل تحت ظل الغنائم التي تقسم، فقد روى أبو قتادة عن النبي ﷺ أنه قال : "مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ". قَالَ أَبو قَتَادَةَ: فَقُمْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ الثَّانِيَةَ: "مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ". قَالَ: فَقُمْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: مَنْ يَشْهَدُ لِي؟ ثُمَّ جَلَسْتُ، ثُمَّ قَالَ: ذَلِكَ الثَّالِثَةَ، فَقُمْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا لَكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ؟" قَالَ: فَاقْتَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَسَلَبُ ذَلِكَ الْقَتِيلِ عِنْدِي فَأَرْضِهِ مِنْهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: لَاهَا اللَّهِ إِذًا يَعْمِدُ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أُسْدِ اللَّهِ يُقَاتِلُ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ فَيُعْطِيكَ سَلَبَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "صَدَقَ فَأَعْطِهِ إِيَّاهُ"، فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: "فَأَعْطَانِيهِ فَبِعْتُ الدِّرْعَ فَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا فِي بَنِي سَلَمَةَ، فَإِنَّهُ لَأَوَّلُ مَالٍ تَأَثَّلْتُهُ فِي الْإِسْلَامِ"[3].

"وهذا يدل على قوة بعض الصحابة (رضي الله عنهم) وأرضاهم ونشاطهم وبلائهم في الجهاد في سبيل الله، فإن أبا طلحة قتل هؤلاء العشرين من الكفار وأخذ أسلابهم"[4].

مما سبق نلحظ أن رسول الله ﷺ كان يراعي تفاوت جهود المجاهدين، ويحفظ تفاوت درجات مشاركتهم في الحرب المادية والمعنوية، فالمادية مثل المُشارك بالخيل، فكان ﷺ يسهم للفارس وخيله المُشاركة في الحرب أيضا، لأن الخيول في جيوش المسلمين

1. ينظر: عبد المحسن العباد، شرح سنن أبي داود (323/3).
2. "السلب بفتح المهملة واللام بعدها موحدة هو ما يوجد مع المحارب من ملبوس وغيره عند الجمهور، وعن أحمد لا تدخل الدابة، وعن الشافعي يختص بأداة الحرب"، محمد أشرف العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1995م، (7/275).
3. أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ، بَابُ مَنْ لَمْ يُخَمِّسِ الأَسْلاَبَ، وَمَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخَمِّسَ، وَحُكْمِ الإِمَامِ فِيهِ (4/92) حديث رقم (3142).
4. عبد المحسن العباد، شرح سنن أبي داود (321/6).

يومئذ قليلة فكان من يخاطر بخيله ويجاهد بها في سبيل الله، كان رسول الله ﷺ يحفظ جهده ويكافئه لذلك. أما المعنوية فهي تلك الروح المقاتلة التي يظهرها المجاهد في أرض الحرب فيقاتل ببسالة وينال من أعداء الله في ساحة المعركة، فحفظ رسول الله ﷺ له ذلك وأباح له كل سلب ناله في الحرب "مكافأة له على نشاطه وعلى قوته وعلى جرأته"[1].

وهذا مما يزرع قيمة العدل بين أبناء المسلمين فلا يتساوى من جاهد بنفسه بمن جاهد بنفسه وخيله.

يدعم هذا الفعل روح الانتماء إلى الدين والوطن والبذل لهما، والذي يسمى اليوم بالوطنية والقومية الدينية التي لها آثار واضحة في الإقبال على عملية التنمية، والإسهام الفعّال في مجالاتها كافة.

كما أن عدم تقدير الجهود المبذولة يورث في النفس تخاذلا، وتباطؤًا في بذل كل ما أُوتي الفرد من قوة. كما أنَّ مساواة الجهود رغم تفاوتها يُخلف انطباعا لدى الأقل جهدا بأنَّ جهده كافٍ ومساوٍ لغيره فلا يسعى لتطوير نفسه، ويخلف في نفس من بذل أقصى جهده بالنقص فيعرض عن استعمال إمكاناته كافة في القادم من المراحل، وهذا يؤثر بلا شك سلبا في التنمية؛ لذلك حث الهدي النّبوي على تمييز ومكافأة كل من أبلى بلاءً حسناً، مما يخلف تحفيزا للهمم.

ومما يمكن إدراجه تحت هذه القيمة هي ضرورة التقييم العادل للأداء بعد نهاية كل مرحلة. إذ يعدّ التقييم أحد أهم المراحل في التدرج السُّلَّمي للتنمية المستدامة، فحسن التقييم ونزاهته يحفظ جهود العاملين، وذلك يولد لهم الرغبة في العمل والدافعية للتميز أكثر مستقبلا، مما ينعكس إيجابا على ديمومة التنمية.

ومما يمكن استفادته أيضا من هذا البند أن "التنمية المستدامة مطلب أساسي لتحقيق العدل والإنصاف في توزيع مكاسب التنمية والثروات بين الأجيال المختلفة"[2].

1. عبد المحسن العباد، شرح سنن أبي داود (321/3).
2. مراد ناصر مجلة تواصل، التنمية المستدامة تحدياتها في الجزائر (ص131).

4. تشجيع المبادرات المُساهمة في تحقيق أهداف التنمية:

تعد التنمية عملية دقيقة تسير وفق تخطيط سابق يُراعى فيه الأهداف المرجوة، وتُستغل فيه الإمكانات المتوافرة، وقد يحدث أن تكون نقلة نوعية في عجلة التنمية بفضل إحدى المبادرات الفردية أو الجماعية التي تسرع في خطوات التنمية. لذلك وجب تشجيع المبادرات التي تسهم في التنمية العامة بصفة كلية، وفي التنمية الاجتماعية بصفة خاصة، فتشجيع المبادرات يوقظ روح التنافس بين الفئات المجتمعية، ويدفعهم إلى التنافس على الخير الذي يعود عليهم بالنفع، وعلى المحيطين بهم، كما يدفع تشجيع السلطات للمبادرات إلى نشر روح التعاون الاجتماعي بين طبقات المجتمع لتقديم أداء أفضل، له نتائج ملموسة في واقعهم المعيش، خاصة إذا كانت الحالة المجتمعية في أسوأ حالتها ألا وهي الخروج من الحرب، وما تخلفه من زعزعة في الاستقرار على الأصعدة كافة.

وفي السنة النبوية فقد ورد عن ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ فَأَخَذَ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - الْفِدَاءَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾ [الأنفال: 67-68][1] .

أخذ النبي ﷺ الفداء يوم بدر برأي بعض الصحابة بأخذ الفداء، خلافا لما أشار به عمر، فنزل القرآن موافقاً لما رآه عمر (رضي الله عنه) وأرضاه[2].

إنَّ عدم تشجيع المبادرات يؤدي إلى فتور الهمم والتكاسل عن أداء الأعمال التطوعية التي تعود بالنفع على المجتمع. كما يسهم في تنمية المستوى الفكري للأفراد، وانشغال الفكر بأفكار جديدة، وإعمال اليد بالتصنيع، وهذا يدعم التنمية في الجانبين: الاقتصادي والاجتماعي، على حد سواء.

إنَّ تشجيع المبادرات يعمل على كسر حواجز الخوف بين الرئيس والمرؤوس، ويجعل المرؤوس مندفعا للعطاء، ولإظهار مواهبه وإبداعاته، ومن ثم نتخلى عن العقلية

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ (3/1383) حديث رقم (1763) في قصة طويلة.
2. ينظر: عبد المحسن العباد، شرح سنن أبي داود (14/318).

السائدة وهي الموظف السلبي، التي انتشرت اليوم في المجتمعات، وأصبحت تمثل أحد أهم العوائق الإنتاجية في عجلة التنمية؛ لأنه يوقع العامل في الروتين الوظيفي القاتل لروح الإبداع والتفكير لدى الفرد.

إنَّ تشجيع المبادرات يسمح باكتشاف النوابغ، واستخراج المهارات المدفونة، ومن ثم لفت النظر لهذه الفئة وتبنّيها، والعمل على دمجها في حركة التنمية، والإفادة القصوى من معارفهم ومهاراتهم وأفكارهم لبلوغ أرقى المستويات.

إن إتاحة المجال للمبادرات سيتيح المجال لاستقبال الآراء النقدية من المستويات المتباينة كافة التي تشملها التنمية، وهذا ما يسمح برصد واقعيٍّ لنتائج التنمية، والوقوف على الثغرات التي سها عنها المخطط أو المنفذ لعملية التنمية، ومن ثم يتوافر لدينا تقييم سليم يفضي إلى حلول أكثر نجاعة في ترقيع الأخطاء السابقة، وتضمن نهوضا ناجحا للمجتمع يلبي التوقعات ويتوافق مع الغايات المرجوة.

ومن جهة أخرى يتيح فتح المجال للنقد تخطي فكرة الكمال والمثالية في المخططات المرسومة، وجعلها عملا بشريًّا يتعرض للنقص والخلل والمشكلات، وهذا يُشعر المسؤولين على التنمية بصفة عامة بالارتياح؛ لكونه غير مطالب بالكمال وتحقيق المثالية التامة، مما يجعله رئيسا ديمقراطيا يفسح المجالات للآراء المختلفة، والانتقادات البناءة، والمبادرات النافعة.

الخاتمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية، توصلنا إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

1. من أبرز النقاط التي تسهم في بناء نظرة عميقة عن حركة التنمية، انطلاقا مما ورد في السنة النبوية في حال الحرب، هي الاستعداد السابق على المستويين النفسي والمادي، إذ يؤثر هذا الاعداد بصورة مباشرة في عمل الموظف وإنتاجيته.
2. أشارت الأحاديث النبوية، التي روت أحداثا وأحكاما متعلقة بمجريات الحرب في أثناء وقوعها، إلى ضرورة تدريب الأفراد، سواء المستهدف منهم أو القائم على التنمية في البلاد، على العمل الجماعي من خلال تكاتف الجهود وجمعها، وإتاحة المجال لجميع الأفكار. كما يجب أنْ يعملوا على تعليق قلوبهم بالله وشرعه أولا، ثم

على طاعة ولي الأمر بالمعروف، وفي المقابل عليهم أنْ يردعوا النفس عن الوحشية، مع تمييز الأهداف المشروعة من غيرها؛ لأنَّ الغاية الأسمى للتنمية هي المحافظة على الإنسان وكل ما يحتاجه لاستمرار حياته الطيبة، لذلك فلا يجب أنْ يتناسى في خضم العملية ضرورة تقديم حفظ النفس على أية غاية أخرى.

3. مما يستنبط من التشريعات النبوية في الأحاديث المتعلقة بما بعد الحروب، أنَّ التنمية عملية منظمة يجب على كل فرد الالتزام بالأدوار واحترام الرتب لضمان السير المنظم للتنمية، مع ضرورة الالتفات إلى تشجيع المبادرات وحفظ جهود العاملين لأنهم روح التنمية ووقودها،كما حُذر من الاستعانة بالخونة في خطط التنمية.

4. إنَّ عملية التنمية اجتهاد وبناء وتغيير، وليست مصادفة ومعجزات.

قائمة المصادر والمراجع

- الإسلام ودور الانسان في التنمية، محسن عبد الحميد، مجلة الأمة، العدد 34، 1983م، غزة.

- بذل المجهود في حل سنن أبي داود، خليل أحمد السهارنفوري، اعتني به وعلق عليه: تقي الدين الندوي، مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند، ط1، 2007م.

- بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ابن حجر العسقلاني، المحقق/ سمير بن أمين الزهري، دار الفلق، السعودية، ط7، 2004م.

- التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير، محمد بن إسماعيل الكحلاني، المحقق/ محَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق أبو مصعب، مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض، المملكة الْعَرَبيَّة السعودية، ط1، 2012م.

- تنافسية الاقتصاديات العربية ودور التكامل الاقتصادي الأقليمي في التنمية، عبد المالك بوضياف، مجلة تواصل، عدد26، جوان 2010م، عنابة الجزائر.

- التنمية الاجتماعية وعلاقتها بالتنمية البشرية، منظمة العمل العربية، مجلة العمل العربية، العدد 58، الجزائر.

- التنمية المستدامة تحدياتها في الجزائر، مراد ناصر، مجلة التواصل، عدد26، جوان 2010م، عنابة الجزائر.

- تهذيب اللغة، محمد الأزهري الهروي، المحقق/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي لبنان، ط1، 2001م.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، د. ت.

- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، د. ط، 1952م.

- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، د. ت.

- سنن أبي داود، سليمان أبو داود السِّجِسْتاني، المحقق/ شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م.

- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، المحقق/ أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م.

- السنن الكبرى، أحمد أبو بكر البيهقي، المحقق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط3، 2003م.

- السنن الكبرى، أحمد أبو عبد الرحمن النسائي، المحقق/ حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2001م.

- شرح سنن أبي داود، شهاب الدين ابن رسلان المقدسي، المحقق/ عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، مصر، ط1، 2016م.

- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، المحقق/ شعيب الأرنـؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط2، 1993م.

- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، المحقق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 2002م.

- صحيح سنن أبي داود، محمد الألباني، مكتبة المعارف، السعودية، ط1، 1999م.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د. ط.

- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان ، ط2، 1995م.

- العين، الخليل الفراهيدي، المحقق/ مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ت.

- فتح الودود في شرح سنن أبي داود، أبو الحسن السندي، المحقق/ محمد زكي الخولي، مكتبة لينة، مصر، ط1، 2010 م.

- الفلاسفة والحرب، فتح التريكي، تر: زهير المدنيني، دار الروافر الثقافية ناشرون، لبنان، ط1، 2015م.

- مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بعناية: محمد شايب شريف، دار ابن حزم، لبنان ط1، 2012م.

- المستدرك على الصحيحين للحاكم، محمد أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المحقق/ أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، مصر، 1997م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد أبو عبد الله بن حنبل، المحقق/ أحمد محمد شاكر، دار الحديث، مصر، ط1، 1995م.

- معالم السنن، أبو سليمان حمد الخطابي، المطبعة العلمية، سوريا، ط1، 1932م.

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، المحقق/ محيي الدين ديب ميستو وآخرون، دار ابن كثير، لبنان، ط1، 1996م.

المواقع الإلكترونية:

- https://archive.org/details/charh-sonan-abi-daoud-3abbad، شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد، تاريخ الدخول: 2025-01-27م.

مفهوم الخيرية المحمدية وعلاقتها بالتنمية المستدامة في السنة النبوية
-دراسة تحليلية-

د. منى إزعريين

أستاذ مساعد بقسم السنة وعلومها

كلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (سابقاً)

الرياض– السعودية

ملخص

إن الهدف الأسمى من التنمية المستدامة، هو تلبية احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة. وهي غاية تواجهها تحديات عدة. إذ إن الكثير من الدول، كما صرح بذلك المبعوث الأممي، ترزح تحت أعباء الديون، وأزمة تكاليف المعيشة.

وأمام هذا العجز عن تحقيق أهداف التنمية المستدامة كما خططت لها الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، نجد أنفسنا نستحضر ضوابط الخيرية للأمة المحمدية. والمراد بها الشروط التي وصف الله ﷻ بها هذه الأمة في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]. فجاء هذا البحث الموسوم بـ: (مفهوم الخيرية المحمدية وعلاقتها بالتنمية المستدامة في السنة النبوية -دراسة تحليلية-) لتسليط الضوء على هذه الضوابط، ومدى نجاحها في التصدي لكثير من الأزمات الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية، التي واجهت المجتمع المسلم في عهد النبوة إبان نشأته، والتي يمكن الاستفادة منها في تفعيل خطة التنمية المستدامة. ذلك أن الباحث ومن خلال استقرائه لنصوص من السنة النبوية، وقف على نماذج تطبيقية لضوابط الخيرية المحمدية، تضمنت في طياتها حلولا لكثير من المشكلات والمعوقات التي تحول دون تحقيق أهداف التنمية المستدامة، كما رسمتها الأمم المتحدة، سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو البيئي.

الكلمات المفتاحية: الخيرية المحمدية، ضوابط الخيرية المحمدية، الأمم المتحدة، التنمية المستدامة، أهداف التنمية المستدامة

Abstract

The ultimate goal of sustainable development is to meet the needs of the present without compromising the ability of future generations to meet their own needs. This goal faces various challenges, as many countries, as noted by the UN envoy, are burdened by debt and the cost of living crisis. Given the inability to achieve the Sustainable Development Goals as planned by the member states of the United Nations, we find ourselves turning to the principles of goodness established for the Muhammadian Ummah.

These principles refer to the characteristics that Allah described this Ummah with in His saying: "You are the best nation produced [as an example] for mankind. You enjoin what is right and forbid what is wrong and believe in Allah." (Aal-'Imran 110)

This study, titled "The Concept of Muhammadian Goodness and Its Relation to Sustainable Development in the Prophetic Sunnah – An Analytical Study," aims to shed light on these guiding principles and their effectiveness in addressing numerous economic, social, and environmental crises faced by the Muslim community during the time of the Prophet, particularly during its formative period. The research explores how these principles can be applied to enhance the implementation of sustainable development goals. Through a detailed examination of various Prophetic narrations, the researcher identifies practical examples of the Muhammadian Goodness principles, which contain solutions to many of the challenges and obstacles that hinder the achievement of sustainable development goals, as outlined by the United Nations, whether in economic, social, or environmental domains.

Keywords: Muhammadian goodness, Muhammadian goodness principles, United Nations, sustainable development, sustainable development goals.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد المبعوث إلى خير الأمم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،

فقد خص الله ﷻ هذه الأمة بخصائص الاعتناء والتّكريم، فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:110]، وجعل نبيها ﷺ سيد ولد آدم والمصطفى من كافة الخلق، والتابع يشرف بشرف المتبوع. فجميع ما أعطيت هذه الأمة من المزايا والكرامات، وغيرها من الفضائل إنما هي مقتبسة من مشكاة نبينا ﷺ، كيف وهو السراج المنير الذي يستضيء به الجميع، والعلم الأعلى الذي به يهتدى في سلوك الطريق. بعثه اللّهّ ﷻ بشرع كامل عظيم لم يعطه نبيا قبله ولا رسولا من الرسل، فحازت أمته قصب السبق إلى الخيرات بنبيها ﷺ، فهو أشرف خلق اللّهّ وأكرم الرسل على اللّهّ ﷻ.

ولاختصاص هذه الأمة بهذه المنزلة الشريفة، والخيرات الرفيعة والبركات العالية، ومن خلال استقرائي لنصوص من السنة النبوية، وقفت فيها على نماذج تطبيقية عملية لخصال الخيرية المحمدية، تضمنت في طياتها حلولا لكثير من المشكلات والمعوقات التي تحول دون تحقيق أهداف خطة التنمية المستدامة، كما رسمتها الأمم المتحدة، سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو البيئي. أحببت أن يكون عنوان مداخلتي في الندوة الدولية الثانية عشرة للحديث النبوي الشريف: (التنمية المستدامة في السنة النبوية، واقع وآفاق). والتي تنظمها جامعة الوصل، دبي، مركز بحوث السنة النبوية. برعاية معالي جمعة الماجد، رئيس مجلس أمناء الجامعة:

مفهوم الخيرية المحمدية وعلاقتها بالتنمية المستدامة في السنة النبوية -دراسة تحليلية- والتي تندرج تحت المحور الخامس: آفاق التنمية المستدامة في السنة النبوية: التحديات والحلول.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

- أهمية الوقوف على المنزلة العظيمة لهذه الأمة، والتعرف على صفات الخيرية المحمدية في السنة النبوية.

- التّعرف على مجالات نفع هذه الأمة للناس من خلال خصائص الخيرية المحمدية في السّنة النبوية، فعن مجاهد، في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] يقول: "أنتم خير الناس للناس"[1].

- بيان كيف تم التصدي لكثير من الأزمات الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية، التي واجهت المجتمع المسلم في عهد النبوة، من خلال نماذج عملية تطبيقية للخيرية المحمدية في السنة النبوية، من أجل الاستفادة منها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

الدراسات السابقة:

هو موضوع أصيل وجاد في طرحه، ولم أقف، حسب علمي، على دراسة أفردته بالتأليف، إلا ما كان من بعض الأبحاث التي تناولت الخيرية المحمدية في السنة النبوية، دون التطرق إلى علاقتها بالتنمية المستدامة، ومنها:

- أحاديث الخيرية في السنة النبوية، إشارات ودلالات. د رضا محمد محمد التلباني. نشر بمجلة كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط، العدد 37، 2019م، اكتفى فيه الباحث بجمع الأحاديث التي تدل على خيرية الأمة الإسلامية.

- خيرية الأمة الإسلامية في منهجها الوسطي ومحاربتها للتطرف والغلو، د محمد خلف بني سلامة، نشر بمجلة كلية الشريعة والقانون، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، 2015م، تطرق فيه الباحث إلى دور الخيرية الإسلامية في محاربة التطرف.

1. تفسير مجاهد، المحقق/ محمد عبد السلام، دار الفكر الإسلامي، مصر، ط1، 1989م، (ص257).

منهج البحث:

سلكت فيه المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث تتبعت نصوص السنة النبوية في الخيرية المحمدية، وأقوال العلماء في مصادرهم، ثم قمت بتحليلها لاستخراج ما يتوافق فيها من استنباطات وفوائد مع خطة التنمية المستدامة للأمم المتحدة.

خطة البحث:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

المقدمة: تطرقت فيها إلى أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج الذي اعتمدته بالدراسة.

التمهيد: وفيه التعريف بالمصطلحات الخاصة بعنوان البحث.

المبحث الأول: ويمثل الجانب النظري والمنهجي للدراسة، حيث يتناول ضوابط الخيرية المحمدية وعلاقتها بالتنمية المستدامة في السنة النبوية. وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: الضابط العقدي للخيرية المحمدية وعلاقته بالتنمية المستدامة.

المطلب الثاني: الضابط الدعوي للخيرية المحمدية وعلاقته بالتنمية المستدامة.

المطلب الثالث: الضابط الأخلاقي للخيرية المحمدية وعلاقته بالتنمية المستدامة.

المبحث الثاني: يتطرق إلى خيرية الأمة الإسلامية ودورها في تحقيق أهداف بالتنمية المستدامة في السنة النبوية. ويمثل الجانب العملي من الدراسة، حيث يطرح أمثلة تطبيقية لخصال الخيرية المحمدية، مقتصرة على نموذج واحد تحت كل مطلب من المبحث خشية الإطالة، للوقوف على نجاح تجربة الخيرية المحمدية للنهوض بالمجتمع الإسلامي ورقيه، والتصدي لكثير من الأزمات التي واجهته، إبان نشأته، سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو البيئي. والتي من شأنها إن طبقت أن تساهم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة بأبعادها المختلفة.

وجعلته في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خيرية الأمة الإسلامية ودورها في تحقيق الأهداف الاقتصادية للتنمية المستدامة.

المطلب الثاني: خيرية الأمة الإسلامية ودورها في تحقيق الأهداف الاجتماعية للتنمية المستدامة.

المطلب الثالث: خيرية الأمة الإسلامية ودورها في تحقيق الأهداف البيئية للتنمية المستدامة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة مع بعض التوصيات.

ثم الفهارس الضرورية.

التمهيد:

أولا: تعريف الخيرية المحمدية:

- **الخيرية في اللغة:** (خير) الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه. فالخير: خلاف الشر، لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه، ثم يصرف الكلام فيقال[1]: خار الرجل يخير خيرا: صار ذا خير. وخار الرجل على غيره خيرا وخيرة، بكسر فسكون، وخيرا، بكسر ففتح، وخيرة بزيادة الهاء: فضله على غيره، وخار الشيء: انتقاه، واصطفاه.

والخير يقال على وجهين[2]:

أحدهما: أن يكون اسما، وهو قوله: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران: 104].

والثاني: أن يكون وصفًا، وتقديره تقدير (أفعل منه)، نحو: "قوله تعالى: ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٖ

1. ابن فارس، مقاييس اللغة، المحقق/ هارون، دار الفكر، 1979م، (2/232).
2. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، المحقق/ الداودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ، (ص301).

مِّنۡهَآ﴾ [البقرة: 106]". وهذا خير من ذاك وأفضل.

فإن أَردت معنى التّفضيل قلت: فلانة خَيْرُ الناس ولم تقل خَيْرَةُ، وفلان خَيْرُ الناس ولم تقل أَخْيَرُ، لا يثنى ولا يجمع لأنه في معنى أفعل[1].

- **أما في الاصطلاح:** فالخير: إيصال النفع[2]. وهو: ما يرغب فيه الكلّ، كالعقل مثلا، والعدل، والفضل، والشيء النافع[3].

والخير ضربان[4]: خير مطلق، وهو أن يكون مرغوبا فيه بكلّ حال، وعند كلّ أحد. وخير وشرّ مقيّدان، وهو أن يكون خيرا لواحد شرّا لآخر، كالمال الذي ربما يكون خيرا لزيد وشرّا لعمرو، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين فقال في موضع: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾ [البقرة: 180]، وقال في موضع آخر: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [المؤمنون: 55-56]

وبناء على المعنى اللغوي والاصطلاحي للخير، فيراد بالخيرية المحمدية: إن أمّة محمد ﷺ هي أوفر الأمم خيرات، وأنفعهم للناس. تسعى في إيصال النفع لجميع الناس، لذلك فضلت على سائر الأمم في صفة الخير. فهي خير الأمم على الإطلاق.

ثانيا: تعريف التنمية المستدامة:

- **التنمية لغة:** (نمى) النون والميم والحرف المعتل، أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة[5].

يقال: نمى ينمي نميا ونماء: زاد وكثر[6]. ونميت الحديث مخففا نميا، إذا بلغته على وجه الإصلاح والخير، وأصله الرفع. ونميت الحديث تنمية، إذا بلغته على وجه النميمة

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414ه، (4/264).
2. العيني، عمدة القاري، دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر، بيروت (1/137).
3. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص300).
4. نفسه.
5. ابن فارس، مقاييس اللغة (5/479).
6. ابن منظور، لسان العرب (15/341).

والإفساد. ونميت النار تنمية، إذا ألقيت عليها حطبا وذكيتها به[1]. والنماء: الريع[2]

- **المستدامة لغة:** الدال والواو والميم ، أصل واحد يدل على السكون واللزوم[3]. والاستدامة: مصدر استدام، يقال: استدام يستديم، استدم، استدامة، فهو مستديم، والمفعول مستدام، أي: استمر، وثبت، ودام[4]. و(استدام) الرجل الأمر: إذا تأنى به وانتظر[5]. واستدامة الأمر: الأناة فيه[6].

واستدام يأتي بمعنى دام -كما تقدم-، يقال دام الشيء يدوم، إذا سكن. والماء الدائم: الساكن.[7] و"الدائم" من حروف الأضداد، يقال للساكن: دائم، وللمتحرك: دائم[8].

- **المراد بالتنمية المستدامة:** كثرت التعريفات للتنمية المستدامة وتعددت، ولعل من أشهرها وأشملها ما نشر على الموقع الرسمي للأمم المتحدة وهو أن: "التنمية هي التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الخاصة".[9] فهي تسعى إلى استثمار الأموال ذات النماء كالتجارة والزراعة وغيرها، وتطويرها دون الإضرار بالثروات أو المصالح المستقبلية للشعوب.

---

1. الجوهري، الصحاح تاج اللغة، المحقق/ أحمد عبد الغفور، دار العلم، بيروت، ط4، 1987م، (6/2515).
2. ابن منظور، لسان العرب (15/342).
3. ابن فارس، مقاييس اللغة (2/315).
4. د أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008م، (1/790).
5. زين الدين الرازي، مختار الصحاح، المحقق/ يوسف الشيخ، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999م، (ص109).
6. الأزهري، تهذيب اللغة، المحقق/ محمد عوض، إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، (14/149).
7. ابن فارس، مقاييس اللغة (2/315).
8. ابن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، المحقق/حاتم صالح، الرسالة، بيروت، ط1، 1992، (2/359).
9. https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/development-agenda

المبحث الأول: ضوابط الخيرية المحمدية وعلاقتها بالتنمية المستدامة:

روى الإمام أحمد في (مسنده) [1] من حديث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ أنه قال: "جُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَمِ"[2].

"والأمة أصلها الطّائفة المجتمعة على الشيء الواحد، فأمة نبيّنا ﷺ هم الجماعة الموصوفون بالإيمان به والإقرار بنبوته، وقد يقال لكل من جمعتهم دعوته أنهم أمته. إلا أن لفظ الأمة إذا أطلقت وحدها وقع على الأوّل"[3].

وقد تضمّن كلامه ﷺ بيان حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم[4]. "فهي أفضل الأمم، وأكثرهم طاعات، وأوفرهم خيرات"[5].

ثم إنّ هذه الخيرية هي مشتركة ما بين أول هذه الأمة وآخرها بالنّسبة إلى غيرها من الأمم، وإن كانت متفاضلة في ذات بينها[6]، قال البيضاويّ رحمه الله[7] في قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]، قال: "قوله: كنتم" دلّ على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٩٦﴾ [النساء: 96]".

وعن قتادة رحمه الله قال: ذُكِر لنا أنّ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال في

---

1. هذا طرف من حديث طويل أخرجه أحمد في مسنده، المحقق/ الأرنؤوط، الرسالة، ط1، 2001م، (2/156) حديث رقم (763) من طريق زهير بن محمد التميمي أبي المنذر الخراساني عن عبد الله بن محمّد بن عقيل، عن محمّد بن عليّ ابن الحنفية أنّه سمع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ" فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هُوَ؟ قَالَ: "نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُورًا، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَمِ".
2. أورده الشيخ الألباني في الصحيحة (7/1643) حديث رقم (3939) وقال: "هذا إسناد حسن؛ للخلاف المعروف في ابن عقيل، ثم إن الحديث صحيح؛ فقد جاء أكثر فقراته في أحاديث كثيرة صحيحة.. وفقرة: "خير الأمم" يشهد لها قوله تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110].
3. الرازي، مفاتيح الغيب، إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، (8/325).
4. الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1414هـ، (1/425).
5. النسفي، التيسير في التفسير، المحقق/ ماهر أديب، دار اللباب، إسطنبول، ط1، 2019م، المقدمة (ص85).
6. الشوكاني، فتح القدير (1/425).
7. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق/ المرعشلي، إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418ه، (2/33).

حجّة حجّها ورأى من النّاس رِعَة[1]سيئة، فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] ثم قال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ مِنْهَا"[2]، فمعنى ذلك: كنتم خير أمّة أخرجت للناس، إذا كنتم بهذه الشّروط التي وصفكم الله جل ثناؤه بها وهي: أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، وتؤمنوا بالله. فمن فعل فعلهم من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، فهو منهم، "وأخذ حظّه من هذه الخيرية، ودخل معهم في هذا الثّناء عليهم والمدح لهم"[3]، وهي شروط يمكن إجمالها في: ضوابط عقدية، ودعوية، وأخلاقية، تجمع خصال خيرية أمّة خير البريّة ﷺ. وتشكّل لبنة رئيسيّة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، كما سيأتي.

المطلب الأول: الضابط العقدي لخيرية الأمّة وعلاقته بالتنمية المستدامة:

"إنّ التحدّيات الدولية -كما يقول السيد الأمين العام للأمم المتحدة[4]- تتحرك بسرعة أكبر من قدرتنا على حلّها، وإنّ أهداف التنمية المستدامة، التي اتفّق قادة العالم على تحقيقها بحلول عام 2030 في خطر، إذ إن الكثير من الدول ترزح تحت أعباء الديون وأزمة تكاليف المعيشة. وكذلك المؤسّسات متعددة الأطراف غير قادرة على الاستجابة للتحدّيات المعاصرة، ناهيك عن تحدّيات الغد".

وأمام هذا العجز عن تحقيق أهداف التنمية المستدامة كما خطّطت لها الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، نجد أنفسنا نستحضر ضوابط خيرية الأمّة المحمدية، وعلى رأسها الضابط العقدي، فقوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]، يتضمن الإيمان بكل ما يجب أن يؤمن به، لأن الإيمان به إنما يحق ويعتد به إذا حصل

1. يريد بالرّعة هاهنا الاحتشام والكفّ عن سوء الأدب، انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م، (5/175).
2. هذا الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المحقق/ شاكر، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، (7/102) عن بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد بن زريع قال: ثنا سعيد بن أبي عروبة قال: ثنا قتادة، قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال: ثمّ ذكره. وهو مرسل، لم يلق قتادة من أصحاب النّبيّ ﷺ إلّا أنسا وعبد الله بن سرجس. ورجال إسناده ثقات رجال الصحيح، سوى بشر بن معاذ وهو صدوق. انظر: ابن أبي حاتم، المراسيل، المحقق/ قوجاني، الرسالة، بيروت، (ص175)، ابن حجر، تقريب التهذيب، المحقق/محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1406هـ، (ص124 و239 و601).
3. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المحقق/ سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 1999م، (2/93).
4. الموقع الرسمي للأم المتحدة: https://news.un.org/ar/story/2024/09/1134611

الإيمان بكل ما أمر أن يؤمن به[1]، فهو ينبني على أسس أهمّها: توحيد الله ﷻ، والإيمان به، والإيمان برسوله ﷺ، وبالدار الآخرة، وبالثواب والعقاب. حيث ينعكس أثره على سلوك المسلم وتصرفاته في حياته اليومية، بل يتجاوز أثره ليشمل جميع مناحي الحياة للفرد والمجتمع. فمن أجلّ ثماره استحضار العبد مراقبة الله ﷻ في السرّ والعلن، وبالتالي الشعور بعظم المسؤولية اتّجاه نفسه واتّجاه من حوله، ففي صحيح الحديث[2] عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال النّبيّ ﷺ: "أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ".

والرّعي في الأصل: هو حفظ الحيوان، إمّا بغذائه الحافظ لحياته، وإمّا بذبّ العدوّ عنه. ويقال: رعيته، أي: حفظته، ويسمّى كلّ سائس لنفسه أو لغيره راعيا[3]. ويقول العلماء: الرّاعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، فكلّ من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلّقاته، وبالعدل فيه[4]، والإخلاص فيه، وإتقانه، خشية من الله وطمعا فيما عنده. فعن عائشة (رضي الله عنها)، عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَهُ"[5]. وعن أبي هريرة

---

1. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (2/33).
2. أخرجه مسلم في صحيحه، المحقق/ عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي، القاهرة،1955م، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل. وعقوبة الجائر، والحثّ على الرّفق بالرّعيّة، والنّهي عن إدخال المشقّة عليهم (3/1459) حديث رقم (20/1829)، من طريق ابن عمر عنه به.
3. الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن (ص357).
4. النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392ه، (1/213) (بتصرف).
5. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، المحقق/عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2003م، (7/232) حديث رقم (4929) من طريق مطيّن قال: ثنا محمود بن غيلان ثنا بشر بن السّري عن مصعب بن ثابت، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عنها به مرفوعا. حسّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (المكتب الإسلامي. بيروت، د. ط. ت (1/383) حديث رقم (1880)، وأورده في الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1995م، (3/106) حديث رقم (1113)، وقال: "قال المناوي: "وفيه بشر بن السّري تكلّم فيه من قبل تجهّمه" قال الألباني: "إن لم يكن في سند البيهقي من ينظر في حاله غير بشر هذا"، فالإسناد عندي قويّ لأن الكلام الذي أشار إليه المناوي في بشر لا يقدح فيه لأنه ثقة في نفسه، بل هو فوق ذلك ففي: (ابن حجر، التقريب (ص123) ترجمة رقم (687): "ثقة متقن طعن فيه برأي جهم، ثم اعتذر وتاب".

(رضي الله عنه) عن النّبيّ ﷺ، أنه قال[1]: "خَيْرُ الْكَسْبِ، كَسْبُ يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ"[2] في عمله بأن أتقنه وتجنّب الغشّ ونحوه[3].

فإتقان المسلم لعمله واجب شرعيّ وأخلاقيّ، ويعتبر إسهاما مباشرا في مكافحة الفساد الإداري والمالي الذي تعاني منه معظم الدول، ويقف عائقا أمام تحقيق أهداف التّنمية المستدامة.

المطلب الثاني: الضّابط الدّعوي لخيرية الأمّة الإسلامية وعلاقته بالتّنمية المستدامة:

إنّ من نعم الله ﷻ على هذه الأمّة أن جعلها خير الأمم، وخصّها بخصال تعتبر جماع الخير وملاكه. فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]. فعلّل الله ﷻ الخيرية فيها: بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، وإيمانها بالله ﷻ.

والمعروف: اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشّرع حسنه، والمنكر ضدّ ذلك وهو: ما عرف بالعقل والشّرع قبحه[4].

ولمّا كان الأمر بالمعروف هو سعي في جلب مصالح المأمور به، والنّهي عن المنكر، هو سعي في درء مفاسد المنهى عنه، وهذا هو النّصح لكلّ مسلم[5]. كان تعيين الكفاءة للقيام به، يتوقّف على مراتب العلم بالمعروف والمنكر، ومراتب القدرة على التّغيير، وإفهام النّاس ذلك، لذلك رأى أئمة المسلمين تعيين ولاة للبحث عن المناكر، وتعيين كيفيّة القيام بتغييرها، وسمّوا تلك الولاية بالحسبة[6]. وقد ظهرت منذ عهد النبي ﷺ، "وكان خلفاء

1. أخرجه الإمام أحمد في المسند (14/136) حديث رقم (8412) عن أبي عامر العقديّ، عن محمّد بن عمّار كشاكش، عن سعيد المقبري عنه به مرفوعا. وهذا سند رجاله رجال الصحيح، إلا محمد بن عمار، وهو حسن الحديث. وقد حسّن الحديث الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (1/622) حديث رقم (3283).
2. النّصح والنّصيحة: خلاف الغشّ. انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (5/435).
3. المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الشافعي، الرياض، ط3، 1988م، (1/527).
4. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1415هـ، (1/281).
5. عز الدين بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام (1/157) (بتصرف).
6. ابن عاشور، التحرير والتنوير، المحقق/ التركي، دار هجر ، ط1، 1997م، (4/40) (بتصرف).

الصّدر الأول يباشرونها بأنفسهم لعموم مصلحتها وعظيم ثواب الله عليها[1]. ثم تطوّرت لتأخذ معالم جديدة تتناسب مع اتساع الدولة الإسلامية".

فالحسبة، في التّشريع الإسلامي، هي جهاز رقابي، الغاية منه كما دلّت عليه الممارسة العملية لمبادئها، منذ نشأتها في عصر النّبوة هو: إلزام الحقوق والعمل على استيفائها، مما يؤهلّها للتّصدي للتحدّيات التي تقف أمام تنفيذ أهداف التنمية المستدامة. ذلك أنّ من أبرز مقوّمات التنمية المستدامة تحسين الأداء والعناية بالمردودية، من خلال إرساء آليات رقابة تضمن استمرارية العمل ونجاعته[2].

المطلب الثالث: الضّابط الأخلاقي لخيريّة الأمّة الإسلامية وعلاقته بالتنمية المستدامة:

روى الترمذي[3] بسنده عن بهز بن حكيم[4] عن أبيه[5] عن جدّه[6] أنّه سمع النّبيّ ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] قال: "أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ[7] أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ"[8]. وقد ظهر هذا الإكرام في أخلاقهم وأعمالهم

---

1. السقطي المالقي الأندلسي، آداب الحسبة، المحقق/ ليفي بروفنسال/ إرنست لورو، باريس، 1931م، (ص2).
2. فراس بن ساسي، التنمية المستدامة في السنة النبوية (ص15) (بتصرف).
3. أخرجه الترمذي في سننه، المحقق/شاكر، مطبعة مصطفى البابي، مصر،ط2، 1975م، أبواب تفسير القرآن، باب من سورة آل عمران (5/226) حديث رقم (3001) وقال: "هذا حديث حسن، وقد روى غير واحد هذا الحديث عن بهز بن حكيم نحو هذا، ولم يذكروا فيه ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]".
4. بهز بن حكيم بن معاوية القشيري أبو عبد الملك. قال ابن حجر: "صدوق من السادسة مات قبل الستين"، روى له البخاري تعليقا، والأربعة في سننهم. انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب (ص128) ترجمة رقم (772).
5. حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري والد بهز، قال ابن حجر: "صدوق من الثالثة". روى له البخاري تعليقا، والأربعة في سننهم. انظر: ابن حجر، تقريب التهذيب (ص177) ترجمة رقم (1473).
6. معاوية بن حيدة بن قشير القشيري، جد بهز بن حكيم. نزل البصرة، ومات بخراسان. قال ابن سعد: له وفادة وصحبة. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، المحقق/عادل عبد الموجود وعلى محمد، الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، (6/118) حديث رقم (8083).
7. يقول الأمير الصنعاني: "كأن المراد بالعدد مجرّد الكثرة، وإلا فالأمم أكثر من ذلك، ويحتمل أن المراد بها الأمم المطيعة لرسلها، ويرشد إليه الإتيان باسم التفضيل في قوله: "أنتم خيرها وأكرمها على الله". انظر: التنوير شرح الجامع الصغير، المحقق/ محمَّد إسحاق، دار السلام، الرياض، ط1، 2011م، (4/158).
8. حسّنه الألباني في مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1985م، (3/1771) حديث رقم (6294).

وتوحيدهم، وغير ذلك ممّا فضّلوا به[1].

والأظهر أنّ الأخلاق كلّها كانت ناقصة فيمن قبلنا، وإنّما كملت في ديننا ببركة نبيّنا ﷺ ولذا قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]"[2]. وقال النبي ﷺ: "بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"[3]. قال ابن عبد البرّ[4]: "ويدخل في هذا المعنى الصلاح، والخير كلّه، والدّين، والفضل، والمروءة، والإحسان، والعدل؛ فبذلك بعث ﷺ ليتمّمه".

إن إدراج الضابط الأخلاقي لخيرية الأمّة المحمّدية في خطّة التّنمية المستدامة، على المستوى الاقتصادي، والاجتماعي، والبيئي. لابدّ أن يكون له الأثر الإيجابي في نمو ورقيّ المجتمعات. إذ يدعو المسلم إلى نفع الآخر، بأن يجلب إليه كلّ خير، ويدفع عنه كلّ ضير[5]. وأمّة محمد ﷺ لا تخلو عن الخير، أولّها وآخرها، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ المَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ"[6]، فشبّه رسول الله ﷺ أمّته بالمطر في حصول المنفعة، فلا يدرى أنفعه في الأول أجدى أم في الآخر، فكذلك هذه الأمة[7]. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) في قول الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل

---

1. المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير (1/356).
2. الملا على القاري، مرقاة المفاتيح، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، (8/3182).
3. أخرجه الحاكم في المستدرك، المحقق/ مصطفى عطا، الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990، (2/670) حديث رقم (4221) من طريق محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) به مرفوعا، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرّجاه". ووافقه الذهبي. وقال الشيخ الألباني في الصحيحة (1/112) حديث رقم (45): "هذا إسناد حسن، وله شاهد أخرجه ابن وهب في (الجامع) فالحديث صحيح".
4. ابن عبد البر، التمهيد، المحقق/ بشار عواد، الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط1، 2017م، (16/277).
5. العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، راجعه: طه عبد الرؤوف، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1991م، (1/161).
6. أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الأمثال، باب بدون عنوان (5/152) حديث رقم (2869) عن قتيبة عن حمّاد بن يحيى الأبحّ، عن ثابت البنانيّ، عن أنس عنه به، وقال: "وفي الباب عن عمّار، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر. وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وروي عن عبد الرّحمن بن مهديّ أنّه كان يثبّت حمّاد بن يحيى الأبحّ، وكان يقول: هو من شيوخنا". وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (5/356) حديث رقم (2286)، وقال: روي عن أنس من أربعة طرق-أوردها- ثم قال: فالحديث بهذه الطرق عن ثابت صحيح.
7. التّوربشتي ، الميسر في شرح مصابيح السنة، المحقق/ هنداوي، مكتبة نزار مصطفى،ط2، 2008م، (4/1361).

عمران: 110] قال: "كنتم خير الناس للناس"[1]. و"خير النّاس أنفعهم للنّاس"، كما قال رسول الله ﷺ[2]، بنعمة يسديها لهم، أو نقمة يزويها عنهم، دينا أو دنيا[3].

وقد فهم سلف هذه الأمّة أنّ الخيريّة قد حصلت للأمّة لكونهم أنفع الناس للناس، وذلك بدلالة النّاس على الخير، وتحذيرهم من ضدّه[4]. فعن أبي مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: "من دلّ على خير، فله مثل أجر فاعله"[5]. ومن تمّ قرّر المحقّقون من أهل العلم في أبواب المفاضلة بين الأعمال تفضيل الأعمال المتعدّية على الأعمال القاصرة، مثل خدمة الفقراء، وتعليم العلم، والاشتغال بمصالح النّاس وقضاء حوائجهم، وذلك لما يحصل بالأعمال المتعدّية من عموم النّفع، واستمرار الأجر، وهذه وظيفة الأنبياء والمرسلين، ومن اقتدى بهم من الدّعاة المخلصين[6].

وهكذا، فإنّ الذي يأمل إليه المسؤول الأممي[7] من تظافر الجهود وإشراك الجميع أفرادا وحكومات، ومساهمة المجتمع المدني والشباب والقطاع الخاص والعلماء والمبتكرين والأكاديميين وغيرهم، من أجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة، والتغيير الذي تطمح إليه منظمة الأمم المتحدة، "من أجل بناء مستقبل للناس ولكوكب الأرض يكون شاملا للجميع ومستداما وقادرا على الصمود"[8]، لن يتأتّى إلا بتعزيز أخلاقيات خيرية

---

1. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (7/103).
2. أخرجه القضاعي في مسنده، المحقق/ السلفي، الرسالة، بيروت،ط2، 1986م، (2/223) حديث رقم (1234) من طريق عليّ بن بهرام، قال: ثنا عبد الملك بن أبي كريمة، عن ابن جريج، عن عطاء، عن جابر (رضي الله عنه) مرفوعا. وحسّنه الشيخ الألباني في الصحيحة (1/789) حديث رقم (426)، وفي صحيح الجامع الصغير (1/623) رقم (3289).
3. المناوي، فيض القدير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356ه، (3/481).
4. عبد الله الفوزان، منحة العلام في شرح بلوغ المرام، دار ابن الجوزي، ط1، 1427ه، (10/130).
5. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل اللّه بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير (3/1506) حديث رقم (133/1893)، عن أبي مسعود الأنصاريّ. قال: جاء رجل إلى النّبيّ ﷺ فقال: إنّي أبدع بي فاحملني. فقال: ما عندي، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أدلّه على من يحمله. فقال رسول الله ﷺ.. ثم ذكر الحديث.
6. عبد الله الفوزان، منحة العلام (10/130) (بتصرف).
7. حيث قال: "إننا لن نحل المشاكل الدولية الراهنة بدون مساهمات كل أعضاء المجتمع" انظر: الموقع الرسمي للأمم المتحدة https://news.un.org/ar/story/2024/09/1134 741
8. الموقع الرسمي للأمم المتحدة: https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/develop- / ment-agenda

الأمّة الإسلامية.

المبحث الثاني: خيريّة الأمّة الإسلامية ودورها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة في السّنة النّبوية.

جاء في تقرير الجمعية العامة للأمم المتحدة عن التنمية المستدامة[1]: "ونحن ملتزمون بتحقيق التّنمية المستدامة بأبعادها الثلاثة - الاقتصادي والاجتماعي والبيئي - على نحو متوازن ومتكامل. ونعتزم العمل من الآن وحتى عام 2030 للقضاء على الفقر والجوع في كل مكان؛ وحماية حقوق الإنسان، وكفالة الحماية الدائمة لكوكب الأرض وموارده الطبيعية. ونعتزم أيضا تهيئة الظروف المناسبة للنمو الاقتصادي المستدام والمطّرد الذي يشمل الجميع، وإذ نضع هذه الأهداف والغايات نعترف بأن كل بلد يواجه تحدّيات محدّدة في سعيه إلى تحقيق التّنمية المستدامة. ونعترف باختلاف النّهج والرّؤى والنماذج والأدوات المتاحة لكل بلد، وفق ظروفه وأولوياته الوطنيّة، في سعيه إلى تحقيق التّنمية المستدامة".

وهكذا نجد أنّ الخيريّة التي شرّف الله ﷻ بها أمّة محمد ﷺ وخصّها بها دون سائر الأمم، تمثّل النّهج السّليم والملائم للبلاد الإسلامية بل للإنسانية جمعاء، لتحقيق التّوازن المنشود بين أبعاد التّنمية المستدامة، عند التزام شروطها وضوابطها، كما دلّت عليه نصوص الشّريعة الإسلاميّة.

المطلب الأول: خيريّة الأمّة الإسلاميّة ودورها في تحقيق الأهداف الاقتصادية للتّنمية المستدامة:

لمّا كان مال الأمّة هو ثروتها، والثّروة هي ما ينتفع به النّاس آحادا أو جماعات في جلب نافع أو دفع ضارّ في مختلف الأحوال والأزمان والدّواعي، انتفاع مباشرة أو وساطة[2]. كانت حمايته من منظور الخيريّة الإسلامية واجبا شرعيا، لا يسمح بتداوله إلّا وفق معايير أصّلتها الضوابط العقدية والأخلاقية والدعوية لخيرية الأمّة المحمّدية، بما يحقق النفع الخاص والعام، وذلك بوضع الرقابة على الأسواق التجارية وتصرفات البائع والمشتري. فكان ﷺ يتفقّدها ويتعاهدها بنفسه، بالإشراف والمراقبة، للتحقّق من صحّة السّلع والموازين والمكاييل والأثمان، وسلامتها من الغشّ والتّدليس، ففي الحديث النبوي عن

1. انظر: تقرير الجمعية العامة للأمم المتحدة الدورة السبعون 25 أيلول/سبتمبر2015م، صفحة 14 وما بعدها.
2. ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، المحقق/ابن الخوجة، وزارة الأوقاف، 2004م، (3/462).

أبي هريرة (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ[1] طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ: "أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي"[2].

وعن أبي أسيد (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، ذَهَبَ إِلَى سُوقِ النَّبِيطِ[3]، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: "لَيْسَ هَذَا لَكُمْ بِسُوقٍ"، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى سُوقٍ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: "لَيْسَ هَذَا لَكُمْ بِسُوقٍ"، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى هَذَا السُّوقِ فَطَافَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا سُوقُكُمْ، فَلَا يُنْتَقَصَنَّ[4]، وَلَا يُضْرَبَنَّ عَلَيْهِ خَرَاجٌ[5]"[6].

فسوق النبيط، تعتبر أول سوق خطّها النبي ﷺ للمسلمين قصد تحرير اقتصاد المدينة المنورة من مختلف البيوع والمعاملات الربوية السائدة آنذاك والتي تلحق الضّرر

---

1. والصّبرة: ما جمع من الطّعام بلا كيل ولا وزن بعضه فوق بعض. قال الجوهريّ: الصّبرة واحدة صبر الطّعام. يقال: اشتريت الشّيء صبرة أي بلا وزن ولا كيل. انظر: ابن منظور، لسان العرب (4/441).
2. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ : "من غشّنا فليس منّا" 1/99/ح102، عنه به مرفوعا.
3. النبيط: جيل بكسر الجيم، أي صنف من النّاس ينزلون بالبطائح بين العراقين كالنّبط، والأنباط. والنّسبة إليه نبطي محركة. ونباطي مثلثة. فلعلّ ذاك السّوق كان منسوبا إليهم بوجه ما. انظر: شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره، قديمي كتب خانة، كراتشي، (ص161).
4. من الانتقاص؛ أي: لا ينقصن هذا المكان عن السوق ببناء الدور فيه، أو بجعله بساتين، وروي بالضاد المعجمة بالبناء للمفعول أيضا من الانتقاض؛ أي: لا يبطلن هذا السوق، بل تدوم لكم. انظر: محمد الأمين الهرري، مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه، دار المنهاج، السعودية، جدة، ط1، 2018م، (13/121).
5. أي: لا يضرب على أهلها خراج بأن يقال: كلّ من يبيع ويشتري فيها فعليه كذا. انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، دار الجيل، بيروت، د. ط. ت، (2/28).
6. أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون، كتاب التجارات، باب الأسواق (2/751) حديث رقم (2233)، عن إبراهيم بن المنذر الحزاميّ قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن سعيد قال: حدّثني صفوان بن سليم قال: حدّثني محمّد، وعليّ، ابنا الحسن بن أبي الحسن البزّاد، أنّ الزّبير بن المنذر بن أبي أسيد السّاعديّ، حدّثهما، أنّ أباه المنذر حدّثه، عن أبي أسيد أنّ أبا أسيد حدّثه، أنّ رسول الله ﷺ.. وذكر الحديث. ضعّفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه (ص172) حديث رقم (434)، وضعّفه البوصيري في مصباح الزجاجة، المحقق/محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، ط2، 1403هـ، (3/27) حديث رقم (197) وقال:"هذا إسناد ضعيف لضعف رواته إسحاق بن إبراهيم ومحمّد بن عليّ ابني الحسن وشيخهما الزبير بن أسيد".

بالبائع والمشتري كالرّبا، والغرر[1]، والغشّ، والغبن[2]، وغير ذلك مما يؤدّي إلى احتكار السّلع أو غلاء أسعارها. فكان موقع السّوق ومساحته، وكذلك ما أقرّ فيه النبي ﷺ من ضوابط وقوانين، كإعفاء التّجار من الرسوم والضرائب، ومحاربة الغش والتدليس سببا في جلب البضائع إليها من شتّى البقاع، ممّا ساهم في نموّ النشاط التّجاري بالمدينة المنورة، حتى صارت المدينة سوق العرب، تقصد بالبضائع من الأطراف البعيدة[3].

وهكذا نجد أنّ مبادئ الخيرية المحمّدية وشروطها، التي أنشئت على أسسها أوّل سوق إسلاميّة في العهد النّبوي تدعو -كما تقدم بيانه- الفرد والمجتمع إلى الإنتاج والتنمية مع استحضار مبدأ المراقبة والمسؤولية، لمواجهة العقبات الاقتصادية، مما ساهم في تحقيق الاستقلال الاقتصاديّ للدّولة الإسلامية الفتيّة، وإرساء النّواة الأولى للنّظام التّجاري للدّولة الإسلاميّة المبنيّ على حرّية السّوق وحفظ حقوق النّاس وممتلكاتهم[4].

وهو يتوافق مع ما ورد في تقرير الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي "تصبو فيه الأعضاء إلى التّرويج للأخذ بنظام تجاريّ، يستند إلى قواعد ويكون منفتحا وشفّافا، ويتّسم بالشّمول وعدم التّمييز والإنصاف، مما يساهم في تعزيز التّنمية المستدامة"[5].

المطلب الثاني: خيرية الأمّة الإسلاميّة ودورها في تحقيق الأهداف الاجتماعية للتّنمية المستدامة:

إنّ التّنمية المستدامة في بعدها الاجتماعيّ تصبو إلى خلق عالم خال من الفقر والجوع والمرض والعوز، تتاح فيه للجميع سبل متكافئة للحصول على التّعليم الجيّد، وعلى الرّعاية الصّحية، والحماية الاجتماعيّة[6]. فالبعد الاجتماعيّ يمثل البعد الإنسانيّ للتّنمية المستدامة، والذي يجعل من النّمو وسيلة للالتحام الاجتماعي، حيث يجعل من أولويّاته تحقيق حياة أفضل للسّكان، والعمل على المساواة في تقاسم الثّروات بين الأجيال

1. الغرر: الخطر، وبيع الغرر المنهيّ عنه ما كان له ظاهر يغرّ المشتري وباطن مجهول، ويدخل فيه: البيوع المجهولة الّتي لا يحيط بكنهها المتبايعان حتّى تكون معلومة. انظر: ابن منظور، لسان العرب (5/14).
2. الغبن، بالتّسكين، في البيع، والغبن، بالتحريك، في الرأي. والغبن في البيع والشّراء: الوكس، غبنه يغبنه غبنا، هذا الأكثر، أي خدعه. انظر: ابن منظور، لسان العرب (13/309).
3. عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية، المحقق/ عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط2، د. ت (2/39).
4. عبد الرحيم الكتامي، السوق الإسلامية بالمدينة المنورة (ص467).
5. تقرير الجمعية العامة للأمم المتحدة (ص4) وما بعدها. (بتصرف).
6. نفسه.

المتعاقبة، وبين أبناء الجيل الواحد[1].

وإن أعظم نموذج عملي لهذا التّلاحم الاجتماعيّ، والذي يبين عن أسمى وأرقى أخلاقيات الخيريّة للأمّة المحمّدية، بضوابطها الإيمانية والأخلاقية والدعوية، والتي تدعو -كما ما تقدم ذكره- إلى الإيمان، والعمل الصالح، والبذل، ونفع الآخر. ألا وهو مؤاخاة الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار.

وكان ابتداؤها أوائل قدومه ﷺ المدينة، واستمرّ يجدّدها بحسب من يدخل في الإسلام أو يحضر إلى المدينة[2]، ذلك أن المهاجرين قدموا محتاجين إلى المال والمنازل، فنزلوا على الأنصار، فأكّد ﷺ هذه المخالطة بالمؤاخاة[3] "بين المهاجرين والأنصار على المواساة والحقّ، فكانوا يتوارثون بذلك دون القرابات"[4]. فعن عبد الرّحمن بن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ للأنصار: "إنّ إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم. فقالوا: أموالنا بيننا قطائع. فقال رسول اللّهّ ﷺ: أو غير ذلك؟ قالوا: وما ذلك يا رسول اللّهّ؟ قال: هم قوم لا يعرفون العمل، فتكفونهم وتقاسمونهم الثّمر. فقالوا: نعم يا رسول اللّهّ"[5].

وفي رواية أخرى[6] عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قالت الأنصار للنّبيّ ﷺ: "اقسم بيننا وبين إخواننا النّخيل، قال: لا، فقالوا: تكفوننا المؤونة، ونشرككم في الثّمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا"[7].

---

1. سمر خيري ومرسي غانم، معوقات التنمية المستدامة في دول العالم الإسلامي (ص8-7) (بتصرف).
2. ابن حجر، فتح الباري، المكتبة السلفية، مصر، 1380ه، (7/271).
3. ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، المحقق/ علي البواب، دار الوطن، الرياض (1/220).
4. ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، المحقق/شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1403ه، (ص88).
5. أخرجه الطبري في جامع البيان (23/283) في تفسير قوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِم حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ [الحشر:9] بسنده عنه به مرسلا. وإسناده ضعيف، فيه علّتين: الإرسَال، وعبد الرّحمن بن زيد بن أسلم، قال عنه ابن حجر في التقريب (ص304) ترجمة رقم (3865):"ضعيف".
6. أخرجها البخاري في صحيحه، المحقق/ د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط5، 1993م، كتاب المزارعة، باب: إذا قال: اكفني مؤونة النّخل أو غيره، وتشركني في الثّمر (2/819) حديث رقم (2200)، بسنده عنه به.
7. قال المهلّب: "إنما أراد الأنصار مشاركة المهاجرين بأن يقاسموهم أموالهم، فكره رسول الله ﷺ أن يخرج عنهم شيئا من عقارهم، وعلم أنّ الله سيفتح عليهم البلاد فيغني جميعهم، فأشركهم في الثّمرة على أن يكفوهم المؤونة والعمل في النّخيل، وتبقى رقاب النّخل للأنصار، وهذه هي المساقاة بعينها". انظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري (المحقق/ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، ط2، 2003م)،(6/460).

والحكمة من المؤاخاة، كما جاء عن الإمام السهيلي[1]:"ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشدّ أزر بعضهم ببعض. فلمّا عزّ الإسلام واجتمع الشّمل وذهبت الوحشة، أنزل الله سبحانه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ يعني: في الميراث، ثمّ جعل المؤمنين كلّهم إخوة فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10] يعني: في التّوادّ وشمول الدّعوة".

إنّ المتأمّل في هذه المؤاخاة، يدرك أن هذا الحدث بعمقه وأبعاده، يشكّل فترة تحوّل تاريخيّ في حياة الأمّة الإسلامية، كان من أهمّ نتائجه الدّور العظيم للصّحابة رضوان الله عليهم في إبراز قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]. فقد فهم الصّحابة ذلك فهما بليغا، فتحقّقت بهم بهذه المؤاخاة، الخيرية التي فرضها الله ﷻ لهذه الأمّة، فقها وسلوكا. حيث عملت على حلّ المشاكل الاجتماعية والمادّية التي واجهت المجتمع المديني في أوّل نشأته، فعن أنس ابن مالك (رضي اله عنه) قال: قال المهاجرون: "يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم، أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلا في كثير، لقد كفونا المؤونة، وأشركونا في المهنأ، حتّى لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كلّه. قال: لا، ما أثنيتم عليهم، ودعوتم الله لهم"[2].

وهذا الذي تنشده التنمية المستدامة في بعدها الاجتماعي، لمحاربة الفقر وتقاسم الثروات وتحقيق حياة أفضل للسّكان.

المطلب الثالث: خيرية الأمّة الإسلامية ودورها في تحقيق الأهداف البيئية للتنمية المستدامة

يعدّ الاهتمام بالبيئة ركنا أساسيا في التنمية، وذلك من أجل الحفاظ على الموارد الطبيعية من الاستنزاف والتّدهور لمصلحة الجيل الصاعد والأجيال المستقبلية. حيث

1. السهيلي، الروض الأنف، المحقق/ السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م، (4/178).
2. أخرجه أحمد في المسند (20/360) حديث رقم (13075)، عن يزيد بن هارون، عن حميد الطويل عنه به مرفوعا، قال البوصيري: "هذا إسناد رجاله ثقات". انظر: إتحاف الخيرة المهرة، المحقق/ دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1999م، (6/475) حديث رقم (6229)، وقال ابن كثير: "هذا حديث ثلاثي الإسناد على شرط الصحيحين"، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستّة من هذا الوجه، وهو ثابت في الصحيح من وجه آخر. انظر: البداية والنهاية، المحقق/د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1997م، (4/565).

تنادي مبادئ التنمية المستدامة بالاهتمام بإصدار التشريعات الخاصّة بحماية البيئة.[1] وحفظ موارد مياه الشرب، والتّصدّي لندرة المياه وتلوّثها[2]. إذ تعتبر المسألة المائية مسألة هامّة تطرح نفسها بإلحاح في كل جوانب الحياة، فالتنمية الاقتصادية والاجتماعية عملية مستحيلة بدون مياه[3].

وإنّ مناط خيرية هذه الأمّة وتميّزها، كما أسلفنا، هو نفعها للنّاس، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ أنه قال: "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه"[4]. وأعظم النّفع ما بقي أثره واستمرّ خيره، كالوقف[5]، فعن زيد بن ثابت (رضي الله عنه) قال: "لم نر خيرا للميت ولا للحيّ من هذه الحبس[6] الموقوفة، أمّا الميت فيجري أجرها عليه، وأمّا الحيّ فتحبس عليه، ولا توهب، ولا تورث، ولا يقدر على استهلاكها"[7]. وقد اختصّ به المسلمون دون غيرهم من الملل، قال الشافعي رحمه الله: "ولم يحبس أهل الجاهليّة، وإنّما حبّس أهل الإسلام"[8].

وقد ساهم الوقف على مرّ العصور، في حلّ كثير من المشاكل الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية، التي عرفتها المجتمعات الإسلاميّة، وعلى رأسها أزمة ندرة المياه التي واجهت المسلمين في العهد النّبوي. فعندما قدم النبيّ ﷺ المدينة وجد أنّ الماء

---

1. سمر خيري مرسي غانم، معوقات التنمية المستدامة في دول العالم الإسلامي (ص3).
2. تقرير الجمعية العامة للأمم المتحدة (ص12).
3. د. هزرشي عبد الرحمن، قواعد تقسيم مياه الأنهار المشتركة في السنة النبوية (ص4).
4. هو طرف من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب استحباب الرّقية من العين والنّملة والحمة والنّظرة (7/19) حديث رقم (63/2199)، عن جابر (رضي الله عنه) قال: "نهى رسول الله ﷺ عن الرّقى، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنّه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنّك نهيت عن الرّقى، قال: فعرضوها عليه، فقال: ما أرى بأسا"، ثم ذكره.
5. الوقف لغة: الواو والقاف والفاء: أصل واحد يدلّ على تمكّث في شيء ثمّ يقاس عليه، ومنه الوقف. ابن فارس، مقاييس اللغة (6/135)، وفي الاصطلاح: تحبيس الأصل، وتسبيل الثّمرة. ابن قدامة، المغني، المحقق/د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب للطباعة، الرياض، السعودية، ط3، 1997م، (8/184).
6. يقال حبسته حبسا. والحبس، بالفتح، والحبس، بالضّمّ: ما وقف. يقال: أحبس وحبّس فرسا في سبيل الله فهو محبّس وحبيس، والأنثى حبيسة، والجمع: حبائس وأحباس. انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (2/ 128)، وابن منظور، لسان العرب (6/44).
7. البرهان الطرابلسي، الإسعاف في أحكام الأوقاف، طبع بمطبعة هندية بمصر، ط2، 1902م، (ص9).
8. الشافعي، الأم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1983م، (4/54).

العذب قليل، وليس بالمدينة ما يستعذب غير بئر رومة. فعلى الرّغم من كثرة الآبار التي اشتهرت بها المدينة المنورة منذ العصر الجاهلي، إلا أنها كانت تعاني شحّا وندرة في المياه الصالحة للشرب، فمعظم هذه الآبار يعرف ارتفاعا في نسبة الملوحة، وبعضها كان قليل المياه. لذلك كانوا يحملون الماء العذب إلى بيوت المدينة من نواحيها[1]، أو يبتاعون ما يلزمهم، القربة بمدّ من طعام[2]. روى الترمذي[3] من حديث عثمان (رضي الله عنه) يوم الدّار، قال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمون أنّ رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة[4]، فقال: "من يشتري بئر رومة، فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنّة؟ فاشتريتها من صلب مالي. فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها حتّى أشرب من ماء البحر؟ فقالوا: اللّهمّ نعم".

وفي رواية أخرى[5]، عن أبي سلمة بشر بن بشير الأسلميّ، عن أبيه[6]، قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة، وكان يبيع منها القربة بمدّ، فقال له رسول الله ﷺ: بعنيها بعين في الجنّة، فقال: يا رسول الله

---

1. انظر: د. علي حسن أحمد شعيب، كيفية معالجة النبي ﷺ مشكلة نقص الماء في العهد المدني، (ص18).
2. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م)، (1/299).
3. أخرجه التّرمذيّ في سننه، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب منه (6/276) حديث رقم (4035)، من طريق ثمامة بن حزن القشيري قال: شهدت الدّار حين أشرف عليهم عثمان.. فذكر الحديث بطوله. وقال: "هذا حديث حسن، قد روي من غير وجه عن عثمان". وعلّقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم، كتاب المساقاة، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيّته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم (2/829)، وقال الشيخ الألباني: ورجال الترمذي ثقات رجال مسلم غير يحيى بن أبي الحجاج، وهو لين الحديث، لكنه لم يتفرد به، فقد أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد. وهي متابعة لا بأس بها". انظر: إرواء الغليل، المكتب الإسلامي، بيروت ط2، 1985م، (6/39) حديث رقم (1549).
4. بئر رومة - بضم الرّاء الثّانية - كانت ركية بالمدينة ليهودي يقال له: رومة، يبيع للمسلمين ماءها، يقال: إنّه أسلم. وهو رومة الغفاريّ، فاشتراها عثمان. انظر: ابن الملقن، البدر المنير، المحقق/مصطفى أبو الغيط، وآخرون، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 2004م، (7/105).
5. أخرجها الطبراني في المعجم الكبير، المحقق/حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، د. ت، (2/41) حديث رقم (1226) بسنده عنه به مرفوعا، وقال الهيثمي: "أخرجه الطّبرانيّ في الكبير، وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور، وهو ضعيف". انظر: مجمع الزوائد، المحقق/حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، د. ط، 1994م، (3/129) حديث رقم (4715).
6. هو بشير بن معبد، أبو معبد الأسلمي. له صحبة. قال ابن حجر: وقد فرّق ابن حبّان في (الصحابة)، بين بشير الأسلمي، حديثه عند ابنه بشر بن بشير، وبين بشير بن معبد الأسلمي، له صحبة، فوهم فهو واحد. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (1/445) ترجمة رقم (705).

ليس لي، ولا لعيالي غيرها، لا أستطيع ذلك، فبلغ ذلك عثمان (رضي الله عنه) فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثمّ أتى النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله أتجعل لي مثل الّذي جعلته له عينا في الجنّة إن اشتريتها؟ قال: نعم، قال: قد اشتريتها، وجعلتها للمسلمين.

لقد أدرك عثمان (رضي الله عنه) حقيقة الخيرية التي خصّ الله ﷻ بها أمّة محمد ﷺ، فاشترى بئر رومة وتصدّق بها على المسلمين، فكانت أوّل وقف مائيّ في الإسلام، ينتفع المسلمون بثمرته[1]، ينقل ذلك الخلف عن السّلف، جيلا بعد جيل[2]. وهكذا نجح الوقف المائي في التصدي لندرة المياه التي واجهت المسلمين في المدينة المنورة، وساهم في الحفاظ على الثروة المائية من الاستنزاف والتّدهور لمصلحة الجيل الصاعد والأجيال المستقبلية كما تدعو إليه التنمية المستدامة في بعدها البيئي.

وبالتالي استطاعت الخيرية المحمدية، بضوابطها العقدية والدعوية والأخلاقية، أن تتصدى لأزمة محدودية الموارد المالية والاجتماعية والطبيعية التي واجهت الدولة الإسلامية في العهد النبوي، وأن تحافظ عليها لمن بعدها من المسلمين. مما يجعل منها النموذج الأمثل، والنهج الأسلم لتحقيق الأهداف التي رسمتها خطة التنمية المستدامة، بأبعادها البيئية والاقتصادية والاجتماعية، كيف لا؟، وهي مبنية على القاعدة القرآنية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

الخاتمـــة

وفي الختام، فإنّ الدراسة انتهت إلى نتائج أهمّها:

❖ إنّ فضل هذه الأمّة المرحومة، وكثرة ثوابها خارج عن حدّ الحصر، ولا يضبطه البيان، وكفى في ذلك قوله تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، وأنّها أمّة محمّد ﷺ، خاتم النّبيين، وسيّد المرسلين، وصفوة الخلائق أجمعين، اللّهم اجعلنا من أمّته وارزقنا محبّته، وتوفّنا على

1. ابن عاشور مقاصد الشريعة الإسلامية (2/434) (بتصرف).
2. ابن حزم، المحلى، المحقق/ البنداري، دار الفكر، بيروت، د. ط. ت، (8/156).

ملّته، برحمتك يا أرحم الراحمين[1].

❖ إنّ من الضوابط الأخلاقية للخيرية الإسلامية نفعها للنّاس كافّة، بجلب المنافع لهم ودرء المفاسد والشّرور عنهم.

❖ ضرورة الاهتمام بالنّماذج والتّطبيقات العمليّة للخيريّة الإسلاميّة في شتّى مناحي الحياة وأنماطها، والاستفادة منها في التّصدي لمعوّقات التّنمية المستدامة بمختلف أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

❖ إبراز الدّور الفعّال لضوابط هذه الخيرية في تحقيق أهداف التّنمية المستدامة.

أما التوصيات: فإني أؤكد على:

❖ الاهتمام بالبحث، والتصنيف، والتأليف، في الموضوعات التي تبرز إسهامات السنة النبوية في رقي ورفاهية المجتمع الإنساني.

❖ أهمية عقد مثل هذه المؤتمرات، لتبادل الخبرات بين المهتمين والباحثين من كافة أنحاء العالم، خدمة للسنة النبوية الشريفة.

❖ الحاجة الملحة لتسليط الضوء على الحلول، والمقترحات، والتجارب التي تطرحها السنة النبوية الشريفة، وتوظيفها في تحقيق خطة التنمية المستدامة بأبعادها المختلفة.

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، والله أسأل أن يجعل هذا البحث عملًا صالحًا خالصًا لوجهه الكريم.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصَحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

1. عبد الحق الدهلوي، لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، (المحقق/الندوي، دار النوادر، دمشق، ط1، 2014م)، (9/820).

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر البوصيري، المحقق/ دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1999م.
- آداب الحسبة، لأبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي، المحقق/ ليفي بروفنسال – كولان، مطبعة إرنست لورو، باريس، 1931م [مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الجزء 21]
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت1420ه)، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1985م.
- الإسعاف في أحكام الأوقاف، لإبراهيم بن موسى ابن الشيخ علي الطرابلسي، الحنفي (ت922ه)، طبع بمطبعة هندية بشارع المهدى بالأزبكية بمصر المحمية، ط2، 1902م.
- الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت852ه) المحقق/ عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415ه.
- الأم، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت204 ه)، دار الفكر، بيروت، ط2، 1983م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد الشيرازي البيضاوي (ت685ه)، المحقق/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418ه.
- البداية والنهاية، لعماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي (ت774 ه) المحقق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1997م.
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقّن سراج

الدين أبو حفص عمر الشافعي المصري (ت804هـ)، المحقق/ مصطفى أبو الغيط، وآخرون، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 2004م.

- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور التونسي (ت1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، المحقق/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1997م.

- التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، لمحمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (ت1382هـ)، المحقق/ عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط2، د. ت.

- تفسير القرآن العظيم، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ)، المحقق/ سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 1999م.

- تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي (ت104هـ)، المحقق/ د. محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط1، 1989م.

- تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، المحقق/ محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط1، 1986م.

- تقرير الجمعية العامة للأمم المتحدة الدورة السبعون 25 أيلول/ سبتمبر2015م.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول اللّٰهَّ ﷺ ، لأبي عمر ابن عبد البر النمري القرطبي (ت463هـ)، المحقق/ بشار عواد معروف، وآخرون. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط1، 2017م.

- التنمية المستدامة في السنة النبوية، فراس بن ساسي، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير اختصاص الحديث النبوي، 2017/2018، جامعة الزيتونة.

- التنوير شرح الجامع الصغير، لمحمد بن إسماعيل الحسني، الصنعاني، أبو إبراهيم، المعروف بالأمير (ت1182ه)، المحقق/ د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 2011م.

- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت370ه)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

- التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي (ت1031ه)، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط3، 1988م.

- التيسير في التفسير، لنجم الدين عمر بن محمد النسفي الحنفي (ت537 ه)، المحقق/ ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول، تركيا، ط1، 2019م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد ابن جرير الطبري (ت310ه)، توزيع: دار التربية والتراث، مكة المكرمة. المحقق/ محمود محمد شاكر، د. ط. ت.

- حاشية السندي على سنن ابن ماجه، لمحمد بن عبد الهادي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت1138ه)، دار الجيل، بيروت، د. ط. ت.

- الدرر في اختصار المغازي والسير، ليوسف ابن عبد البر النمري (ت463ه)، المحقق/ د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1403ه.

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي (ت581ه)، المحقق/ عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م.

- الزاهر في معاني كلمات الناس لمحمد بن القاسم أبو بكر الأنباري (ت328ه)، المحقق/ د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992م.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1995م.

- السنن، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ)، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- السنن، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى (ت279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م.
- السوق الإسلامية بالمدينة المنورة، عبد الرحيم الكتامي، مجلة الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد 6، العدد 2، ديسمبر 2022م.
- شرح سنن ابن ماجه، مجموع من ثلاث شروح: "مصباح الزجاجة" للسيوطي (ت911هـ)، "إنجاح الحاجة" لمحمد عبد الغني المجدّدي الحنفي (ت1296هـ)، "ما يليق من حل اللّغات وشرح المشكلات" لفخر الحسن بن عبد الرحمن الحنفي الكنكوهي (1315هـ)، قديمي كتب خانة، كراتشي.
- شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت449هـ)، المحقق/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 2003م.
- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت458هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرّج أحاديثه: د عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 2003م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت393هـ)، المحقق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987م.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق/ د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط5، 1993م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت1420هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ)، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1955م.

- ضعيف سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997م.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين أبو محمد محمود العيني (ت855ه). عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية. وصوَّرتها دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر، بيروت.

- فتح الباري بشرح البخاري، لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت852ه)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، مصر، 1390ه.

- فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني اليمني (ت1250ه)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414ه.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري (ت1031ه)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356ه.

- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت660ه)، راجعه وعلق عليه: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبعة جديدة مضبوطة منقحة، 1991م.

- قواعد تقسيم مياه الأنهار المشتركة في السّنة النبوية وأثره في توفير الأمن المائي، للدكتور هزرشي عبد الرحمان. مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 87، دسمبر2021م، جامعة جلفة، الجزائر.

- كشف المشكل من حديث الصحيحين، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت597ه)، المحقق/ علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض، د. ط ت.

- كيفية معالجة النبي ﷺ مشكلة نقص الماء في العهد المدني، الدكتور علي حسن أحمد شعيب، مجلة الدّارة، مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبد العزيز، العدد الثاني ربيع الآخر، السنة 38، 1433ه.

- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414ه.
- لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، لعبد الحق بن سيف الدين الدِّهلوي الحنفي (ت1052هـ) المحقق/ د. تقي الدين الندوي، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط1، 2014م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين الهيثمي (ت807 هـ)، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م.
- المحلَّى بالآثار، لأبي محمد علي ابن حزم الأندلسي الظاهري (ت456هـ)، المحقق/ د. عبد الغفار سليمان البنداري، دار الفكر، بيروت، د. ط ت.
- مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله الحنفي الرازي (ت666هـ)، المحقق/ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1999م.
- المراسيل، لأبي محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم (ت 327هـ)، المحقق/ شكرالله نعمة الله قوجاني، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه، لمحمد الأمين بن عبد الله العَلوي الأثيوبي الهَرَري، مراجعة لجنة من العلماء برئاسة: د. هاشم محمد علي حسين مهدي، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، جدة، ط1، 2018م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت1014هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، مع تضمينات: الذهبي في التلخيص، وغيره، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.

- مسند الشهاب، لأبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي المصري (ت454هـ)، المحقق/ حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م.
- المسند، لأحمد بن حنبل، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.
- مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، المحقق/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1985م.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري الشافعي (ت840هـ)، المحقق/ محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، ط2، 1403هـ.
- معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت626هـ)، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.
- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني (ت360 هـ)، المحقق/ حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، د. ت.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب ط1، 2008م.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس القزويني الرازي، أبو الحسين (ت395هـ)، المحقق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
- معوقات التنمية المستدامة في دول العالم الإسلامي، دراسة تحليلية بالتطبيق على جمهورية مصر العربية، إعداد سمر خيري، مرسي غانم، ورقة مقدمة ضمن أعمال المؤتمر العلمي الثاني حول مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الاسلامي جامعة قالمة 03/04 ديسمبر 2012م.
- المغني، لموفق الدين أبو محمد ابن قدامة المقدسي الدمشقي (ت620هـ)، المحقق/ د. عبد اللّهَّ بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط3، 1997م.

- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر، الملقب بفخر الدين الرازي (ت606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ)، المحقق/ صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر ابن عاشور التونسي (ت1393هـ)، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2004م.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (ت708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط ت.
- منحة العلام في شرح بلوغ المرام، لعبد الله بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392م.
- الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي (ت790هـ)، المحقق/ مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1997م.
- الميسر في شرح مصابيح السنّة، لفضل الله بن حسن أبو عبد الله، شهاب الدين التُّورِبِشْتِي (ت 661 هـ)، المحقق/ د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط2، 2008هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت606هـ)، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية، بيروت، د. ط، 1979م.

روابط إلكترونية للموقع الرسمي للأمم المتحدة:

- https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/development-agenda
- https://news.un.org/ar/story/2024/09/1134611
- https://news.un.org/ar/story/2024/09/1134 741
- https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/development-agenda

أوقافُ السنةِ النبويّةِ التحديات والحلول
(المملكة العربية السعودية - أنموذجًا)

د. يوسف بن عبد الله القرعاوي

عضو هيئة التدريس في كلية الحديث الشريف،

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – السعودية

ملخص

يتناولُ هذا البحثُ موضوعَ أوقاف السنة النبوية في المملكة العربية السعودية، ويهدف إلى دراسة هذه الأوقاف دراسة استقرائية، والوقوف على التحديات والمشكلات التي تواجهها، وتقديم الحلول والأفكار المناسبة لهذه الأوقاف؛ من أجل تحقيق التنمية المستدامة فيها، واستثمارها بالشكل الأمثل، وإبراز ما يتطلبه هذا العصر من أساليب وأفكار جديدة تحقق التنمية المستدامة في هذه الأوقاف.

الكلمات المفتاحية: (الأوقاف، خدمة السنة، التنمية، الاستدامة).

Abstract

This research deals with the subject of the endowments of the Prophetic Sunnah in the Kingdom of Saudi Arabia. It aims to study these endowments inductively, identify the challenges and problems they face, and provide appropriate solutions and ideas for these endowments in order to achieve sustainable development in them, invest them in the best possible way, and highlight what this era requires in terms of new methods and ideas that achieve sustainable development in these endowments.

Keywords: (Endowments, Sunnah service, sustainable development).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛ فإن الشريعة الإسلامية جاءت بالحث على فعل الخيرات والصدقات الجارية، ومن بين هذه الصدقات الجارية الأوقاف التي تُعدّ من أهم الوسائل التي تحقق التكافل الاجتماعي، والتنمية المستدامة في المجتمع الإسلامي، وخدمة من أُوقفت عليه، ومع تطور المجتمعات وازدياد الاحتياجات، ظهرت الحاجة إلى (**الأوقاف الشرعية التخصصية**)، وهي تستهدف مجالًا محددًا، وتحاول تقديم خدمات متنوعة للمجتمع، وهذه الأوقاف لها تحدياتها ومُشكلاتها.

وحيث إن السنة النبوية أحد مصدري التشريع الإسلامي، كان من أشهر هذه الأوقاف (**أوقاف السنة النبوية**) وقد حظيت هذه الأوقاف باهتمام المسلمين وعنايتهم، وكان لها أثرًا بالغًا في تحقيق التنمية المستدامة في بعض المجالات، ولا زالت -بحمد الله- هذه الأوقاف قائمة في زمننا المعاصر، مع ما تواجهه من تحديات تُعيق تحقيق أهدافها.

وبعد اطلاعي على محاور الندوة الدولية الثانية عشرة للحديث النبوي الشريف (**التنمية المستدامة في السنة النبوية، واقع وآفاق**) المقامة بمركز بحوث السنة النبوية في جامعة الوصل بدبي، أحببت المشاركة في المحور الخامس (**آفاق التنمية المستدامة في السنة النبوية: التحديات والحلول**) بهذا البحث الذي عنونته بـ:

أوقاف السنة النبوية التحديات والحلول

(المملكة العربية السعودية أنموذجًا)

مشكلة البحث:

1. عدم معرفة هذه الأوقاف وأثرها في خدمة السنة النبوية.
2. التحقق من التنمية المستدامة في هذه الأوقاف، واستثمارها بالشكل الأمثل لخدمة السنة النبوية.
3. تطلّب هذا العصر لأساليب وأفكار جديدة تحقق التنمية المستدامة في هذه الأوقاف.

4. الحاجة لمعرفة نقاط القوة والضعف في هذه الأوقاف؛ لمواجهة التحديات، وإيجاد الحلول.

ويحاول البحث الإجابة عن مجموعة من الأسئلة تحت العنوان السابق وهي:

1/ ما أوقاف السنة النبوية في المملكة العربية السعودية، وما أثرها؟

2/ كيف نُحقق التنمية المستدامة في هذه الأوقاف؟

3/ ما التحديات التي تواجه هذه الأوقاف؟

4/ كيف يمكن معالجة هذه التحديات، وتقديم حلول عملية مناسبة لهذه الأوقاف؟

أهداف البحث:

1/ معرفة أوقاف السنة النبوية في المملكة العربية السعودية.

2/ التحقق من التنمية المستدامة في هذه الأوقاف، وأثرها في خدمة السنة.

3/ الوقوف على التحديات التي تواجه هذه الأوقاف.

4/ تقديم الحلول والأفكار المناسبة لمعالجة هذه التحديات.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في كونه يساهم بتحقيق التنمية المستدامة في (أوقاف السنة النبوية) وذلك من خلال دراسة واقع هذه الأوقاف، ثم النظر في التحديات التي تواجهها، وتقديم الحلول والأفكار بالأدوات والتقنيات الحديثة التي تساعدها على تحقيق التنمية المستدامة، واستثمار هذه الأوقاف بالشكل الأمثل.

حدود البحث:

إن دراسة أوقاف السنة النبوية موضوع واسعٌ جدًا، بل إن الكلام على بعض أطرافه يحتاج لبحث خاص، ولذا خصصت هذا البحث لدراسة الأوقاف القائمة لخدمة السنة النبوية في المملكة العربية السعودية، وأعني بذلك الأوقاف التي أُوقفت على خدمة السنة النبوية، أو أحد أفرعها مثل: (طباعة كتب السنة، حفظ السنة، رعاية طلاب الحديث، مواقع

السنة وبرامجها، ...)، ولا يدخل في البحث الأوقاف العامة التي جُعل أحد مصارفها خدمة السنة النبوية.

منهجية البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي بتتبع أوقاف السنة النبوية في المملكة العربية السعودية ووصفها، **والمنهج التحليلي** من خلال دراسة هذه الأوقاف؛ للوقوف على التحديات والمشكلات التي تعانيها، وتقديم الحلول والأفكار المناسبة التي تساعد على تحقيق التنمية المستدامة في هذه الأوقاف.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة متخصصة في هذا الموضوع، وأما ما يتعلق بالوقف في السنة بشكل عام، وكذلك الأوقاف في المملكة العربية السعودية، فقد وقفتُ على رسائل عدّة، منها:

1. الأوقاف النبوية ووقفيات بعض الصحابة الكرام: دراسة فقهية - تاريخية – وثائقية، عبد الله بن محمد بن سعد الحجيلي، نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي، 2000م - 1421هـ
2. أوقاف النبي ﷺ: دراسة حديثية موضوعية، محمد بن عبد الله بن راشد آل مُعدّي، مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، 2014م.
3. تجربة الأوقاف في المملكة العربية السعودية، محمد أحمد نايف العكش، الناشر: الأمانة العامة للأوقاف، 2003م، يستعرض البحث تاريخ الأوقاف في المملكة منذ قيام الإسلام في جزيرة العرب وحتى قيام المملكة العربية السعودية، وما صاحب ذلك من تأسيس إداري وتشريعي للأوقاف.
4. الأوقاف في المملكة العربية السعودية: تعزيز الاستدامة والاستثمار، عبد الواحد بن محمد الأنصاري، مركز البحوث والتواصل المعرفي (مجلة مكاشفات)، 2018م، يعرض هذا البحث تحليل واقع الأوقاف في المملكة من الناحية الإدارية والتمويلية، والمشكلات التي تواجه الأوقاف من هذا الجانب، وعرض بعض التجارب الإقليمية في العمل المؤسسي الوقفي.

5. الأوقاف بالمملكة العربية السعودية بين الواقع والمأمول، راكان بن فهد الحربي، الجمعية العلمية القضائية السعودية (مجلة قضاء)، 2022م، يستعرض البحث واقع قطاع الأوقاف بالمملكة بشكل عام، من خلال استشراف المستقبل وفق متغيرات ومستجدات الواقع، ويحاول استظهار إشكالات قطاع الأوقاف في المملكة بشكل عام، ثم إيجاد حلول لها.

فأما البحثين الأولين فيهدفان إلى التعريف بأوقاف النبي ﷺ، أو ما أرشد إليه من الأوقاف، وكذلك أوقاف الصحابة الكرام، من خلال دراسة حديثية موضوعية، **والبحوث الثلاثة الأخيرة** عبارة عن دراسات تُركز على الجانب التشريعي أو الإداري أو التمويلي في الأوقاف، أو تعرض واقع قطاع الأوقاف من خلال استشراف المستقبل، ومحاولة معالجة المشكلات العامة لهذه الأوقاف -من وجهة نظرهم-.

وأما بحثي فهو دراسة متخصصة للأوقاف التي تخدم السنة النبوية في المملكة العربية السعودية، للوقوف على التحديات التي تواجهها بشكل خاص، ثم تقديم الحلول والأفكار المناسبة التي تساعد على تحقيق التنمية المستدامة، **وبذلك يتبين الفرق بين بحثي والبحوث السابقة، وعدم الاشتراك بينها**.

خطة البحث:

نظمت البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وفيها مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته، وحدوده، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تطور مفهوم الوقف عبر التاريخ الإسلامي.

المطلب الثاني: نبذة مختصرة عن تاريخ الأوقاف التخصصية في السنة النبوية.

المطلب الثالث: دور الأوقاف في تعزيز التنمية المستدامة.

المطلب الرابع: عناية المملكة العربية السعودية في مجال الأوقاف، وخدمة السنة النبوية.

المبحث الأول: دراسة وصفية لأوقاف السنة النبوية في المملكة العربية السعودية.

المطلب الأول: المراكز والمؤسسات الوقفية في السنة النبوية.

- مركز تدوين للبحوث والدراسات الحديثية.
- وقف تعظيم الوحيين في المدينة المنورة.
- وقف الإتقان لتعظيم القرآن والسنة.
- مركز إحسان لدراسات السنة النبوية.
- مركز السنة والتراث النبوي للدراسات والتدريب.
- مركز وقف السنة النبوية بالرياض.

المطلب الثاني: البرامج والتطبيقات الوقفية في السنة النبوية.

- تطبيق جامع الكتب التسعة.
- موسوعة صحيح البخاري.
- المنصة الحديثية.
- الموسوعة الحديثية.

المبحث الثاني: التحديات التي تواجه أوقاف السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة.

المطلب الأول: التحديات في الاستدامة المالية.

المطلب الثاني: التحديات في الاستدامة الإدارية.

المطلب الثالث: التحديات في البرامج والأنشطة.

المطلب الرابع: التحديات في البرامج والتطبيقات الإلكترونية.

المطلب الخامس: التحديات في التواصل والإعلام.

المطلب السادس: التحديات في التحسين والتطوير والإبداع.

المطلب السابع: التحديات التنظيمية أو التشريعية.

المبحث الثالث: الحلول المقترحة لأوقاف السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة.

المطلب الأول: الحلول في الاستدامة المالية.

المطلب الثاني: الحلول في الاستدامة الإدارية.

المطلب الثالث: الحلول في البرامج والأنشطة.

المطلب الرابع: الحلول في البرامج والتطبيقات الإلكترونية.

المطلب الخامس: الحلول في التواصل والإعلام.

المطلب السادس: الحلول في التحسين والتطوير والإبداع.

المطلب السابع: الحلول التنظيمية أو التشريعية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، وأبرز التوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد:

المطلب الأول: تطور مفهوم الوقف عبر التاريخ الإسلامي.

الوقف في اللغة: مصدر قولك: وقفت الدابة ... ووقف الأرض، ووقف الدابة على المساكين وقفًا: حبسها[1]، أما في الاصطلاح فهو: تحبيس الأصل، وتسبيل المنفعة[2]، والأصل فيه ما روى عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: "أَصَابَ عُمَرُ بِخَيْبَرَ أَرْضًا فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَصَبْتُ أَرْضًا لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ مِنْهُ فَكَيْفَ تَأْمُرُنِي بِهِ قَالَ: إِنْ شِئْتَ حَبَّسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا. فَتَصَدَّقَ عُمَرُ: أَنَّهُ لَا يُبَاعُ أَصْلُهَا وَلَا يُوهَبُ وَلَا يُورَثُ فِي الْفُقَرَاءِ وَالْقُرْبَى وَالرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالضَّيْفِ وَابْنِ السَّبِيلِ لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ"[3][4]، فهذا هو الأصل في مشروعية الوقف في الإسلام من السنة النبوية، وانعقد الإجماع في الجملة على مشروعيته، قال الترمذي عَقِب حديث ابن عمر السابق: "والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، لا نعلم بين المتقدمين منهم في ذلك اختلافًا في إجازة وقف الأرضين وغير ذلك"[5]، وقال القرطبي: "لا خلاف بين الأمة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر وإن اختلفوا في تحبيس غير ذلك"[6].

---

1. ابن منظور، لسان العرب، المحقق/ اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، (9/359).
2. انظر: ابن قدامة، المغني، المحقق/ د. عبد اللَّه التركي، د. عبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 1417هـ، (8/184-187).
3. قال ابن سيرين: "غَيْرَ مُتَأَثِّلٍ مالًا"، أي غير جامع. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، (1/23).
4. أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/ جماعة من العلماء بالمطبعة السلطانية، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1422هـ، كتاب الوصايا، باب الوقف كيف يكتب؟ (4/12) حديث رقم (2772)، ومسلم في صحيحه، المحقق/ محمد ذهني أفندي، إسماعيل الطرابلسي، أحمد رفعت، وغيرهم، دار الجيل بيروت، مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة 1334هـ، كتاب الوصية، باب الوقف (5/73) حديث رقم (1633).
5. الترمذي، جامع الترمذي، المحقق/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م، (3/53) حديث رقم (1375).
6. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المحقق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، (19/22).

واتفق جمهور أهل العلم على جواز الوقف وصحته؛ للنصوص الدالة على فعل الخير والبر والإحسان، وهو الهدف الأساس من الوقف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ [آل عمران:92]، وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) مرفوعًا: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[1]، قال النووي: "فيه دليل لصحة أصل الوقف، وعظيم ثوابه"[2].

وفي حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: "بعث رسول الله ﷺ عمر على الصدقة، فقيل: منع ابن جميل، وخالد بن الوليد، والعباس عم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا، فَأَغْنَاهُ اللَّهُ[3]، وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ، وَأَعْتَادَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهِيَ عَلَيَّ وَمِثْلُهَا مَعَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ[4]"[5].

قال النووي: "فيه دليل على صحة الوقف، وصحة وقف المنقول، وبه قالت الأمّة بأسرها إلا أبا حنيفة وبعض الكوفيين"[6]، وقال ابن حجر: "استدل بقصة خالد على مشروعية تحبيس الحيوان والسلاح، وأن الوقف يجوز بقاؤه تحت يد محتبسه"[7].

والوقف يعتبر أحد الأسس المهمة للنهضة الإسلامية الشاملة، فالوقف من المنابع الخيرية ذات الصفة التطوعية التي لا إلزام للفرد المسلم فيها ولا مكره له فيها، والوقف

---

1. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (5/73) حديث رقم (1631).
2. النووي، المنهاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ، (11/253).
3. أي ما ينقم شيئًا من منع الزكاة إلا أن يكفر النعمة، فكأن غناه أداه إلى كفر نعمة الله. ابن الأثير، النهاية (5/111).
4. الصِّنْوُ: المثل، وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد، يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد، وهو مثل أبي أو مثلي، وجمعه: صنوان. ابن الأثير، النهاية (3/57).
5. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 60] (2/122) حديث رقم (1468)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها (3/68) حديث رقم (983).
6. النووي، المنهاج (7/56).
7. ابن حجر، فتح الباري، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1390هـ، 3/334).

يساعد الإنسان على إخراج نفسه من حيّزها الضيق إلى حيّزها الاجتماعي الأوسع، وبه يتحقق دور الفرد المسلم تجاه مجتمعه؛ ففي حديث النعمان بن بشير (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: "مَثَلُ المُؤمنين فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشتكى منهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لهُ سائرُ الجسدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى"[1].

ومن المؤكد أن الوقف في التاريخ الإسلامي له خصوصية لا يمكن مقارنته بصور البر في الحضارات أو الشعوب الأخرى، فالوقف عند الحضارات السابقة يخدم توجهاتهم وعقائدهم المختلفة، كما كان العرب في الجاهلية يوقفون بعض الأموال على أصنامهم، وهذا مُرتبط بعبادتهم وشركهم، ومنها ما هو مرتبط بعادات حميدة؛ كإكرام الضيف، وعابر السبيل، وغير ذلك[2].

وإن الراصد لتطور شكل الأوقاف وحجمها خلال التاريخ الإسلامي، يمكنه أن يلحظ بشكل واضح أن حجم الأوقاف يمر بفترات مدّ وجزر، وفق الظروف الاجتماعية والسياسية لكل عصر من عصور الأمة الإسلامية، ولعل مما ساعد على التوسع في الأوقاف سهولة تنفيذه، فالوقف التزام من جانب واحد، لا يُحتاج فيه إلى قبول، فهو من العقود التي تُبرم بإرادة منفردة، فهذا أدّى إلى كثرة الواقفين وتزايد الأوقاف على مرّ التاريخ.

ومما ساعد على توسع الأوقاف ونمائها أنها لم تقتصر على مجرد التطبيق في أشكاله العامة فقط، بل تعداه في أغراضه ومقاصده إلى ابتكار واستحداث أنواع أخرى، فمن ذلك:

أنواع الأوقاف باعتبار طبيعة المستفيد:

1/ الوقف الخيري أو الوقف العام: وهو أن يقصد الواقف منه صرف ريع الوقف وخدماته على جهات البرّ.

2/ الوقف الأهلي أو الذري: وهو ما جعلت فيه المنفعة لأفراد معينين أو لذريتهم.

---

1. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (8/10) حديث رقم (6011)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (8/20) حديث رقم (2586).
2. انظر: أحمد الدريويش، الوقف مشروعيته ومكانته الحضارية، (ص28)، (مقدم في ندوة: مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية).

3/ الوقف المشترك: وهو المختلط بين الأمرين، أو قد يبدأ بكونه وقفًا أهليًا، ثم ينتهي به الأمر إلى صيرورته إلى وقف خيري بعد انقطاع من يستفيد منه من ذرية الواقف، ومردّ ذلك كله لشرط الواقف.

أنواع الأوقاف باعتبار طبيعة الأموال الموقوفة، فمن ذلك:

1/ الأصول الثابتة والعقارات: كالأراضي والمدارس والمباني السكنية والتجارية التي يعود ريعها إلى ما يحقق أهداف الوقف.

2/ الأموال المنقولة: مثل المكتبات والحافلات والأثاث والآلات الزراعية وغير ذلك.

3/ النقود والأسهم والسندات: إما لإقراضها لمن يحتاج إليها، أو لاستثمارها ثم يوزع ريعها على أغراض الوقف.

4/ الحقوق المعنوية: كحق الابتكار والتأليف، وحق الاسم التجاري وذلك بوقف حق استغلال الملك المعنوي.

أنواع الوقف باعتبار طبيعة المنفعة، فمن ذلك:

1/ الوقف المباشر: وهو الذي يقدم خدمات استهلاكية مباشرة، كالمدارس والمستشفيات وغير ذلك.

2/ الوقف غير المباشر: وهو ما يتم الانتفاع بها من طرف الموقوف عليهم عن طريق عوائد الاستثمار.

المطلب الثاني: نبذة مختصرة عن تاريخ الأوقاف التخصصية في السنة النبوية.

تقدم في المطلب السابق الحديث عن تطور مفهوم الوقف وسعته عبر التاريخ الإسلامي، ومن ذلك ظهور الأوقاف التخصصية على العلوم الشرعية، أو المذاهب الفقهية، ومن تلك التخصصات خدمة السنة النبوية وعلومها، ومن أوائل من قام بإنشاء دار للحديث لخدمة السنة النبوية وعلومها في إطار عمل مؤسسي خيري منظّم[1] الملك نور

1. ومن المعلوم أن الحديث النبوي الشريف كان يدرس قبل ذلك في المدارس والمساجد والبيوت في مختلف الأقطار.

الدين محمود زنكي (ت 569هـ)، وذلك عندما بنى أوّل دار للحديث في العالم الإسلامي سميت بـ (**دار الحديث النُّورية**)[1]، ومقرها دمشق، وذلك في حدود النصف الثاني من القرن السادس الهجري، ثم تتابع إنشار الدُّور في مصر، وبلاد الشام، والعراق وغيرها، وتعاون في إنجاح هذا المشروع: الملوك، والعلماء، وموظفي الدولة، والتجار، وغيرهم، وقد رصد بعض الباحثين أكثر من (20) دارًا أُسست لهذا الغرض[2]، وقيام هذه الدور ساعد بتحقيق التنمية المستدامة في خدمة السنة النبوية في تلك العصور.

وكانت تقوم هذه الدُّور على نظام الوقف وهي عبارة عن مؤسسات تعليمية عليا، وهي مستقلة بنظامها الإداري والمالي المنظّم، ولا يتولى الإشراف عليها إلا من عُرف بالعلم الغزير، والفضل الكبير، وشهد له بالتفوق على أقرانه، واستوفى شروط الواقف، وتسعى هذه الدُّور إلى تحقيق أهداف محددة، مثل: تدريس السنة النبوية، ونشرها بين طبقات المجتمع، وخدمتها بالشرح والتحليل والتأليف، وتخريج علماء متخصصين في هذا الفنّ، والردّ على التيارات البدعية، والتشجيع على البحث العلمي، وغير ذلك.

ولا شكّ أن الجهود التي بذلت في خدمة السنة النبوية من خلال هذه الدور كان لها أثرًا ظاهرًا في حفظ السنة والعناية بها، ونبوغ كثير من شيوخها وطلابها، وتخريج علماء ربانيين متضلعين بعلوم السنة النبوية.

ومن أهم هذه الدُّور وأبرزها:

1/ **دار الحديث النُّورية في دمشق**، بين الجامع الأموي والقلعة، وتقدم الإشارة لها.

2/ **دار الحديث الكاملية في القاهرة**، أنشأها الملك محمد بن أيوب الأيوبي (ت 635هـ)، ومن شيوخها: المنذري، وقطب الدين القسطلاني، وابن دقيق العيد، وغيرهم.

3/ **دار الحديث الأشرفية في دمشق**، أنشأها الملك الأشرف موسى بن أيوب الأيوبي (ت 635هـ)، وفيها صنفت بعض المراجع الأساسية، مثل: علوم الحديث لابن الصلاح، وتهذيب الكمال للمزي، وتلخيص المتشابه لابن ناصر الدين، وجميعهم من شيوخ الدار.

---

1. انظر: أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، المحقق/ إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1418هـ، (1/47).
2. انظر: عبد السميع الأنيس، دور الحديث النبوي وأثرها في خدمة السنة النبوية وعلومها، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد (85)، 1432هـ.

4/ **دار الحديث الظاهرية في مصر**، والتي أنشأها الملك الظاهر بيبرس في سنة (660هـ) ومن شيوخها: الدمياطي، وتقي الدين السبكي، وابن سيد الناس، ومغلطاي، والبلقيني، والعراقي، وابن حجر، وغيرهم.

5/ **دار الحديث المستنصرية في العراق**، مؤسسها الخليفة المستنصر بالله العباسي، وانتهى من بنائها سنة (631هـ)، ووقفها على المذاهب الأربعة، وجعل فيها دارًا للحديث، ومن شيوخها: الإمام المحدث محمد بن أحمد بن عمر البغدادي القطيعي (ت 634هـ)، وهو أوّل من ولي مشيخة الحديث بها.

6/ **دار الحديث السكرية في دمشق**، ومن شيوخها: شيخ الإسلام ابن تيمية، والذهبي، وابن رجب، وغيرهم.

7/ **دار الحديث السيفية في القدس**، أسسها الأمير تنكز سيف الدين (ت741هـ)، وأوّل من تولى مشيختها: الحافظ صلاح الدين العلائي.

المطلب الثالث: دور الأوقاف في تعزيز التنمية المستدامة.

إن تنمية مصالح الأمة وأجيالها المتعاقبة تمثل هدفًا من أهداف المجتمع الإسلامي فهي تحقق مفهوم العمارة والاستخلاف، وتعتبر الأوقاف من أهم الأدوات التي تساعد في تحقيق التنمية المستدامة، فلها دورٌ تنمويٌّ ملموسٌ في تاريخ المسلمين، فهي أحد المؤسسات التطوعية الخيرية الفعالة في التطوير والنمو الاقتصادي والاجتماعي في مختلف العصور الإسلامية؛ من خلال توفير التمويل ودعم الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية لفئات كثيرة من المجتمع، وكذلك توفير البُنى التحتية، ومن ذلك: المؤسسات التعليمية، من كتاتيب ومدارس وجامعات، وكذلك المستشفيات والرعاية الصحية، وهذا جعل للوقف دورًا في النهضة العلمية والفكرية في المجتمع، وكذلك تنمية الموارد البشرية، ولذا قال القرافي أنه: "من أحسن أبواب القُرب"[1].

واليوم تزداد أهمية إحياء الدور التنموي للوقف في عالمنا الإسلامي وذلك من أجل استثمار هذه الأوقاف وتطويرها بالشكل الأمثل، لتحقق مصالح الأمة وأجيالها المتعاقبة.

1. القرافي، الذخيرة، المحقق/ محمد حجي، وسعيد أعراب، ومحمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1994م، (6/322).

ومن أهم مقاصد الوقف التي تتعلق بالتنمية:

1/ مقصد الاستدامة: فأهم مقاصد الوقف تحقيق الاستدامة، وعدم الانقطاع.

2/ مقصد التمكين: أي تمكين الفئات المستفيدة من الوقف من أفراد المجتمع، ورفع مستواهم لدرجة أعلى.

3/ مقصد تحقيق الكفاية وسدّ الحاجات: وهو يمثّل المقاصد الضرورية والحاجية، مثل تعليم المهن والحرف، ودعم المشاريع الصغيرة، وتحويل الأسر الفقيرة إلى أسر عاملة منتجة، وإنشاء المدارس والمستشفيات.

4/ مقصد العمران: والمراد منه بناء المجتمع المسلم على أسس سليمة من جهة البنية التحتية، وكذلك من جهة العلاقات الاجتماعية، وبناء الفرد المسلم.

المطلب الرابع: عناية المملكة العربية السعودية في مجال الأوقاف، وخدمة السنة النبوية.

ظهرت أهمية الوقف والحاجة لإعطائه اهتمامًا أكبر؛ لمساهمته الفعالة في الخطط التنموية، ومساهمته في الكثير من المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، من خلال مساندته لجهود الدولة في تحقيق التكافل الاجتماعي والتوازن الاقتصادي، وعلى الرغم من قدم نظام الوقف في الدول الإسلامية، إلا أن المملكة العربية السعودية أعطت اهتمامًا كبيرًا لتطوير أساليب وآليات حصر الوقف وتنميته في العصر الحالي، لكونه وسيلة للتكافل الاجتماعي والإنساني، وداعمًا هامًا لمسار التنمية، ويعكس الوقف حجم التضامن بين أفراد المجتمع، ولهذه الأوقاف دورٌ بارزٌ في التنمية في حالة استغلاله الاستغلال الأمثل.

وتتمثل عناية المملكة العربية السعودية في مجال الأوقاف منذ تأسيسها؛ من خلال ما تقوم به من العناية بالأوقاف والإشراف عليها، ومن ذلك العناية بالحرمين وتوسعتهما، ومن خلال ضبط الأوقاف وحمايتها من الإهمال والتلاعب وذلك بإصدار التعليمات الأساسية التي تنظم شؤون الأوقاف منذ تأسيس هذه الدولة، حتى أُنشئت وزارة مستقلة وهي (وزارة الحج والأوقاف)[1] أو (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد)

1. وذلك في عام 1381هـ بالمرسوم الملكي ذي الرقم 430 المؤرخ في 9/10/1381هـ، ثم صدر بعد ذلك نظام مجلس الأوقاف الأعلى ذو الرقم 35 المؤرخ في 18/7/1386هـ وهو أوّل نظام شامل يعالج قضايا الأوقاف، وصدرت اللائحة التنظيمية لنظام مجلس الأوقاف الأعلى في عام 1393هـ.

وهو المسمى الجديد للوزارة منذ عام 1414هـ، ثم بعد ذلك أُنشئت وكالة مستقلة للأوقاف تحت مسمى (وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف) بموجب الأمر الملكي رقم أ/3 المؤرخ في 20/ 1/ 1414هـ، فأصبحت الجهة المختصة بالإشراف والمتابعة لشؤون الأوقاف، كما أُنشئت فيها الأمانة العامة لمجلس الأوقاف الأعلى، والأمانة العامة لمجلس رعاية شؤون الأربطة.

وكان للوزارة دورٌ هامٌ في رصد هذه الأوقاف وتنظيمها وترتيبها وتطويرها والاستفادة من استثماراتها في مجالات الخير المختلفة، وسعت الوزارة في إنشاء صناديق خيرية لخدمة الأوقاف، ونظمت الوزارة المؤتمرات والندوات الخاصة بالأوقاف.

ثم بعد ذلك في عام 1431هـ تم إنشاء الهيئة العامة للأوقاف وإلغاء وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف، وصدر نظام الهيئة العامة للأوقاف في عام 1437هـ، وقد أطلقت الهيئة العديد من المبادرات التي تساهم في تنظيم قطاع الأوقاف وتنميته، بما يحقق شروط الواقفين ويعزز استدامته.

ولا تزال جهود المملكة العربية السعودية حتى اليوم تولي قطاع الأوقاف اهتمامًا في تنظيمه وتطويره وتنميته، وقد ركزت رؤية المملكة العربية السعودية 2030 على دعم هذا القطاع غير الربحي وإعطاؤه حيزًا كبيرًا من الاهتمام، لرفع نسبته مع تحقيق التنمية والتطوير، وتعزيز التميز المؤسسي فيه.

ومن المبادرات التي تُحقق أهداف رؤية السعودية 2030 (**مبادرة برنامج استدامة وتمكين**[1]) وهي متمثلة في رفع مساهمة القطاع غير الربحي وتحقيق الاستدامة المالية، ويتضمن البرنامج ثلاثة مسارات رئيسة هي: مسار الاستدامة، ومسار التمكين، ومسار التكامل.

ولذا فقد شهدت الأوقاف في المملكة العربية السعودية في السنوات الأخيرة تطورًا عظيمًا في العديد من المجالات، سواءً مجالات الأنظمة والحصر والتسجيل، وكذلك الجهود المتواصلة للنهوض بالأوقاف في المجالات العلمية والعملية، مما يمكن هذه الأوقاف أن تلعب دورًا مهمًا في الحياة الاجتماعية في جميع مجالاتها، وتعود للأوقاف مكانتها العظيمة.

1. لمزيد من التفصيل حول برنامج استدامة وتمكين انظر هذا الرابط: https://n9.cl/d8fat.

ومن جهود المملكة العربية السعودية في خدمة السنة النبوية:

- تأسيس مجمع الملك سلمان للحديث الشريف بموجب الأمر الملكي بتاريخ 27/ 1/ 1439هـ.

- إنشاء الكليات والأقسام المختصة بالحديث الشريف في الجامعات، ومن أبرزها كلية الحديث الشريف في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأنشئت منذ عام 24/ 10/ 1396هـ.

- تأسيس (دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة) وهي منشأة تعليمية، مقرها مكة المكرمة، تُعنى بدراسة العلوم الشرعية، لاسيما علم الحديث الشريف، وقد تأسست بموافقة ملكية سامية من جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (رحمه الله) برقم: (65) وتاريخ: 2/ 2/ 1352هـ.

- تحقيق وطباعة الكتب في السنة النبوية، من جهات متعددة، منها: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد.

- تمويل البرامج الإلكترونية المتخصصة في السنة النبوية وإتاحتها للمستفيدين، ومن أبرزها برنامج (جامع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز للسنة النبوية المطهرة).

- جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، وهي جائزة عالمية، أُنشِئت عام 1422هـ.

- برامج تحفيظ السنة في الحرمين، عن طريق أكاديمية السنة والسيرة النبوية بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

- الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها بالمملكة، وهي جمعية علمية تشرف عليها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومقرها كلية أصول الدين بالرياض، وهي تعنى بالسنة النبوية وعلومها وطروحاتها العلمية والبحثية.

المبحث الأول

دراسة وصفية لأوقاف السنة النبوية في المملكة العربية السعودية[1]

تنبيه: تقدم في حدود البحث الإشارة إلى أن موضوع الدراسة هو الأوقاف القائمة لخدمة السنة النبوية، ولا يدخل معي المؤسسات الحكومية والمراكز البحثية والجمعيات الخيرية التي تُعنى بخدمة السنة النبوية إذا لم تكن جهة وقفية، ولهذه المؤسسات والمراكز والجمعيات جهود كبيرة في تحفيظ السنة ونشرها والدفاع عنها.

المطلب الأول: المراكز والمؤسسات الوقفية في السنة النبوية.

- **مركز تدوين للبحوث والدراسات الحديثية**[2]

هو مركز وقفي غير ربحي، مسجل بوزارة العدل، والهيئة العامة للأوقاف برقم: (2837)، يوفر بيئة علمية تخدم الدراسات الحديثية وما يتعلق بها بأسلوب عصري، تأسس عام 1434هـ، ومقره مدينة بريدة في المملكة العربية السعودية.

رسالة المركز: تطوير الدراسات الحديثية من خلال فتح آفاق جديدة للبحث العلمي، وتنسيق الجهود المتخصصة على أسس علمية ومهنية، معتمدة –بعد توفيق الله- على شركائنا في المؤسسات العلمية، وذوي الخبرة في الدراسات الحديثية.

ومن أبرز الخدمات التي يقدمها المركز:

- قواعد البيانات والمعلومات[3].

---

1. كانت الفكرة أن أقسم مطالب هذا المبحث موضوعيًا، لكن أشكل عليّ وجود أنشطة وبرامج متنوعة في الوقف الواحد، فجعلت المطلب الأول بالتعريف بالمراكز والمؤسسات الوقفية في السنة النبوية، وفي ذلك فائدة وهي إبراز الأنشطة والبرامج المقدمة من قبل هذا الوقف في مكان واحد؛ حتى تظهر هويته وسمته البارزة.
2. للاطلاع على موقع المركز وأهدافه ومشاريعه انظر: https://www.tadween.sa/.
3. ولدى المركز قاعدة بيانات متميزة في جمع الرسائل العلمية والبحوث المحكمة المختصّة في السنة النبوية، انظر: https://www.tadween.sa/research.

- الدورات التدريبية.
- الاستشارات البحثية الحديثية.
- الإصدارات العلمية[1].

❖ **وقف تعظيم الوحيين في المدينة المنورة[2]**

مؤسسة وقفية تقوم على خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وتفعيل مقاصدهما، وتحقيق غاياتهما، وبيان هدايتهما، وتنبيه المجتمع والأمة بحقوقهما ومسؤوليتهم تجاههما، مع ترسيخ الاعتدال، والارتقاء بالدراسات المتعلقة بهما.

رسالة الوقف: تعظيم القرآن الكريم والسنّة النبوية في المجتمع والأمة، بتفعيل مقاصدهما، وبيان هدايتهما وتطبيقاتهما العلمية والعملية.

ومن أبرز الخدمات التي يقدمها الوقف في السنة:

- مجلة تعظيم الوحيين[3].
- تأهيل معلمي السنة النبوية.
- مسابقات في حفظ السنة.
- البرامج التدريبية.
- الإصدارات العلمية.

---

1. للاطلاع على الاصدارات انظر: https://www.tadween.sa/paperment#.
2. للاطلاع على موقع الوقف وأهدافه ومشاريعه انظر: https://t-alwahyain.org/.
3. وهي مجلة دورية علمية محكمة، تعنى بنشر بحوث الدراسات القرآنية والسنة النبوية وما يتعلق بهما ورقيًا وإلكترونيًا، وهي مثال للخدمات المتميزة المقدمة لأهل التخصص، انظر: https://journaltw.com/.

❖ وقف الإتقان لتعظيم القرآن والسنة[1]

مؤسسة وقفية تحت إشراف الهيئة العامة للأوقاف بشهادة رقم (684)، تعنى بتعظيم القرآن الكريم والسنة النبوية ونصرتهما وخدمتهما، مع ترسيخ الوسطية، والاعتدال، والإتقان في استخدام كل الوسائل المتاحة لتحقيق ذلك، ومقره مدينة المصطفى ﷺ.

رسالة الوقف: تحقيق تعظيم ونصرة القرآن الكريم والسنة النبوية؛ بمنهج أصيل، ووسائل معاصرة.

ومن أبرز الخدمات التي يقدمها الوقف في السنة:

- المرصد الأول لنصرة السنة[2].
- أكاديمية تعظيم السنة النبوية[3].
- موقع نصرة السنة[4].
- موقع وتطبيق الرد على الشبهات[5].
- دورات: مهارات الحوار في السنة النبوية[6].

---

1. للاطلاع على موقع الوقف وأهدافه ومشاريعه انظر: https://www.waqfaletqan.com/، ولديهم تركيز في البرامج والأنشطة على موضوع نصرة السنة والدفاع عنها.
2. وهو مركز معلومات إلكتروني يجمع أوعية جميع ما صُنِّف في نصرة السنة النبوية والشبهات المثارة حولها، سواءً كان بحثًا، أو صوتيًا، أو مرئيًا، ويكشفه ويصنفه ويعرف به، وهو مثال للبرامج المتخصصة المتميزة، انظر: https://mrsd-awal.com/.
3. للاطلاع على الأكاديمية انظر: https://sunnah-edu.com/.
4. للاطلاع على الموقع انظر: https://nusrahalsunnah.com/.
5. للاطلاع على الموقع انظر: https://n9.cl/74g88، ويمكن تحميل التطبيق من المتاجر الإلكترونية.
6. للاطلاع انظر: https://nusratelsunnah.com/.

❖ **مركز إحسان لدراسات السنة النبوية**[1]

هو أحد مبادرات وقف إحسان لإحياء السنة النبوية المسجل رسميًا بوزارة العدل، وهو مركز غير ربحي مقره مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية يُعنى بدراسات السنة النبوية وتطويرها من خلال كوادر بحثية متخصصة وشراكات استراتيجية متنوعة.

رسالة المركز: مركز بحثي غير ربحي يُعنى بدراسات السنة النبوية وتطويرها من خلال كوادر بحثية متخصصة وشراكات استراتيجية متنوعة.

ومن أبرز الخدمات التي يقدمها المركز:

- بناء المناهج الدراسية[2].
- تطوير المهارات.
- النشر العلمي[3].

❖ **مركز السنة والتراث النبوي للدراسات والتدريب**[4]

رسالة المركز: مؤسسة وقفية علمية تعنى بتقديم الدراسات والاستشارات والتدريب في علوم السنة النبوية مستفيدين من الشراكات والتقنيات الحديثة.

ومن أبرز الخدمات التي يقدمها المركز:

- مجلة التراث النبوي[5].

---

1. للاطلاع على موقع المركز وأهدافه ومشاريعه انظر: https://ihsancenter.com/.
2. وهو من مشاريع المركز المتميزة، ويهدف إلى بناء وتطوير المناهج الدراسية التي تغطي احتياج الجامعات والمؤسسات التعليمية والباحثين والأسر في تعليم السنة النبوية وعلومها.
3. وقد نشر المركز عددًا من الدراسات المتميزة في مجال السنة النبوية وعلومها تتسم بالجدة والأصالة والتحرير العلمي.
4. للاطلاع على موقع المركز وأهدافه ومشاريعه انظر: https://www.alsunan.com/.
5. وهي مجلة علمية محكمة نصف سنوية، تُعنَى بمخطوطات السنَّة النبوية وعلومها وما يتصل بهما من دراسات، وهي مثال للخدمات المتميزة المقدمة لأهل التخصص، انظر: https://n9.cl/okll7c.

- التعليم والتدريب[1].
- الإصدارات العلمية.

❖ **مركز وقف السنة النبوية بالرياض**[2]

وهي مؤسسة وقفية علمية بحثية تعليمية متخصصة بعلوم السنة والتراث النبوي.

ومن أبرز الخدمات التي يقدمها المركز:

- مشروع ترجمة تهذيب الجمع بين الصحيحين للإشبيلي لست لغات.
- برنامج إذاعي بالشراكة مع إذاعة القرآن بعنوان "**مجالس السنة**" 46 حلقة[3].
- التواصل الاجتماعي لنشر السنة.
- الدورات التدريبية.

المبحث الثاني: البرامج والتطبيقات الوقفية في السنة النبوية[4].

❖ **تطبيق جامع الكتب التسعة**[5].

---

1. ولديهم منصة متميزة للدورات العلمية، تمكّن الباحثين والمعتنين بالالتحاق بالدورة في أي وقت، وهي دورات مجانية، انظر: https://www.alsunan.com/courses/.
2. لا يوجد موقع إلكتروني للمركز، ولهم حساب على منصة x انظر: https://x.com/SunnahhOrg، وتم الاطلاع على البرامج والمشاريع المقدمة من خلال التواصل مع القائمين على المركز.
3. للاطلاع على البرنامج انظر: https://2u.pw/1b81J5qG.
4. تقدم ذكر بعض التطبيقات وقواعد البيانات من إصدارات بعض المراكز والمؤسسات الوقفية في المبحث الأول، وهذا المبحث هو في ذكر البرامج والتطبيقات الوقفية في السنة النبوية التي ليست تحت مراكز ومؤسسات وقفية في السنة النبوية.
5. يمكن تحميل التطبيق من المتاجر الإلكترونية، وانظر في شرح التطبيق والتعريف به: https://2u.pw/mDW6PJYQ.

يشتمل تطبيق "جامع الكتب التسعة" على كتب الحديث التسعة المشهورة لدى العلماء والباحثين، والتي هي أهم دواوين السنة وأوفاها وأشملها للأحاديث النبوية، وعليها مدار الأحكام واعتماد علماء الإسلام، وذلك من خلال العرض في ثوب إلكتروني حديث، يجمع بين أصالة التحقيق وقوة التقنية، حيث يحتوي التطبيق على بحث متكامل لأي حديث من الأحاديث النبوية، بالإضافة إلى شرح للأحاديث والرواة، وإضافة حكم الحديث، وإمكانية مشاركة الأحاديث مع أي شخص من خلال برامج التواصل الاجتماعي مع مزايا عديدة أخرى تضيف جمالًا لطريقة عرض الحديث.

وهو من إصدارات "شركة الدار العربية لتقنية المعلومات" **وبتمويل ودعم من أوقاف والدة بدر بن صالح الراجحي، عن والدهم الشيخ صالح بن عبد العزيز الراجحي (رحمه الله).**

❖ موسوعة صحيح البخاري[1].

موسوعة صحيح البخاري هي الموسوعة الأولى التي جمعت كل ما يتعلق بصحيح البخاري من روايات وشروح وحواشي ودراسات وغير ذلك في موقع واحد، وتقدم خدمات علمية وبحثية متعددة وشاملة للمستفيدين، تم تدشين الموسوعة عام 2016م، ويضم الموقع أكثر من (145) كتابًا تعادل في مجموعها (300) ألف صفحة، وقد تضمنت الموسوعة خدمات متعددة منها: خدمات متعلقة بمتن صحيح البخاري، وخدمات متعلقة بشروح صحيح البخاري، وخدمات متعلقة برجال صحيح البخاري، وخدمات حول الدراسات التي عنت بصحيح البخاري، وخدمات بالمقدمات والأختام لصحيح البخاري، وغير ذلك من الخدمات.

وهي أحد مشاريع عطاءات العلم المحدودة، وهي شركة موقوفة تعمل لتحقيق البناء العلمي الشرعي، وخدمة العلم، وتطوير البيئات العلمية، ودعم العاملين فيها، **وهي أحد مبادرات مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية**.

1. يمكن تحميل البرنامج والاطلاع على خدماته عن طريق الحاسب الآلي والهواتف الذكية من خلال الموقع الالكتروني: https://www.bukhari-pedia.net/، وللتعريف بالموسوعة انظر: https://2u.pw/kA-pyR6gj.

❖ **المنصة الحديثية**[1].

المنصة الحديثية هي منصة رائدة في علم الحديث، **تأتي ضمن المشاريع التقنية والعلمية لمركز تميز**، وتهدف إلى خدمة الحديث النبوي دراية ورواية، مستخدمة أحدث وسائل التكنولوجيا؛ وتضم أهم المصنفات الحديثية وشروحها وعللها وأحكامها وغريبها بالإضافة لكتب الجرح والتعديل. وتقدم المنصة للمستخدمين كل المعلومات بأحدث التقنيات، بداية من تيسير البحث عن الأحاديث النبوية بنصوصها ومعانيها، مرورًا بتشجير طرق الحديث المتعددة، وصولًا إلى عرض هذه المعلومات بطريقة عصرية منظمة تفيد الباحثين والمهتمين في مجال الحديث النبوي الشريف.

ومن أهم الخصائص: البحث التفاعلي المتقدم، توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي لتنفيذ البحث الدلالي، تصفيات خدمة البحث، استعراض طرق الحديث الواحد وشواهده وتشجيرها ومقارنتها، تتبع واستعراض مرويات سلسة معينة، استعراض الكتب بطبعاتها، تصدير ومشاركة نتائج البحث بصيغ متعددة، وغير ذلك.

❖ **الموسوعة الحديثية**[2].

قامت **مؤسَّسة الدُّرَر السَّنيَّة**[3] وهي مؤسسة علمية وقفية بجمْع أحكام المحدِّثين على أحاديث رسول الله ﷺ، وآثارِ الصَّحابة (رضوان الله عليهم) في موسوعة حديثيَّة تُعَدُّ مِن أضخمِ الموسوعات الحديثيَّة، ومع ذلك تُحدَّث أيضًا باستمرار، وليس الغرض من الموسوعة الحديثية جمع الأحاديث النبوية، وإنما بيان أحكام المحدِّثين عليها صحةً وضعفًا؛ فلا يدخل فيها إلا حديث قد حكم عليه أحد المحدِّثين المعتمدين في الموسوعة.

وتمتاز هذه الموسوعة بمَيْزات عديدة؛ منها:

- عدَد العلماء الذين أُخذت أَحكامُهم عبْر ثلاثةَ عَشرَ قرنًا قُرابة 200 عالمٍ.

---

1. يمكن تحميل التطبيق من خلال المتاجر الإلكترونية، أو استخدامه عن طريق الموقع الالكتروني: https://alminasa.ai/about، وللتعريف بالمنصة انظر: https://2u.pw/oIAulfPC.
2. للاطلاع على الموسوعة انظر: https://dorar.net/hadith.
3. والهدف العام للمؤسسة: بناءُ أضخم قاعدة بيانات إلكترونيَّة شاملة لميراث الرَّسُولِ ﷺ بمفهومه الشَّامل، وتيسيرُ الوصولِ إليها من خلال التِّقنيات الحديثة.

- عدد الكتُب التي تمَّ استخراجُ أحكام محدِّثيها أكثرُ من 600 كتابٍ (أكثر من 2500 مجلدٍ).
- توثيق الحديثِ من مصادرِه المطبوعة برقْم الحديث، أو الجُزء والصَّفحة.
- إمكانية البَحث بالرَّاوي، أو المحدِّث، أو الكِتاب، أو الجميع.
- إمكانية البَحث عن الأحاديث القُدسيَّة، والمرفوعة، والآثار.
- البحث بالتصنيف الموضوعي.
- مُحرِّك بحْث ذكي يُقدِّم العديدَ من الخِدْمات، ومنها البحث بجَذْر الكلمة.
- توثيق مصدر كلِّ حديث بعَرْض الكِتاب، والطَّبعة، ورقم الصَّفحة.

المبحث الثاني

التحديات التي تواجه أوقاف السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة[1]

المطلب الأول: التحديات في الاستدامة المالية.

- عدم توفّر الموارد المالية الكافية من الأوقاف لتغطية البرامج والأنشطة، والبعض الآخر ليس له أوقاف تموّل أنشطته وبرامجه.

- الاعتماد الأكبر في تمويل البرامج والأنشطة المقدمة من هذه الأوقاف من خلال تمويل المؤسسات المانحة، وليس على اكتفاء ذاتي، فتتوقف بتوقف دعم هذه المؤسسات.

- قلة اهتمام الجهات المانحة بدعم وتمويل برامج وأنشطة السنة النبوية المقدمة من هذه الأوقاف والمراكز المتخصصة، فلذا تنعدم أو تقل البنود التي تخدم السنة النبوية من الجهات والمؤسسات المانحة.

- الاضطرار للقيام ببرامج وأنشطة لا تخدم أهداف هذه الأوقاف والمراكز بشكل رئيس، وإنما من أجل توافقها مع بنود المؤسسات والجهات المانحة.

- بعض المؤسسات المانحة لا تدعم الأوقاف، بحجة أنها أوقاف الأصل فيها المنح وليس طلب الدعم، مما يضطرهم لاتخاذ جمعيات مساندة لهذه الأوقاف؛ من أجل التقديم على المؤسسات المانحة.

- تركيز الداعمين والمؤسسات المانحة على البرامج والأنشطة التي تستهدف شريحة كبيرة من المجتمع، وعدم الرغبة في البرامج والأنشطة الإبداعية التي تستهدف أهل التخصص الدقيق؛ لكون شريحتها محدودة.

---

1. تم رصد هذه التحديات بعد الاطلاع على الأوقاف والجمعيات والمراكز المتخصصة في السنة النبوية، والتواصل معها، والنزول للميدان وزيارتها للاطلاع على خدماتها والتحديات التي تواجهها عن قُرب، وقد تكون بعض هذه التحديات تواجه أغلب هذه الأوقاف، وتحديات أخرى تواجه نسبة أقل، فهي ليست على درجة واحدة، وبعض هذه التحديات يكون مبني على تحدي آخر وهكذا.

- بعض هذه الأوقاف في السنة النبوية ليس لها أصول تدر على برامجها وأنشطتها، وإنما هو وقفٌ للسجل التجاري، بمعنى أن كل نتاج هذا المركز وإصداراته وإنتاجه الفكري هي لصالح الوقف.

- صعوبة الحصول على التمويل والدعم الاستثماري من البنوك للأوقاف بخلاف الجمعيات الخيرية.

- عدم توفر حلول وأفكار تضمن استمرار التدفقات النقدية لهذه المشاريع، وتحقق التنمية المالية المستدامة.

المطلب الثاني: التحديات في الاستدامة الإدارية.

- بعض هذه الأوقاف والمراكز قائمة على أشخاص، وإدارات فردية، والعمل المؤسسي فيها ضعيف، مما يؤثر على استدامتها عند أي عائق لاستمرار هذا الشخص.

- غياب التخطيط الاستراتيجي للجهة، وانشغالها بتلبية الحاجات المجتمعية القائمة، مما يجعل اهتماماتها متعددة وبالتالي تفقد التركيز وتتشتت الجهود.

- ضعف الخطط التشغيلية، وقلّة استثمار الموارد، وغياب البرامج والأنشطة التي تحقق الأهداف بشكل واضح.

- ضعف الجانب الإداري لبعض هذه الأوقاف، وحاجتها إلى التنظيم والعمل المؤسسي، من أجل القدرة على تحقيق الأهداف، والتحسين والتطوير.

- قلة التجارب المتميزة التي يمكن الاستفادة منها في العمل والبناء المؤسسي.

- بعض هذه الأوقاف والمراكز هي مشاريع عُمر لمن قام عليها، فتستمر تحت إدارته سنوات عديدة من دون توريث هذا الهم، وإغفال إنشاء صف ثان وثالث

لإكمال مسيرة هذا المراكز.

المطلب الثالث: التحديات في البرامج والأنشطة.

- غياب التخطيط الشامل المدروس لهذه البرامج والأنشطة، واستثمارها بما يُحقق الأهداف المرسومة.

- التنوع الكبير في برامج وأنشطة بعض هذه الأوقاف والمراكز؛ مما يُشتت الجهد، ويضعفها في التحسين والتطوير، وتحقيق الاستدامة.

- التركيز على تكرار بعض الأنشطة والبرامج في هذه الأوقاف، أو تكون مشابهة لجهد وأفكار سابقة مبذولة، وهذا له أسبابه.

- ندرة البرامج والأفكار الإبداعية في هذه البرامج والأنشطة المقدّمة من هذه الأوقاف والمراكز، والسمّة الغالبة عليها أنها برامج تقليدية، وهذا له أسبابه[1].

- صعوبة التركيز والتخصص، بسبب كثرة المجالات المتاحة لخدمة السنة النبوية.

- وجود مجالات تخصصية في السنة النبوية لم تستثمرها هذه الأوقاف والمراكز، ولم تقدّم فيها أنشطة وبرامج.

- قلّة المتقدمين على بعض أنشطة هذه الأوقاف والمراكز، أو ضعف نوعية هذه المشاركات، مثل المشاركات في المجلات المحكّمة.

- ندرة البرامج الأكاديمية المقدمة، وعدم اعتمادها وتحكيمها من جهات ومؤسسات أكاديمية.

1. ومن ذلك عدم توفر التمويل للبرامج النوعية، وقلّة توفر الكوادر القائمة على هذه البرامج والأنشطة، والحاجة في بعض هذه البرامج لوقت طويل يمتد لسنوات، وغير ذلك.

- عدم تحديد الشريحة المستهدفة من هذه البرامج والأنشطة بشكل دقيق، وعدم التركيز على جانب معين.

- عدم توفر تغذية راجعة من المستفيدين في أغلب هذه البرامج والأنشطة، كي يساعدها في التحسين والتطوير.

المطلب الرابع: التحديات في البرامج والتطبيقات الإلكترونية[1].

- ضعف دعم وتمويل البرامج والتطبيقات الإلكترونية المتخصصة بالسنة النبوية؛ لقلة الشريحة المستهدفة فيها.

- الحاجة للتطوير والتحديث المستمر لهذه البرامج والتطبيقات، سواءً في المجال البرمجي لمواكبة أحدث التقنيات، أو مجال التغذية الراجعة من المستفيدين للتحسين والتطوير، وتصحيح الأخطاء.

- ارتفاع تكلفة المشاريع المتعلقة في المجالات التكنولوجية، وبناء قواعد البيانات، والذكاء الاصطناعي.

- ندرة توفر مهتمين في التقنيات الناشئة، يسعون في محاولة استثمارها وتسخيرها في علوم السنة النبوية.

- قلة العناية بالأوقاف الإلكترونية مع أهميتها الكبيرة في العالم المتجدد والمتطور، لا سيما مجال السنة النبوية فهو من أكبر المجالات النامية والمتطورة.

المطلب الخامس: التحديات في التواصل والإعلام.

- ضعف التواصل مع المستهدف الرئيس من هذه الأوقاف وهم أهل التخصص، وعدم اطلاعهم على الخدمات والبرامج المقدّمة.

---

1. أفردت هذا المطلب مع إمكان دخوله في المطلب السابق؛ لأهميته الكبيرة، والحاجة الماسة له، ووجود تحديات خاصة تواجهه.

- ضعف التنسيق والتواصل بين هذه الأوقاف، لاستثمار الجهود المشابهة لها، والاستفادة من التجارب السابقة.

- تشتت الجهود بين المراكز والأوقاف المتخصصة، وعدم وجود التكامل بين برامجها.

- غياب استثمار الموارد والخدمات بين هذه الأوقاف والمراكز، مما يُعيق القيام ببعض الأفكار والأنشطة التي يُمكن القيام بها بالشراكة بين هذه المراكز والأوقاف.

- ضعف تواصل ودعم أهل التخصص لهذه الأوقاف والمراكز، فضلًا عن التطوع لتقديم البرامج والأنشطة.

- أن العينة المستهدفة من بعض هذه البرامج والأنشطة هي عيّنة نُخبوية، وهم أهل التخصص الدقيق.

- ضعف الشراكات المجتمعية بين أوقاف السنة النبوية والقطاعات الأخرى.

- ضعف التواصل مع الجهات الأكاديمية والحكومية لتقديم برامج وأفكار لنشر السنة وتبليغها والدفاع عنها.

- ضعف تسويق ونشر المنتجات والخدمات والبرامج المقدمة للمستفيدين.

- عدم وجود حملات تثقيفية عن الأوقاف وأهميتها في خدمة السنة النبوية.

- قلة الفرص المتاحة للعمل التطوعي والمشاركة مع هذه الجهات عن طريق منصة معتمدة.

- أن مجال السنة النبوية من أكبر المجالات النامية والمتطورة، وحاجة

الساحة لحضور المختصين بشل مستمر؛ لبث الوعي ونشر السنة، وردّ الطعون الموجّهة لها، وبيان ضعفها وتهافتها.

المطلب السادس: التحديات في التحسين والتطوير والإبداع.

- قلة المنتجات والمشاريع الوقفية الجاذبة، والحاجة للابتكار والتميّز في هذه المنتجات والمشاريع، للوصول لمرحلة التميز والاستدامة.

- أن مجال السنة النبوية من أكبر المجالات النامية والمتطورة، فالحاجة ماسة لمواكبة ما يطرح حوالها، ومحاولة الإبداع والتجديد في الأفكار والبرامج.

- كثرة المجالات المتاحة لخدمة السنة النبوية، وضرورة التخصص الدقيق؛ من أجل القدرة على التطوير والإبداع.

- عدم حصر الجهات المعنية بخدمة السنة النبوية، وتقييم واقعها الحالي، وأخذ التغذية الراجعة من المستفيدين.

- ضعف العمل المؤسسي في بعض هذه الأوقاف والمراكز يكون عائقًا عن تقديم برامج وأنشطة إبداعية متميزة.

المطلب السابع: التحديات التنظيمية أو التشريعية.

- تنازع هذه الأوقاف لأكثر من جهة حكومية، وهو ما يجعل عملية التطوير التشريعي تحتاج إلى مزيد من الدور التكاملي بين الجهات.

- غياب الدور الإشرافي والتوعوي في كيفية إدارة الوقف والإشراف عليه، وحوكمته، واستثماره بالشكل الأمثل لصالح المجتمع، مما يُعزز التنمية المستدامة للقطاع الوقفي.

- عدم وجود مبادئ ومعايير حوكمة واضحة لقطاع الأوقاف تكون متسقة مع مستجدات الواقع ومتغيراته، لتساهم في تعظيم أثر هذا القطاع.

- عدم المرونة من قبل الجهات المختصة مع الأوقاف عند زيادة مصارف الوقف للحاجة الملحة في الزمن الحديث.

- صعوبة بعض الإجراءات مع قضايا الأوقاف والاختيارات الفقهية داخل الجهات المختصة.

- عدم تقديم الدعم الاستثماري من البنوك للأوقاف بخلاف الجمعيات الخيرية.

- صعوبة نمو هذه الأوقاف، والتشديد في الإجراءات والتداولات المالية، وهذا بخلاف ما تمتاز به المؤسسات غير الربحية بالنمو السريع، والسرعة والسهولة في الإجراءات والتداول المالي.

المبحث الثالث: الحلول المقترحة لأوقاف السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة

المطلب الأول: الحلول في الاستدامة المالية.

- التفكير بحلول تضمن استمرار التدفقات النقدية لهذه المشاريع مثل الأصول الوقفية الاستثمارية، وكذلك تقديم خدمات مدفوعة من بناء مقررات دراسية، ودورات تدريبية، وغير ذلك.

- إيجاد أنشطة وبرامج نوعية متميزة برسوم تغطي تكاليفها، وتقوم على الاكتفاء الذاتي.

- إنشاء جهة تنسيق تتولى تسويق هذه الأوقاف والمراكز، وتبين الحاجة الماسة لما تقوم به من أنشطة وبرامج، لدى الجهات المانحة والمؤسسات الحكومية.

- توفير صناديق متخصصة من بعض الجهات يكون الهدف منها تمويل الأنشطة في بعض المجالات، مثل: تدريب وتأهيل طلاب الدراسات العليا في التخصص.

- ضرورة إيجاد بدائل لتمويل الأنشطة والبرامج التي تقدمها هذه الأوقاف، والاستفادة من التجارب في هذا الباب، وحثّ الجهات المانحة على إيجاد بنود خاصة لخدمة السنة النبوية في جميع مجالاتها.

- التواصل مع الجهات المانحة لبيان أهمية دعم البرامج والأنشطة التي تخدم السنة النبوية، والحاجة الماسة لحضور المختصين والمعتنين بالسنة النبوية؛ لبث الوعي ونشر السنة، وردّ الطعون الموجّهة لها، وبيان ضعفها وتهافتها.

المطلب الثاني: الحلول في الاستدامة الإدارية.

- نمذجة التجارب الناجحة المتميزة في الأوقاف التخصصية، لتحفيز

المهتمين للدخول والمشاركة في هذا القطاع.

- تنظيم العمل المؤسسي في هذه الأوقاف، مما يحقق استدامتها واستمرارها، والتحسين والتطوير في واقعها.

- التخطيط الاستراتيجي لهذه الأوقاف، واستثمار مواردها، وتوفير البرامج والأنشطة التي تحقق الأهداف بشكل واضح.

- محاولة إيجاد صف ثاني للقيام بإدارة هذه الأوقاف وتنميتها وتطويرها، وإكمال مسيرتها.

- تحسين بيئة العمل بهذه الأوقاف وجعلها جاذبة لفئة الشباب، واستقطاب طلاب الدراسات العليا لتأهيلهم للعمل في هذه الأوقاف.

- تعزيز دَور المتخصصات في السنة النبوية من المشاركة في هذه الأوقاف، واستثمار ذلك في تسهيل الصعوبات والتحديات التي تواجه هذه الأوقاف في التواصل مع كافة شرائح المجتمع.

المطلب الثالث: الحلول في البرامج والأنشطة.

- السعي للتكامل بين هذه الأوقاف؛ للوصول إلى أهداف مشتركة، تحقيق التكامل بين هذه المشاريع والبرامج المقدمة.

- محاولة إيجاد برامج تخدم المجتمع، وتواكب حاجة الساحة، مثل برامج الدفاع عن السنة، وبث الوعي، وردّ الشبهات الموجهة لها.

- الاستفادة من الإمكانات الخاصة ببعض هذه الأوقاف والجمعيات الخيرية، مثل قاعات التدريب والمسرح والاستديو، والعمل على استثمارها.

- التركيز في البرامج المقدمة على ما يُحقق الأهداف، والسعي في تحسينها وتطويرها، وتحديد الشريحة المستهدفة بشكل دقيق.

- عقد حلقات نقاش مع المختصين في السنة؛ للبحث عن المجالات التخصصية التي لم تستثمر بالشكل الأمثل، وتقديم برامج وأفكار إبداعية فيها.

- تأهيل كادر تعليمي، والسعي في تطوير خبراتهم، لتقديم الأنشطة التعليمية والدورات التدريبية.

- إضافة تخصصات أكاديمية، وبرامج علمية معتمدة؛ لتخريج مؤهلين في كافة التخصصات.

- إقامة برامج لتأهيل وتطوير وتدريب العاملين بأوقاف السنة النبوية؛ للوصول إلى الاحترافية المهنية.

- البحث عن البدائل المناسبة، مثل التدريب عن بعد، والنشر الالكتروني، والعمل عن بعد، وغير ذلك.

- الاستفادة من جهود الأفراد المتطوعين في المجتمع، عن طريق المنصة المعتمدة للعمل التطوعي.

- توفير تغذية راجعة من جميع المستفيدين من هذه البرامج والأنشطة المقدمة، واستثمارها في التحسين والتطوير.

المطلب الرابع: الحلول في البرامج والتطبيقات الإلكترونية.

- البحث عن ممولين يعتنون في هذا المجال؛ يتكفلون بدعم هذه البرامج والتطبيقات وتحديثها باستمرار.

- عقد شراكات مع الشركات التقنية، للقيام بهذه التطبيقات والبرامج الإلكترونية.

- استثمار التقنيات الحديثة، والأساليب التكنولوجية، والذكاء الاصطناعي في البرامج والتطبيقات المقدمة.

- ضرورة التحديث المستمر للبرامج والتطبيقات المقدمة؛ لمواكبة أحدث التقنيات، وتصحيح ما فيها من أخطاء.

- عقد حلقات نقاش بين المعتنين في المجال التقني، والمختصين في السنة النبوية؛ للبحث عن المجالات التي يمكن استثمارها من خلال هذه البرامج والتطبيقات، والسعي في مواكبة سرعة التطور في هذا المجال.

المطلب الخامس: الحلول في التواصل والإعلام.

- ضرورة التواصل المستمر بين هذه الأوقاف؛ من أجل السعي للتكامل، واستثمار الجهود المشابهة، والاستفادة من التجارب السابقة.

- أهمية تعزيز سبل التعاون، وتضافر الجهود المشتركة من الأفراد المهتمين والجهات الحكومية والمؤسسات الوقفية، لتوزيع المسؤوليات وتحقيق التطوير المستمر.

- التواصل مع الجهات الأكاديمية والحكومية المتخصصة لعقد شراكات تُساهم بتقديم خدمات مجتمعية متميزة، والسعي لرفع مستوى التنسيق بين هذه الجهات.

- ضرورة تسويق ونشر الخدمات المقدمة، بأساليب متنوعة، للوصول للشريحة المستهدفة.

- التواصل مع المختصين في السنة النبوية، وكذلك طلاب الدراسات العليا في التخصص، لاطلاعهم على الخدمات المقدمة، وعقد شراكات وتعاون معهم لتقديم بعض البرامج والأنشطة، والحصول على تغذية راجعة في معرفة أهم احتياجات الساحة في التخصص.

- التواصل مع المؤسسات الأهلية والحكومية؛ من أجل القيام بتحقيق الأهداف بشكل تكاملي يخدم المستفيدين.

- العمل على نشر الوعي المجتمعي بأهمية أوقاف السنة النبوية وأثرها ودورها في نباء المجتمع، والتواصل مع الجهات والمؤسسات المانحة بهذا الشأن.

- تقديم دراسة مفصلة بمشاركة جميع أوقاف السنة النبوية للوقوف على نوازل وأولويات السنة النبوية في هذا العصر، من أجل استغلال واستثمار الجهود المبذولة.

- إظهار الدور الذي تقوم به هذه الأوقاف من نشر السنة والدفاع عنها، وردّ الشبهات الموجّهة إليها، وتقديم خدمات وبرامج نوعية للمعتنين بالسنة بشكل خاص، وللمجتمع بشكل عام.

- إبراز البرامج المتميزة والأفكار الإبداعية المقدمة من أوقاف السنة النبوية للجهات والمؤسسات المانحة، وبيان أثرها على كافة أفراد المجتمع، وإيقافهم على ضرورة إيجاد بنود خاصة تُعنى بالسنة النبوية وخدمتها بشكل أوسع.

المطلب السادس: الحلول في التحسين والتطوير والإبداع.

- النهوض بهذه الأوقاف حتى تتمكن من القيام بأثرها التنموي على نحو فاعل، وهذا يتطلب القيام بشراكات ذكية مع القطاع العام والخاص.

- وضع الخطط الطموحة لحلّ أبرز الإشكالات، ومواكبة الجهود الحثيثة في المملكة العربية السعودية التي تُساعد على تحقيق التنمية المستدامة في هذه الأوقاف.

- استثمار المبادرات الحكومية تجاه القطاع الوقفي؛ لما لها من أثر في تعزيز تنمية إدارة هذه الأوقاف وتطويرها.

- حصر وتقييم الواقع الحالي لهذه الأوقاف، والعناية بالتغذية الراجعة من المستفيدين.

- معالجة ضعف التخصص في بعض هذه الأوقاف، وعدم التركيز على مجال محدد.

- محاولة رصد الاحتياجات المستقبلية بدقة وتوجيه هذه المراكز لتغطيتها.

- مواكبة النمو والتطور في مجالات السنة النبوية، والسعي للإبداع والتجديد في الأفكار والبرامج.

- السعي والمبادرة بحوكمة هذه الأوقاف، ووضع الأدلة الاسترشادية اللازمة لها، من أجل تحقيق التنمية المستدامة، واستثمارها على الوجه الأمثل.

المطلب السابع: الحلول التنظيمية أو التشريعية.

- المبادرة بحصر التحديات التنظيمية التي تواجهها هذه الأوقاف، والسعي مع الجهات المختصة بدور تكاملي للوصول إلى حلول مناسبة.

- إيجاد جهة مختصة تتولى الدور الإشرافي والتوعوي في إدارة الأوقاف والإشراف عليها، وحوكمتها، واستثمارها بالشكل الأمثل لصالح المجتمع، وتعزيز التنمية المستدامة فيها.

- تقديم دراسة مفصلة بمشاركة جميع أوقاف السنة النبوية للوقوف على الحلول التنظيمية التي تساهم في تطوير واقع هذه الأوقاف واستثمار الجهود المبذولة فيها بالشكل الأمثل.

- السعي لحوكمة هذه الأوقاف من خلال مبادئ ومعايير واضحة، تكون متسقة مع مستجدات الواقع ومتغيراته، وتساهم في تعظيم أثر هذا القطاع.

- يجب على الجهات ذات العلاقة تسهيل الصعوبات والتحديات التي تواجه أوقاف السنة النبوية، وتسهيل الإجراءات النظامية، ومنح المزايا لجذب المهتمين، وتقديم الدعم والمساندة لهم.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أشكر الله وأثني عليه على توفيقه وتيسيره، وأذكر عددًا من النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

أولًا: النتائج:

1. توسّع مفهوم الأوقاف ونمائها عبر التاريخ الإسلامي لم تقتصر على مجرد التطبيق في أشكاله العامة فقط، بل تعداه في أغراضه ومقاصده إلى ابتكار واستحداث أنواع أخرى.

2. ظهر العمل المؤسسي الخيري المنظّم لخدمة السنة النبوية وعلومها في حدود النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وذلك بظهور دُور الحديث النبوية، وساعدت هذه الدور بتحقيق التنمية المستدامة في خدمة السنة النبوية في تلك العصور.

3. أوّل من قام بإنشاء دار للحديث الملك نور الدين محمود زنكي (ت 569هـ)، وذلك عندما بنى أوّل دار للحديث في العالم الإسلامي سُميت بـ **(دار الحديث النُّورية).**

4. الجهد الكبير والاهتمام البارز الذي تقوم به المملكة العربية السعودية في قطاع الأوقاف وخدمة السنة النبوية منذ بداية نشأة الدولة إلى يومنا هذا بحمد الله.

5. قلّة وضعف أوقاف السنة النبوية التخصصية بخلاف المجالات الأخرى.

6. أن مجال السنة النبوية من أكبر المجالات النامية والمتطورة، فالحاجة ماسة لمواكبة ما يطرح حولها، ومحاولة الإبداع والتجديد في الأفكار والبرامج.

7. ضعف تحقق التنمية المستدامة في بعض هذه الأوقاف، وعدم استثمارها بالشكل الأمثل لخدمة السنة النبوية.

8. الحاجة لتطوير آليات جديدة، وابتكار أساليب وحلول تُحقق التنمية

المستدامة في هذه الأوقاف.

9. أبرز التحديات التي تُهدد التنمية المستدامة في هذه الأوقاف هي التحديات المتعلقة في الاستدامة المالية.

10. ضعف العمل المؤسسي في بعض هذه الأوقاف والمراكز يكون عائقًا عن تقديم برامج وأنشطة إبداعية متميزة.

11. من التحديات البارزة غِياب التخطيط الاستراتيجي، وضعف الخُطط التشغيلية، وقلّة استثمار الموارد، وغياب البرامج والأنشطة التي تحقق الأهداف بشكل واضح.

12. التنوّع الكبير في البرامج والأنشطة عند بعض هذه الأوقاف والمراكز؛ من أبرز أسباب تشتت الجهد، وضعف التحسين والتطوير، وعدم تحقيق الاستدامة.

13. عدم توفر تغذية راجعة من المستفيدين في أغلب هذه البرامج والأنشطة، لا يساعدها في التحسين والتطوير.

14. تشتت الجهود بين هذه الأوقاف، وعدم وجود التكامل في برامجها، مما يُضعف تحقّق التنمية المستدامة فيها.

15. غياب استثمار الموارد والخدمات بين هذه الأوقاف والمراكز، يُعيق القيام ببعض الأفكار والأنشطة التي يُمكن القيام بها بالشراكة بين هذه المراكز والأوقاف.

16. يلاحظ قلة المنتجات والمشاريع الوقفية الجاذبة، والحاجة للابتكار والتميّز في هذه المنتجات والمشاريع، للوصول لمرحلة التميز والاستدامة.

ثانيًا: <u>التوصيات</u>:

1. إنشاء جهة تنسيق تتولى تسويق هذه الأوقاف والمراكز، وتبين الحاجة الماسة لما تقوم به من أنشطة وبرامج، لدى الجهات المانحة والمؤسسات الحكومية، وتسعى لإيجاد بدائل تمويلية.

2. وضع مبادئ خاصة بحوكمة أوقاف السنة النبوية، تساهم في المحافظة على هذه الأوقاف وتنميتها واستدامتها.

3. إنشاء حلقة اتصال بين هذه الأوقاف والمراكز التي تُعنى بالسنة النبوية وخدمتها.

4. مساعدة المهتمين في هذا المجال بتأهيلهم وتطويرهم عن طريق الندوات والدورات المتخصصة للمساهمة في تحسين وجودة المخرجات.

5. حصر جميع أوقاف السنة النبوية وجمعياتها داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، من أجل معرفة البرامج والمشاريع المقدمة، ثم الاستفادة منها بعد ذلك.

6. نمذجة التجارب الناجحة المتميزة في الأوقاف التخصصية، لتحفيز المهتمين للدخول والمشاركة في هذا القطاع.

7. النهوض بهذه الأوقاف حتى تتمكن من القيام بأثرها التنموي على نحو فاعل، وهذا يتطلب القيام بشراكات ذكية مع القطاع العام والخاص.

8. تحفيز رجال الأعمال والمؤسسات المانحة لتبني المشاريع والبرامج التي تخدم السنة النبوية، وبيان الحاجة الماسة في هذا الزمن، لكثرة التشكيك بها، والطعون الموجهة لها.

قائمة المصادر والمراجع

من أهم المصادر في مثل هذه الأبحاث الميدانية، النزول للميدان، وزيارة هذه المراكز، ومقابلة القائمين عليها، من أجل الوصول للتحديات التي تواجهها، ومحاولة معرفة الحلول المناسبة لواقعها، وهذا ما قُمت به مع أكثر المراكز المذكورة.

المصادر والمراجع المطبوعة:

- جامع الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، المحقق/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المحقق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ.

- دور الحديث النبوي وأثرها في خدمة السنة النبوية وعلومها، عبد السميع الأنيس، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد (85)، 1432هـ.

- الذخيرة، لأبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، المحقق/ محمد حجي، وسعيد أعراب، ومحمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994م.

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، المحقق/ إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1418هـ.

- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق/ جماعة من العلماء بالمطبعة السلطانية، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1422هـ.

- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق/ محمد ذهني أفندي، إسماعيل الطرابلسي، أحمد رفعت، وغيرهم، دار الجيل بيروت، مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في إسطنبول سنة 1334هـ.

- فتح الباري بشرح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1390هـ، ثم صورتها: عدة دور مثل دار المعرفة، وغيرها.

- لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، المحقق/اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.

- المغني، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمدِ بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي، المحقق/ د. عبد اللَّه التركي، د. عبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 1417هـ.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ.

- الوقف مشروعيته ومكانته الحضارية، أحمد الدريويش، مقدم في ندوة: مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية.

المصادر والمراجع الالكترونية:

- موقع برنامج الاستدامة والتمكين من الهيئة العامة للأوقاف: https://n9.cl/d8fat.

- موقع مركز تدوين للبحوث والدراسات الحديثية: https://www.tadween.sa/.

- موقع وقف تعظيم الوحيين في المدينة المنورة: https://t-alwahyain.org/.

- موقع وقف الإتقان لتعظيم القرآن والسنة: https://www.waqfaletqan.com/.

- موقع المرصد الأول لنصرة السنة: https://mrsd-awal.com/.

- موقع أكاديمية تعظيم السنة النبوية: https://sunnah-edu.com/.
- موقع نصرة السنة: https://nusrahalsunnah.com/.
- موقع الرد على الشبهات: https://n9.cl/74g88.
- موقع مركز إحسان لدراسات السنة النبوية: https://ihsancenter.com/.
- موقع مركز السنة والتراث النبوي للدراسات والتدريب: https://www.alsunan.com/.
- موقع موسوعة صحيح البخاري: https://www.bukhari-pedia.net/.
- موقع المنصة الحديثية: https://alminasa.ai/about.
- موقع الموسوعة الحديثية في الدرر السنية: https://dorar.net/hadith

دبي - الكرامة - شارع زعبيل - ص.ب: 50106
الإمارات العربية المتحدة
هاتف : 3961777 4 971 + - فاكس 3961314 4 971 +
الموقع الإلكتروني : www.alwasl.ac.ae